

موسوعة العقيدة الإسلامية

الكتاب الثامن

عقيدة الأكابر

إعداد الشيخ

الدكتور عبد العزيز الخطيب الحسني

الدمشقي الشافعي الأشعري



عقيدة الأكابر

**حقوق الطبع لكل مسلم
الطبعة الأولى 2017م**

**تطلب النسخة من المؤلف مباشرة
هـ 0933484956**

مُتَكَلِّمَات

الحمد لله المتفرد باسمه الأسمى، المختص بالأعز الأسمى، الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى، الظاهر لا تخيلاً ولا وهماً، الباطن تقدساً لا عدماً، وسع كلّ شيء رحمة وعلماً، وأسبغ على أوليائه نعماً جماً، وبعث فيهم رسولاً من أنفسهم أنفُسَهم عرباً وعجماً، وأزكاهم محتداً ومنمى، وأرجحهم عقلاً وحلماً، وأوفرهم علماً وفهماً، وأقواهم يقيناً وعزماً، وأشدّهم بهم رافةً ورحماً، وزكاه روحاً وجسماً، وحاشاه عيباً ووصماً، وآتاه حكمة وحكماً، وفتح به أعيناً عمياً وقلوباً غلفاً وآذاناً صماً، فأمن به وعزّره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسماً، وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتماً، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد صلاة تنمو وتنمى وعلى آله وصحبه، وسلم

تسليماً

أما بعد:

فهذا الكتاب الثامن من كتب العقيدة التي من الله تعالى علي بجمعها من كتب العقائد. وكنت قد عقدت لها حلقات ممتدة على أجهزة التواصل الاجتماعي وأرسلتها تباعاً، وهامي أصبحت مجموعة لعل الله تعالى ينفع بها من يكتب كما نفع بها من يقرأ. وقد جاءت بسيطة مبسطة لطلاب العلم أمثالي أرجو بها الثواب في الدارين..والنفع لطلابنا الكرام.

خادم العلم الشريف

عبد العزيز الخطيب الحسني

دمشق

مقدمة

الأشاعرة في الفكر الإسلامي

الأشعرية نسبة إلى إمامها ومؤسسها سيدنا أبي الحسن الأشعري، الذي ينتهي نسبه إلى الصحابي سيدنا أبي موسى الأشعري، هي مدرسة إسلامية سنية اتبع منهاجها في العقيدة عدد كبير من فقهاء أهل السنة والحديث، فدعمت اتجاههم العقدي .

ومن كبار هؤلاء الأئمة: ابن حبان، الدارقطني، الحاكم، البيهقي، الباقلاني، القشيري، الجويني، الغزالي، الفخر الرازي (صاحب التفسير الكبير)، البيضاوي (صاحب تفسير أنوار التنزيل)، التفتازاني (شارح العقائد النسفية)، السيوطي (صاحب الإتيقان في علوم القرآن)، النووي (شارح صحيح مسلم وصاحب رياض الصالحين)، ابن حجر العسقلاني (شارح صحيح البخاري في كتابه فتح الباري)، القسطلاني (صاحب إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري)، ابن عساكر (صاحب تاريخ دمشق الكبير)، ابن عقيل الحنبلي، وتلميذه ابن الجوزي، والعز بن عبد السلام، والتقي السبكي، وغيرهم كثير من العلماء الأعلام، حتى إنهم مثّلوا جمهور الفقهاء والمحدثين من شافعية ومالكية وأحناف وبعض الحنابلة.

يعد الأشاعرة بالإضافة إلى الماتريدية، المكوّنات الرئيسيان لأهل السنة والجماعة إلى جانب فضلاء الحنابلة، فالحنفية ماتريدية، والشافعية والمالكية وجملة كبيرة من أئمة الحنابلة المتقدمين من الأشاعرة.

والإمامان الأشعري والماتريدي قد تبنا منهجاً مماثلاً وطبقوه، فاستطاعوا بمرور الزمن أن يشكّلوا مدرسة كلامية سنية انتسب إليها أكثر من تسعين بالمائة من مسلمي العالم الإسلامي.

والأشاعرة هم الذين وقفوا في وجه المعتزلة، فزيفوا أقوالهم، وأبطلوا شبههم، وأعادوا الحق إلى نصابه على طريق سلف الأمة ومنهجهم.

والإمام الأشعري لم يؤسس في الإسلام مذهباً جديداً في العقيدة، يخالف مذهب السلف، وإنما هداه الله تعالى إلى مذهب أهل السنة بعد أن كان على مذهب الاعتزال، عرف من خلالها حقيقة مذهبهم، وتمرس بفنونهم وأساليبهم في الجدل، والنقاش، والنظر، مما مكّنه من الرد عليهم، وإبطال شبههم. فوجد فيه أهل السنة ضالّتهم التي طالما بحثوا عنها فاتبعوه، وساروا على نهجه، لما رأوا فيه من القدرة على إفحام خصومهم، والدفاع عنهم، وتثبيت مذاهبهم.

وعقيدة الإمام الأشعري التي سار عليها هي عقيدة الإمام أحمد بن حنبل، والإمام الشافعي، والإمام مالك، والإمام أبي حنيفة وأصحابه، وهي عقيدة السلف الصالح، كما نص على ذلك أئمة أهل العلم ممن سار على هذه العقيدة. كما سنبينه إن شاء الله تعالى.

برز هذا المنهج على يد الإمام أبي الحسن الأشعري الذي واجه المعتزلة وانتصر لآراء أهل السنة وكان إماماً لمدرسة تستمد اجتهادها من المصادر التي أقرّها علماء السنة فيما يخص صفات الخالق ومسائل القضاء والقدر. بهذا مثل ظهور الأشاعرة نقطة تحول في تاريخ أهل السنة والجماعة التي تدعمت بنيتها العقدية بالأساليب الكلامية كالمنطق والقياس، فأثبت الإمام أبو الحسن الأشعري بهذا أن تغيير المقدمات المنطقية مع استخدام نفس الأدوات التحليلية المعرفية يمكن أن يؤدي إلى نتائج مختلفة.

إلى جانب نصوص الكتاب والسنة، فإن الأشاعرة استخدموا العقل في عدد من الحالات في توضيح بعض مسائل العقيدة، وهناك حالات استخدم فيها عدد من علماء الأشاعرة التأويل لشرح بعض ألفاظ القرآن الموهمة للتشبيه، وهذا ما يرفضه السلفية وينتقدونهم عليه، ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي في الاختلاف الكامل بين الأشاعرة والمعتزلة من جهة، وعدم مطابقتهم تمامًا لبعض أهل الحديث والحنابلة واختلافهم معهم في جزئيات منهجية عدّة من جهة أخرى: "وكان الأشعري مؤمنًا بأن مصدر العقيدة هو الوحي والنبوة المحمدية.. وما ثبت عن الصحابة.. وهذا مفترق الطريق بينه وبين المعتزلة، فإنه يتجه في ذلك اتجاهًا معارضًا لاتجاه المعتزلة، ولكنه رغم ذلك يعتقد.. أن الدفاع عن العقيدة السليمة، وغرسها في قلوب الجيل الإسلامي الجديد، يحتاج إلى الحديث بلغة العصر العلمية السائدة، واستعمال المصطلحات العلمية، ومناقشة المعارضين على أسلوبهم العقلي، ولم يكن يسوغ ذلك، بل يعدّه أفضل الجهاد وأعظم القربات في ذلك العصر، وهذا مفترق الطرق بينه وبين كثير من الحنابلة والمحدثين الذين كانوا يتأثّمون ويتخرجون من النزول إلى هذا المستوى."

النشأة :

يُرجع المؤرخون الأشاعرة نشأة المدرسة الأشعرية إلى تاريخ اهتمام أئمة السلف بعلم الكلام واستخدامه في مواجهة الفرق التي اعتبروها مخالفة، ويعدّون الإمام أبا حنيفة النعمان هو المؤسس الحقيقي للمنهج الذي يسرون عليه ومن بعده أئمة آخرون كالإمام الشافعي وابن كلاب والبخاري .

وكان التأطير الكبير لمنهج الأشاعرة في مواجهة المعتزلة على يد سيدنا الإمام أبو الحسن الأشعري الذي يعد أبرز متكلمي أهل الحديث، حيث إن الإمام أبا الحسن الأشعري كان معتزليًا يأخذ المذهب عن الجبائي، وما لبث أن عارض شيخه ورجع لمنهج أئمة السلف ومنهم الإمام أبو حنيفة النعمان والإمام الشافعي رضي الله

عنهما وغيرهما من متكلمي أهل الحديث كعبد الله بن كلاب وأبي العباس القلانسي، والحرث بن أسد المحاسبي في الانتصار بالأساليب الكلامية لعقائد السلف أهل السنة، خصوصاً في المسائل المتعلقة بخلق القرآن والقضاء والقدر.

وذكر الإمام ابن عساكر أن سيدنا أبا الحسن الأشعري اعتزل الناس مدة خمسة عشر يوماً، وتفرغ في بيته للبحث والمطالعة، ثم خرج إلى الناس في المسجد الجامع، وأخبرهم أنه انخلع مما كان يعتقد المعترلة، كما ينخلع من ثوبه، ثم خلع ثوبا كان عليه ورمى بكتبه الجديدة للناس فكسب بذلك تأييد العديد من الناس، وكثر أنصاره ومؤيدوه من حكام وعلماء، ولقبه بعض أهل عصره بإمام السنة والجماعة.

ما بعد مرحلة التأسيس :

كان السبب المباشر لانطلاقة الإمام الأشعري نحو تحديد منهج العقيدة عند أهل السنة هو مواجهة المعترلة، ولعل هذا الهدف قد تحقق سريعاً كنتيجة لالتفاف العلماء حول الإمام الأشعري بعد أن ضاقوا بالمعترلة، إلا أن منهج الإمام الأشعري لم يبق جامداً بل تطور، وإن كان على القاعدة نفسها التي وضعها المؤسس مع بعض التباين في تطبيقات هذه القاعدة القائمة على جعل العقل خادماً للنصوص وعدم اتخاذه حاكماً عليها ليؤولها أو يمضي ظاهرها كما هو الحال عند المعترلة،

وقابلية المنهج للتطور كان محصوراً في الجانب العقلي ومنسجماً مع المرونة التي اتبعها المؤسس لجهة استعمال العقل كخادم لا كحاكم، وفيما يلي بعض لمحات تطور المنهج وصور التباين في تطبيق منهج الإمام الأشعري رضي الله عنه:

بعد الأشعري جاء أئمة قووا تلك الآراء التي انتهى إليها الإمام الأشعري، وقد تعصب بعضهم لرأي الإمام الأشعري، لا في النتائج فقط وإنما كذلك في المقدمات التي ساقها، وأوجبوا اتباعه في المقدمة والنتيجة معاً، وعلى رأس هذا الفريق الإمام أبو بكر الباقلاني حيث إنه لم يقتصر على ما وصل إليه الإمام الأشعري من نتائج بل إنه لا يجوّز بغير مقدماته أيضاً.

رأى فريق آخر من الأشاعرة جاء بعد الإمام الباقلاني وعلى رأسه الإمام الغزالي أن المقدمات العقلية لم يجيء بها كتاب أو سنة وميادين العقل متسعة وأبوابه مفتوحة وأن هناك إمكانية أن يتم الوصول إلى دلائل وبيّنات من قضايا العقول ونتائج التجارب والقرائح لم يتجه إليه الإمام الأشعري وليس من ضير في الأخذ بها ما دامت لم تخالف ما وصل إليه من نتائج وما اهتدى إليه من ثمرات فكرية. ولم يسلك الإمام الغزالي مسلك الإمام الباقلاني، ولم يدع لمثل ما دعا إليه، بل قرر أنه لا يلزم من مخالفة الإمام الباقلاني في الاستدلال بطلان النتيجة، وأن الدين خاطب العقول جميعاً، وعلى الناس أن يؤمنوا بما جاء بالكتاب والسنة، وأن يقووه بما يشاؤون من أدلة.

جاء بعد سيدنا الإمام الغزالي أئمة كثيرون اعتنقوا مذهب الإمام الأشعري في نتائجه، وزادوا على دلائله، فلم يدعوا إلى التقيد بالمقدمات بل قيدوا أنفسهم فقط بالنتائج.

في المشرق وبعد أن واجه الإمام أبو الحسن الأشعري المعتزلة، أحاط به علماء السنة واعتبروه إمامهم، لأنه وضع حدًا لهيمنة المعتزلة، وأظهر عقائد أهل السنة على مخالفيهم بحجج وأسلوب كانا كفيّلين بأن يعيد لأهل السنة حضورهم بعد أن نازعهم المعتزلة، وفي عهد دولة السلاجقة وبالتحديد في عهد الوزير نظام الملك الذي اهتم ببناء المدارس وربط المساجد ببعضها والذي كان يرفع من شأن العلماء، زاد انتشار مذهب الإمام الأشعري، وقد تم تدريس المنهج الأشعري في مدرسة بغداد النظامية، ومدرسة نيسابور النظامية، وكانت المدرسة النظامية في بغداد أكبر جامعة إسلامية في العالم الإسلامي وقتها.

فلم تأت الحروب الصليبية إلا وكان المذهب الأشعري قد ساد المشرق بشكل غير مسبوق، فلما قضى السلطان صلاح الدين على دولة الفاطميين في مصر قام بتحويل الأزهر الذي كان على مذهب الشيعة الإسماعيلية المفروض من الفاطميين إلى مذهب أهل السنة والجماعة على منهج الأشاعرة في العقيدة والذي كان سائداً ومنتشراً في ذلك الوقت.

الأفكار والعقائد:

الأشعرية مدرسة سنية، تكاد تكون مطابقة لعقائد المدارس الأخرى المنتسبة للسنة كالماتريدية إلا في مسائل قليلة بسبب اختلاف منهج التلقي والاستدلال. واتبع علماء أشاعرة منهجًا كلاميًا في حالات عدة.

استدل الإمام الأشعري على العقائد بالنقل والعقل، فثبت ما ورد في الكتاب والسنة من أوصاف الله والاعتقاد برسله واليوم الآخر والملائكة والحساب والعقاب والثواب، ثم يستدل بالأدلة العقلية والبراهين المنطقية على صدق ما جاء في الكتاب والسنة بعد أن أوجب التصديق بها كما هي نقلاً، فهو لا يتخذ من العقل حَكَمًا على النصوص ليؤولها أو يمضي ظاهرها، بل يتخذ العقل خادماً لظواهر النصوص يؤيدها.

وقد استعان في سبيل ذلك بقضايا فلسفية ومسائل عقلية خاض فيها الفلاسفة وسلكها المناطق، والسبب في سلوكه ذلك المسلك العقلي:

أنه كان منتسباً إلى المعتزلة، فاختار طريقتهم في الاستدلال لعقائد القرآن وهو مسلك المناطق والفلاسفة، ولم يسلك طريقتهم في فهم نصوص القرآن والحديث. بل تصدّى للردّ على المعتزلة ومعارضتهم فتبع طريقتهم في الاستدلال ليقطع حجتهم ويفحمهم بما في أيديهم ويرد حجتهم عليهم.

كما تصدّى للردّ على الفلاسفة، والقرامطة، والباطنية وغيرهم، وكثير من هؤلاء لا يقنع إلا بالأقيسة المنطقية، ومنهم فلاسفة لا يقطعهم إلا دليل العقل.

قال سيدنا الإمام تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: «... الشيخ أبو الحسن الأشعري البصري، شيخ طريقة أهل السنة والجماعة، وإمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين، والذّاب عن الدين، والساعي في حفظ عقائد المسلمين؛ سعياً يبقى أثره إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين. إمام حبر، وتقي بر، حمى جناب

الشرع من الحديث المفتري، وقام في نصرة ملة الإسلام فنصرها نصراً مؤزراً، بهمة في الثريا إثر أخمصها وعزمة ليس من عاداتها السأم ..

وما برح يدلج ويسير، وينهض بساعد التشمير حتى نقي الصدور من الشبه، كما ينقي الثوب الأبيض من الدنس، ووقى بأنوار اليقين من الوقوع في ورطات ما التبس، وقال فلم يترك مقالاً لقائل، وأزاح الأباطيل والحق يدفع ترهات الباطل... . وأخذ في نصرة الأحاديث في الرؤية والشفاعة والنظر وغير ذلك، وكان يفتح عليه من المباحث والبراهين بما لم يسمعه من شيخ قط، ولا اعترضه به خصم، ولا رآه في كتاب .

قال الحسين بن محمد العسكري: (كان الأشعري تلميذاً للجبائي، وكان صاحب نظر وذا إقدام على الخصوم، وكان الجبائي صاحب تصنيف وقلم، إلا أنه لم يكن قوياً في المناظرة، فكان إذا عرضت مناظرة قال للأشعري: نب عني)... . واعلم أنا لو أردنا استيعاب مناقب الشيخ لضاقت بنا الأوراق وكلت الأقلام، ومن أراد معرفة قدره، وأن يمتلىء قلبه من حبه، فعليه بكتاب "تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري" الذي صنفه "الحافظ ابن عساكر"، وهو من أجل الكتب وأعظمها فائدة وأحسنها... . وقد زعم بعض الناس أن الشيخ كان مالكي المذهب، وليس ذلك بصحيح، إنما كان شافعيًا، تفقه على أبي إسحاق المروزي، نصَّ على ذلك الأستاذ أبو بكر بن فورك في طبقات المتكلمين والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني فيما نقله عنه الشيخ أبو محمد الجويني في شرح الرسالة... .

اعلم أن أبا الحسن لم يبدع رأياً ولم ينشئ مذهباً، وإنما هو مقررٌ لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطاقاً وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدي به في ذلك السالك سبيله في الدلائل يسمي أشعرياً، ولقد قلت مرة للشيخ الإمام رحمه الله: أنا أعجب من الحافظ ابن عساكر في عديده

طوائف من أتباع الشيخ ولم يذكر إلا نزرًا يسيرًا وعدداً قليلاً، ولو وُفِّي الاستيعاب حقُّه لاستوعب غالب علماء المذاهب الأربعة، فإنهم برأي أبي الحسن يدينون الله تعالى، فقال إنما ذكر من اشتهر بالمناضلة عن أبي الحسن، وإلا فالأمر على ما ذكرت من أن غالب علماء المذاهب معه. وقد ذكر سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام أن عقيدته اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء

الحنابلة، ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه: أبو عمرو بن الحاجب، وشيخ الحنفية: جمال الدين الحضيري

وقد ذكر غير واحد من الأثبات أن الشيخ كان يأخذ مذهب الشافعي عن أبي إسحاق المروزي، وأبو إسحاق المروزي يأخذ عنه علم الكلام، ولذلك كان يجلس في حلقاته.

ثم قال في موضع آخر: ... قال الإمام المائِزقي المالكي: (ولم يكن أبو الحسن أوَّل متكلم بلسان أهل السنة، إنما جرى على سنن غيره، وعلى نصره مذهب معروف، فزاد المذهب حجةً وبياناً، ولم يتدع مقالته اختراعها، ولا مذهباً انفرد به، ألا ترى أن مذهب أهل المدينة نُسب إلى مالك، ومن كان على مذهب أهل المدينة يقال له مالكي، ومالك إنما جرى على سنن من كان قبله وكان كثير الإتيان لهم، إلا أنه لما زاد المذهب بياناً وبسطاً عُزِي إليه، كذلك أبو الحسن الأشعري ليس له في مذهب السلف أكثر من بسطه وشرحه وتوالياً في نصرته.

(... ثم ذكر المائِزقي رسالة الشيخ أبي الحسن القابسي المالكي التي يقول فيها: (واعلموا أن أبا الحسن الأشعري لم يأت من علم الكلام إلا ما أراد به إيضاح السنن والتثبت عليها).... إلى أن يقول القابسي: (وما أبو الحسن إلا واحد من جملة القائمين في نصره الحق ما سمعنا من أهل الإنصاف من يؤخره عن رتبة ذلك ولا من يؤثر عليه في عصره غيره ومن بعده من أهل الحق سلكوا سبيله...)

وقال العلامة ابن السبكي أيضًا في "معيد النعم ومبيد النقم" [ص75، ط. الخانجي]: "وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة -ولله الحمد- في العقائد يد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون لله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى، لا يحيد عنها إلا رعا من الحنفية والشافعية؛ لحقوا بأهل الاعتزال، ورعا من الحنابلة؛ لحقوا بأهل التجسيم، وبرأ الله المالكية؛ فلم نر مالكيًا إلا أشعريًا عقيدة، وبالجملة عقيدة الأشعري هي ما تضمنته عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول ورضوها عقيدة." وقال الإمام أبو إسحاق الشيرازي:

"وأبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة، وعامة أصحاب الشافعي على مذهبه، ومذهبه مذهب أهل الحق."

وقد ذكر شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام أن عقيدة الأشعري اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة، ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه: أبو عمرو بن الحاجب، وشيخ الحنفية جمال الدين الحصري. وقد كان الإمام العز بن عبد السلام على مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري في الاعتقاد، وقد أبان ذلك في عقيدته المسماة "ملحة الاعتقاد" التي أرسلها إلى الملك الأشرف حينما وقع الخلاف بينهما في مسألة كلام الله تعالى. وقد ذكرها ابن السبكي في طبقاته في ترجمة الإمام العز نقلًا عن ولده الشيخ عبد اللطيف. وهي كالآتي: قال في أولها :

"الحمد لله ذي العزة والجلال، والقدرة والكمال، والإنعام والإفضال الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، ليس بجسم مصور، ولا جوهر محدود مُقَدَّر، ولا يُشَبَّه شيئًا، ولا يُشَبَّه شيء، ولا تحيط به الجهات ولا تكتفه الأرضون ولا السموات، كان قبل أن كَوَّن المكان، ودبَّر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان، خلق الخلق وأعمالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، فكل نعمة منه

فهي فضل، وكل نعمة منه فهي عدل { لا يسأل عما يفعل وهم يسألون } سورة الأنبياء، الآية: 23،

استوى على العرش المجيد على الوجه الذي قال، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزلها عن المماسّة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، فتعالى الله الكبير المتعال عما يقوله أهل الغي والضلال، لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، مقهورون في قبضته، أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، مطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر، حي مريد سميع بصير قدير، متكلم بكلام قديم أزلي ليس بحرف ولا صوت.

ويرد على من ذهب إلى أن الله متكلم بصوت وحرف بقوله: "ولا يتصور في كلامه أن ينقلب مدادا في الألواح والأوراق، شكلا ترمقه العيون والأحداق، كما زعم أهل الحشو والنفاق، بل الكتابة من أفعال العباد، ولا يتصور في أفعالهم أن تكون قديمة، ويجب احترامها لدلالاتها على كلامه، كما يجب احترام أسمائه لدلالاتها على ذاته، وحق لما دل عليه وانتسب إليه أن يعتقد عظمته وترعى حرمة، ولذلك يجب احترام الكعبة والأنبياء والعباد والصلحاء؛

أمر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

ومثل ذلك يقبل الحجر الأسود، ويحرم على المحدث أن يمس المصحف، أسطره وحواشيه التي لا كتابة فيها، وجلده التي هو فيها، فويل لمن زعم أن كلام الله القديم شيء من ألفاظ العباد، أو رسم من أشكال المداد.

ثم قال بعد ذلك: "واعتقاد الأشعري - رحمه الله - مشتمل على ما دلت عليه أسماء الله التسعة والتسعون، التي سمى بها نفسه في كتابه وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسماءه مندرجة في أربع كلمات، هن الباقيات الصالحات..." إلخ.

ثم بعد أن فصل الكلام عن الباقيات الصالحات قال: "فهذا إجمال من اعتقاد الأشعري -رحمه الله- واعتقاد السلف، وأهل الطريقة والحقيقة نسبته إلى التفصيل الواضح كنسبة القطرة إلى البحر الطافح."

مصدر التلقي :

الاستدلال عند الأشاعرة يكون بالأدلة النقلية (نصوص الكتاب والسنة) وبالأدلة العقلية على وجه التعاضد فالأدلة النقلية والعقلية عندهم يؤيد كل منهما الآخر، فهم يرون أن النقل الثابت الصريح والعقل الصحيح لا يتعارضان. والأشاعرة عندما يوجهون خطابهم إلى مخالفيهم الذين لا يقيمون وزناً للكتاب والسنة، فإنهم يقدمون الأدلة العقلية على النقلية وذلك يكون فقط في مجال الاستدلال في العقائد في باب العقليات، لأنهم يرون أن المراد هو الرد على المخالفين، كالدهرية والثنية وأهل التثليث والمجسمة والمشركين ونحوهم، فهؤلاء المخالفون لا يرون حجية للقرآن والسنة، إلا بعد إقامة الأدلة العقلية على الإيمان بالله وأن القرآن كلام الله وأن سيدنا محمد بن عبد الله هو رسول الله..

علم الكلام:

أي المخلوط بالفلسفة.

لا يرى الأشاعرة ضرورة أن يتعلم المسلمون علم الكلام، خاصة إن لم تكن هناك فرق مخالفة يحتاج الرد عليها استخدام علم الكلام، وهذا ما كان عليه سلف الأمة من صحابة وتابعين، حيث لم تظهر في عصرهم فرق وآراء مخالفة لأهل السنة والجماعة مثل المعتزلة، فكان السلف يحذرون من استخدام علم الكلام لغياب الضرورة الداعية إلى ذلك، وهذا بحسب فهم الأشاعرة، ولكن بعد أن بدأت تظهر فرق تروج لآراء تشكك في العقيدة الإسلامية بشكل عام وفي وجود الله وفي عقيدة أهل السنة والجماعة بشكل خاص، رأى عدد من العلماء ضرورة استخدام علم الكلام لتفنيد هذه الآراء المشككة، وعدم السكوت عنها مخافة أن يسبب عدم الرد

على المخالفين فتنة للمسلمين فينجر بعض العوام وراء آراء المشككين، ومن هنا ذهب العديد من الأشاعرة إلى القول بأن تعلّم علم الكلام مطلوب فقط "ممن يغلب عليه الشك ليذهب شكّه بما يقرؤه من حجج، أو من يريد أن يدافع عن الإسلام بالحجج الباهرة أو يدل إنساناً ضلّ سبيله في هذه الحياة، مغترّاً ببعض الأقوال التي هي ضد الأديان، فلا بد من إنسان يتفرغ للرد على المشككين الذين يشككون الناس في عقائدهم بالرد عليهم بالأدلة المبطلّة لأقوالهم، ويستعمل هذا العلم على قدر الحاجة. وأما المطلوب من عامة الناس فهو القيام على العقائد الحقّة الصحيحة ومعرفتها على سبيل الإجمال، أما التوسع في معرفة أدلة الاعتقاد فليس مطلوباً من كل الناس "

وذهب أبو إسحاق الإسفراييني إلى إيقاف صحة إيمان كل أحد على معرفة الأدلة من علم الكلام، وهذا الرأي لاقى معارضة شديدة من أكثر أئمة الأشاعرة وفي مقدمتهم الإمام أبو حامد الغزالي، حيث اعتبر الإمام الغزالي أن موقف الإسفراييني يقود إلى تكفير عوام المسلمين الذين لم يعرفوا العقائد بالأدلة الكلامية، وبذا اتجه القول السائد عند الأشاعرة إلى عدم تكليف العوام باعتقاد الأصول بدلائلها، لأن في ذلك مشقة كبيرة.

واختار بعض الأشاعرة عدم الخوض في علم الكلام والتعامل مع النصوص المتشابهة بالتفويض مع التنزيه،

ومن هنا تكوّن عند الأشاعرة قولان مشهوران في إثبات الصفات، وهما التفويض مع التنزيه أو التأويل (كما سيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في لب الكتاب)، وهي عندهم مسألة اجتهادية، فهناك من الأشاعرة من كان يختار التأويل ثم رجّح التفويض مع التنزيه ومن أهمهم الإمام أبو المعالي الجويني، وقد علّق الإمام تاج الدين السبكي على اختيار الإمام الجويني للتفويض وترجيحه على التأويل في الرسالة النظامية، بأن قال: "ولا إنكار في هذا، ولا في مقابله، فإنها مسألة اجتهادية، أعني

التأويل أو التفويض مع التنزيه، إنما المصيبة الكبرى والداهية الدهياء الإمرار على الظاهر، والاعتقاد أنه المراد، وأنه لا يستحيل على الباري، فذلك قول المجسمة عبّاد الوثن، الذين في قلوبهم زيغ يحملهم على اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة" .. ويرى الأشاعرة أن التفويض هو تأويل أيضاً، لكنه تأويل إجمالي، لأن التفويض يصرف النص الموهوم عن ظاهره المحال لله تعالى ، لذا فإن الأشاعرة يرون أن القائلين بالتفويض والقائلين بالتأويل قد اجتمعوا على سبيل واحد، وهو التنزيه عن التشبيه، ويرى ابن رشد أن الاستدلال بعلم الكلام هو مستحب فقط، وانتهى شيخ جامع الزيتونة ابن عرفة إلى أن القول السائد عند الأشاعرة هو أن الاستدلال بعلم الكلام فرض كفاية، بحيث أن يكون في كل بلد يصعب الوصول منه إلى غيره من له معرفة بعلم الكلام في حق بعض المتأهلين من ذوي الأذهان السليمة.

أقوال العلماء في فضل الأشاعرة :

قال الإمام تاج الدين السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: "اعلم أن أهل السنة والجماعة كلهم قد اتفقوا على معتقد واحد فيما يجب ويجوز ويستحيل، وإن اختلفوا في الطرق والمبادي الموصلة لذلك. وبالجمله فهم بالاستقراء ثلاث طوائف: الأول: أهل الحديث، ومعتمد مبادئهم: الأدلة السمعية؛ أعني: الكتاب، والسنة، والإجماع.

الثانية: أهل النظر العقلي والصناعة الفكرية؛ وهم: الأشعرية، والحنفية. وشيخ الأشعرية: أبو الحسن الأشعري، وشيخ الحنفية: أبو منصور الماتريدي، وهم متفقون في المبادي العقلية في كل مطلب يتوقف السمع عليه، وفي المبادي السمعية فيما يدرك العقل جوازه فقط، والعقلية والسمعية في غيرها، واتفقوا في جميع المطالب الاعتقادية إلا في مسألة التكوين ومسألة التقليد.

الثالثة: أهل الوجدان والكشف؛ وهم الصوفية، ومباديهم مبادي أهل النظر والحديث في البداية، والكشف والإلهام في النهاية."

وقال في كتابه طبقات الشافعية الكبرى:

"اعلم أن أبا الحسن لم يبدع رأيا، ولم ينشئ مذهبا، وإنما هو مقرر لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطقا، وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدى به في ذلك، السالك سبيله في الدلائل يسمى أشعريا، ولقد قلت مرة للشيخ الإمام رحمه الله: أنا أعجب من الحافظ ابن عساكر في عدة طوائف من أتباع الشيخ، ولم يذكر إلا نزرا يسيرا وعددا قليلا، ولو وفي الاستيعاب حقه لاستوعب غالب علماء المذاهب الأربعة، فإنهم برأي أبي الحسن يدينون الله تعالى، فقال: إنما ذكر من اشتهر بالمناضلة عن أبي الحسن، وإلا فالأمر على ما ذكرت من أن غالب علماء المذاهب معه.

وقد ذكر الشيخ شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام أن عقيدته اجتمع عليها: الشافعية، والمالكية، والحنفية، وفضلاء الحنابلة، ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو بن الحاجب، وشيخ الحنفية جمال الدين الحصري. قلت: وسنعتقد لهذا الفصل فصلا يخصه فيما بعد.

قال الشيخ الإمام - يعني والده تقي الدين السبكي -، فيما يحكيه لنا: ولقد وقفت لبعض المعتزلة على كتاب سماه (طبقات المعتزلة)، وافتتح بذكر:

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ظنا منه أنه برأه الله منهم، على عقيدتهم، قال: وهذا نهاية في التعصب، وإنما ينسب إلى المرء من مشى على منواله. قلت أنا للشيخ الإمام: ولو تم هذا لهم لكان للأشاعرة أن يعدوا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في جملتهم؛ لأنهم عن عقيدتهما وعقيدة غيرهما من الصحابة فيما يدعون يناضلون، وإياها ينصرون، وعلى حماها يحومون، فتبسم، وقال: أتباع المرء من دان بمذهبه،

وقال بقوله على سبيل المتابعة والاقتفاء الذي هو أخص من الموافقة، فبين المتابعة والموافقة بون عظيم. قلت: وقد بينا البون في (شرح المختصر) في مسألة الناسي. ونقل الحافظ كلام الشيخ أبي عبد الله محمد بن موسى بن عمار الكلاعي المايريقي، وهو من أئمة المالكية في هذا الفصل، فاستوعبه منه أهل السنة من المالكية، والشافعية، وأكثر الحنفية، بلسان أبي الحسن الأشعري يتكلمون، وبحجته يحتجون. "...

وقال أيضاً في طبقات الشافعية الكبرى: "سمعت الشيخ الإمام رحمه الله - يعني والده شيخ الإسلام تقي الدين السبكي - يقول: ما تضمنته (عقيدة الطحاوي)، هو ما يعتقده الأشعري، لا يخالفه إلا في ثلاث مسائل. قلت: أنا أعلم أن المالكية كلهم أشاعرة، لا أستثني أحداً، والشافعية غالبهم أشاعرة، لا أستثني إلا من لحق منهم بتجسيم أو اعتزال، ممن لا يعبأ الله به، والحنفية أكثرهم أشاعرة، أعني يعتقدون عقد الأشعري، لا يخرج منهم إلا من لحق منهم بالمعتزلة، والحنابلة أكثر فضلاء متقدميهم أشاعرة، لم يخرج منهم عن عقيدة الأشعري، إلا من لحق بأهل التجسيم، وهم في هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم.

وقد تأملت عقيدة أبي جعفر الطحاوي، فوجدت الأمر على ما قال الشيخ الإمام، و(عقيدة الطحاوي) زعم أنها الذي عليه أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد، ولقد جود فيها، ثم تفحصت كتب الحنفية، فوجدت جميع المسائل التي بيننا وبين الحنفية خلاف فيها ثلاث عشرة مسألة، منها معنوي ست مسائل، والباقي لفظي، وتلك الست المعنوية لا تقتضي مخالفتهم لنا، ولا مخالفتنا لهم فيها تكفيرا ولا تبديعا. صرح بذلك: الأستاذ أبو منصور البغدادي، وغيره من أئمتنا وأئمتهم، وهو غني عن التصريح لظهوره .

ومن كلام الحافظ: الأصحاب مع اختلافهم في بعض المسائل كلهم أجمعوا على ترك تكفير بعضهم بعضاً، بخلاف من عداهم من سائر الطوائف، وجميع الفرق، فإنهم

حين اختلفت بهم مستشنعات الأهواء والطرق كفر بعضهم بعضاً، ورأى تبرّيه ممن خالفه فرضاً. قلت: وهذا حق، وما مثل هذه المسائل إلا مثل مسائل كثيرة اختلفت الأشاعرة فيها، وكلهم عن حمى أبي الحسن يناضلون، وبسيفه يقاتلون، افتراهم يبدع بعضهم بعضاً، ثم هذه المسائل لم يثبت جميعها عن الشيخ، ولا عن أبي حنيفة رضي الله عنهما، كما سأحكي لك، ولكن الكلام بتقدير الصحة. ولي قصيدة نونية، جمعت فيها هذه المسائل، وضمنت إليها مسائل، اختلفت الأشاعرة فيها، مع تصويب بعضهم بعضاً في أصل العقيدة، ودعواهم أنهم أجمعين على السنة، وقد ولع كثير من الناس بحفظ هذه القصيدة، لا سيما الحنفية، وشرحها من أصحابي الشيخ الإمام العلامة نور الدين بن أبي الطيب الشيرازي الشافعي، وهو رجل مقيم في بلاد كيلان، ورد علينا دمشق في سنة سبع وخمسين وسبع مائة، وأقام يلازم حلقتي نحو عام ونصف عام، ولم أر فيمن جاء من العجم في هذا الزمان أفضل منه ولا أدين."

وقال الإمام أبو إسحاق الشيرازي: "وأبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة، وعامة أصحاب الشافعي على مذهبه، ومذهبه مذهب أهل الحق."

وقال الإمام أحمد بن عجيبة في تفسيره (البحر المديد): "أما أهل السنة فهم الأشاعرة ومن تبعهم في اعتقادهم الصحيح، كما هو مقرر في كتب أهل السنة."

وقال العلامة السفاريني الحنبلي في (لوامع الأنوار البهية): "أهل السنة والجماعة ثلاث فرق: الأثرية وإمامهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه، والأشعرية وإمامهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله، والماتريدية وإمامهم أبو منصور الماتريدي، وأما فرق الضلال فكثيرة جداً."

وقال العلامة الحافظ مرتضى الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين): "إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية". وقال أيضاً في موضع آخر: "والمراد بأهل السنة هم الفرق الأربعة، المحدثون والصوفية والأشاعرة والماتريدية."

وقال الإمام **عضد الدين الإيجي** في كتابه (المواقف في علم الكلام) في بيان الفرقة الناجية، بعد أن عدد فرق الهالكين: "وأما الفرقة الناجية المستثناة الذين قال النبي فيهم "هم الذين على ما أنا عليه وأصحابي" فهم الأشاعرة والسلف من المحدثين وأهل السنة والجماعة، ومذهبهم خالٍ من بدع هؤلاء."

وقال الإمام **جلال الدين الدواني** في شرحه على العقائد العضدية: "الفرقة الناجية، وهم الأشاعرة أي التابعون في الأصول للشيخ أبي الحسن... فإن قلت: كيف حكم بأن الفرقة الناجية هم الأشاعرة؟ وكل فرقة تزعم أنها ناجية؟ قلت سياق الحديث مشعر بأنهم - يعني الفرقة الناجية - المعتقدون بما روي عن النبي وأصحابه، وذلك إنما ينطبق على الأشاعرة، فإنهم متمسكون في عقائدهم بالأحاديث الصحيحة المنقولة عنه وعن أصحابه، ولا يتجاوزون عن ظواهرها إلا لضرورة، ولا يسترسلون مع عقولهم كالمعتزلة."

وقال الإمام **أبو المظفر الإسفراييني** في كتابه (التبصير في الدين) بعد أن شرح عقيدة أهل السنة :

"وأن تعلم أنّ كل من تدين بهذا الدين الذي وصفناه من اعتقاد الفرقة الناجية فهو على الحق وعلى الصراط المستقيم فمن بدّعه فهو مبتدع ومن ضلله فهو ضال ومن كفره فهو كافر."

والاقتصار على الأشاعرة في نصوص الأئمة إنما ذلك لكونهم أغلب أهل السنة، فلا يفهم منه إخراج غيرهم من طوائف أهل السنة من الفرقة الناجية، فمن لم يكن منهم متبعاً للإمام الأشعري فهو موافق له. وقد قام الإمام **عبد القاهر البغدادى** في كتابه الفرق بين الفرق بإحصاء الفرق والطوائف المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة التي ظهرت في تاريخ المسلمين، والتي عاصرها وهي تشتمل على اثنتين وسبعين فرقة منها: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، والنجارية، والبكرية، الضرارية، والجهمية، والكرامية،

ثم قال: "فأما الفرقة الثالثة والسبعون فهي أهل السنة والجماعة من فريقَي الرأي والحديث دون من يشتري لهو الحديث، وفقهاء هذين الفريقين وقراءهم ومحدثوهم ومتكلمو أهل الحديث منهم، كلهم متفقون على مقالة واحدة في توحيد الصانع وصفاته، وعدله وحكمته، وفي أسمائه وصفاته، وفي أبواب النبوة والإمامة، وفي أحكام العقبي، وفي سائر أصول الدين. وإنما يختلفون في الحلال والحرام من فروع الأحكام، وليس بينهم فيما اختلفوا فيه منها تضليل ولا تفسيق وهم الفرقة الناجية، ويجمعها الإقرار بتوحيد الصانع وقدم صفاته الأزلية، وإجازة رؤيته من غير تشبيه ولا تعطيل، مع الإقرار بكتب الله ورسله وبتأييد شريعة الإسلام، وإباحة ما أباحه القرآن وتحريم ما حرمه القرآن، مع قيود ما صح من سنة رسول الله، واعتقاد الحشر والنشر، وسؤال الملكين في القبر، والإقرار بالحوض والميزان. فمن قال بهذه الجهة التي ذكرناها ولم يخلط لإيمانه بشيء من بدع الخوارج والروافض والقدرية وسائر أهل الأهواء فهو من جملة الفرقة الناجية - إن ختم الله له بها - ودخل في هذه الجملة جمهور الأمة وسوادها الأعظم من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة والأوزاعي والثوري وأهل الظاهر..."

وقال أيضاً في كتابه أصول الدين بعد أن عدّد أئمة أهل السنة والجماعة في علم الكلام من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى أن قال: "...ثم بعدهم شيخ النظر وإمام الآفاق في الجدل والتحقيق أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي صار شجاً في حلوق القدرية... وقد ملأت الدنيا كتبه، وما رزق أحد من المتكلمين من التبع ما قد رزق، لأن جميع أهل الحديث وكل من لم يتمعزل من أهل الرأي على مذهبه." وقال الإمام أبو عمرو الداني في (الرسالة الوافية في معتقد أهل السنة والجماعة): "اعلموا أيّدكم الله بتوفيقه وأمدكم بعونه وتسديده، أن قول أهل السنة والجماعة من المسلمين المتقدمين والمتأخرين من أصحاب الحديث والفقهاء والمتكلمين..." ثم شرع ببيان اعتقاد أهل السنة، وقوله (الفقهاء والمتكلمين) يعني بهم الأشاعرة

والماتريدية، ورسالته زاخرة بأدلة التقديس والتنزيه، وتأثره بشيخه وأستاذه شيخ أهل السنة القاضي أبي بكر الباقلاني وبطريقة الإمام الأشعري واضح، بل إن بعض الألفاظ والعبارات هي هي التي استخدمها الإمام الأشعري في بعض كتبه.

وقال الإمام العلامة أحمد الدردير في شرحه على منظومته في العقائد المسماة بـ "خريدة التوحيد": "واتبع سبيل الناسكين العلماء" ثم شرح عبارته فقال: "جمع عالم وهو العارف بالأحكام الشرعية التي عليها مدار صحة الدين اعتقادية كانت أو عملية والمراد بهم السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان وسبيلهم منحصر في اعتقاد وعلم وعمل على طبق العلم (أي: وعمل مطابق للعلم)، وافترق من جاء بعدهم من أئمة الأمة الذين يجب اتباعهم على ثلاث فرق، فرقة نصبت نفسها لبيان الأحكام الشرعية العملية وهم الأئمة الأربعة وغيرهم من المجتهدين، ولكن لم يستقر من المذاهب المرضية سوى مذاهب الأئمة الأربعة، وفرقة نصبت نفسها للاشتغال ببيان العقائد التي كان عليها السلف وهم الأشعري والماتريدي ومن تبعهما، وفرقة نصبت نفسها للاشتغال بالعمل والمجاهدات على طبق ما ذهب إليه الفرقتان المتقدمتان وهم الإمام أبو القاسم الجنيد ومن تبعه، فهؤلاء الفرق الثلاثة هم خواص الأمة المحمدية ومن عداهم من جميع الفرق على ضلال وإن كان البعض منهم يحكم له بالإسلام فالناجي من كان في عقيدته على طبق ما بينه أهل السنة."

وقال الإمام العلامة عبد الله بن علوي الحداد في (نيل المرام شرح عقيدة الإسلام): "اعلم أن مذهب الأشاعرة في الاعتقاد هو ما كان عليه جماهير أمة الإسلام علماؤها ودهماؤها، إذ المنتسبون إليهم والساكنون طريقهم كانوا أئمة أهل العلوم قاطبة على مرّ الأيام والسنين، وهم أئمة علم التوحيد والكلام والتفسير والقراءة والفقه وأصوله والحديث وفنونه والتصوف واللغة والتاريخ."

وقال أيضاً في (رسالة المعاونة والمؤازرة): "وعليك بتحسين معتقدك وإصلاحه وتقويمه على منهاج الفرق الناجية، وهي المعروفة من بين سائر الفرق

الإسلامية بأهل السنة والجماعة، وهم المتمسكون بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأنت إذا نظرت بفهم مستقيم عن قلب سليم في نصوص الكتاب والسنة المتضمنة لعلوم الإيمان، وطالعت سير السلف الصالح من الصحابة والتابعين علمت وتحققت أن الحق مع الفرقة الموسومة بالأشعرية، نسبة إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري رحمه الله، فقد رتب قواعد عقيدة أهل الحق وحرر أدلتها، وهي العقيدة التي أجمع عليها الصحابة ومن بعدهم من خيار التابعين، وهي عقيدة أهل الحق من أهل كل زمان ومكان، وهي عقيدة جملة أهل التصوف كما حكى ذلك أبو القاسم القشيري في أول رسالته، وهي بحمد الله عقيدتنا.. وعقيدة أسلافنا من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا.. والماتريدية كالأشعرية في جميع ما تقدم."

وقال العلامة ابن الشطي الحنبلي في شرحه على العقيدة السفارينية (تبصير القانع) :
"قال بعض العلماء هم - يعني الفرقة الناجية - أهل الحديث يعني الأثرية والأشعرية والماتريدية" ثم قال بعد ذلك بأسطر: "فائدة: أهل السنة والجماعة ثلاث فرق،
*الأثرية وإمامهم الإمام أحمد رضي الله عنه.

*والأشعرية وإمامهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى.

*والماتريدية وإمامهم أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى."

وقال علامة الكويت الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان تعليقا على تقسيم السفاريني لأهل السنة إلى ثلاث فرق: "فإذا قلت: لفظ الحديث يقتضي عدم التعدية (أي أن لفظ الحديث يقتضي قصر النجاة على فرقة واحدة وعدم تعديته إلى ثلاث فرق) حيث قال فيه: "ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة كلهم في النار إلا فرقة واحدة وهي ما أنا عليه وأصحابي" فالجواب: أن الثلاث فرق هي فرقة واحدة لأنهم كلهم أهل الحديث، فإن الأشاعرة والماتريدية لم يردوا الأحاديث ولا أهملوها، فإمّا فوضوها وإمّا أولوها، وكل منهم أهل حديث، وحينئذ فالثلاث فرق

واحدة، لاقتفائهم الأخبار وانتحالهم الآثار، بخلاف باقي الفرق فإنهم حَكَمُوا العقول وخالفوا المنقول فهم أهل بدعة وضلالة ومخالفة وجهالة والله تعالى أعلم." وقال الشيخ العلامة الحنبلي **محمد بن علي بن سلوم** في شرحه على العقيدة السفارينية مثل ذلك.

وقال العلامة **المواهي الحنبلي** في (العين والأثر): "طوائف أهل السنة ثلاثة: أشاعرة، وحنابلة، وماتريدية، بدليل عطف العلماء الحنابلة على الأشاعرة في كثير من الكتب الكلامية وجميع كتب الحنابلة."

وقال المحدث **محمد بن درويش الحوت البيروتي** في (رسائل في بيان عقائد أهل السنة والجماعة): "فائدة: المالكية والشافعية أشعرية وإمامهم أبو الحسن الأشعري من ذرية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، والحنفية ماتريدية وإمامهم أبو منصور الماتريدي، وهما إماما أهل السنة والجماعة، والحنابلة أثرية."

وقال الإمام **ابن حجر الهيتمي** في (الزواجر عن اقتراف الكبائر): "المراد بالسنة ما عليه إماما أهل السنة والجماعة الشيخ أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي."

وقال العلامة **طاش كبري زاده** في (مفتاح السعادة ومصباح السيادة): "ثم اعلم أن رئيس أهل السنة والجماعة في علم الكلام - يعني العقائد - رجлан، أحدهما حنفي والآخر شافعي (ملحوظة: ينازع المالكية في الإمام أبي الحسن ويذكرونه ضمن طبقاتهم، والراجح أنه شافعي)، أما الحنفي فهو أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي، إمام الهدى... وأما الآخر الشافعي فهو شيخ السنة ورئيس الجماعة إمام المتكلمين وناصر سنة سيد المرسلين والذاب عن الدين والساعي في حفظ عقائد المسلمين، أبو الحسن الأشعري البصري.. حامي جناب الشرع الشريف من الحديث المفترى، الذي قام في نصرته ملة الإسلام فنصرها نصرًا مؤزرًا."

حياة إمام الأشاعرة سيدنا أبي الحسن الأشعري (260هـ - 324 هـ)،

هو من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، وهو المنظر الأول لمواقف أهل السنة ومؤسس المذهب المعروف باسمه، بعد أن انشق عن المعتزلة إثر خلاف بينه وبين شيخه .

كان يريد أن يقيم مذهبا وسطا يجمع بين منهج المعتزلة العقلاني والفكر السني المعتمد على الرواية والحديث.

نسبه ونشأته :

هو إمامنا وقدوتنا إلى الله تعالى سيدنا أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس بن حَضَار الأشعري اليماني البصري.

ولد بالبصرة سنة 260 هـ. وكان أبوه من أصحاب الحديث لكنه قدر له أن يتربى في بيت شيخ المعتزلة أبي علي الجبائي وأن يتلمذ على يده، وقد ظل على مذهب الاعتزال لا يفارقه أربعين سنة، وقيل أن هذا الرقم مشكوك في صحته ومبالغ فيه.

وذكر الإمام ابن عساكر في كتابه تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري أن: الأشعري كان تلميذاً للجبائي، يدرس عليه فيتعلم منه ويأخذ عنه لا يفارقه أربعين سنة. ومعنى هذا أن الأشعري نشأ في بداية الأمر على مذهب المعتزلة وظل على ذلك حتى سن الأربعين. وفي هذه الفترة ترعرعت أفكاره وسط الجو العقلي الذي يميز المعتزلة، وكان ينوب عن أستاذه في المناظرة، وبلغ في الجدل والمناظرة مرتبة كبيرة، وتشبع بثقافة عالية وحجج قوية مما جعلت رأيه فيما بعد قوياً لأنه مبني على الدليل العقلي فضلاً عن الأدلة النقلية. وقد ذكر أنه مع قوته في

الجدل والمناظرة كان رديئاً في التصنيف، ودافع ابن عساكر عن جمود خاطر الأشعري عند الأخذ في التأليف، بأنه كان كذلك في ابتداء حاله لا بعد ما من الله عليه به من الاهتداء، فإن تصانيفه مستحسنة مهذبة وتواليفه وعباراته مستجادة مستصوبة.

ويقصد ابن عساكر أن مؤلفات الأشعري التي ألفها وهو على مذهب الاعتزال كانت رديئة، أما التي ألفها بعد تحوله عن مذهب الاعتزال فهي جيدة. **مسيرته العلمية :**

تبنى الإمام الأشعري نظرية الجوهر الفرد كما وضعها المعتزلة ليقيموا بواسطتها براهينهم العقلية على بعض المسائل الدينية، وعلى رأسها القول إن الإنسان هو "خالق أفعاله" بقدرة يحدثها الله فيه عندما يختار هذا الفعل أو ذلك، وبالتالي فالإنسان عندهم حر مختار في أن يفعل أو لا يفعل، وبالتالي يتحمل مسؤولية أفعاله، حاول الإمام الأشعري أن يوفق بين هذا الموقف وموقف من يرفضون من أهل السنة نسبة "الخلق"، خلق الأفعال، إلى الإنسان، تمسكا حرفيا منهم بمبدأ "لا خالق ولا فاعل إلا الله". وقد اتخذ الأشعري من مفهوم "الكسب" أساسا لهذا التوفيق، فقال:

إن الإنسان لا يخلق أفعاله وإنما هي من الله، ولكنه "يكسب" نتائجها إن خيرا فخير وإن شرا فشر، بمعنى أنه مسؤول عما يفعل.

أسلوبه في النقاش :

استخدم الإمام أبو الحسن الأشعري وسائل المعتزلة المنطقية والعقلية نفسها لدعم عقيدة أهل السنة والحديث وهكذا استطاع أن يواجه المعتزلة بنفس أدواتهم وأساليبهم، وفي سبيل تأسيس منهج عقلي متماسك استخدم الامام أبو الحسن في عدة حالات منهج التأويل لإثبات الصفات السبعة عن طريق العقل: الحياة والعلم

والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، أما الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق فتأولها على ما ظن أنها تتفق مع أحكام العقل.

جمع إمامنا أبو الحسن بين منهج الامام أحمد بن حنبل وطريقة عبد الله بن كلاب في الدفاع عن السنة، وبالرغم من ذلك فإن بعض الكتب الأخرى لأبي الحسن ترى جماعة السلفية أنها موافقة لمنهجهم ومنها كتاب (الإبانة عن أصول الديانة) الذي يعتبره بعض السلفية عدولاً من أبي الحسن عن منهجه التأويلي إلى منهج السلف في قبول النصوص دون تأويل، ولكن هذا العدول فيه خلاف فالأشاعرة يرون أن أبا الحسن كان يأخذ بالمنهجين ويستخدم كل منهج في سياقه الخاص. ومنهم من طعن في الكتاب كما سيأتي.

أطوار حياته :

اختلف العلماء في ذكر الأطوار التي مرت بها حياته. فالإتفاق على مرحلتين هما:
المرحلة الأولى: عاش فيها في كنف أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره وتلقى علومه حتى صار نائبه وموضع ثقته. ولم يزل الإمام أبو الحسن يتزعم المعتزلة أربعين سنة.

المرحلة الثانية: ثار فيها على عقيدة الاعتزال الذي كان ينافح عنه، بعد أن اعتكف في بيته خمسة عشر يوماً، يفكر ويدرس ويستخير الله تعالى حتى اطمأنت نفسه، وأعلن البراءة من الاعتزال وانتهى إلى اتباع طريقة عبد الله بن كلاب وأتباعه المعروفين بالكلابية. ولجأ فيه إلى تأويل النصوص بما ظن أنه يتفق مع أحكام العقل، وإثبات الصفات السبع عن طريق العقل: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، أما الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق فتأولها على ما ظن أنها تتفق مع أحكام العقل وهذه هي المرحلة التي ما زال الأشاعرة عليها.

ولسبب ما رجع الإمام الأشعري عن مذهب الاعتزال، والرأي السائد والأقرب إلى الصواب هو أن الإمام الأشعري لم تعجبه أصول المعتزلة ومبادئها، لأنها تؤدي إلى

الشك في الدين وفهم خاطيء له. وبالرجوع إلى المناظرات التي كان يناظر فيها الإمام الأشعري بعض شيوخ المعتزلة نجد أنه لم يكن مقتنعا تمام الاقتناع بمنهج المعتزلة في تقرير كثير من مسائل الاعتقاد. من ذلك مناظرته لأبي علي الجبائي في إبطال القول بوجوب رعاية الأصلح للخلق، فقد قال الإمام الأشعري للجبائي يوما: «ما قولك في ثلاثة نفر: مؤمن، وكافر، وصبي، ماتوا جميعا.

فقال الجبائي: المؤمن من أهل الدرجات، والكافر من أهل الهلكات، والصبي من أهل النجاة .

فقال الإمام الأشعري: فإن أراد الصبي أن يرقى إلى أهل الدرجات: هل يمكن؟ قال الجبائي: لا، يقال له: إن المؤمن إنما نال هذه الدرجات بالطاعة وليس لك مثلها .

قال الإمام الأشعري: فإن قال: التقصير ليس مني. فلو أحييتني كنت عملت من الطاعات كعمل المؤمن .

قال الجبائي: يقول له الله: أعلم أنك لو بقيت لعصيت ولعوقبت، فراعيت مصلحتك وأمتك قبل أن تنتهي إلى سن التكليف.

قال الإمام الأشعري: فلو قال الكافر: يا رب، علمت حاله كما علمت حالي فهلا راعيت مصلحتي مثله؟ فانقطع الجبائي. » .

والإمام الأشعري عندما غادر صفوف المعتزلة لم يؤسس أي مذهب جديد، بل رجع إلى الحق الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة الذي كان قائما فنصره وناضل عنه وأيده "بحجج كلامية وصار ذلك مذهباً لأهل السنة والجماعة" كما قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل .

وهناك نص للقاضي عياض يؤكد فيه هذه الحقيقة في كون الإمام الأشعري ظل وفيها لمذاهب أهل السنة والجماعة، يتعلمون علي يديه أساليب الدفاع عن العقائد الدينية. حتى أصبح مصطلح الأشعرية مرادفا لمصطلح أهل السنة. يقول القاضي

عياض: «... فلما كثرت تواليفه - اي أبي الحسن الأشعري - وانتفع بقوله، وظهر لأهل الحديث والفقه ذبه عن السنن والدين، تعلق بكتبه أهل السنة، وأخذوا عنه، ودرسوا عليه، وتفقهوا في طريقه، وكثر طلبته وأتباعه لتعلم تلك الطرق في الذب عن السنة، وبسط الحجج والأدلة في نصره الملة فسموا باسمه وتلاههم أتباعهم وطلبتهم، فعرفوا بذلك وإنما كانوا يعرفون قبل ذلك بالْمُتَّبِعَةِ، سمة عرفتهم بها المعتزلة، إذ أثبتوا من السنة والشرع ما نفوه... - إلى أن قال - فكَذلك أبو الحسن، فأهل السنة من المشرق والمغرب بحججه يحتجون، وعلى منهاجه يذهبون، وقد أثنى عليه غير واحد منهم، وأثنوا على مذهبه وطريقه.» .

وقد حصل خلاف بين أتباع الإمام أبي الحسن الأشعري من الأشاعرة وبين السلفية على وجود المرحلة الثالثة، فالسلفية يقرّون بمرحلة ثالثة مر بها الإمام أبو الحسن والتي كان فيها على منهج السلف وبخاصة الإمام أحمد بن حنبل في إثبات الصفات جميعها لله من غير تكليف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تبديل ولا تمثيل - على قولهم-. وفي هذه المرحلة ألف كتابه "الإبانة عن أصول الديانة" والذي يعتبره بعض السلفية عدولاً من أبي الحسن عن منهجه التأويلي إلى منهج السلف في قبول النصوص دون تأويل، بينما يقول الأشاعرة بأن الإمام أبا الحسن كان يأخذ بالمنهجين ويستخدم كل منهج في سياقه الخاص. كما اعتبروا ان النسخة الرائجة من الكتاب غير صحيحة، حيث تحوي على كثير من الدس، لذا فالأشاعرة يعتقدون أن المرحلة الثالثة ليس لها وجود في حياة الأشعري على الإطلاق. ويوافق الأشاعرة في ذلك ابن تيمية، حيث يقول ابن تيمية: إن الأشعري لم يعرف غير طريقة المتكلمين.

ثناء العلماء عليه :

حظي الإمام الأشعري بثناء جميع العلماء من مختلف المذاهب السنية، وأثنوا على مذهبه وطريقته، فلقبوه بـ"إمام أهل السنة والجماعة"، "الإمام الفاضل"، و"الرئيس

الكامل"، "إمام المتكلمين"، و"زعيم المجددين"، "شيخ السنة"، و"ناصر السنة"، "حبر الأمة"، و"إمام أئمة الحق"، وغيرها من الألقاب.

وهذه بعض أقوال العلماء في علو منزلته ورفعة شأنه:

قال عنه الإمام الإسنوي: «هو القائم بنصرة أهل السنة القامع للمعتزلة وغيرهم من المبتدعة بلسانه وقلمه، صاحب التصانيف الكثيرة، وشهرته تغني عن الإطالة بذكره .
».

وقال عنه الفقيه أبو بكر الصيرفي من كبار الأئمة الشافعية: «كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى نشأ الأشعري فحجزهم في أقماع السَّماسم.» .

وقال عنه شيخ الإسلام أبو إسحاق الشيرازي: «وأبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة، وعامة أصحاب الشافعي على مذهبه، ومذهبه مذهب أهل الحق.» .

وقال عنه القشيري: «اتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، كان إماماً من أئمة أصحاب الحديث، ومذهبه مذهب أصحاب الحديث، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة، ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدعة، وكان على المعتزلة والروافض والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين من الملة سيفاً مسلولاً، ومن طعن فيه أو قدح، أو لعنه أو سبه، فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السنة.» .

وقال عنه الإمام الياضي في مرآة الجنان: «الشيخ الإمام ناصر السنة، وناصر الأئمة، إمام أئمة الحق، وداحض حجج المبدعين، المارقين، حامل راية منهج الحق ذي النور الساطع، والبرهان القاطع، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سلام بن إسماعيل، بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري الصحابي رضي الله عنه.» ...

وقال عنه قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان في وفيات الأعيان: «أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى

بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ هو صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، وشهرته تغني عن الإطالة في تعريفه، والقاضي أبو بكر الباقلاني ناصر مذهبه ومؤيد اعتقاده، وكان أبو الحسن يجلس أيام الجمع في حلقة أبي إسحاق المروزي الفقيه الشافعي في جامع المنصور ببغداد. » .

وقال عنه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: «أبو الحسن الأشعري المتكلم صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة، وهو بصري سكن بغداد إلى أن توفي بها، وكان يجلس أيام الجمع في حلقة أبي إسحاق المروزي الفقيه من جامع المنصور. » ...

وقال عنه ابن العماد في شذرات الذهب: «ومما بيض به وجوه أهل السنة النبوية، وسود به رايات أهل الاعتزال والجهمية، فأبان به وجه الحق الأبلج، ولصدور أهل الإيمان والعرفان أثلج مناظرته مع شيخه الجبائي التي بها قصم ظهر كل مبتدع مرأى... وإلى أبي الحسن انتهت رئاسة الدنيا في الكلام، وكان في ذلك المقدم المفتي الإمام. » .

وقال عنه شيخ الإسلام تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: «ذكر بيان أن طريقة الشيخ - يعني الأشعري - هي التي عليها المعتبرون من علماء الإسلام والتميزون من المذاهب الأربعة في معرفة الحلال والحرام والقائمون بنصرة دين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. » . وقد افتتح ترجمته بقوله: «شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى، الشيخ أبو الحسن الأشعري البصري، شيخ طريقة أهل السنة والجماعة، وإمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب عن الدين، والساعي في حفظ عقائد المسلمين ، سعيًا يبقى أثره إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين. إمام حبر، وتقي بر، حمى جناب الشرع من الحديث المفتري، وقام في نصرة ملة الإسلام،

فنصرها نصرا مؤزرا بهمة في الثريا إثر أخمصها وعزمة ليس من عاداتها السام وما برح يدلج ويسير، وينهض بساعد التشمير، حتى نقى الصدور من الشبه، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، ووقى بأنوار اليقين من الوقوع في ورطات ما التبس، فلم يترك مقالا لقائل، وأزاح الأباطيل، والحق يدفع ترهات الباطل» .

ويقول أيضا: «اعلم أن أبا الحسن لم يبدع رأيا ولم ينشئ مذهبا، وإنما هو مقرر لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطقا وتمسك به وأقام الحجج والبراهين عليه فصار المقتدي به في ذلك السالك سبيله في الدلائل يسمى أشعريا». ثم قال مبينا أن هذه الطريقة عليها جل الأمة: «وقد ذكر شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام أن عقيدته - يعني الأشعري - اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة، ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو بن الحاجب، وشيخ الحنفية جمال الدين الحصري». .

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: «المتكلم صاحب التصانيف في الكلام والأصول والملل والنحل... وكان معتزليا، ثم تاب من الاعتزال. وصعد يوم الجمعة كرسيا بجامع البصرة ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يرى بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعالها، وأنا تائب معتقد الرد على المعتزلة مبين لفضائحهم». .

وقال في سير أعلام النبلاء: «العلامة إمام المتكلمين... كان عجبا في الذكاء وقوة الفهم، ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله - تعالى - منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم. قال الفقيه أبو بكر الصيرفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم، حتى نشأ الأشعري؛ فحجرهم في أقماع السمسم... ولأبي الحسن ذكاء مفرط، وتبحر في العلم، وله أشياء حسنة، وتصانيف جمّة تقضي له بسعة العلم. أخذ عنه أئمة... رأيت - أي الذهبي -

للأشعري كلمة أعجبتني، وهي ثابتة رواها البيهقي، سمعت أبا حازم العبدري، سمعت زاهر بن خالد بن أحمد السرخسي يقول: لما قُرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري في داري ببغداد، دعاني فأتيته، فقال: اشهد علي أني لا أكفر أحدا من أهل القبلة، لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد وإنما هذا كله اختلاف العبارات. قلت - أي الذهبي - وبنحو هذا أدين، وكذا كان شيخنا ابن تيمية في أواخر أيامه يقول: أنا لا أكفر أحدا من الأمة، ويقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن" فمن لازم الصلوات بوضوء فهو مسلم.». .

وقال الإمام أبو بكر بن فورك: «انتقل الشيخ أبو الحسن علي بن اسمعيل الأشعري رضي الله عنه من مذاهب المعتزلة إلى نصره مذاهب أهل السنة والجماعة بالحجج العقلية وصنف في ذلك الكتب وهو بصري من أولاد أبي موسى الأشعري رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي فتح كثيرا من بلاد العجم منها كور الأهواز ومنها أصبهان وكان نفر من أولاد أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بالبصرة وإلى وقت الشيخ أبي الحسن منهم من كان يذكر بالرياسة فلما وفق الله الشيخ أبا الحسن ما كان عليه من بدع المعتزلة وهدهاه إلى ما يسره من نصره أهل السنة والجماعة ظهر أمره وانتشرت كتبه...» .

ولقد تضافرت أقوال أئمة الإسلام وتواترت فتاواهم في التشنيع على من تناول على مقام الإمام الأشعري وعلماء الأمة، وأوجبوا على ولاية أمور المسلمين الضرب على يده وتعزيره ومعاقبته. من ذلك ما أفتى به إمام المالكية في عصره ابن رشد الجدد، وهذا نص السؤال: «ما يقول الفقيه القاضي الأجل الأوحى، أبو الوليد بن رشد - وصل الله توفيقه وتسديده ونهج إلى كل صالحة طريقه - في الشيخ أبي الحسن الأشعري وأبي إسحاق الإسفراييني وأبي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك وأبي المعالي... ونظرائهم ممن ينتحل علم الكلام ويتكلم في أصول الديانات ويصنف للرد على أهل الأهواء؟ وما يقول في قوم يسبونهم وينتقصونهم، ويسبون كل من ينتمي

إلى علم الأشعرية، ويكفرونهم ويتبرؤون منهم وينحرفون بالولاية عنهم، ويعتقدون أنهم على ضلالة، وخائضون في جهالة، فماذا يقال لهم ويصنع بهم ويعتقد فيهم؟ أيترون على أهوائهم؟ أم يكف عن غلوائهم؟»

فأجاب بما نصه: «تصفحت - عصمنا الله وإياك - سؤالك هذا ووقفت عليه، وهؤلاء الذين سميت من العلماء أئمة خير وهدى، ومن يجب بهم الاقتداء، لأنهم قاموا بنصر الشريعة، وأبطلوا شبه أهل الزيغ والضلالة، وأوضحوا المشكلات وبينوا ما يجب أن يُدان به من المعتقدات، فهم بمعرفتهم بأصول الديانات العلماء على الحقيقة، لعلمهم بالله عز وجل، وما يجب له وما يجوز عليه وما ينفي عنه، إذ لا تعلم الفروع إلا بعد معرفة الأصول، فمن الواجب أن يعترف بفضائلهم ويقر لهم بسوابقهم، فهم الذين عنى رسول الله بقوله: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين" فلا يعتقد أنهم على ضلالة وجهالة إلا غبي جاهل أو مبتدع زائغ عن الحق مائل، ولا يسبهم وينسب إليهم خلاف ما هم عليه إلا فاسق، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ فيجب أن يبصر الجاهل منهم، ويؤدب الفاسق، ويستتاب المبتدع الزائغ عن الحق إذا كان مستسهلاً ببدعة، فإن تاب وإلا ضرب أبداً حتى يتوب، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيغ المتهم في اعتقاده، من ضربه إياه حتى قال: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد دوائي فقد بلغت مني موضع الداء، وإن كنت تريد قتلي فأجهز علي. فخلى سبيله. والله أسأل العصمة والتوفيق برحمته.

وسئل شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي عن الإمام أبي الحسن الأشعري والباقلاني وابن فورك وإمام الحرمين الجويني والباجي وغيرهم ممن تكلم في الأصول وسلك مذهب الأشعري في الاعتقاد، وعن حكم من انتقصهم وضلّلهم، فأجاب: «بل هم أئمة الدين وفحول علماء المسلمين، فيجب الاقتداء بهم لقيامهم بنصرة الشريعة

وإيضاح المشكلات وردّ شبه أهل الزيغ وبيان ما يجب من الاعتقادات والديانات، لعلمهم بالله وما يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز في حقه... والواجب الاعتراف بفضل أولئك الأئمة المذكورين في السؤال وسابقتهم وأنهم من جملة المرادين بقوله: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين" فلا يعتقد ضلالتهم إلا أحق جاهل أو مبتدع زائغ عن الحق، ولا يسبهم إلا فاسق، فينبغي تبصير الجاهل وتأديب الفاسق واستتابة المبتدع». .

وأجاب مفتي العراق، وقاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني الحنفي على سؤال ورده ببغداد ونصه: «ما قول السادة الأئمة الجليلة في قوم اجتمعوا على لعن فرقة الأشعري وتكفيرهم، ما الذي يجب عليهم؟» فأجاب بقوله: «قد ابتدع وارتكب ما لا يجوز، وعلى الناظر في الأمور أعز الله أنصاره الإنكار عليه، وتأديبه بما يرتدع به هو وأمثاله عن ارتكاب مثله.» وبعده كتب الشيخ أبو إسحاق الشيرازي تعليقا على الجواب المذكور: «الأشعرية أعيان أهل السنة، ونصار الشريعة، انتصبوا للرد على المبتدعة من القدرية والرافضة وغيرهم، فمن طعن فيهم فقد طعن على أهل السنة، وإذا رفع أمر من يفعل ذلك إلى الناظر في أمر المسلمين وجب عليه تأديبه بما يرتدع به كل أحد.» ووقع على هذا الجواب أيضا بالموافقة فخر الإسلام أبو بكر الشاشي تلميذ الشيخ أبي إسحاق.

وقد صنف الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي رسالة سماها "زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري" رد فيها على بعض المبتدعة الذين هجوا الإمام الأشعري ولما وقف عليها شيخ الإسلام تقي الدين ابن دقيق العيد قرّظها. قال الإمام تاج الدين السبكي في كتابه طبقات الشافعية الكبرى: "وهذه الرسالة صنفها الشيخ الإمام العلامة ضياء الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن عمر بن عبد المنعم القرطبي، وقد وقع في عصره من بعض المبتدعة هجو في أبي الحسن فألفها، ردا على الهاجي المذكور، وبعث بها إلى شيخ الإسلام تقي الدين أبي الفتح

ابن دقيق العيد، إمام أهل السنة، وقد كانت بينهما صداقة، ليقف عليها، فوقف عليها وقرظها...

كتاب الإبانة عن أصول الديانة :

للإمام الأشعري.

يرى الأشاعرة أن كتاب الإبانة للإمام أبي الحسن الأشعري دخل عليه الكثير من الدس والتحريف، كما أن طريقة الكتابة في كثير منه تختلف عن المسلك الذي اتخذه الإمام الأشعري في التأليف، فبينما يتمسك معارضو الأشاعرة بالنسخة الرائجة ويرون فيها دليل على عودة الأشعري عن منهج المتكلمين، يجزم الأشاعرة أن النسخة الرائجة محرّفة وفي ذلك يقول العلامة الكوثري في تعليقه على كتاب الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة :

"ومن غريب التحريف ما دس في بعض نسخ الإبانة للأشعري كما دس فيها أشياء أخرى"،

كما أن النسخة الرائجة توحى بالتجسيم وتتهجم على الإمام أبي حنيفة، وقد طبع كتاب الإبانة طبعة قوبلت على أربع نسخ خطية بتحقيق الدكتور فوقية حسين، وعند المقارنة بين النسخة المتداولة مع طبعة الدكتور فوقية حسين مع فصلين نقلهما ابن عساكر، تبين بوضوح قدر ذلك التحريف الذي جرى على هذا الكتاب.

يقول الإمام الكوثري في مقدمة كتاب "تبين كذب المفترى:"

«والنسخة المطبوعة في الهند من الإبانة نسخة مصحّفة محرّفة تلاعبت بها الأيدي الأثيمة، فيجب إعادة طبعها من أصل موثوق.»

وقال أيضا: «ومن العزيز جدّاً الظفر بأصل صحيح من مؤلفاته على كثرتها البالغة، وطبع كتاب الإبانة لم يكن من أصل وثيق، وفي المقالات المنشورة باسمه وقفة.»

وهذا أيضا ما ذهب إليه الدكتور عبد الرحمن بدوي مؤيدا للكوثري، فقال: «وقد لاحظ الكوثري بحق أن النسخة المطبوعة في الهند تلاعبت بها الأيدي الأثيمة..». كما لاحظ ذلك غيرهم من الدارسين.

وللشيخ وهبي غاوجي رسالة في هذا الموضوع بعنوان "نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة جميعه إلى الإمام أبي الحسن" أتى فيها بأدلة موضوعية تدل على أن قسما كبيرا مما في الإبانة المتداولة اليوم بين الناس لا يصح نسبته للإمام الأشعري.

مؤلفاته :

مؤلفات الأشعري كثيرة قيل إنها بلغت ما يقارب الثلاثمائة مصنفا وقيل أكثر من ذلك، منها:

- * مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين.
- * إيضاح البرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان.
- * تفسير القرآن، وهو كتاب حافل جامع.
- * الرد على ابن الراوندي في الصفات والقرآن.
- * الفصول في الرد على الملحدين والخارجين عن الملة.
- * القامع لكتاب الخالدي في الإرادة.
- * كتاب الاجتهاد في الأحكام.
- * كتاب الأخبار وتصحيحها.
- * كتاب الإدراك في فنون من لطيف الكلام.
- * كتاب الإمامة.
- * الإبانة عن أصول الديانة، ويقرّر الكثير من الباحثين بكون النسخة التي وصلتنا من هذا الكتاب كثيرة الدسّ والتّحريف.
- * التبيين عن أصول الدين.

- *الشرح والتفصيل في الرد على أهل الإفك والتضليل.
- *العمد في الرؤية.
- *كتاب الموجز.
- *كتاب خلق الأعمال.
- *كتاب الصفات، وهو كبير تكلم فيه على أصناف المعتزلة والجهمية.
- *كتاب الرد على المجسمة.
- *النقض على الجبائي.
- *النقض على البلخي.
- *جمل مقالات الملحدين.
- *أدب الجدل.
- *الفنون في الرد على الملحدين.
- *النوادر في دقائق الكلام.
- *جواز رؤية الله بالأبصار.
- *مقالات الإسلاميين.
- *رسالة إلى أهل الثغر.
- *اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع. نشره الأب مكارثي (بيروت، 1953 م).
- أمّا عن تواريخ مؤلفاته، فالمشهور المبين عند من ترجم له أنّ الإبانة من أوّل ما ألفه، واللمع من آخر ما ألفه.

وفاته رضي الله عنه:

توفي إمامنا سيدنا أبو الحسن الأشعري سنة 324 هـ ودفن ببغداد ونودي على جنازته: "اليوم مات ناصر السنة."

من أبرز أعلام الأشاعرة على سبيل المثال لا الحصر:

• في القرن الخامس الهجري :

أبو بكر الباقلاني (ت 403 هـ)

أبو بكر بن فورك (ت 406 هـ)

أبو حامد الإسفرايني (ت 406 هـ)

أبو إسحاق الإسفرايني (ت 418 هـ)

عبد القاهر البغدادي (ت 429 هـ)

أبو القاسم الإسفرايني (ت 452 هـ)

أبو بكر البيهقي (ت 458 هـ)

الخطيب البغدادي (ت 463 هـ)

أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)

أبو المظفر الإسفرايني (ت 471 هـ)

أبو الوليد الباجي (ت 474 هـ)

أبو إسحاق الشيرازي (ت 476 هـ)

أبو المعالي الجويني (ت 478 هـ)

• في القرن السادس الهجري

أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ)

أبو القاسم الأنصاري (ت 511 هـ)

ابن رشد الجد (ت 520 هـ)

أبو بكر بن العربي (ت 543 هـ)

القاضي عياض (ت 544 هـ)
أبو الفتح الشهرستاني (ت 548 هـ)
ابن عساكر (ت 571 هـ)

● في القرن السابع الهجري

فخر الدين الرازي (ت 606 هـ)
أبو القاسم الرافعي (ت 623 هـ)
سيف الدين الآمدي (ت 631 هـ)
ابن الحاجب (ت 646 هـ)
العز بن عبد السلام (ت 660 هـ)
محيي الدين النووي (ت 676 هـ)
ناصر الدين البيضاوي (ت 691 هـ.)

● في القرن الثامن الهجري :

ابن دقيق العيد (ت 702 هـ)
كمال الدين بن الزملكاني (ت 727 هـ)
بدر الدين بن جماعة (ت 733 هـ)
عضد الدين الإيجي (ت 756 هـ)
تقي الدين السبكي (ت 756 هـ)
تاج الدين السبكي (ت 771 هـ)
شمس الدين الكرماني (ت 786 هـ)
سعد الدين التفتازاني (ت 793 هـ)

● في القرن التاسع الهجري

زين الدين العراقي (ت 806 هـ)
ابن خلدون (ت 808 هـ)

الشريف الجرجاني (ت 816 هـ)
ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)
محمد بن يوسف السنوسي (ت 895 هـ)

● في القرن العاشر الهجري :

شمس الدين السخاوي (ت 902 هـ)
جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)
شهاب الدين القسطلاني (ت 923 هـ)
زكريا الأنصاري (ت 926 هـ)
عبد الوهاب الشعراني (ت 973 هـ)
ابن حجر الهيتمي (ت 974 هـ).

أعلام أشاعرة :

من أهل التفسير وعلوم القرآن :

فخر الدين الرازي،
ابن عطية الأندلسي،
أبو حيان الأندلسي،
جلال الدين المحلي،
ناصر الدين البضاوي،
أبو القاسم القشيري،
أبو السعود أفندي،
عبد الرحمن الثعالبي،
نظام الدين النيسابوري،
الواحدي النيسابوري،
السمين الحلبي،

الخطيب الشربيني،
مكي بن أبي طالب،
حافظ الدين النسفي،
برهان الدين البقاعي،
علاء الدين الخازن،
الطبراني، الماوردي، الثعلبي، البغوي، القرطبي، ابن كثير، ابن عرفة، ابن جزي، ابن
الجوزي، ابن الجزري،
أبو بكر بن العربي (صاحب كتاب أحكام القرآن)،
الزركشي (صاحب البرهان في علوم القرآن)،
السيوطي (صاحب الإتيقان في علوم القرآن، والدر المنثور في التفسير
المأثور)،
أحمد بن عجيبة،
إسماعيل حقي البروسوي،
بديع الزمان سعيد النورسي،
حسنين محمد مخلوف،
إبراهيم القطان،
محمد الطاهر بن عاشور،
محمد أبو زهرة،
محمد متولي الشعراوي،
وهبة الزحيلي،
محمد علي الصابوني،
محمد عبد العظيم الزرقاني (صاحب كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن)، وغيرهم.

ولكي لا يقول قائل ان الإمام ابن كثير محسوب على السلفية فقد جاء في كتاب أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم تحت عنوان: (أكابر مفسري الأمة من الأشاعرة والماتريدية) ما نصه:

"الإمام الحافظ المفسر أبو الفداء إسماعيل بن كثير رحمه الله تعالى، صاحب التفسير العظيم والبداية والنهاية وغيرها، فقد نُقِلَ عنه أنه صرَّح بأنه أشعري كما في الدرر الكامنة 58/1، والدارس في تاريخ المدارس للنعمي 89/2، أضف إلى ذلك أنه ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية التي كان شرط واقفها أن لا يلي مشيختها إلا أشعري، وزدَّ عليه ما في تفسيره من التنزيه والتقديس والتشديد على من يقول بظواهر المتشابه كما مرَّ من قوله عند تفسيره لقوله تعالى من سورة الأعراف (ثم استوى على العرش) (تفسيره 220/2) إلى غير ذلك من الأمثلة الظاهرة الجلية في كونه من أهل السنة الأشاعرة."

من أهل الحديث وعلومه :

ابن حبان (صاحب الصحيح المعروف باسم صحيح ابن حبان وصاحب كتاب الثقات).

الدارقطني (صاحب كتاب العلل الواردة في الأحاديث النبوية، وصاحب السنن المعروفة باسمه)، الحاكم النيسابوري (صاحب المستدرک على الصحيحين).
أبو بكر البيهقي (صاحب السنن الكبرى والصغرى، والأسماء والصفات، والاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، وشعب الإيمان وغيرها).

أبو بكر الإسماعيلي (صاحب كتاب اعتقاد أئمة أهل الحديث)

الخطيب البغدادي،

ابن عساكر، الخطابي،

أبو نعيم الأصبهاني (صاحب حلية الأولياء)

أبو ذر الهروي، أبو طاهر السلفي، أبو سعد السمعاني، القاضي عياض، ابن
الصلاح، جمال الدين المزي، العز بن عبد السلام،
ابن أبي جمرة الأندلسي (مسند أهل المغرب، صاحب كتاب بهجة النفوس في شرح
مئة حديث من صحيح البخاري)،
شمس الدين الكرمانى (شارح صحيح البخاري في كتابه الكواكب الدراري)، ابن
بطل (أحد شراح صحيح البخاري)،
ابن حجر العسقلاني (الملقب بأمير المؤمنين بعلم الحديث، وصاحب أعظم شرح
على صحيح البخاري في كتابه فتح الباري)،
شهاب الدين القسطلاني (شارح صحيح البخاري في كتابه إرشاد الساري)،
الإمام محيي الدين النووي (شارح صحيح مسلم في كتابه المنهاج، وصاحب رياض
الصالحين، والأربعين النووية)،
محمد بن خليفة الأبي (شارح صحيح مسلم في كتابه إكمال المعلم بفوائد مسلم)،
محمد بن عبد الباقي الزرقاني (شارح الموطأ)، المناوي، المنذري (صاحب الترغيب
والترهيب، ومختصر صحيح مسلم، ومختصر سنن أبي داود)، الهيثمي (صاحب
كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)، ابن المنير، ابن القطان الفاسي،
زين الدين العراقي وابنه قاضي القضاة ولي الدين العراقي،
بدر الدين بن جماعة،
بدر الدين العيني،
صلاح الدين العلائي،
ابن فورك، ابن الملقن، ابن علان، ابن دقيق العيد، ابن الزملكاني، جمال الدين
الزيلعي (صاحب كتاب نصب الراية)،
جلال الدين السيوطي، شمس الدين السخاوي، ملا علي القاري، البيهقي، عبد
الحي اللكنوي، ومرتضى الزبيدي،

وابن عمومتنا المحدث الإمام محمد أبو النصر الخطيب الحسني الدمشقي محدث الشام والحجاز ومصر

والإمام محمد بدر الدين الحسني وغيرهم من أئمة الحديث والحفاظ.

ومولاي السيد الوالد الشيخ محمد سهيل الخطيب الحسني عميد الأسرة وسيدها.

من أهل الفقه وأصوله :

من الظاهرية:

ابن تومرت، وأبو حيان الأندلسي.

ومن الحنفية: سعد الدين التفتازاني، الشريف الجرجاني، شهاب الدين الخفاجي، ابن عابدين، ملا علي قاري، محمد زاهد الكوثري، وهي سليمان غاوجي، شاه ولي الله الدهلوي، وغيرهم.

ومن الحنابلة:

أبو الوفاء بن عقيل، وابن الجوزي (صاحب كتاب دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه)، وأبو الخطاب الكلوزاني (صاحب المنظومة الدالية)، ومرعي الكرمي (صاحب بهجة الناظرين وآيات المستدلين)، وابن هشام الأنصاري، وابن النجار، والبهوتي الفقيه صاحب الكتب المعتمدة في المذهب .

والسفاريني (صاحب كتاب لوامع الأنوار البهية، وكتاب الدرة المضية المعروف بالعقيدة السفارينية، التي قال فيها: "وليس ربنا بجوهر ولا عرض ولا جسم تعالى ذو العلا، سبحانه قد استوى كما ورد من غير كيف قد تعالى أن يجد"،

وسليمان بن عبد الوهاب (صاحب كتاب الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية)، ومحمد بن عبد الله بن حميد (صاحب كتاب السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة)، ومصطفى بن أحمد بن حسن الشطي (صاحب كتاب النقول الشرعية في الرد على الوهابية)،

وحسن بن عمر الشطي، وابنه محمد بن حسن بن عمر الشطي.

ومن المالكية: الإمام أبو بكر الباقلاني، أبو الوليد الباجي، أبو بكر بن العربي، أبو عبد الله السكوني، أبو بكر الطرطوشي، أبو العباس الونشريسي، أبو ذر الهروي، أبو القاسم السهيلي، أبو عثمان سعيد العقباني، ابن رشد الجد، ابن فرحون، ابن خلدون، ابن الحاجب، ابن القاسم، ابن عرفة، ابن بزيعة، ابن بطل، ابن جزي الغرناطي، ابن عطية الأندلسي، ابن مالك الأندلسي، ابن عطاء الله السكندري، ابن جميل الربيعي، ابن خمير السبتي، ابن أبي زيد القيرواني، ابن برجان، ابن آجروم، ابن سيده، ابن بطوطة، ابن الحاج الفاسي، شهاب الدين القرافي، شهاب الدين النفراوي، الشاطبي، المازري، الخطاب، القاضي عياض، خليل بن إسحاق الجندي، أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، أحمد بن الصديق الغماري، أحمد بن محمد الصاوي، أحمد بن عجيبة، أحمد المقرئ التلمساني، أحمد الدردير، أحمد زروق، محمد بن خليفة الأبى، محمد بن أحمد الدسوقي، محمد ميارة، محمد الأمير، علي بن مخلوف (قاضي قضاة المالكية بمصر)، علي الصعيدي العدوي، إبراهيم اللقاني، عبد الرحمن الثعالبي، عبد الرحمن الأخضر، عبد الباقي الزرقاني، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، محمد الحجوي الثعالبي، محمد بن علي السنوسي، الحسن اليوسي، يوسف الدجوي، محمد عlish، محمد الطاهر بن عاشور، إسماعيل التميمي، أحمد الطيب، أحمد كريمة، غيرهم.

ومن الشافعية:

ابن حبان.

ابن فورك.

ابن عساكر.

ابن المقرئ.

ابن كثير.
ابن قاضي شهبة.
ابن علان.
ابن الجزري.
ابن رسلان.
ابن الصلاح.
ابن العطار.
ابن إمام الكاملية.
ابن أبي عصرون.
العز بن عبد السلام.
ابن حجر العسقلاني.
زكريا الأنصاري (تلميذ ابن حجر العسقلاني)
شمس الدين السخاوي (تلميذ ابن حجر العسقلاني)
قطب الدين النيسابوري (شيخ صلاح الدين الأيوبي)
محب الدين الطبري.
تقي الدين الحصري.
تقي الدين السبكي.
تاج الدين السبكي.
جلال الدين المحلي.
جلال الدين السيوطي.
بدر الدين بن جماعة.
ابن حجر الهيتمي.
زكي الدين المنذري.

محيي الدين النووي.
ناصر الدين البيضاوي.
الكمال بن أبي شريف.
ولي الدين العراقي.
شرف الدين المناوي وأخوه القاضي تاج الدين المناوي.
ابن دقيق العيد (تلميذ النووي، ومجدد المائة السابعة)
نجم الدين الخبوشاني.
عبد القاهر الجرجاني.
عبد الوهاب الشعراني.
الخطيب البغدادي.
ضياء الدين أبو القاسم الرازي وابنه الإمام فخر الدين الرازي.
ركن الإسلام أبو محمد الجويني وابنه إمام الحرمين أبو المعالي الجويني.
أبو حامد محمد بن محمد الغزالي.
أبو إسحاق الشيرازي.
أبو القاسم الإسفراييني.
أبو إسحاق الإسفراييني.
أبو عبد الله الطبري (مفتي مكة ومحدثها).
أبو بكر الشاشي التركي الملقب فخر الإسلام.
أبو شجاع الأصفهاني.
أبو الحسين الملقط.
الحاكم النيسابوري.
أبو بكر البيهقي.
أبو القاسم القشيري.

أبو القاسم الرافعي.
أبو عثمان الصابوني.
أبو الفتح الشهرستاني.
أبو القاسم الأنصاري.
أبو سليمان السعدي (صاحب مجتني التفسير)
أبو عبد الله النسوي المعروف بالبويطي.
أبو نعيم الأصبهاني.
أحمد الرفاعي.
إسماعيل البرزنجي.
صلاح الدين العلائي.
عضد الدين الإيجي.
مجد الدين الإيجي.
زين الدين العراقي.
سراج الدين البلقيني.
جلال الدين البلقيني.
جلال الدين الدواني.
شمس الدين الرملي.
شهاب الدين بن جهل.
شهاب الدين الأذرعي.
علم الدين السخاوي.
الخطيب الشربيني.
ابن النقيب الشافعي.
ابن الزملكاني.

ابن الرفعة.
الملوي.
البجيرمي.
الماسرجسي.
نصر المقدسي.
علوان الحموي.
جمال الدين الإسني.
أبو إسحاق الثعلبي.
عبد القادر السندي.
بد الله بن علوي الحداد.
أبو بكر القفال الشاشي.
أبو سعد المتولي النيسابوري.
شمس الدين الخسروشاهي.
ي الدين الهندي الأرموي.
أبو نصر البنديجي.
أبو علي السرخسي.
أبو الفتح المصيصي.
أبو سهل الصعلوكي.
جلال الدين القزويني.
ابن خفيف الشيرازي.
جمال الإسلام السلمي (مفتي الشام)
أبو علي الدقاق النيسابوري.
أبو المعالي الفراوي.

أبو المحاسن الروياني.

محمد بن عبد الرحمن الدمشقي العثماني.

محيي الدين أبو سعد النيسابوري (تلميذ الغزالي)

أبو بكر بن عبد الله العيدروس.

مفتي مكة أحمد زيني دحلان.

إبراهيم الباجوري.

وشيوخ الشام الشيخ محمد هاشم الخطيب الحسني الدمشقي وأخيه الشيخ عبد

الرحمن بل وعامة آل الخطيب.

والشيخ علي الدقر

وآل الغزي من علماء الافتاء

والشيخ صالح العقاد

والشيخ حسن حبنكة وأخيه الشيخ صادق.

والشيخ احمد المحاميد شيخ حي التوبة

وشيوخ الدرويشية سيدي الشيخ عبد الوكيل الدروبي... بل وكل من تتلمذت على

أيديهم من الاشاعرة عدا سيدي أديب الكلاس فهو ماتريدي..

أهم علماء الأشاعرة في المغرب:

أما في بلاد المغرب العربي فإن يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين كان وطيد

الصلة مع علماء الأشاعرة فكان ابن رشد الجد (الملقب بشيخ المالكية) -وهو من

الأشاعرة- قاضي القضاة زمن المرابطين، وأبي عمران الفاسي الذي يعد العقل المدبر

لتأسيس دولة المرابطين. ودانت للسنة على مذهب الأشعرية في الأصول أهل

البيسطة من المسلمين إلى أقصى بلاد أفريقية، وقد بعث الإمام ابن الباقلاني في

جملة من بعث من أصحابه إلى البلاد: أبا عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم

الأزدي إلى الشام ثم إلى القيروان وبلاد المغرب، فدان له أهل العلم من أئمة المغاربة

وانتشر المذهب إلى صقلية والأندلس، ولابن أبي زيد وأبي عمران الفاسي وأبي الحسن القابسي وأبي الوليد بن الباجي وتلامذتهم أياد بيضاء في نشر مذهب الإمام أبي الحسن في تلك البلاد.

كما أن أبا بكر ابن العربي وهو من أهم علماء المالكية وممن كان يعتمد عليهم ابن تاشفين كان من تلاميذ الإمام الغزالي، الذي كان أهم علماء المشرق في ذاك العصر ومن المعلوم أن الإمام الغزالي من كبار علماء الأشاعرة، ويوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين، عندما عزم على الدخول إلى الأندلس قام باستشارة الإمام أبو حامد الغزالي.

بينما يرى بعض السلفيين أن المغرب الإسلامي ظل على معتقد أهل الحديث وفق رؤية جماعة السلفية حتى زمن دولة المرابطين الذين أظهروا هذا المعتقد وحاربوا الفرق والعقائد الكلامية، وأمروا بكتب الإمام الغزالي فأحرقت. ثم خرج عليهم محمد بن تومرت داعياً إلى المعتقد الأشعري، فكان هو من قام بإدخال المنهج الأشعري إلى المغرب العربي، وكفر المرابطين بدعوى أنهم مجسمة ومشبهة، وسمى أتباعه الموحدين تعريضاً بهم، واستباح بذلك دماءهم وأموالهم وأعراضهم حتى قضى أتباعه من بعده على دولة المرابطين، وأسسوا دولة الموحدين على أنقاضها متبنين منهج الأشاعرة.

وظل المعتقد الأشعري هو السائد عندهم حتى يومنا هذا .

بينما يرى المؤرخون الأشاعرة أن الصراع بين المرابطين والموحدين كان سياسياً قبليةً، ولم يكن مذهبياً، فبالإضافة إلى أنهم يرون أن مؤسسي دولة المرابطين هم أشاعرة، فإنهم يرون أن ابن تومرت لم يسع إلى إقامة دولته من أجل العقيدة الأشعرية، وأنه لا يمكن الإشارة إليه كممثل للأشاعرة، بل إن تومرت كان هدفه سياسي بامتياز وكان يرمي إلى الاستيلاء على ملك المغرب.

وهذا لا ينفي أن تدريس المنهج الأشعري قد ازدهر بعد سقوط دولة المرابطين، فنظراً إلى أن المغرب الإسلامي لم يشهد فرقاً فكرية متنوعة كالتي شهدتها المشرق فإن هذا

جعل أهل المغرب يعتنون بفروع الدين وبالأخص الفقه دون الأصول كالعقيدة وذلك لعدم وجود تنازع كالذي حصل في المشرق بين الأشاعرة وبقية أهل الحديث من جهة والمعتزلة من جهة أخرى.

بعد أن استقر المغرب وانطفأت فيه الفتن، بدأت حواضر علمية عدة في تبني منهجية تعليمية تنافس نظيراتها في المشرق خاصة في تدريس عقيدة أهل السنة والجماعة وفق منهج الأشاعرة، وأبرز هذه الحواضر هي جامع الزيتونة بتونس، وجامعة القرويين بفاس، ومن أبرز أعلام الأشاعرة في المغرب الإسلامي الطرطوشي، والمازري، والباجي، والقاضي عياض، والقرطبي، والقرافي، والشاطبي وعبد الواحد بن عاشر وأحمد زروق والسنهوري.

أهم الكتب عن المذهب الأشعري :

*كتاب تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، قال عنه الإمام تاج الدين السبكي: «واعلم أنا لو أردنا استيعاب مناقب الشيخ (أي أبي الحسن الأشعري) لضاقت بنا الأوراق، وكلت الأقلام، ومن أراد معرفة قدره، وأن يمتلئ قلبه من حبه فعليه بكتاب (تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري) الذي صنفه الحافظ ابن عساكر، وهو من أجل الكتب وأعظمها فائدة، وأحسنها. فيقال: كل سني لا يكون عنده كتاب (التبين) لابن عساكر فليس من أمر نفسه على بصيرة. ويقال: لا يكون الفقيه شافعيًا على الحقيقة حتى يحصل كتاب (التبين) لابن عساكر، وكان مشيختنا يأمرؤن الطلبة بالنظر فيه» .

*كتاب تأسيس التقديس أو أساس التقديس/ تأليف الإمام فخر الدين الرازي الذي انتقده ابن تيمية في كتابه بيان تلبس الجهمية؛ ومعه رسالة في نفي الجهة للإمام شهاب الدين بن جهبل 733هـ في الرد على ابن تيمية.

*نشأة الأشعرية وتطورها — جلال موسى.

*أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم — حمد السنان، فوزي العنجري

*عقيدة الإمام الأشعري مذهب السواد الأعظم من المسلمين في الأصول — مصطفى بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوي العطاس

*المنهجية العامة في العقيدة والفقه والسلوك والإعلام بأن الأشعرية والماتريدية من أهل السنة — عبد الفتاح صالح قديش اليافعي

*إمام أهل الحق أبو الحسن الأشعري — عبد القادر محمد الحسين

*مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين — أبو الحسن الأشعري

*اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع — أبو الحسن الأشعري

*رسالة استحسان الخوض في علم الكلام — أبو الحسن الأشعري

*الإبانة عن أصول الديانة — أبو الحسن الأشعري

*الإشارة إلى مذهب أهل الحق — أبو إسحاق الشيرازي

*مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري — أبو بكر بن فورك

*الأسماء والصفات — أبو بكر البيهقي

*الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد — أبو بكر البيهقي

*الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به — أبو بكر الباقلاني

*تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل — أبو بكر الباقلاني

*الملل والنحل — أبو الفتح الشهرستاني

*نهاية الإقدام في علم الكلام — أبو الفتح الشهرستاني

*أصول الدين — عبد القاهر البغدادي

*الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم — عبد القاهر البغدادي

*التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكة — أبو

لمظفر الإسفراييني

*التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع — أبو الحسين المملطي

*العواصم من القواصم — أبو بكر بن العربي

*المسامرة شرح المسامرة في العقائد المنجية في الآخرة — الكمال بن أبي ريف

*شرح العقيدة الطحاوية — للشيخ عبد الغني الميداني، (وليس ابن أبي لغز)

*العقيدة الصلاحية — محمد بن هبة الله البرمكي

*العقيدة البرهانية — أبو عمرو عثمان السلاجي

*العقيدة السنوسية الكبرى — محمد بن يوسف السنوسي

*العقيدة السنوسية الوسطى — محمد بن يوسف السنوسي

*العقيدة السنوسية الصغرى (أم البراهين) — محمد بن يوسف السنوسي

*إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة — أحمد بن محمد المقرئ

*الخريدة البهية — أحمد الدردير

*جوهرة التوحيد — إبراهيم اللقاني

*تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد — إبراهيم الباجوري

*المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد — نوح القضاة

*الغنية في أصول الدين — أبو سعد المتولي النيسابوري

*العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية — أبو المعالي الجويني

*الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد — أبو المعالي الجويني

*لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة — أبو المعالي الجويني

*الشامل في أصول الدين — أبو المعالي الجويني

*الغنية في الكلام — أبو قاسم الأنصاري

*الإشارة في علم الكلام — فخر الدين الرازي

*تأسيس التقديس أو أساس التقديس — فخر الدين الرازي

*المطالب العالية من العلم الإلهي — فخر الدين الرازي
*محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين —

فخر الدين الرازي

*لباب المحصل في أصول الدين — ابن خلدون
*طوابع الأنوار من مطالع الأنظار — ناصر الدين البيضاوي

*أبكار الأفكار في أصول الدين — سيف الدين الآمدي

*غاية المرام في علم الكلام — سيف الدين الآمدي

*المواقف في علم الكلام — عضد الدين الإيجي

*شرح العقائد النسفية — سعد الدين التفتازاني

*شرح المقاصد في علم الكلام — سعد الدين التفتازاني

*رسائل في التوحيد — العز بن عبد السلام

*الرسالة القشيرية — أبو القاسم القشيري

*قواعد العقائد — أبو حامد الغزالي

*الاقتصاد في الاعتقاد — أبو حامد الغزالي

*المنتقد من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال — أبو حامد

الغزالي

*فضائح الباطنية — أبو حامد الغزالي

*المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنی — أبو حامد الغزالي

*البرهان المؤيد — أحمد الرفاعي

*دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه — أبو الفرج بن الجوزي

*دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد — تقي

الدين الحصني

*رسالة في الرد على ابن تيمية في مسألة حوادث لا أول لها — بهاء

الدين الإخيمي

- *الدرة المضية في الرد على ابن تيمية — تقي الدين السبكي
- *السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل — تقي الدين السبكي
- *السيف المسلول على من سب الرسول — تقي الدين السبكي
- *شفاء السقام في زيارة خير الأنام — تقي الدين السبكي
- *الاعتبار ببقاء الجنة والنار — تقي الدين السبكي
- *رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار — الأمير الصنعاني
- *اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر — عبد الوهاب الشعراني
- *الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة — ابن حجر الهيتمي
- *إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين — مرتضى الزبيدي
- *ضوء المعالي شرح بدء الأمالي — الملا علي القاري
- *الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية — سليمان بن عبد الوهاب
- *النقول الشرعية في الرد على الوهابية — مصطفى بن أحمد بن حسن الشطي
- *فتنة الوهابية — أحمد زيني دحلان
- *الدرر السنية في الرد على الوهابية — أحمد زيني دحلان
- *خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام — أحمد زيني دحلان
- *السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة — محمد بن عبد الله بن حميد
- *تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد — محمد بخيت المطيعي
- *الإعلام بحدود قواعد الإسلام — القاضي عياض
- *عقيدة أهل الإسلام — عبد الله بن علوي الحداد
- *مقالات الكوثري — محمد زاهد الكوثري
- *صفعات البرهان على صفحات العدوان — محمد زاهد الكوثري

*العقيدة وعلم الكلام من أعمال الإمام محمد زاهد الكوثري — محمد زاهد الكوثري

*العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم — محمد أبو زهرة
*تاريخ المذاهب الإسلامية — محمد أبو زهرة

*ابن تيمية ليس سلفيا — منصور محمد محمد عويس

*فتاوى ابن تيمية في الميزان — محمد بن أحمد مسكة بن العتيق اليعقوبي

*ابن تيمية في الميزان — محمد عبد الشافي القوصي

*بعض أفكار ابن تيمية في العقيدة — محمد سالم أبو عاصي

*موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين —

مصطفى صبري

*كبرى اليقينيّات الكونية — محمد سعيد رمضان البوطي

*السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي — محمد سعيد رمضان البوطي

*السلفية بين الأصيل والدخيل — أحمد كريمة

*جزء فيه الرد على الألباني — عبد الله بن الصديق الغماري

*تبين ضلالات الألباني شيخ الوهابية المتمحذ — عبد الله الهري

*المقالات السنينة في كشف ضلالات أحمد بن تيمية — عبد الله الهري

*الكاشف الصغير عن عقائد ابن تيمية — سعيد فودة

*نقض الرسالة التدمرية — سعيد فودة

*الفرق العظيم بين التنزيه والتجسيم — سعيد فودة

*موقف الإمام الغزالي من علم الكلام — سعيد فودة

*القضايا الإيمانية أربعة مجلدات للفقير

*مراقي العبودية في توحيد رب البرية للفقير.

*الجوهرة شرح الجوهرة للفقير

*مختصر حاشية تحفة الباجوري للفقير
عقيدة الأكابر وهو هذا الكتاب للفقير

ومن المؤسسات الأشعرية:

الجامع الأزهر في مصر، وجامع القرويين في المغرب، وجامع الزيتونة في تونس،
والجامع الأموي في دمشق، وندوة العلماء ودار العلوم ديوبند في الهند،
وغيرها من منارات العلوم المبنوثة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، كلها كانت تتبنى
إما مذهب الأشاعرة أو الماتريدية،

ومن قبلها المدارس الإسلامية التي قامت في حواضر الإسلام قديماً، مثل المدارس
النظامية نسبة للوزير نظام الملك، وهي كثيرة، حتى قيل بأنه لا تخلو مدينة من مدن
العراق وخراسان من أحدها، وهي من أهم الأسباب في انتشار المذهب السني، ومن
أشهرها المدرسة النظامية ببغداد التي كانت أكبر جامعة في الدنيا يومئذ (كما
وصفها الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي) ولي مشيختها الإمام أبو إسحاق الشيرازي،
والإمام الغزالي، ونظامية نيسابور التي ولي مشيختها الإمام الجويني وبعده الإمام
الغزالي أيضاً، ومن تلك الصروح العلمية التي كان لها أكبر الأثر في التاريخ الإسلامي
مدرسة دار الحديث الأشرفية التي كان شرط واقفها أن لا يلي مشيختها إلا أشعري
(ذكر ذلك الإمام تاج الدين السبكي في كتابه طبقات الشافعية الكبرى)، وكان
أول من استلم مشيختها الحافظ أبو عمرو بن الصلاح، ثم تعاقب الأئمة بعده،
فمنهم الإمام الحافظ يحيى بن شرف النووي والحافظ جمال الدين المزي والحافظ تقي
الدين السبكي والحافظ ابن كثير وغيرهم، والذين تخرجوا فيها من العلماء لا
يُحصَوْنَ، وهكذا استمرّت هذه المدرسة بإخراج العلماء والأئمة والحفاظ والفقهاء
والمقرئين قروناً طويلة.

رحمهم الله تعالى ورضي عنهم وعمنا برحمته ببركتهم.

إسنادي

في أبرز كتب علم العقيدة

كتب سيدنا محمد بن الهاشمي

■ قطب الطريقة الشاذلية

أروي كتب سيدنا الهاشمي قدس الله سره ومنها مفتاح الجنة عن سيدي عبد الرحمن الشاغوري ت (2004هـ) عن سيدنا محمد الهاشمي رحمه الله تعالى ت (1961هـ).

■ جوهرة التوحيد

للعامة برهان الدين إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني المصري المالكي ت سنة (1041هـ) .

أرويه عن شيعي:

- 1- العلامة أحمد نصيب المحاميد الدمشقي الشافعي (ت1421هـ)
 - 2- عن شيخه المحدث الأكبر محمد بدر الدين الحسني الدمشقي ت (1354هـ)
 - 3- عن شيخه إبراهيم بن علي السقا المصري ت (1298هـ).
 - 4- عن ثعليب الفشني ت (1239هـ).
 - 5- عن أحمد الملوي ت (1182هـ).
 - 6- عن عبد الله البصري ت (1134هـ).
 - 7- عن محمد بن علاء الدين البابلي ت (1077هـ).
 - 8- عن مؤلفها البرهان اللقاني ت (1041هـ) رحمه الله .
- وقد تم تسجيل هذا التلقي منه مباشرة رحمه الله تعالى في بيته .
- شرح جوهرة التوحيد

للعامة شهاب الدين أحمد بن محمد الصاوي المصري المالكي ت سنة (1241هـ) ومن فضل الله تعالى لي حاشية على هذا الكتاب عظيمة النفع .

أرويه بسند مسلسل بآل الخطيب الدمشقيين الشافعيين الأشعريين الحسينيين عن:

1-والدي العلامة الشيخ محمد سهيل الخطيب الحسني الأشعري الشافعي الدمشقي ت (1402هـ) وابن عمومتي الشيخ محمد صالح الخطيب الحسني الأشعري الشافعي الدمشقي ت (1401هـ) كلاهما.

2-عن الشيخ المسند محمد أبي النصر الخطيب الحسني الأشعري الشافعي الدمشقي ت (1324هـ) .

3-عن محمد بن حسين الكتبي ت (1281هـ).

4-عن الشهاب الصاوي ت (1241هـ) رحمه الله .

وقد قمت بتدريسه كاملا مرات على طلاب معهد التهذيب والتعليم.وهو مسجل على قناتي اليوتيوب

■ سندي في كتاب تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد

فإني أروي كتاب تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد لمؤلفه الامام العلم سيدي إبراهيم الباجوري الشافعي الأشعري المصري(ت 1276) بسند مسلسل بآل الخطيب الحسينيين الأشعريين الشافعيين الدمشقيين ..

1-عن سيدي ووالدي العلامة الشيخ محمد سهيل الخطيب الحسني الأشعري الشافعي الدمشقي (ت 1402) وابن عمومتي الشيخ محمد صالح بن الشيخ أحمد الخطيب الحسني الأشعري الشافعي الدمشقي (ت 1401).

2-عن الشيخ محمد أبي النصر الخطيب الحسني الاشعري الشافعي الدمشقي(1324)

3-عن والده الشيخ عبد القادر بن الشيخ صالح الخطيب الحسني الأشعري الشافعي الدمشقي (ت 1288)

4- عن مؤلفه الإمام الشيخ إبراهيم الباجوري الأشعري الشافعي المصري (ت 1276).

إسناد آخر:

كما قرأته على سيدي العلامة الشيخ أديب الكلاس على فترة طويلة، وهو مسجل بحرفيته ولي عليه مختصر قررته على الصف الثالث الإعدادي في معهد التهذيب والتعليم.

■ العقائد النسفية:

للعامة الأصولي المتكلم برهان الدين محمد بن محمد بن محمد النسفي الحنفي ت سنة (676هـ) .

أرويهما قراءة لجميعها على شيخنا:

- 1- العلامة الشيخ أديب الكلاس الدمشقي الحنفي
- 2- عن شيخه المحدث الأكبر بدر الدين الحسيني الدمشقي ت (1354هـ)
- 3- عن شيخه المسند الشيخ محمد أبو الخير الخطيب الدمشقي ت (1324هـ)
- 4- عن الشيخ عبد الرحمن الكزبري الصغير الدمشقي ت (1262هـ)
- 5- عن الشيخ مصطفى بن محمد الرحمتي الدمشقي ت (1205هـ)
- 6- عن الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي ت (1143هـ)
- 7- عن الشيخ بدر الدين محمد الغزي الدمشقي ت (984هـ)
- 8- عن الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت (911هـ)
- 9- عن تقي الدين محمد بن المكي ت (871هـ)
- 10- عن عائشة بنت محمد بن عبد الهادي المقدسي ت (816هـ)
- 11- عن علم الدين القاسم بن محمد البرزالي ت (739هـ)
- 12- عن برهان الدين النسفي ت (676هـ)

إجازة خاصة بكتاب «عقيدة الإمام الطحاوي»

للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد سلامة الطحاوي الحنفي رحمه الله تعالى
(ت321هـ)

أقرأت هذا الكتاب على طلاب معهد التهذيب والتعليم القسم العام.
أرويهما عن:

- 1- سيدي الشيخ العلامة أديب الكلاس الدمشقي.
- 2- عن شيخه العلامة محمد صالح الفرفور ت1407هـ.
- 3- عن شيخه الإمام محمد بن جعفر الكتاني ت1354هـ.
- 4- عن الشيخ علي بن ظاهر الوتري ت1322هـ.
- 5- عن الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي ت1296هـ.
- 6- عن العلامة الإمام محمد عابد السندي الأيوبي ت1257هـ بما في ثبته
(حصر الشارد من أسانيد محمد عابد) قال :وأما عقيدة الإمام أبي جعفر أحمد بن
محمد بن سلامة الطحاوي فأرويهما.
- 7- عن عمي الشيخ محمد حسين بن محمد مراد الأنصاري.
- 8- عن الشيخ أبي الحسن بن محمد صادق السندي.
- 9- عن الشيخ محمد حیات السندي.
- 10- عن الشيخ محمد طاهر بن الشيخ إبراهيم الكوراني.
- 11- عن أبيه عن الشيخ أحمد القشاشي.
- 12- عن الشمس محمد بن أحمد بن حمزة الرملي.
- 13- عن القاضي زكريا الأنصاري.
- 14- عن عز الدين عبد الرحيم ابن محمد بن الفرات.
- 15- عن محمود بن خليفة.
- 16- عن عبد المؤمن بن خلف الدمياطي.
- 17- عن منصور بن سليم الهمداني.

- 18- عن محمد بن أحمد القطيعي.
 - 19- عن عبد الله بن جرير الكاتب.
 - 20- عن الحافظ عبد الكريم بن محمد السمعاني.
 - 21- عن القاضي أبي منصور أحمد بن محمد الحازمي السرخسي.
 - 22- عن محمد بن علي بن الحسين السرخسي.
 - 23- عن محمد بن عبد الله بن عمر الأكفاني.
 - 24- عن أحمد بن محمد الدامغاني
 - 25- عن الإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي .
- رضي الله عنهم جميعاً.

هذا هو الشرف المعروف والحسب.

الباب الأول

الإلهيات

الدرس الأول

في العقيدة الإسلامية:

{{أهل الإيمان}}

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على أشرف الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد القائل: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) (حديث صحيح رواه أبو داود)، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فأهل الإيمان ؛ هم الذين يعتقدون ما كان يعتقدده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، والتابعون لهم بإحسان، وثبتوا على هذه العقيدة عقيدة التوحيد . وهؤلاء لما أدركوا قيمة هذه العقيدة الصحيحة قاموا يغرسونها في نفوس أبنائهم جيلاً بعد جيل، ويسعون لنشرها وتوضيحها للناس في المجتمع. وقد قسم الشرع الناس إلى قسمين : {مؤمن} و {كافر}

فالمؤمن:

مستقيم على منهج الإيمان، مطبق لما أمره الله تعالى به؛ فهو مطمئن سعيد بعبادة ربه، لا يخشى غيره ولا يعبد سواه، وهو صالح في مجتمعه، يحب الناس ويحبونه؛ لتطبيقه شرع الله تعالى، ليس ظالماً ولا جباراً، يعيش حياة طيبة كما قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [سورة النحل 97]

وسيكون في الآخرة من أصحاب جنات النعيم؛ قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) [سورة يونس 9].

والكافر:

بعيد عن الدين القيم، لا يؤمن بالله العظيم، ولا بما يجب الإيمان به كالبعث والحساب، وينكر أن الله عز وجل يحاسب كل نفس على ماقدمته من خير أو شر؛ ولذا تراه يعيش في ضيق وقلق واضطراب، لا يبالي كيف يتعامل مع غيره.. فهدفه مصلحة نفسه وإن ظلم وأساء لغيره،

وهذا : إذا ما أصابه خيرٌ ومنصب وجاه، تكبر وطغى واعتدى، وإذا ما أصابه الضر، والفقر، والمرض، يئس، وربما دفعه اليأس إلى محاولة التخلص من الحياة، وهو في كلا الحالين شقي عند ربه عز وجل، شقي في مجتمعه، لا يحب الخير إلا لنفسه، ولا يتودد لخاصته وقومه، وهو في الآخرة من الخاسرين؛ قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [سورة يونس 7- 8]

فيا أيها الذين آمنوا :

هذه الدروس نقدمها لأجلكم ؛ لأننا غيورون عليكم نحب أن ننجو معاً من أهوال يوم القيامة، وننعم في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

على الخير نلتقي مع هذه الدروس القيمة،

يتبع دروس العقيدة.2

العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الثاني

في العقيدة الإسلامية:

أهمية العقيدة

إخوتي الأعزاء !

أصبحت عقيدة بعض الناس في عصرنا الحاضر بهزة عنيفة وأزمة حادة !!!
إذ انتشرت الألفاظ التي تنقض الدين في المجالس والطرق دون مبالاة أو انتباه..
وما عصفت بأمتنا رياح الانحراف إلا لأنها تخلت عن العقيدة الصحيحة الواضحة،
وارتفعت أصوات المصلحين تنادي بالعودة إلى الدين والتمسك بالعقيدة الإسلامية
المأخوذة من أنبياء الله ورسله، التي دعا إليها نبي الإسلام، قبل أن يعم الظلام
نواحي الحياة، ويطغى الضلال في بقاع الأرض..

[سورة آل عمران 19] (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُالآية)

ولن ينفع عندئذ التقدم العلمي المتنوع ، ولن يوفر للناس الأمن والسلام..
إذا الإيمان ضاع فلا أمان، ولا دنيا لمن لم يحيي ديننا، وستصاب الإنسانية بنكسة
خطيرة لتركها عقيدة التوحيد..

وقد حذر المصطفى صلى الله عليه وسلم من التفرقة العقائدية المؤدية إلى ترك الدين،
ثم الخلود في النار فقال :

(افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين
فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا ما عليه أنا
وأصحابي) رواه أبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح.

ولقد نادى المصلحون الصادقون بتصحيح الانحرافات وراحوا يبحثون عن الطريقة المثلى لإعادة العباد إلى جادة الصواب ..ليقوموا بتغيير جوهرى فى النفس الإنسانية ..

فلم يجدوا مثل غرس العقيدة الصحيحة التى لا تتأثر بالأفكار البشرية ولا تعبت بها الآراء والأهواء..

ياسادة ياكرام !

إن غرس العقيدة السليمة مهم فى سلوكنا لأنها تدفع صاحبها إلى الفكر السليم والعمل الصالح اللذين يوصلان إلى خيرى الدنيا والآخرة، وقد تنادى أعضاء الملتقى الثقافى من العلماء الثقافات فى هذه الأمة المحمدية، ليدلوا بدلوهم فى الإصلاح، للعودة إلى ما كان عليه سلفنا الصالح؛ الذين أجمعت الأمة على قبولهم، كالأئمة الأربعة رضى الله عنهم،الذين تمثلوا تعاليم الإسلام قولاً وعملاً، ومن سار على دربهم القويم..... فكتبوا دروساً فى العقيدة الإسلامية، لتبقى فى صفائها ونقاها وقدسيتها،

فهنيئاً لمن تابعنا، وألقى إلينا سمعه وفؤاده ليسلم له، دينه وعقيدته..

يتبع الدرس الثالث

العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الثالث

العقيدة الإسلامية

التعريف بها - طرق تدريسها

أيها الإخوة!

الدين الذي أنزله الله تعالى هو :

الإسلام وعلمه الفقه ومحله الجسم.. الإيمان وعلمه العقائد ومحله القلب..

والإحسان وعلمه الاخلاص ومحله الروح..

والعقيدة هي التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريب.. ..

والإيمان بمعنى التصديق ،

يقال : آمن بالشيء : أي صدق به تصديقا لا ريب فيه ولا شك معه..

ويقال اعتقده : أي ربط قلبه بذلك الأمر وعقده عليه ..

وكانت العرب تسمي الأمر المحتتم أو الواجب عقدا..

فعلى المسلم كلما مرت قضية اعتقادية أن يصدقها ويربط قلبه عليها..

إخوتي!

العمدة في القضايا الإيمانية هو شهادة التوحيد وهي:

لا إله إلا الله... محمد رسول الله

وقوله تعالى (في سورة البقرة):

(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه

ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك

المصير).

وبهذا صرحت الأحاديث المستفيضة التي بلغت حد التواتر بمفهوم الإيمان أو أركان

الإيمان وهي:

- 1 - الإيمان بالله تعالى وصفاته ومظاهر عظمتة..
 - 2- الإيمان بالملائكة وما يتبعها من الإيمان بالجن وهو عالم ما وراء الطبيعة (العالم غير المنظور).
 - 3- الإيمان بالكتب السماوية لتحديد معالم الخير والشر والحلال والحرام، وهي منهج الحق المرسوم للعبد ليسيير عليه..
 - 4- الإيمان بالأنبياء والرسل الكرام أعلام الهدى وقادة الحق..
 - 5- الإيمان باليوم الآخر يوم البعث والجزاء..
 - 6- الإيمان بالقضاء والقدر الذي يسيير عليه نظام الكون في الخلق والتدبير..
- أعرفون - يا إخوة - كيف لخص علماء العقيدة هذه القضايا كلها؟

لخصوها بثلاثة أمور:

*الإلهيات: (وهي المباحث التي تتعلق في ذات الله وصفاته وما يجب له وما يستحيل عليه).

*والنبويات : (وهي تتعلق بما يجب للأنبياء وما يجوز عليهم وما يستحيل بحقهم .)

*والسمعيات.: (وهي الغيبات التي أدلتها من الكتاب والسنة.)

وهذه هي الخطة الدراسية التي سنتناولها بالترتيب إن شاء الله تعالى.. فاعقدوا قلوبكم على هذه الكليات في العقيدة ريثما يأتيكم التفصيل لاحقا بإذن الله تعالى..

يتبع دروس العقيدة.4

العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الرابع

في العقيدة الإسلامية:

مقدمة العلم

الإخوة الكرام

كل علم له مبادئ يبنى عليها وعلم العقيدة كذلك ، وهذه المبادئ تسمى مقدمة العلم .

فعلم العقيدة :

موضوعه :

- 1- ذات الله تعالى من جهة ما يجب له وما يستحيل وما يجوز..
وأما من غير هذه الجهة فلا يجوز أن يتكلم أحد في ذات الله تعالى لأنه تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وأهل السموات يريدون معرفته كما نريد، وكل ما خطر ببالك شيء فقل: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير،
وستصلكم دروسنا في صفات الله تعالى إن شاء الله تعالى.
- 2- ومن موضوعات علم العقيدة : ذات الرسل المكرمين كذلك.
- 3- ومن موضوعاته : الممكن (أي ما يجوز عليه الوجود وما يجوز عليه العدم)
من حيث إنه يتوصل به إلى وجود صانعه جل جلاله.
- 4- ومن موضوعاته: اعتقادات وردتنا نقلاً وسماعاً من الكتاب والسنة .

وثمره علم العقيدة :

معرفة الله تعالى ورسله بالأدلة الصحيحة التي لاشك فيها والفوز بالسعادة الأبدية.

وفضل علم العقيدة:

أنه أشرف العلوم لكونه مختصاً بذاته تعالى وذات رسله المكرمين وما يتبع ذلك. والمتعلق (بكسر اللام) يشرف بشرف المتعلق (بفتح اللام).

ونسبة علم العقيدة إلى العلوم الأخرى : أنه أصل العلوم الدينية وما سواه فرع.

واضع علم العقيدة:

الأصل أن الله تعالى أنزل هذا العلم في كتابه وشرح رسوله الكريم ذلك في أحاديثه.. ثم جاء أئمة الهدى من السلف الصالح، فدونوا هذا العلم وبسطوه في كتبهم هم وأتباعهم ، وردوا شبه الفرق الخارجة على أهل السنة والجماعة. وسنبت بالدليل الصحيح فيما بعد من هم أهل الحق الواجب اتباعهم في مسائل العقيدة الإسلامية،،،

واسمه علم العقيدة: أي ما يجب على العبد أن يعقد قلبه عليه.

ويسمى علم التوحيد: لأن مبحث الوحدانية أبرز مباحثه ،

ويسمى علم الكلام: لأن المتقدمين كانوا يقولون في الحديث عنه :

الكلام في كذا.. والكلام في كذا...أو لأن القرآن (وهو كلام الله تعالى) أشهر مباحثه.

ويسمى: علم أركان الإيمان.. وعلم أصول الدين.. وعلم السنة..

وعلم الفقه الأكبر.. وعلم المقالات.. وعلم النظر والاستدلال..

..ولكل من هذه التسميات ظروفها التاريخية وأسبابها العملية..

واستمداده : من الأدلة النقلية والعقلية،

وحكم الشرع فيه:

أنه فرض عين على كل مكلف من ذكر وأنثى..

ومسائل علم العقيدة: مواضيعه المتعلقة بالواجبات والجائزات المستحيلات..

وسياقي شرح ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى فتابعونا..

يتبع الدرس 5

العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الخامس

العقيدة الإسلامية

المكلف

إخوتي!

فرض الله سبحانه على كل مكلف من ذكر أو أنثى أن يؤمن بأركان الإيمان جازماً ويعلم كلياته وتفصيلاته..

فمن المكلف، وما شروطه ؟

أولاً - تعريفه:

المكلف هو المخلوق لعبادة الله تعالى.. قال عز وجل (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات 56. أي ليعرفوني..

ثانياً - شروطه:

يشترط في المكلف أن يكون:

1- بالغاً

2- عاقلاً

3- وصلت إليه دعوة الإسلام.

4- سليم الحواس.

توضيح الشروط:

1- فالبالغ: هو الذي بلغ سن الاحتلام للجنسين.

- أو الحيض للأنثى.

- أو بلغ 15 سنة لكليهما.

أما الصبي فليس مكلفاً.

ولذلك كل من مات قبل البلوغ فهو ناج يوم القيامة ولو من أولاد الكفار فلا حساب عليه ولا عذاب..

وإذا أراد الصبي أن يؤمن قبل منه ؛ بدليل إيمان سيدنا علي بن أبي طالب وصغار الصحابة رضي الله عنهم..

-2- العاقل : أما المجنون فليس بمكلف لرفع القلم عنه ، لأن الله إذا أخذ

ما وهب أسقط ما أوجب من التكليف..

-3- من بلغته دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم .. وأما من لم تبلغه دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم الى الإسلام (بأن نشأ في جبل شاهق أو في الغابات البعيدة) فهذا يهتدي إلى معرفة الله بعقله بأن يرى آثار قدرة الله تعالى حوله وفي نفسه ويعلم أن لهذا الكون صانعاً حكيماً..

وقد استدل بعض الأعراب بعقله على وجود الله تعالى دون أن تبلغه دعوة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : إن الأثر ليدل على المسير وإن البعرة لتدل على البعير .. فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير.

ويمكن أن يتسامح مع هذا الصنف الذي لم تبلغه الدعوة بعدم إسلامه لأنه ليس كل عاقل يهتدي إلى معرفة الله بعقله.. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار) مسلم 153.

فسيدنا النبي عليه الصلاة والسلام قيد بقوله (لا يسمع بي أحد) أما من لم يسمع بالرسول أو بدعوته فهو غير مكلف..

وهنا يرد سؤال مهم: ما حكم أهل الفترة ؟

(وهم الذين كانوا بين أزمنة الرسل عليهم السلام ولم يرسل لهم نبي أو كانوا في زمن الرسول الذي لم يرسل إليهم كسيدنا عيسى الذي أرسل إلى بني إسرائيل دون غيرهم)..وهو القائل : (إنما أرسلت إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل.) نستطيع أن نقول:

إن هؤلاء ناجون يوم القيامة، لأن الله تعالى يقول : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا).الإسراء 15.

ويذكر لنا الإمام السيوطي في الحاوي للفتاوى 198/2 ((أن أهل الفترة ثلاثة أقسام:

أولاً - من أدرك التوحيد ببصيرته..سواء من لم يدخل في شريعة نبي كقس بن ساعدة الإيادي وزيد بن عمرو بن نفيل..

و من دخل في شريعة حق من الشرائع الماضية ك تبع(ملك اليمن) وقومه ثانياً - من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه ولا اخترع ديناً بل بقي عمره على غفلة عن هذا كله . كغالب أهل الجاهلية.. ثالثاً - من بدل وغير وأشرك ولم يوحد .. كعمرو بن لحي أول من اخترع للعرب عبادة الأصنام... ..

فهذا القسم الاخير عليهم تحمل ما جنته أيديهم يوم القيامة لأنه اخرج الناس عن فطرتهم...

أما باقي الأقسام فهم غير معذبين ،وقد قال سيد الخلق صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل : (إنه يبعث أمة وحده .) النسائي في الكبرى 8187. وأما ملك اليمن تبع ونحوه فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه.)) أخيراً :

-4- سليم الخواس،

فلنا أن نسأل:

ماحكم مالو خلق الله إنسانا (فاقد البصر والسمع معا) ، هل يطالب بالإيمان ؟
الجواب : يسقط عنه وجوب الإيمان لأن الشرط أن يكون المكلف سليم
الحواس..

يتبع الدرس 6

العقيدة الإسلامية.

هنا دمشق.

الدرس السادس

العقيدة الإسلامية

تعريف الإيمان

إخوتي!

فسر جمهور علماء العقيدة وغيرهم الإيمان بالتصديق المعهود شرعا، وهو: تصديق سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به وعلم من الدين بالضرورة (أي: يعلمه عامة المسلمين كالصلاة والصيام)،

والمراد بتصديق سيدنا النبي الكريم في ذلك : الإذعان لما جاء به والقبول له. وليس المراد أنه يصدق بقلبه من غير إذعان وقبول؛ لأن ذلك يعني الحكم بإيمان كثير من الكفار الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم. ومصدق ذلك قوله تعالى:

(يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) البقرة 146- الأنعام 20.

وهل يكفي التصديق إجمالاً؟

كالإيمان بوجود الأنبياء والملائكة؟

الجواب : في التصديق الإجمالي يكفي إن اعتقد بوجود الأنبياء والملائكة.

أما في التصديق التفصيلي:

1- يجب معرفة الأنبياء الخمسة والعشرين تفصيلا المذكورين في القرآن.

وأما المختلف في نبوتهم فتلاثة، وهم: ذو القرنين، والعزير، ولقمان.

وأما سيدنا الخضر وسيدنا يوشع بن نون فلم يصرح القرآن بنبوتهما، وإن كانا نبين

على المعتمد.

ولا يشترط حفظ أسماء كل الأنبياء والملائكة، بل يكفي لو عرض واحد منهم أمامه لم ينكر نبوته ولا رسالته.

ولا يحكم على العامي بالكفر إن أنكره إلا بعد تعليمه.

2- وكذا يجب معرفة بعض من الملائكة المكرمين، كسادة جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ورضوان خازن الجنة، ومالك خازن النار، ورفيق عتيد - عليهم السلام- فيكفر منكر شيء من ذلك.

3- ويجب الإيمان بحملة العرش والحافين به إجمالاً كسائر الملائكة.

وعلى ما تقدم نقول :

الإيمان شرعاً هو:

التصديق بجميع ما جاء به سيدنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، مما علم من الدين بالضرورة، إجمالاً في الإجمالي وتفصيلاً في التفصيلي.

يتبع الدرس 7

العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس السابع

العقيدة الإسلامية

وجوب النطق بالشهادتين

إخوتي!

لا بدّ لغير المسلم من النطق بالشهادتين حتى يدخل في الإسلام. أمّا أبناء المسلمين فيسري إليهم الإسلام عن طريق آبائهم، فتجري عليهم الأحكام الدنيوية، ولو لم ينطقوا بالشهادتين. والمقصود بالأحكام الدنيوية: التوارث، والتناكح، والصلاة خلفه، والصلاة عليه، ودفنه في مقابر المسلمين، وغير ذلك. ومن أراد الدخول في الإسلام فعليه:

١ - النطق بالشهادتين: (إذا كان قادراً على النطق) وهو قوله:

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.
سواءً باللغة العربية أم غيرها.

أمّا غير المتمكّن من النطق وهو الأخرس فلا يُطالب بالنطق بهما.

2 - الترتيب بين الشهادتين وموالاتهما.

٣ - أن يتبرأ من كل دين إلا دين الإسلام، وخاصّةً إذا كان ممن يعتقد أن سيدنا

محمداً صلى الله عليه وسلم لم يُرسل إلا إلى العرب.

وكذا إذا كان كفره باعتقاد قَدَم العالم مثلاً، فلا بدّ من رجوعه عنه، (إذ العالم حادث مخلوق).

هذا الذي عليه المُعوّل عند جمهور العلماء.

فإن قال: الله واحدٌ ومحمدٌ رسولٌ أجزأه ذلك عند بعض العلماء كالإمام النووي. والنطق بالشهادتين: (عند محققي علماء العقيدة) شرطٌ لإجراء أحكام المؤمنين عليه كما تقدم.

وهنا يرد سؤال مهمٌ: لِمَ النطق بالشهادتين؟

والجواب :

أَنَّ التصديقَ القلبيَّ وإنْ كان إيماناً إلا أنه باطنٌ خفيٌّ؛ فلا بدَّ له من علامةٍ ظاهرةٍ تدلُّ عليه لِتَعَلُّقِ به تلك الأحكام الخاصة بالمسلمين.

*فَمَنْ صَدَّقَ بقلبه ولم ينطق بالشهادتين طيلة حياته وهو قادر على النطق بهما لا عن إباءٍ بل اتَّفَقَ له ذلك فهو مؤمنٌ عند الله، غيرُ مؤمنٍ في الأحكام الدنيوية. أي: لا نُحْكَمُ بإيمانه؛ لأننا أُمِرنا أن نُحْكَمَ بالظاهر والله يتولى السرائر.

*وَأَمَّا المَعْدُورُ فإذا قامت علامةٌ على إسلامه -غيرُ النطق- كالإشارة فهو مؤمنٌ في الدنيا والآخرة.

*وَأَمَّا مَنْ طُلِبَ منه النطقُ بالشهادتين فأبى فهو كافر في الدنيا والآخرة، ولو أذعن بقلبه، فلا ينفعه ذلك.

*وَمَنْ أَقَرَّ بلسانه بالشهادتين ولم يُصَدِّقْ بقلبه فهو مؤمن في الأحكام الدنيوية غيرُ مؤمن عند الله تعالى، أي: مؤمنٌ ظاهراً غيرُ مؤمن حقيقَةً، فَنَكِلُ أمره إلى الله تعالى، فإنه بإقراره يَعَصِمُ نفسه وماله إلا بحَقِّه.

*إِنَّ الذي يَقَرُّ بلسانه ولا يُصَدِّقُ بقلبه منافقٌ.

إخوتي!

وعلى المسلم -حتى يكونَ كاملَ الإيمان- أن يأتي بأركان الإسلام: الصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وأما الحج فهو على القادر (لمن استطاع إليه سبيلاً). نعم.. قد يجتمع الإيمان مع ترك العمل بأركان الإسلام ويسمى ذلك فسقاً.

فما الدليل على أن الإيمان يجتمع مع المعصية؟
آيات منها:

قوله تعالى: ((وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا...)) الحجرات 9..
سمّاهم مؤمنين مع أن التقاتل معصية.
وإلى لقاء قريب مع الدرس الثامن إن شاء الله تعالى فتابعونا،

يتبع الدرس 8
العقيدة الإسلامية
هنا دمشق.

الدرس الثامن

العقيدة الإسلامية

زيادة الإيمان ونقصه

إخوتي الأكارم !

خلق الله تعالى الخلق، واصطفى منهم من شاء، فممن اصطفى: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومنهم الملائكة عليهم السلام، ومنهم بقية البشر غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وهذه الطبقات يتفاوت إيمانها بحسب اصطفاؤها:

- 1- فإيمان البشر من غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يزيد وينقص.
- 2- وإيمان الملائكة عليهم السلام لا يزيد ولا ينقص؛ لأن إيمانهم من أصل الخلقة، ومن كان إيمانه كذلك فلا تفاوت فيه.

- 3- وإيمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يزيد ولا ينقص؛ فهم معصومون عن المعصية لأنهم من كَمَل البشر، فهم في ترقٍّ دائم،
والسؤال المهم: ما سبب زيادة الإيمان ونقصه؟

هذا السؤال وُجِّه لعلماء العقيدة فأجابوا عنه قائلين:

إن الإيمان يزيد بزيادة طاعة العبد، أي: بفعل ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه. كما رجَّحوا نقص الإيمان بنقص طاعة العبد لله تعالى.

وقد استدلوا على زيادة إيمان الأنبياء بقول سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ((ولكن ليطمئن قلبي)) حين قال له مولانا عز وجل: ((أَوَلَمْ تَوْمَن قَال بلى)) البقرة 260

فكيف استدلوا على أن الإيمان يزيد وينقص في بقية البشر؟

استدلّوا بدليلين:

١ - دليل نقلي :

وهو نصوص كثيرة وردت في كتاب الله تعالى كقوله: ((وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا)) الأنفال 2

وقوله: ((لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ)) الفتح 4

وقوله: ((وَيَزِدَادُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا)) المدثر 31

وأوضحت الآثار ذلك ومنها :

قول سيدنا عمر رضي الله عنه بسند صحيح موقوفاً (لو وُزِنَ إيمانُ أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به). رواه البيهقي في الشعب.

وترجم الإمام البخاري في أحد أبواب صحيحه: (كتاب الإيمان.. وهو قول وفعل، ويزيد وينقص)

وقال البخاري أيضاً :

(لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.)

٢ - دليل عقلي :

وهو أنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان بالزيادة والنقص لكان إيمان أفراد الأمة بل منهمكين في الفسق والمعاصي مساوياً لإيمان الأنبياء والملائكة، وهذا باطل. فثبت أنه لا بدّ من تفاوت الإيمان بالزيادة والنقص.

لكنّ قوماً من علماء العقيدة قالوا: إنما تكون زيادة الإيمان بزيادة الإيمان بالأحكام التي كانت تنزل زمن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فكلما نزل حكم آمنوا به فزاد إيمانهم، فالزيادة والنقص يرجع كلّ منهما إلى الأعمال لا إلى التصديق لأن الإيمان اسم للتصديق البالغ نهاية الجزم والإذعان، فلو نقص لذهب.

ونقول في ذلك: في المسألة قولان :

– الإيمان يزيد بزيادة التصديق.

– أو يزيد بزيادة الأعمال.

يتبع الدرس 9

العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس التاسع

العقيدة الإسلامية

معرفة الله تعالى

إخوتي!

إنَّ أولَ ما يجبُ على العبدِ معرفته من العقائد هو معرفة الله تعالى؛ لأنَّ العبادة لا تصحَّ قبلَ معرفة المعبود.
فالمطلوبُ من العبد معرفة مايلي:
-وجودُ الله سبحانه.

-وأنَّه سبحانه مُتصفٌ بصفاتِ الكمالِ ومُنزَّهٌ عن صفاتِ النقصان.
-وأحكامُ ألوهيَّته سبحانه في الذاتِ والصفاتِ والأقوالِ والأفعالِ.
ولا يمكنُ معرفة حقيقة ذاته؛ لأنَّه لا يعرفُ حقيقة ذاتِ الله إلا الله تعالى.
فلذلك دعا مولانا عزَّ وجل في كتابه الكريم إلى التفكُّر في الكونِ لا إلى التفكُّر في ذاتِ الله تعالى، فقال:

((*يتفكرون في خلق السموات والأرض)) آل عمران 191.

((*قل انظروا ماذا في السموات والأرض)) يونس 101.

هذا كُلُّه حتى لا يتفكر العبدُ في حقيقة ذاته تعالى؛ لأنَّه سبحانه لا تُحيطُ به الفكرة،
وكُلُّ ما خطرَ ببالك فهو من وهمك وخيالك والله بخلاف ذلك.
وكيف تُحيطُ به الفكرة وهو بكلِّ شيءٍ مُحيطٌ؟!

خرجَ سيِّدنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مرَّةً فرأى أصحابه وهم يتفكرون، فقال لهم:

(تفكروا في آلاء الله تعالى، ولا تفكروا في الله تعالى). البيهقي والطبراني بإسناد حسن.

يقول الإمام أبو القاسم الجنيد⁽¹⁾ رحمه الله تعالى : (ما عرف الله بالحقيقة سوى الله تعالى) هو القائل: ((وما قدرُوا الله حقَّ قدره)). الزمر 67.

إخوتي!

إنَّ العاقلَ ليعلمَ تماماً أنَّ لكلِّ صنعةٍ صانعاً، ولكلِّ مخلوقٍ خالقاً، ولكلِّ أثرٍ مؤثراً. وهذا ما يُسمَّى في العلم الحديث : قانون السببية.

وكلُّ من يقول: إنَّ الكونَ وُجِدَ بالمصادفةِ فهو يخالفُ العقولَ السليمةَ والبديهيَّاتِ المتعارَفَ عليها.

فالعقولُ السليمةُ تعلمُ أنَّ لكلِّ سببٍ مسبباً، ولكلِّ أثرٍ مؤثراً .

وعلى سبيل المثال:

عندما يكونُ الإنسانُ جالساً مفكراً ثمَّ يسمعُ جرسَ البابِ فإنَّه يقومُ ليَرى من يقفُ خلفه؛ ربطاً بين الأسبابِ ومسبباتها.

فمولانا عزَّ وجلَّ دَلَّ بوجودِ آثاره على وجودِ أسمائه، وبوجودِ أسمائه على ثبوتِ أوصافه، وبثبوتِ أوصافه دَلَّ على وجودِ ذاته.

فيا عجباً كيف يُعصى الإله أم كيف يجحده الجاحدُ
وفي كلِّ شيءٍ له آية تدلُّ على أنَّه الواحدُ ؟!

يتبع الدرس 10

العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

(1) الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد الخراز القواريري، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني، سيد الطائفة إمام هدي، صاحب الإمام السري السقطي وكان خاله وتفقه على أبي ثور . بغداد (215-297) هـ - سير أعلام النبلاء 43/11 - حلية الأولياء 281/13 - تاريخ الإسلام 72/22.

الدرس العاشر

من دروس العقيدة الإسلامية

الذات الإلهية

إخوتي!

بعد أن عَرَفْنَا أن لهذا الكون إلهاً خالقاً موجداً هو الله تعالى - علينا ان نعتقد ان لله تعالى عشرين صفة واجبة

لأن أمهات الصفات الإلهية قسمها علماء العقيدة إلى ما يلي:

1- ما يجب أن يتصف به سبحانه وتعالى، وتسمى واجبات. وهي عشرون صفة

2- ما يستحيل أن يتصف به تعالى، وتسمى المستحيلات وهي ضد السابقة

الواجبة.

3- ما يجوز أن يتصف به تعالى، وتسمى الجائزات.

وهي اثنتا عشرة... او نقول اثنتان وخمسون عقيدة من أمهات العقائد..

ونبدأ مع أهم صفة له تعالى :

وهي: صفة الوجود، أو الصفة الذاتية لله تعالى، أو الصفة النفسية لله تعالى،

فكل هذه التسميات مترادفة.

وهي كالأصل لمسائل الإلهيات، وما بعدها من الصفات تابع لها.

ومعنى إنها واجبة لله تعالى أي لا يتصور عدمها؛ أو لا تقبل الانتفاء.. إذ هي

أوجدت المخلوقات..

ويجب اعتقاد أنها لم يسبقها عدم... ولا يلحقها فناء.. ولذا أطلق علماء العقيدة على

الله اسم واجب الوجود أو واجب لذاته ..جلّ جلاله.

أما نحن فجائز الوجود؛ لأن الله أوجدنا.

كنا في عدم ثم أوجدنا الله سبحانه ثم مصيرنا إلى الفناء..

- فنحن والعوالم دليل وجوده تعالى؛ لأنها تتغير من حال إلى حال:
*من عدم إلى وجود.

*ومن حياة إلى موت .

*ومن غنى إلى فقر.

*ومن صغر إلى كبر.

*ومن صحة إلى مرض.

إلى غير ذلك.

وهذا دليل على أنها موجودة بعد إذ لم تكن. ومخلوقٌ هذا شأنه لا بد له من موجد، وهو الله سبحانه وتعالى.

إلى هنا نقف عن التفكير في الذات الإلهية، وغير ذلك ليس لنا التفكير فيه كما تقدم معنا سابقاً.

(تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله). الطبري

وحديث: (تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله) مخرج في السنن.

إخوتي!

تذكروا هذه المصطلحات في العقيدة:

الصفة النفسية .

واجب الوجود.

واجب لذاته.

لم يسبقها عدم ولا يلحقها عدم.

لأنها ستمر معنا كثيراً.

وتابعونا.

يتبع 11 العقيدة الإسلامية

هنا دمشق..

الدرس الحادي عشر

من دروس العقيدة الإسلامية

صفات الله تعالى

إخوتي

أسماءه تعالى وصفاته هي الوسائل التي تعرف بها الله سبحانه إلى خلقه وهي التي يطل منها القلب على الله تعالى مباشرة.. وهي التي تحرك الوجدان وتفتح أمام الروح آفاق فسيحة تشاهد فيها أنوار الحق جل جلاله

إخوتي

عندما نشاهد آلة تؤدي عملها بشكل جيد فإننا نقول بداهة إن مبتكر هذه الآلة وصانعها

- ذو معرفة بالآلات الصناعية وهندستها
 - وذو مقدرة على الابتكار
 - وذو إرادة حرّة يعرف ما يريد.
- والاقتان يستلزم العلم والحكمة ،
والحكمة تعني القدرة على تنفيذ هذا العمل .. وأن صاحبه لديه القوة على هذا التنفيذ.

فالصانع اجتمعت فيه صفات علم - إرادة - قدرة
ومتى اجتمعت هذه الصفات في موصوف علم أن هذا الموصوف:

*حي لا ميت

*وأنه يملك من القدرات السمعية والبصرية ما يتقن بها صناعته ومحيط بها ومهيمن عليها ومسيطر على كل صغيرة وكبيرة فيها.

(ولله المثل الأعلى) النحل 60.

فالآن بعد أن ثبت لدينا وجود الله تعالى وعجزت عقولنا عن تصور أو توهم حقيقة ذاته العليّة فإننا ندرك بدهاءة أن هذا الخالق العظيم الذي صدرت منه هذه الموجودات الكونيّة لابد أن يكون متصفا بصفات الكمال فما هي؟

اخوتي

قسم علماء التوحيد صفات مولانا عزّ وجل إلى ثلاثة أقسام:

1- صفة نفسية (ذاتية).

2- صفات سلبية.

3- صفات معاني.

أما الصفة النفسية (وهي صفة الوجود) فقد تقدمت.

وأما الصفات السلبية فهي التي سلبت عن الله تعالى ما لا يليق بكماله ، وهي خمس صفات:

القدم - البقاء - مخالفته للحوادث - قيامه بنفسه - الوجدانية.

وأما الصفات المعاني فهي سبعة:

القدرة - الإرادة - العلم - الحياة - السمع - البصر - الكلام.

هذه الصفات الواجبة في حق مولانا عزّ وجل.

فأما الصفات السلبية:

فالأولى: صفة القدم:

سلبت عن مولانا عزّ وجل الحد لأوليّة الوجود.

الثانية: صفة البقاء:

سلبت عن مولانا عزّ وجل الحد لآخريّة الوجود.

الثالثة : صفة المخالفة للحوادث : سلبت عن الله المماثلة للحوادث.

الرابعة: صفة القيام بالنفس (أو الغنى) سلبت عن الله الافتقار لأحد.

الخامسة : صفة الوحدانيّة: سلبت عن الله التعدد في الذات والصفات والأفعال .

فما هي أوّل الصفات السلبية؟

يتبع 12 دروس العقيدة الإسلامية.

هنا دمشق.

الدرس الثاني عشر

من دروس العقيدة الإسلامية

الْقَدَم

من الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ

إِخْوَتِي

القِدَمُ صِفَةٌ من الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ (النافية) التي هي من صفات الكمالِ لله تعالى.. وهي تَنفِي عن الله مالا يليقُ به أي نفت الحدوث عنه تعالى الذي هو ابتداءُ الوجود، ومعنى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ : قَدِيمٌ : لا أَوَّلَ لوجودِهِ (ليس لَهُ بدايةٌ لوجودِهِ) أو أَنَّهُ غيرُ مسبوقٍ بعدمٍ فهو القائلُ سُبْحَانَهُ :

(هو الأَوَّلُ والآخِرُ) الحديد 3 هو الأَوَّلُ أي بلا بدايةٍ

فلا يدخلُ في وجودِهِ زمانٌ ولا مكانٌ .. وكيفَ يدخلُ في وجودِهِ زمانٌ ومكانٌ وهو الذي خَلَقَ الزمانَ والمكانَ، يقول عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ:

(كَانَ اللهُ ولا شيءَ غيرُهُ) البخاري 3191.

وفي روايةٍ (كَانَ اللهُ ولم يكنْ شيءٌ قَبْلَهُ...) البخاري 7418.

فالقَدَمُ صِفَةٌ من صفاتِ مولانا عزَّ وجلَّ لا يَتَّصِفُ بها غيرُهُ.

وهلْ لنا أنْ نقولَ : بناءً قديمٌ وكتابٌ قديمٌ ؟

الجوابُ : نعم، لأنَّ القديمَ من المخلوقاتِ لا يُقصدُ به أَنَّهُ لا أَوَّلَ لوجودِهِ بل يُقصدُ به القِدَمُ الزَّمَانِي وهو (طولُ المَدَّةِ التي ضُبِطَتْ بِسَنَةِ) أي الذي توالَتْ على وجودِهِ الأزمنةُ .. وهذا في القرآنِ الكريمِ قال تعالى (وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ

كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) سورة يس 39

فالقَدِيمُ في حقِّ المخلوقِ طولُ الأزمنةِ.

و الدليلُ العقليُّ على أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدِيمٌ :

أنَّه تعالى لو لم يكن قديماً لكان حادثاً (أي : مخلوقاً)،
ولو كان حادثاً لاحتاج إلى مُحدثٍ (مُوجد)، ولاحتاج مُحدثه إلى مُحدثٍ، وهكذا
يَتَسَلَّسِلُ الأمرُ إلى ما لا نهايةٍ ، وهذا مُستحيلٌ عقلاً؛ لأنَّ العقل يقرُّ أنَّه لا بدَّ في
نهاية السِّلْسِلَةِ مِنْ وجودٍ أَصْلٍ صَدَرَتْ عنه تلك المخلوقات كُلِّها وهو الله الخالقُ
المبدئُ سبحانه وتعالى.

ونوضِّح ذلك بالمثل الآتي:

لو أنَّ شخصاً يسيِّرُ في الصَّحراءِ ، ونفدَ الماءُ الذي معه ، ورأى إنساناً يحملُ قِرْبَةً
ماءٍ ، فطلبَ منه السُّقيا، فقال له: اذهبْ إلى مَنْ أعطاني فسيعطيك ، ودلَّه على
آخر، فذهبَ إليه ، فقال له مثلما قال الأولُ، وهكذا الثالث والرابع والخامس ...
والسؤالُ هنا:

ما الذي دفعك إلى مواصلة البحثِ عن الماءِ دونَ يأسٍ؟
إنَّه عِلْمُكَ اليقينيُّ بأنَّ كلَّ سلسلةٍ مهما طالَتْ يكونُ لها نهايةٌ، ولا بدَّ أنْ تصلَ إلى
عينِ الماءِ ،

وهذا دليلٌ عقليٌّ على بُطلانِ التَّسَلُّسِلِ الذي لا نهايةَ له.
لأنَّ واجبَ الوجودِ لا يكونُ مخلوقاً فهو الذي أوجدَ الوجودَ ،
وإذا بطلَ القولُ بحدوثه سُبْحانه ثَبِتَ أنَّه قديمٌ.
لذلك لا يصحُّ أنْ يُسألَ عنه سبحانه : متى كان؟
لأنَّ (متى) تعني الزَّمنَ المطلوبَ تحديده.. كيف وهو سبحانه لا أولَ وجوده؟! بل
هو الأولُ لكلِّ شيءٍ.. (كان الله ولا شيءَ غيره) البخاري.

وهنا يجبُ:

اعتقادُ أنَّ العالمَ بأسره مخلوقٌ.. ولا عبرةَ بقولِ الفلاسفةِ القائلينَ بقديمِ العناصرِ (الماءِ
والترابِ والرياحِ والنَّارِ) لأنَّه وإنْ كانتْ أصلاً للحوادثِ لكنَّها متغيِّرةٌ وكلُّ مُتغيِّرٍ
حادثٌ (مخلوقٌ ..)

فالقديمُ حقيقةً هو الخالقُ الموجدُ لكلِّ شيءٍ..

فما هي الصفةُ السَّلبيةُ الثَّانيةُ؟

يتبع 13 دروس العقيدة الإسلامية.

هنا دمشق.

الدرس الثالث عشر

من دروس العقيدة الإسلامية

صفة البقاء

من الصفات السلبية

إخوتي

البقاء صفةٌ من الصفات السلبية (النَّافِيَة) التي هي من صفات الكمال الواجبة في حقِّ الله تعالى وهي تنفي عن الله ما لا يليقُ به أي نَفَتْ عنه الفناء الذي هو آخِرِيَّةُ الوجود .

فيجبُ اعتقادُ أنَّه تعالى لا آخرَ لوجوده أي أنَّ وجوده مستمرٌّ لا يَنْقَطِعُ..
أمَّا المخلوقاتُ فلها أولٌ وآخرٌ أي غيرُ باقيةٍ، وعليه تَوَارَدَتِ الآياتُ القرآنيةُ قال تعالى "كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ"

وقال " كلُّ شيءٍ هالِكٌ إلا وجهه " آل عمران 185.

وفي حقِّه تعالى يقولُ جلَّ جلاله "هو الأولُ والآخر" الحديد 3.

ويقولُ " ويبقى وجهُ ربِّكَ ذو الجلالِ و الاكرامِ " الرحمن 27

فعلينا أنْ نعتقدَ عن ذاته تعالى بأنَّه هو الأوَّل بلا بدايةٍ والآخرُ بلا نهايةٍ .
فماذا لو لم يكنْ مولانا عزَّو جلَّ له صفةُ البقاء؟
للجوابِ نقولُ:

1. لا حتاجُ لمنْ يوجده فيكونَ مخلوقاً.

2. ولكانَ عاجزاً كبقية المخلوقاتِ.

3. ولأمكن أن يلحقه العدم فيكون مخلوقاً لتغيّره من حالة لحالة..
وهذا كله محال في حقه تعالى لأنه ثبت لنا قدمه عز وجل في الدرس السابق.
وقد اتفق العقلاء على قاعدة هامة علينا اعتقادها وهي (من وجب قدمه استحال
عدمه).

وقد يسأل سائل فيقول :

إن الله تعالى قال عن الجنة والنار والصور العين : إنها باقية وخالدة (خالدين فيها)
فنقول: هذا البقاء جائز شرعاً وليس واجباً أي أن بقاءها إنما كان لوعد الله تعالى
ولا يخلف الميعاد ..

فيا أخي المسلم

اعتقد : أن بقاء المخلوقات بالله وليس لذاته ، وأما بقاؤه تعالى فلذاته.

﴿هو الأول والآخر﴾

تابع الدرس 14 دروس العقيدة.

هنا دمشق.

الدرس الرابع عشر

من دروس العقيدة الإسلامية

صفة مخالفته تعالى للحوادث

إخوتي

المخالفة للحوادث صفة من الصفات السلبية (النافية) التي هي من صفات الكمال الواجبة في حقه تعالى ..

وهي تنفي عن الله عز وجلّ ما لا يليق به أي نفى عنه مُشابهته للمخلوقات. فعلى المسلم أن يعتقد:

أنّ ذاته تعالى لا تُشبه ذوات المخلوقات ولا صفاتهم ولا أفعالهم وهذه المخالفة تقتضي أنّه سبحانه لا حال في شيء ولا يحلّه شيء.

فتنفي هذه الصفة كلّ سمات الحدوث عنه تعالى.

فإذا كان المخلوق مؤلّف من جواهر (أجزاء يتكوّن منها) وأعراض (أي صفات تقوم به من طول وعرض .. وسوادٍ وبياضٍ) فإنّ الله تعالى مُنزه عن ذلك..

يقول الإمام الشُّبْكِيُّ (حكم الجواهر والأعراض كلّها حادثة - أي مخلوقة - وعلى هذا إجماع المسلمين ومن خالف ذلك فهو كافرٌ لمخالفة الإجماع القطعي .) (تحاف السادة المتقين للزبيدي 1/ 153).

فكلّ ما اتصف به المخلوق كحركةٍ وسكونٍ ومكانٍ وزمانٍ وقيامٍ وقعودٍ واجتماعٍ وافتراقٍ وجهةٍ وفوقٍ وسفّلٍ وأخذٍ حيّزٍ من الفراغ (حيثُ يمتنع أن يحلّ فيه كالإنسان والصخرة) تنزه عنه سبحانه وتعالى لأنّها من سمات الحدوث .

وقد وضع علماء التوحيد عبارتهم المشهورة في هذا الباب وهي (كلّ ما خطر ببالك فهو من وهمك وخيالك والله تعالى بخلاف ذلك).

فلا يعلم حقيقة الله إلا الله سبحانه وتعالى.
فما هي الأدلة على صفة مخالفته تعالى للحوادث ؟
تابعونا..

يتبع 15 الأدلة على ذلك.
هنا دمشق.

الدرس الخامس عشر

من دروس العقيدة الإسلامية.

صفة مخالفته تعالى للحوادث 2

الأدلة

تقدم معنا في الدرس السابق الصفة التي تنفي عن الله مشابته للحوادث

(المخلوقات) ..

والدليل القاطع الذي يقتضي الصِّدْق لا محالة على هذه الصِّفَةِ هو دليلُ القدم له

تعالى .. ويُبَسِّطُ فيقال:

لو لم يكن سبحانه مخالفاً للحوادثِ لكانَ مُماثِلاً لها ، ولو كان مُماثِلاً لها لكانَ حادثاً

مثلاً ، وحيثُ ثبتَ قَدَمُهُ تعالى استحال نقيضُهُ وهو الحدوثُ.

وهذا ما يسمَّى بالدَّليلِ العقلي.

وأما الأدلةُ النقليةُ على عقيدة مخالفته تعالى للحوادثِ فكثيرةٌ في كتابِ مولانا عَزَّ

وجلَّ منها:

1- قوله تعالى (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) الإخلاص 4.

أي لم يكن أحداً ما مثلاً لله تعالى .. ففي الآية نفْيُ المِثالِ والمِثابَةِ لله تعالى

ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً.

وعند الترمذي (كما في تفسير القرطبي 20 / 246):

أنَّ سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ آلهةَ المشركين . فقالوا : أنُسِبَ لنا ربُّكَ.

قال : فأتاهُ سيدنا جبريلُ عليه السلامُ بهذهِ السورةِ (قل هو الله أحد) وفيها نفْيُ

الشبيهِ والعَدْلِ والمِثالِ.

- 2- قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

هذا تَنْزِيهٌ يَرُدُّ فِيهِ مَوْلَانَا عَزَّوَجَلَّ عَلَى الْمَجَسِّمَةِ (الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ جِسْمٌ) وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَيَرُدُّ فِيهِ عَلَى الْمَعْطَلَّةِ النَّافِينَ لِلصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ..
وَمَعْنَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ لَيْسَ مِثْلُ مِثْلِ الْإِلَهِ شَيْءٌ ، فَإِذَا كَانَ مِثْلُ الْمِثْلِ مَنفِيًّا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى فَكَيْفَ بِالْمِثْلِ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.
فَأَصْبَحَ الْمَعْنَى لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ يُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ مِثْلًا لِلَّهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مِثْلًا لَهُ، فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّنْبِيهِ بِالْأَدْنَى عَنِ الْأَعْلَى.

- 3- الإجماع:

أَطْلَقَ أَهْلُ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ جَمِيعًا الْقَوْلَ بِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يُشَبِّهُ شَيْئًا مِنَ الْعَالَمِ (الَّذِي هُوَ مَا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ).
لَأَنَّ حَقِيقَةَ الْإِلَهِ لَيْسَتْ مِنْ تِلْكَ الْحَقَائِقِ الَّتِي تَقْبَلُ أَنْ يَكُونَ الْإِلَهُ مُتَعَدِّدًا أَوْ مُشْتَرَكًا أَوْ مُتَمَاثِلًا، لَأَنَّ كَمَالَهُ تَامٌ مُطْلَقٌ ، فَمَعْنَى الْأُلُوْهِيَّةِ يَا بِي الْعَقْلُ أَنْ يَقْبَلَ فِيهِ مُشَابَهَةٌ ، لَأَنَّ مَرْتَبَةَ الْمَخْلُوقِ دُونَ مَرْتَبَةِ الْخَالِقِ ، وَلَوْ كَانَ يُشَبِّهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ لَكَانَ مُثَامِلًا لَهَا وَحَادِثًا مِثْلَهَا وَلَمَّا وُجِدَتْ هَذِهِ الْأَكْوَانُ..

-4- بَثَّ مَوْلَانَا عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ الْحَقَّةَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ:

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) مريم 64

(لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ) البقرة 255

(وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ) الأنعام 14

(وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ..) المؤمنون 88.

وإذا ألقى الشيطانُ في ذهنِ أحدٍ: إذا لم يكنِ المولى كما ذكر فما حقيقتهُ ؟
فليقلْ في الردِّ عليه : لا يعلمُ حقيقةَ اللهِ إلا اللهُ (ليسَ كمثله شيءٌ وهو السميعُ
العليمُ..) الشورى 11. (وما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدَرِهِ) الحج 74.

يتبع 16 دروس العقيدة

هنا دمشق.

الدرس السادس عشر

من دروس العقيدة الإسلامية

قيامه تعالى بنفسه

من الصفات السلبية

إخوتي

تُرشِدنا أبحاثُ العقيدةِ هذهِ إلى التعرُّفِ على الله تعالى مِنْ خلالِ صفاته دونَ الإحاطةِ بذاته سبحانه لأنَّ معرفةَ حقيقةِ الذاتِ الإلهيةِ في واقعها الوجودي المتعالي كما تقدَّم معنا أمرٌ لا ترقى العقولُ إلى إدراكه.

والصفاتُ السلبيةُ لا تدلُّ على معنىٍّ موجودٍ في نفسها بل تُفهمُ بشكلٍ سلبيٍّ أي سلبُ معنىٍّ لا يليقُ به سبحانه.. وسمَّيتُ سلبيةً لأنَّ كلَّ صفةٍ مِنَ الصفاتِ السلبيةِ الخمسةِ المتقدِّمةِ واللاحقةِ سلبتُ ونفَتْ عن الله أمراً لا يليقُ به سبحانه.

ولما كانتِ الصفاتُ السلبيةُ كثيرةً بمقتضى أنَّ كلَّ نقصٍ يُنفى بعكسه والنقائصُ كثيرةٌ فإنَّ هناك خمسَ صفاتٍ هي أمهاتُ الصفاتِ السلبيةِ يغني تحصيلُها عن استحضارِ جزئياتها على وجهِ التفصيل.

وقد مرَّ معنا منها:

القدم - والبقاء - ومخالفته تعالى للحوادث...

ومن الصفاتِ السَّلبِيَّةِ (النافية) التي هي من صفاتِ الكمالِ لله تعالى الواجبةُ في حقِّه

صفةٌ: قيام الله تعالى بنفسه

(أو الغنى المطلق) على أنَّ المرادَ بالنفسِ هنا هو الذاتُ.

ومعناها أَنَّهُ سُبْحَانَهُ غَيْرُ مُفْتَقِرٍ إِلَى مُوجِدٍ يَوْجِدُهُ وَلَا إِلَى مُحَلٍّ يَقُومُ بِهِ أَوْ بَعْبَارَةٍ أُخْرَى غَنِيٍّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يَحْتَاجُ لَشَيْءٍ وَلَا يَتَكَمَّلُ بِشَيْءٍ... فهو سُبْحَانَهُ:

1- لا يَحْتَاجُ إِلَى ذَاتٍ يَقُومُ بِهَا .

2- لا يَحْتَاجُ إِلَى فَاعِلٍ (أَيِ مُخَصِّصٍ) يَوْجِدُهُ..

لأنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَاتٌ مُتَّصِفَةٌ بِصِفَاتٍ..

وضربوا لذلك مثلاً (بأنَّ الذات لا تقوم بالذات): كالولد لا يفتقر لأبيه ليقوم به لأنَّه ذاتٌ.. وأمَّا الذي يفتقر إلى ذاتٍ يقوم بها فهو الصِّفَةُ..

فمولانا عزَّ وجلَّ غنيُّ بذاته عن كلِّ شيءٍ ولذلك قال لنا في كتابه الكريم (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) فاطر 15

وقال أيضا (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) الرعد 33.

ومَّا يُثَبِّتُ لَهُ هَذِهِ الصِّفَةُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ) الاخلاص..

ولفظُ الصمدِ يَجْسِدُ معنى صفةِ القيامِ بالذاتِ إذ معناه: الذي لا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ وَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ.

وَمِنْ الْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَى ثَبُوتِ هَذِهِ الصِّفَةِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَوْ افْتَقَرَ إِلَى مُحَلٍّ أَوْ ذَاتٍ يَقُومُ بِهَا لَكَانَ عَرَضًا (أَيِ صِفَةً) وَهُوَ مُحَالٌ. لأنَّه لَوْ كَانَ صِفَةً لَمَا صَحَّ أَنْ تَقُومَ بِهِ الصِّفَاتُ إِذِ الصِّفَاتُ لَا تَقُومُ إِلَّا بِالذَّاتِ وَقَدْ ثَبَتَ لَهُ تَعَالَى صِفَاتُ الْكَمَالِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَاتٌ وَلَيْسَ صِفَةً.

كما أَنَّهُ لَوْ افْتَقَرَ إِلَى فَاعِلٍ أَوْ مُخَصِّصٍ لَكَانَ حَادِثًا وَهُوَ مُحَالٌ أَيْضًا لَمَا ثَبَتَ مِنْ قَدَمِهِ تَعَالَى فِي الدُّرُوسِ السَّابِقَةِ.

وهنا يَجِبُ عَلَيْنَا الْإِعْتِقَادُ أَنَّهُ تَعَالَى:

1- لَيْسَ بِجِسْمٍ يَمَلَأُ الْفَرَاغَ.

- 2- ولا صفة تقوم بموصوفها.

- 3- وهو ذات متصفة بصفات.

- 4- وهو الغني عن كل شيء.. .

وأما العبد فصفتة العجز والجهل والفقر والضعف
وصفة الحق جلّ جلاله تضاد صفات العبد لأن صفته تعالى القدرة والعلم والغنى
والقوة:

وإذا عرف العبد نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم

وإذا عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة

وإذا عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغنى... وهكذا.

ورحم الله سيّدنا أبا سعيد الخراز⁽²⁾ إذ قال: (مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ)

فما هي الصفة السلبية الأخيرة.

يتبع 17 دروس العقيدة

هنا دمشق.

(2) الإمام أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز البغدادي، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث وإمام القوم في كل فن من علومهم (ت277هـ) من تلاميذ الإمام السري الشنقطي وتأثر به وصحب ذا النون المصري، مرقده بالقرب من الموصل- سير أعلام النبلاء 419/13

الدرس السابع عشر

من دروس العقيدة الإسلامية

صفة الوجدانية

إخوتي!

إِنَّ أَوَّلَ مَا يَجِبُ تَعَلُّمُهُ عَلَى الْعَبْدِ عِلْمُ التَّوْحِيدِ لِأَنَّ مَوْلَانَا عَزَّوَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لَذَنْبِكَ)

فهذه إشارة إلى عِلْمِ التَّوْحِيدِ بِقَوْلِهِ (فاعلم..) ثم إشارة إلى عِلْمِ الفروع ببقية الآية.. وقد قدَّمَ اللهُ تعالى ما فيه إشارة إلى عِلْمِ التَّوْحِيدِ على ما فيه إشارة إلى عِلْمِ الفرائض فَعَلَّمْنَا مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَوَّلَى مِنْ عِلْمِ الفروع، وهو أَفْضَلُ العلوم وأعلاها وأشرفها..

وَقَدْ حَصَّ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ بِهَذَا التَّرْقِي فِي هَذَا الْعِلْمِ فَقَالَ : (وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ خَشْيَةً لَهُ). . البخاري.

وقد اعتنى العلماء بهذا العلم تدریساً وتحفیظاً وتفہیماً حتى قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : (أحكمنا هذا قبل ذاك). أي أتقنا علم التوحيد قبل فروع الفقه. وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأيسر : (اعلم أن الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام).

وقال إمام الهدى سيدنا أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه : أول ما يجب على العبد العلم بالله ورسوله ودينه.

أحبتي: وقد تكلمنا حتى الآن :

عن الصفات الواجبة بحقه تعالى والتي سلبت عن الله تعالى ما لا يليق به أربع صفات وقد بقي منها:

صفةُ الوحدانية

وهي أشرفُ مباحثِ هذه العقيدة ومنها اشتُقَّ اسمُ علمِ التوحيد..
ولعظمِ العنايةِ به كثرَ التنبيهُ والثناءُ عليه في الآيِ القرآنيةِ وقال تعالى:
(وإلَهِكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ). " البقرة 163

وفي سبعٍ وثلاثينَ موضعاً من القرآنِ (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

أي لا معبودَ بحقٍ إلا الله.

وكان عليه الصلاة والسلامُ إذا تعارَّ من الليلِ (أي استيقظ) قال : (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
الواحدُ القهارُ ربُّ السمواتِ والأرضِ وما بينهما العزيزُ الغفار) البخاري.
والوحدانيةُ في حقِّه تعالى شاملةٌ لوحدانيةِ الذاتِ ووحدانيةِ الصفاتِ ووحدانيةِ
الأفعالِ..

فهو سُبْحَانُهُ واحدٌ في ذاته : وتعني:

- 1- عدمُ التركُّبِ في ذاته تعالى فهو ليسَ مركباً من أجزاء.

- 2- وتعني أيضاً عدمَ التعدُّدِ فيها فليسَ هناكُ إلهٌ ثانٍ.

ب.. واحدٌ في صفاته: ومعناه:

- 1- عدمُ تعدُّدِ صفتينِ من جنسٍ واحدٍ كقدرتينِ وإرادتينِ لأنَّه يلزمُ منه العجزُ
على الله تعالى أي لا يستطيعُ أنْ يوجدَ بقدرَةً واحدةً مثلاً وهو محال .

- 2- وتعني أيضاً: عدمُ ثبوتِ صفةٍ لغيره كصفته تعالى كأنْ يكونَ لغيره قدرةٌ
كقدرته أو عِلْمٌ كعلمه سبحانه....

ج.. وواحدٌ في أفعاله: ومعناه:

نفِي تأثيرِ غيره في فعلٍ ما ، بل الأفعالُ كُلُّها مخلوقةٌ لله سُبْحَانَهُ فهو القائلُ:
(واللهُ خَلَقَكُمْ وما تعملون) .. صافات 96 أي خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ عَمَلَكُمْ.

وقال في الدلالة على وحدانيته جلَّ وعلا (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ..)

الأنبياء 22

والآية تعني أنه لو لم يكن واحداً (وكان متعدداً) لم يكن العالم منتظماً لاختلاف الإلهين وتنازعهما على الألوهية ، لكنَّ المشاهد أنَّ العالم منتظم فوجب أن يكون الله تعالى واحداً .

لذلك قال لنبِّيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلّم: (فاعلم أنَّه لا إله إلا الله.)
(محمد 19)

سادتي!

وبذلك نكونُ قد أتينا على ذكرِ الصِّفاتِ السَّلبيةِ كُلِّها..

فماهي الصِّفاتُ المعاني؟

يتبع 18 دروس العقيدة

هنا دمشق.

الدرس الثامن عشر

من دروس العقيدة الإسلامية

الإلهيات: 3- صفات المعاني

مقدمة

بين يدي الكلام على الصفات المعاني

إخوتي

الصفة تطلق على المعنى الوجودي القائم بالموصوف؛ وعلى ما ليس بذاتٍ وهذا هو المراد هنا.

ثم إنَّ علينا أن نعتقد أنَّ الصفات الواجبة له تعالى كثيرة لا تنحصر فيما ذكر هنا لأنَّ صفاته تعالى الكمالية لا تنهاى إلا أنَّه لا يجب علينا التفصيل ما لم يُقَم عليه الدليل بالخصوص، بل الواجب أن نعتقد أنَّ كمالاته تعالى لا تنهاى على الإجمال ، وأمَّا ما قام عليه الدليل بخصوصه فيجب اعتقاده تفصيلاً. هذا أولاً.

ثانياً : إننا في دراستنا لقضايا العقيدة وبالضبط في الجانب الإلهي المتعالي لا نطمح أبداً إلى معرفة حقيقة ذاته سبحانه وكنهها على نحو ماهي عليه، ذلك أنَّ طبيعة إدراكنا وقصور عقولنا لا تسمح لنا بولوج عوالم الغيب والإحاطة بها ، بل كلُّ ما في الأمر أنَّنا نتعرف على الذات العلية للخالق عزَّوجلَّ من خلال صفاته وإبداعه وخلقِه.

إنَّ العقل - كما يقول ابن خلدون - ميزانٌ صحيحٌ فأحكامه يقينية لا كذب فيها غير أنَّك لا تطمح أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات

الإلهية وكلّ ما وراء طوره ، فإنّ ذلك طمعٌ في مُحال ، ومثالُ ذلك مثلُ رجلٍ رأى الميزانَ الذي يوزنُ به الذهبُ فطمعَ أن يزنَ به الجبالَ ، وهذا لا يُدرَك. على أنّ الميزانَ في أحكامه غيرُ صادقٍ لكنّ العقلَ قد يقفُ عنده ولا يتعدّى طوره حتى يكونَ له أن يُحيطَ بالله وبصفاته فإنّه ذرّةٌ من ذراتِ الوجودِ الحاصلِ منه ، وتفطّنَ في هذا الغلطِ مَنْ يقدّمُ العقلَ على السمعِ (الدليلُ النقليّ) في أمثالِ هذه القضايا وقصورِ فهمه واضمحلالِ رأيه.

تابعونا

يتبع 19 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس التاسع عشر

من دروس العقيدة الإسلامية

تابع / المقدمة/2

بين يدي الكلام على الصفات المعاني

إخوتي!

ما يجبُ على المسلم أن يعتقدَه في قضية الصفاتِ على سبيلِ الإجمالِ هو أن يعلمَ أنَّ ذاتَ الله تعالى توصفُ ولا تُدركُ فاللهُ سبحانه وتعالى خالقُ الكونِ وما كانَ للخالقِ مُخالفٌ لطبيعةِ المخلوقِ كما يختلفُ النجارُ عن البابِ الذي يصنعهُ، وعلى هذا يُرشدنا القرآنُ إلى معرفةِ الله بآثاره الدالة على صفاته وكمالِ جلاله وجماله ونزّهه عن المماثلة لخلقِه أو الاتحادِ أو الحُلُولِ في شيءٍ ممّا خلقَ.

وإلى هذه المعاني المتعالية يشيرُ ابنُ أبي زيدٍ القيرواني بقوله : (لا يبلغُ صفته الواصفونَ ولا يُحيطُ بأمره المتفكّرونَ، يعتبرُ المفكّرونَ بآياته ولا يتفكرونَ في ماهية ذاته).

وفي أوائلِ الدروسِ أوصدَ أَمَامَ الإنسانِ بابُ التطلُّعِ إلى معرفةِ حقيقةِ ذاته تعالى ، وصُرفَ عن محاولةِ التفكيرِ في هذا البابِ ، والعَجْزُ عن إدراكِ حقيقةِ الذاتِ الأقدسِ عقيدةٌ من عقائدِ الإيمانِ بالله تعالى ، وهو نفسه برهانٌ على سموِ الألوهيةِ الحقّةِ عن الدخولِ في دائرةِ التفكيرِ العقلي المحدودِ بطبيعته والذي لا يجدُ مجالاً لتخطّي ما وراء الكونِ.

إخوتي!

وقسّمنا الصفاتِ إلى ثلاثة أقسامٍ:

نفسية - وسلبية - ومعان

وتكلّمنا عن القسم الأول والثاني وبقي القسم الثالث وهي:
.....صفات المعاني.....

وحقيقة صفات المعاني هي الصفات الوجودية:
وهي كلُّ صفةٍ موجودةٍ في نفسها قائمةٌ بوجودٍ أي قائمةٌ بالذاتِ فلا تقوم بنفسها.
وهي سبعةٌ:

القدرة. الإرادة. العلم. الحياة. السمع. البصر. الكلام.
وكُلُّها قديمةٌ بذاتها (قَدَمُها ذاتي) وقَدَمُها بقدَمِ الذاتِ الأقدسِ جلّ جلاله لا تنفكُ
عن الذاتِ ، ولا يعقلُ قيامُ الذاتِ بدونها ، ولا وجودُها على غيرِ الذاتِ المقدّسِ.
وكما أنّها ليستَ بغيرِ الذاتِ ليستَ بعينها أيضا وهو واضحٌ وإلا لزمَ أنْ
تكونَ الذاتُ صفاتٍ وأنَّ الحياةَ عينُ العلمِ وهو باطل.
فما تفصيلُ ما أجمَلْتُ الكلامَ عليه..تابعونا..

يتبع 20 دروس العقيدة
هنا دمشق.

الدرس العشرون

من دروس العقيدة الإسلامية

الأدلة على العقائد

إخوتي

في خضم هذه المعاني الاعتقادية سأل سائل: هل من الضروري حفظ الأدلة العقلية

للعقائد ؟

الجواب: أهل الحق لا يشترطون ذلك.

وقد ضلت المعتزلة باشتراط معرفة الدليل العقلي لصحة الإيمان، وأما أهل الحق فلا يشترطون ذلك ولكنهم يرون الاستدلال على وجود الله تعالى بدليل عقلي ولو كان إجمالياً واجباً،

وهذا الدليل الإجمالي حاصل لكل مؤمن ولو لم يعرف ترتيب هذا الدليل، كأن يقال: العالم مُتَغَيِّرٌ، وكلُّ مُتَغَيِّرٍ حادثٌ، فالعالم حادث فلا بد له من محدثٍ وهذا المحدث (هذا الموجد) هو الذي يسمى الله، فإن من نظر بعقله نظراً صحيحاً يدله على ذلك.

والاستدلال الإجمالي لا يخلو منه المسلم العالم أو العامي ويسمى ذلك الاستدلال استدلالاً طبيعياً .

ولا يتصور فقدان الدليل الإجمالي في مسلمٍ إلا فيمن نشأ على شاهرٍ جبلٍ سمع أناساً يقولون : إن للخلق رباً خلقهم يستحقُّ العبادة عليهم، فصَدَّقَهُمْ إجلالاً لهم عن الخطأ واعتقد ذلك ولم يتفكر في شيء من الدليل، وهذا أيضاً إيمانه صحيح لكنه يجب عليه الاستدلال .

فالمؤمن الذي عنده أهلية الاستدلال ولم يستدلَّ قال أهل الحق : إنَّه عاصٍ .. وذلك لأن الله تبارك وتعالى أمر بالتفكير في خلقه ليستدلوا بحال العالم على وجود خالقه.

ثم بعد معرفة وجود الله تعالى وتفردِه باستحقاقِ العبادة (أي نهاية التذلل) يجب عليه معرفة بقية الثلاث عشرة صفة من صفات الله وهي :

الحياة، والقدرة، والإرادة، والعلم، والسمع، والبصر، والكلام.

والدليل الإجمالي لهذه الصفات هو أن يقال :

لو لم يكن الله تعالى متصفًا بهذه الصفات لم يكن العالم موجودًا، فهذا الاستدلال الإجمالي كافٍ للاستدلال الواجب.

وأما الأدلة التفصيلية فمعرفة لها ليست من فروض العين ، بل هي من فروض الكفاية، فإذا وجد في المسلمين من يعرف بقية الصفات الثلاث عشرة وما يتبع ذلك من أصول الاعتقاد بالدليل العقلي فقد أسقط الحرج عن غيره من المسلمين وذلك لأنه يحتاج إلى ذلك لرد شبه الملاحدة والمبتدعة في الاعتقاد .

فلو جاء ملحد وقال للمسلمين: أعطوني دليلًا عقليًا على وجود الله تعالى.

فلا بد من رفع شبهه وتشكيكاته بإيراد أدلة تفصيلية من البراهين العقلية لأن هذا الملحد إذا قيل له : قال الله تعالى: (أفى الله شك) (ابراهيم) وقال تعالى: (وهو على كل شيء قدير) (المائدة 120) وقال: (وهو بكل شيء عليم) (البقرة 29) وقال: (هو الأول) (الحديد 3) وقال: (إن الله لغني عن العالمين) (العنكبوت 6) ونحو ذلك،.. قال الملحد أنا لا أؤمن بكتابكم، أنا لا أريد أن تذكر لي من كتابكم شيئًا، فكيف تدفع شبهه تشكيكاته؟

مثال لذلك لو قال عابد الشمس: إن معبودي محسوس ظاهر نافع للإنسان ولسائر الحيوان والنبات والماء والهواء كيف لا يكون ديني هذا حقًا ونحن وأنتم نعلم أن هذا موجودٌ وهي محسوسة بحاسة البصر، فكيف تقولون: إن ديني هذا باطل،

فإن هذا إن قيل له : قال تعالى كذا يقول: أنا لا أؤمن بكتابكم ، أريد منكم دليلًا عقليًا، إن وجدتم ذلك وأقمتم لي فأنا أسلم لكم وإلا فكيف تطلبون مني أن أؤمن بدينكم.

فكيف تُقام على هذا الحجة؟.

فهؤلاء الذين يظنون أن علم التوحيد لا يشتمل على بيان البراهين العقلية مع الحاجة الشديدة إلى ذلك، لا يستطيعون أن يفهموا هذا الكافر وإنما يستطيع إفحامه السني الذي ينزه الله عن الكيف والحد والتحيز بالمكان والجهة، فيقول له : معبودك هذا له حد وشكل فيحتاج إلى من جعله على هذا الحد والشكل، والمعبود الحق هو الموجود الذي ليس له حد ولا شكل فلا يحتاج إلى غيره،

أما معبودك الذي هو الشمس فلا يصح في العقل أن يكون هو أوجد نفسه على هذا الحد وهذا الشكل، إنما الذي يستحق أن يُعبد هو معبودنا الذي هو موجود لا كالموجودات ، فهنا ينقطع عابد الشمس.

والقرآن أرشد إلى الاستدلال العقلي بعبدة آيات كقوله تعالى: (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) أي أن في أنفسكم دليلا على وجود الله .

وذكر لذلك بعض علماء العقيدة مثالا وهو أن يقال: أنا كنت بعد أن لم أكن، وما كان بعد أن لم يكن فلا بد له من مُكوّن ، فأنا لا بُد لي من مُكوّن.

ويُستنتج من هذا القول أن ذلك المكوّن لا يكون شبيها لي ولا لشيء ما من الحوادث التي هي مشاركة لي في الحدوث، وهذا المكوّن هو المسمّى الله تعالى. وقد حان الوقت للحديث عن صفات المعاني إن شاء الله تعالى...تابعونا..

يتبع 21 دروس العقيدة

هنا دمشق.

الدرس الواحد والعشرون

من دروس العقيدة الإسلامية

صفات المعاني

إخوتي!

تقدّم معنا من الصّفات:

1- الصّفةُ النفسيّةُ.

2- الصّفاتُ السّلبيةُ.

والآن نذكرُ القسمَ الثّالثَ وهو:

3- صّفاتُ المعاني:

وتُسمّى الصّفاتُ الذاتيّةُ لأنّها ملازمةٌ لذاتِ الله تعالى وهي: صفةُ العلم والإرادة والقدرة والحياة والكلام والسمع والبصر.

تعريفُ صّفاتِ المعاني:

هي صّفاتٌ موجودةٌ ثابتةٌ ملازمةٌ لذاتِ الله تعالى.

وقبل البدء في البحثِ نعرّفُ الفرقَ بينَ :

الصّفاتِ والأعراضِ وهو الفرقُ بينَ الخالقِ والمخلوقِ:

فصّفاتُ المعاني في المخلوقِ هي مجردُ أعراضٍ حادثَةٍ يتّصفُ بها المخلوقُ، فعلم المخلوقِ، وقوّته، وضعفه وحياته، ونحوها تسمّى صّفاتٍ معاني، ولكنها مجردُ أعراضٍ عرّضتْ وتزولُ، وليستْ ثابتةً، بل هي حادثَةٌ ومتغيّرةٌ.

أمّا صّفاتُ المعاني لله تعالى فهي ليستْ أعراضاً، بل هي صّفاتٌ ثابتةٌ ملازمةٌ للذّاتِ الإلهيةِ، قديمةٌ قدّمَ الله تعالى، لا تتغيّرُ ولا تتبدّلُ، وليستْ هي الذّاتُ ولا منفصلةٌ عن الذّاتِ، بل هي صّفاتٌ ملازمةٌ لذاتِ الله تعالى .

عدد صفات المعاني:

صفات المعاني لله تعالى لا حصر لها في عددٍ معيّنٍ ، ولكنّ أصولها التي وردت في النصوص وتأييدها البراهين العقلية الصحيحة هي سبع صفات وهي الحياة، والعلم، والكلام، والقدرة والإرادة، والسمع، والبصر، وليست صفات الكمال لله تعالى منحصرة في هذا العدد ، ولكنّ الذي يمكن أن يقطع المسلم بثبوته ممّا ورد في النصوص الشرعية هي الصفات السبع ، لأنّ غيرها ممّا ورد فمعناه في لغة العرب يرجع لشيء من هذه الصفات السبع ، ولا يستطيع المسلم أن يقطع بأنّ شيئاً ممّا ورد يختلف في معناه عن صفة من الصفات السبع ، وإنّما هو ظنّ فقط ، لا بالقطع ، والكلام بالظنّ في عدد صفات الله تعالى مخالف للمطلوب شرعاً في صفات الله وهو القطع وليس الظنّ ، لأنّ الظنّ في إثبات الصفات غير معتبر ، ولذا أثبت أهل السنة هذه الصفات السبع قطعاً ولم يخالف في ذلك أحد من أهل السنة ، وإنّما اختلفوا فيما زاد عن السبع ، فتمسك الجمهور بالقطع وابتعدوا عن الظنّ . وكلّ ما ورد في الصفات يرجع في معناه لشيء من هذه الصفات السبع .

أمثلة للإيضاح:

المثال الأول :

اسم الله الخبير يُشتق منه معنى يدلّ على وصف الله تعالى بالعلم بالأمور الباطنة ، فإذاً هذا المعنى داخل في معنى العلم وليس صفة مستقلة ، ولكنه علم خاصّ فيدخل في المعنى العام لصفة العلم . ومعلوم أنّ الخبرة في المخلوق هي علم حصل بعد التجارب ، ولا يمكن أن يوصف الله عزّ وجلّ بهذا المعنى ، وإنّما معناه العلم بالأمور الخفية الباطنة ، علم لم يُسبق بخفاء ، ولم يُسبق بعدم ، بل هو قديم قدّم الله تعالى . فإذاً هو يرجع في معناه لصفة العلم وليس صفة مستقلة تختلف عن معنى صفة العلم .

المثال الثاني: المهيمِنُ:

وهو القائم على خلقه ، وذلك باطِّلاعه عليهم ، وقدرته عليهم ، وحفظه لهم ، فمن تأمل وجد أنَّ المهيمِنُ يرجع من حيثُ معناه إلى صفتين هما : العلم ، والقدرة . فالهيمنةُ تدرجُ في معناها تحتَ صفةِ العلمِ من حيثُ الاطِّلاعُ على جميعِ خلقه ، وتحتَ صفةِ القدرةِ من حيثُ إنَّهم تحتَ تصرُّفه وقهره . فإذا لم تخرجِ الهيمنةُ في معناها لغةً وشرعاً عن صفةٍ من صفاتِ المعاني السَّبعة ، وليست مختلفةً عنها .

المثال الثالث : الرقيب " : إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " (النساء 1)

أي يعلمُ بأعمالهم ، فإذا هو من حيثُ معناه لغةً نوعٌ من العلم ، فيندرجُ في المعنى العامِّ لصفةِ العلم .

المثال الرابع: الخالقُ والمُصوِّرُ:

فمعنى الخالقِ من حيثُ الصفةُ هو القدرةُ على الإيجادِ . والتصويرُ هو نوعٌ من القدرةِ على الخلقِ ، ولكنَّ بهيئةٍ ووصفٍ مخصوصٍ ، فيكونُ جميلاً ، أو غيرَ جميلٍ ويكونُ بلونٍ معينٍ ، ويكونُ بتقاسيمٍ مخصوصةٍ ، وهكذا من أنواعِ التصويرِ ، فهذه المعاني دخلتُ تحتَ صفةِ القدرةِ من حيثُ الإيجادُ ، وتحتَ صفةِ الإرادةِ من حيثُ التخصيصُ . ومهما تأملتُ في معاني الأسماءِ الحُسنى ، وما يُشتقُّ منها من صفاتٍ ؛ تجدها كلّها تدخلُ تحتَ صفةِ العلمِ ، أو الإرادةِ ، أو القدرةِ .. وهكذا .

فما هي الصفةُ الأولى من الصِّفاتِ المعاني؟

يتبع 22 دروس العقيدة.

هنا دمشق.

الدرسُ الثاني والعشرون

من دروس العقيدة الإسلامية

صفة العلم

مقدمة وتعريف

إخوتي!

يُبهَرُنَا ما وَصَلَتْ إِلَيْهِ أوروبًا وأمريكا هذه الأيامُ من تَقَدُّمِ عِلْمِي هائلٍ في مجالِ الصِّناعةِ والتَّكْنُولُوجيا، وفي مجالِ التَّسْلِيحِ وغزوِ الفضاءِ، وفي مجالِ الطِّبِّ والتَّشخيصِ والعِلاجِ، وفي مجالِ الزَّراعةِ، والثَّروةِ الحَيَوانيةِ ، وعالمِ الغِذاءِ.

وها هي ذي اليابانُ والصينُ تدخلانِ حَلَبَةَ السِّباقِ في مجالِ الصناعاتِ الدقيقَةِ والثَّقِيلَةِ، وفي مجالِ الإلكترونياتِ، والسَّياراتِ، والمنسوجاتِ.

وتقفُزُ إلى السَّاحةِ كلُّ مَنْ : كوريا، وتايوان، وماليزيا وغيرها.

والجميعُ يحاولُ كَشْفَ أسرارِ الكونِ في الأنفُسِ والآفاقِ.

ومِنْ قَبْلِ ذلكَ كانتِ الحضارةُ الإسلاميَّةُ هي الرائدةُ في كافَّةِ المجالاتِ، وعنِها أخذتْ أوروبًا في جامعات: قرطبة، وطليطلة، وصقلية، وغيرها من جُزُرِ البحرِ الأبيضِ المتوسطِ التي كانتِ محلَّ الالتقاءِ.

فأفادتْ أوروبًا بِمَّا قَدَّمَهُ للبشريةُ أساتذةُ العلمِ المسلمونَ من أمثالِ : جابرِ بنِ حَيَّانَ في الكيمياءِ، والخازنِ والحسنِ بنِ الهيثمِ في الفيزياءِ، وابنِ سينا وأبي القاسمِ الزهراني في الطِّبِّ، والبُيُروني، واليُوزجاني، والخوارزمي، وعباسِ بنِ فِرْناسِ في الفلكِ والرياضياتِ.

فما أعظَمَ ما وَصَلَتْ إِلَيْهِ البشريةُ من علومٍ خلالَ تاريخِها الطويلِ ! وما أَكْثَرَ ما اكتشفَهُ الإنسانُ مِنْ معارفٍ في رحلاتِهِ للبحثِ عن المجهولِ!

كَمْ هَائِلٌ مِنَ الْعُلُومِ ! وَقَدْرٌ ضَخْمٌ مِنَ الْمَعَارِفِ !
 فإذا ما انتقلَ الْفِكْرُ مِنَ التَّأَمُّلِ فِي عِلْمِ الْإِنْسَانِ إِلَى التَّفَكُّرِ فِي الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ ، نجدُ
 الْحَقَّ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : { وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85) } [الإسراء]
 إِنَّهُ خَطَابٌ لِلْبَشَرِيَّةِ جَمِيعِهَا فِي كُلِّ عُصُورِهَا.
 أَمَّا عِلْمُهُ هُوَ جَلٌّ فِي عُلاهِ . فَإِنَّهُ يَقُولُ عَنْهُ : { إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98) } [طه]
 وَيَقُولُ : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (5) } [آل
 عمران] .

تعريفُ صفةِ الْعِلْمِ : .

عِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى : صِفَةُ وَجُودِيَّةٌ قَدِيمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى بِهَا تَنْكَشِفُ لَهُ جَمِيعُ الْأُمُورِ
 سَوَاءٌ كَانَتْ وَاجِبَةً ، أَوْ جَائِزَةً ، أَوْ مُسْتَحِيلَةً ، وَسَوَاءٌ كَانَتْ مَاضِيَةً ، أَوْ حَاضِرَةً ، أَوْ
 مُسْتَقْبَلَةً ، انْكِشَافًا تَامًا ، لَا يَسْبِقُهُ خَفَاءٌ أَوْ جَهْلٌ .
 فَالْعِلْمُ صِفَةٌ مِنَ الصِّفَاتِ الْوُجُودِيَّةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى زَائِدٍ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ
 كَمَا لَ يَجِبُ أَنْ يَتَّصِفَ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا .
 وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ الْوَاجِبَاتِ . فَهُوَ يَعْلَمُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ ، وَيَعْلَمُ الْجَائِزَاتِ وَهِيَ الْمَخْلُوقَاتُ
 ، بَلْ يَعْلَمُ الْمُسْتَحِيلَ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : { وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ } [الأنعام
 28/]

فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَا يُرَدُّونَ إِلَى الدُّنْيَا مَرَّةً أُخْرَى ، وَلَكِنْ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا إِلَى
 الْكُفْرِ .

وَقَالَ كَذَلِكَ : { وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ
 مُعْرِضُونَ (23) } [الأنفال]

وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ ، وَمَا يَكُونُ ، وَمَا لَا يَكُونُ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ .
 وَلَا يَتَغَيَّرُ عِلْمُهُ سُبْحَانَهُ بِتَغْيِيرِ الشَّيْءِ الْمَعْلُومِ .

وهذا العلم الإلهي لا يسبقه جهلٌ أو حَفَاءٌ، ولا يعترّيه ذُهوْلٌ أو نِسْيَانٌ. ويُطلَقُ (العلم) على البشر. كما قال تعالى : { يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجاتٍ } [المجادلة /11] وقال : { ولوطاً آتيناهُ حكماً وعِلماً } [الأنبياء /74]

وقال : { ولقد آتينا داودَ وسليمانَ عِلماً } [النمل /15]. وقال للمُصطفى صلى الله عليه وسلم : { وقُلْ رَبِّ زدني عِلماً (114) } [طه]. هكذا يُطلَقُ العلمُ على البشر، ولكن الاشتراك في اللَّفْظِ فقط، وليس المسمّى كالمسمّى،

فعلّمنا نحنُ حادثٌ مستفادٌ من الحواسِّ أو من التفكيرِ العقلي، وعلمُ الله قديمٌ أزلي، وعلمنا محدودٌ وقاصرٌ، وعلمُ الله كاملٌ محيطٌ إحاطةً تامةً بالكلياتِ والجزئيات. وعلمنا يحدثُ بعدَ حصولِ الشيءِ ، وعلمُ الله سابقٌ. وعلمنا يعترّيه النسيانُ والزَّوالُ ، وعلمُ الله ليس كذلك. وعلمنا بشيءٍ يشغلُّنا عن عِلْمنا بغيره ، واللهُ تعالى لا يشغله عِلْمٌ عن عِلْم.

يتبع 23 صفة العلم في القرآن والسنة
هنا دمشق.

الدرس الثالث والعشرون

من دروس العقيدة الإسلامية

صفة العلم / 2

صفة العلم في القرآن والسنة

إخوتي!

أثبت القرآن الكريم هذه الصفة لله تعالى فقال:

• (ولا يحيطونه بشيء من علمه إلا بما شاء) [البقرة / 522]

• (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه) . [النساء / 611].

• (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) [فاطر / 66 وفصلت / 74]

• { فاعلموا أنما أنزل بعلم الله } [هود / 67].

كما أورد أنه تعالى : (عالم الغيب والشهادة)

ومن أسمائه الحسنی: (العليم) قال تعالى: (ذلك تقدير العزيز العليم) [يس: 38]

وهو الذي لا يخفى عليه خافية ؛ ولا يعزب عن علمه قاصية ولا دانية.

ولم يرد وصفه تعالى بـ (العالمة) في الكتاب أو السنة ، فلا يجوز إطلاقه عليه، فهذه

اللفظة تستعمل لمن ترقى في العلم من القلة والنقصان إلى الكثرة والكمال البشري

ببذل غاية الجهد في طلب العلم.

ولم يكتف القرآن الكريم بإثبات (العلم) لله تعالى بهذه الصيغ ، بل نفى عن الله

تعالى أضداد العلم:

• فنفى عنه النسيان فقال :

(وما كان ربك نسيا) وقال:

(فما بال القرون الأولى) (26) { قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى } [طه: 25].

• ونفى عنه الجهل فقال :

(لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) سبا / 3

• ونفى عنه النوم فقال :

(لا تأخذه سنة ولا نوم) البقرة / 522.

ومن أسمائه الحسنی التي لها صلة بالعلم : .

1- اسمه (الحفيظ) وللحفظ معنيان:

(أ) أحدهما ضد التضييع . فهو حافظ السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما {
[البقرة / 522].

(ب) والآخر ضد السهو والنسيان . وهذا يرجع معناه إلى صفة العلم.

2- اسمه (الخبير) ومن معانيه : العالم بكنه الشيء

المطلع على حقيقته . قال تعالى : (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)
[الملك / 67].

3. اسمه (الشهيد) ومن معانيه : العالم . فهو عالم الغيب والشهادة، والغيب عبارة عما بطن، والشهادة عبارة عما ظهر . فإذا اعتبر العلم مطلقا، فهو العليم، وإذا أضيف إلى الغيبة والأمور الباطنة ، فهو الخبير،

وإذا أضيف إلى الأمور الحاضرة ، فهو الشهيد . قال تعالى : (وكفى بالله شهيدا)
[النساء / 47].

وتدبر هذه المواضع القرآنية الأربعة التي تعرض لنا نماذج من علمه تعالى :

الموضع الأول . قال تعالى : (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من

ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم) [المجادلة 4].

الموضع الثاني . قال سبحانه : (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) [الأنعام 27].

الموضع الثالث . قال عز وجل : (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) (8) عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال (7) سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار (61) [الرعد].

الموضع الرابع : قال تعالى : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) 37 [لقمان].

أما في السنة المطهرة ، فيقول صلى الله عليه وسلم : . • (اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي) . • (اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب.)

• وجاء في حديثه صلى الله عليه وسلم عن سيدنا موسى وسيدنا الخضر قوله : (وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة ، ثم نقر في البحر . فقال له سيدنا الخضر : ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر. !!) صحيح البخاري (3220)

الأدلة العقلية على اتصافه تعالى بصفة العلم : .

1. إن الله تعالى خالق للعالم خلقا متقنا محكما . يدل على كمال علمه جل في عاله.

وتأمل في نفسك ، وفيما حولك لترى العجب العجاب من الإبداع، والنظام، والإتقان، والإحكام. وهو دليل العلم، ويستحيل أن يكون المخلوق أكمل من الخالق.

وإذا ما رأيت مملكة النحل ، أو بيت العنكبوت ، فاعلم أن الذي ألهمها ذلك الصنع هو العليم الخبير (الذي خلق فسوى (5) والذي قدر فهدى (6)) [الأعلى.]

2. كما أنه ثبت أن الله خلق العالم باختياره، وقصده، وإرادته، وهذا يدل على أنه عالم، إذ يستحيل أن يتوجه اختياره، وقصده، وإرادته إلى شيء ليس معلوما له.

يتبع 24 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الرابع والعشرون

من دروس العقيدة الإسلامية

صفات المعاني: صفة الإرادة

مقدمة بين يدي الكلام على هذه الصفة..

لحظات تأمل :

جلس في الاستراحة المجاورة لحجرة الولادة، ينتظر البشرى السارة بميلاد أول أبنائه، فقد كان في علمه تعالى أن يهبه الذرية. وتحقق ما علمه الله، فحملت زوجته، واقترب موعد الوضع.

ولكن : أيكون ذكرا أم أنثى ؟ أيشبه أباه وأعمامه، أم أمه وأخواله؟ أيكون صالحا تقيا بارا بوالديه . أم غير ذلك ؟ وهل حان موعد وصوله إلى الدنيا؟ وفي هذا المكان من أرض الله ؟.

احتمالات كثيرة، وافتراضات عديدة.

وقطع أفكاره صوت يخبره بأن الولادة ليست قبل ساعة من الزمان .

فنزل إلى حديقة المستشفى يتجول ويتأمل.

أزهار وأشجار، ورود وثمار، جميلة المنظر، طيبة الرائحة، متباينة الأنواع، متعددة الألوان، مختلفة الأحجام، متفاضلة في الأكل!

سبحان الله ! الحديقة واحدة، والتربة واحدة، والجو واحد، وكلها يسقى بماء واحد.!

وصعد إلى هناك مرة أخرى، ليجد الخبر السار، وليسجد شكرا لله.

ما أعظم إرادة الله التي يختار بها ما شاء.!!

تعريف صفة الإرادة الإلهية :

هي صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى يخص بها الممكنات ببعض ما يجوز عليها من الأمور المتقابلة .

والإرادة والمشئمة بمعنى واحد.

فهي من نوع الصفات الوجودية الذاتية القديمة التي تقوم بذات الحق سبحانه، وتدل على معنى زائد على معنى ذاته تعالى.

وإذا كان علم الله تعالى صفة انكشاف، فإن إرادته صفة تخصيص، فهي تخصص الممكن . وهذا مجال عملها بالوجود أو العدم، وبالصفات المعينة الخاصة به، وبالزمن المحدد له .

وبالمكان المخصص له، وبالجهة المحددة له، وبالمقدار المعين الذي سيوجد عليه. وهكذا كل ما وجد في العالم من مخلوقات، وما يوجد الآن، وما سيوجد بعد ذلك. فالإرادة الإلهية هي التي ترجح الاحتمال الذي سيوجد عليه المخلوق من بين سائر الاحتمالات الأخرى التي يتصور أن يوجد عليها من الأمور المتقابلة التي جمعها أحدهم في قوله :

الممكنات المتقابلات	وجودنا والعدم والصفات
أزمنة أمكنة جهات	كذا المقادير روى الثقات.

ولا شأن للإرادة بالأمر الواجب، أو الأمر الممتنع . وبيان ذلك:

1. لو تعلق الأمر الواجب عقلا، فإما لترجيح وجوده، أو لترجيح عدمه، أما ترجيح وجوده، فهو محال ؛ لأنه موجود بالفعل، فكيف ترجح وجوده ؟ إنه تحصيل حاصل . وأما ترجيح عدمه، فالواجب العقلي غير قابل للعدم.

2. كذلك لا تتعلق إرادته تعالى بالأمر الممتنع عقلا ؛ لأنها لو تعلق به، فإما لترجيح وجوده، وهو غير قابل للوجود، وإما لترجيح عدمه، وعدمه حاصل.

إذن لا تتعلق الإرادة بالواجب، ولا بالمستحيل، بل بالأمر الممكن الوجود فقط.

ومعنى الإرادة الإلهية يختلف عن معنى الإرادة البشرية، فإن معنى إرادتنا للشئ :
القصد، والعزم، والتصميم على فعله، وهذا المعنى حادث لا يتناسب مع الله جل في
علاه.

كما أن إرادته تعالى وفعله متلازمان . بمعنى أنه تعالى إذا أراد أن يفعل فعل، وما
فعله فقد أراده، بخلاف العبد، فإنه يريد ما لا يفعل، وقد يفعل ما لا يريده، فلا
يوجد فعال لما يريد إلا الله وحده.

إرادته تعالى تشمل الخير والشر : .

أولا : مذهب أهل السنة : إن إرادة الله عامة تشمل الخير والشر، والطاعة والمعصية
واستدلوا على ذلك بما يلي : .

1. الآيات القرآنية تصرح بذلك . ومنها :

- {ونبلوكم بالشر والخير فتنة } [الأنبياء /35].
- {إن الإنسان خلق هلوعا (19) إذا مسه الشر جزوعا (20) وإذا مسه
الخير منوعا (21) } [المعارج].
- {وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على
كل شئ قدير (17) } [الأنعام].
- {قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا}
[الفتح /11]

2. إننا نرى الشر موجودا في العالم، فإذا لم يكن الله هو الذي أراد وقوعه، فمن
الذي أراد وقوعه ؟ هل هناك إله غير الله ؟.

3. يلزم أن يكون وجود الشر في العالم بطريق القصر والإكراه بالنسبة لله تعالى، وأنه
عاجز عن دفعه وإزالته، وهذا محال.

ومن أدب المسلم أن ينسب الخير إلى الله، والشر إلى نفسه . ولنتأمل قوله تعالى :
{ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة

يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا (78) { [النساء] .

{ كل من عند الله } هذا هو الحق . ولكن من حيث الأدب الذي ينبغي مع الله، فإننا ننسب الخير إلى الله، والشر إلى النفس . ولذلك جاءت الآية التي بعدها لبيان هذا : { ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك } [النساء /79]

والشر نوعان : .

1. شر محض لا خير فيه بوجه من الوجوه : وهذا النوع لا يخلقه الله تعالى ؛ لأنه عبث، وهو منزعه عنه . وهو المذكور في قوله صلى الله عليه وسلم : " لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك . أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت استغفرك وأتوب إليك"(1). أي الشر الكلي المطلق ليس إلى الله تعالى.
2. شر جزئي أو إضافي : وهذا يخلقه الله لحكمة يعلمها، فإن كان في الشيء شر من وجه، ففيه خير من وجوه . كنزول الأمطار التي ربما هدمت بعض البيوت، لكن فيها حياة للناس، وللحيوان، وللنبات، وكحرارة الشمس التي ربما آذت إنسانا، لكنها ضرورية للوجود.

وهذا النوع من الشر إذا أردنا نسبته إلى الله تعالى . فإما أن :

1. ندخله في عموم المخلوقات : كقوله تعالى: { الله خالق كل شيء } ولا نقول : الله خالق القردة، والكلاب، والخنازير.

2. أو ننسبه إلى سببه المباشر : كما في قوله تعالى : { من شر ما خلق }

3. أو نحذف الفاعل، ونبني الفعل للمجهول : كما في قوله سبحانه : { وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا } [الجن] فمع الشر قال : (أريد) ومع الخير والرشد ذكر الفاعل فقال : { أراد بهم ربهم رشدا . }

ثانيا : مذهب المعتزلة : يرون أن الله لا يريد الشر : ولا الكفر، ولا المعاصي، واستدلوا على ذلك بما يلي : .

1. الشرور والمعاصي غير مأمور بها، فلا تكون مرادة لله، فالإرادة والأمر شئ واحد.
2. لو كانت الشرور مرادة، لكان الكافر مطيعا بكفره، والعاصي مطيعا بمعصيته . لأن الطاعة تحصيل مراد المطاع.
3. لو كانت الشرور مرادة لوجب الرضا بها، والرضا بالكفر كفر. رد أهل السنة على هذه الأدلة : .

1. هذا الدليل مبني على أن الإرادة والأمر شئ واحد . وهو غير صحيح، كما سنذكره في فقرة قادمة.
2. الطاعة هي تحصيل ما أمر به المطاع، لا تحصيل ما أرادته.
3. لا يلزم من وجود الشرور وجوب الرضا بها . فنحن مأمورون بأن نرضى بما يحب الله، ونسخط ما يسخطه . وهناك فرق بين الإرادة والرضا كما سنذكره إن شاء الله وفيما يلي مواقف تدل على فساد رأي المعتزلة : .

1. حكى أن القاضي عبد الجبار المعتزلي دخل على صاحب ابن عباد، وعنده الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، وهو أحد علماء أهل السنة . فلما رأى الأستاذ قال : سبحان من تنزه عن الفحشاء.

فقال الأستاذ : سبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء.

فقال عبد الجبار : أفيريد ربنا أن يعصى ؟

فقال الأستاذ : أفيعصى ربنا كرها ؟

فقال عبد الجبار : أرايت إن منعي الهدى، وقضى على بالردى أحسن إلي أم أساء؟ فقال الأستاذ: إن منعك ما هو لك، فقد أساء، وإن منعك ما هو له فهو يخص برحمته من يشاء.

2. ووقف أعرابي على حلقة فيها (عمرو بن عبيد) أحد كبار المعتزلة.

فقال: ياهؤلاء، إن ناقتي سرقت، فادعوا الله أن يردها على.
فقال عمرو بن عبيد : اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته فسرقت، فارددها عليه.
فقال الأعرابي : لا حاجة لي في دعائك.

قال : ولم ؟

قال : أخاف . كما أراد أن لا تسرق فسرقت . أن يريد ردها فلا ترد.

وهكذا يتبين لنا فساد رأي المعتزلة وصحة كلام الأشاعرة.

فماهي الأدلة السمعية والعقلية لصفة الإرادة..؟

يتبع 25 دروس العقيدة

هنا دمشق.

الدرس الخامس والعشرون

من دروس العقيدة الإسلامية

الأدلة السمعية والعقلية على صفة الإرادة

إخوتي!

الأدلة السمعية على صفة الإرادة كثيرة في القرآن الكريم والسنة المطهرة :

1. من القرآن الكريم : يقول الله تعالى:

• {وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ (14) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15) فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ(16)} [

البروج]

• {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ } [القصص /68]

• {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَوَرُ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ(50)} [الشورى].

• { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَذَلُّ مَنْ تَشَاءُ } [آل عمران /26].

2. ومن السنة المطهرة :

. عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" لا يقل أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت، ليعزم مسألته، إنه يفعل ما يشاء، لا مكره له. " متفق عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه من الركوع قال : " اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات وملء الأرض، وما بينهما،

وَمِلءَ مَا شئتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ . أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَهُ الْعَبْدُ وَكَلَّمَا لَكَ عَبْدٌ، لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ، وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعَتْ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ." رواه الإمام مسلم في صحيحه.

• ((الجدُّ: الحظ والغنى، لا ينفع ذا الحظ في الدنيا منك حظه: فلا ينجيه حظه منك، وإنما ينفعه العمل الصالح))

ثانياً : الأدلة العقلية :

1. إذا نظرنا إلى مخلوقات الله تعالى، نجد أنَّ بعضها متقدِّمٌ، وبعضها متأخِّرٌ، ويجوز عقلاً تقدُّمُ ما هو متأخِّرٌ . وتأخُّرُ ما هو متقدِّمٌ . فاختصاصُ بعضها بالتقدُّمِ، وبعضها بالتأخُّرِ لابدُّ أن يكونَ بتخصيصِ مُخصَّصٍ، وإرادةٍ فاعلٍ مختارٍ.
2. وإذا تأملنا هذه الكائناتِ، رأينا مظاهرَ التَّنَوُّعِ باديةً فيها، والتنوُّعُ مظهرُ الإرادة الحرة.

تدبَّرْ هذه المواضعَ القرآنيةَ التي تشيرُ إلى ظاهرةِ التَّنَوُّعِ:

• {والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير (45)} [النور].

• {وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون} [الرعد].

• { ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود (27) ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور (29) } [فاطر]

والإرادةُ صالحةٌ في الأزلِ لتخصيصِ كلِّ مُمكنٍ بأيِّ أمرٍ مِنَ الأمورِ . وهو معنى قولهم صلوحى قديم .

و تخصيصُهُ في الأزلِ بالذي سيوجدُ عليه بأحدِ الأمورِ بعينه . وهو معنى قولهم تنجيزي قديم .

أنواعُ الإرادةِ :

. إرادتهُ سبحانه وتعالى نوعانِ :

1. إرادةٌ قدريةٌ كونيةٌ خلقيةٌ : وهي المشيئةُ الشاملةُ لجميعِ الموجوداتِ كما في قوله تعالى :

• { وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (253) } [البقرة] .

• { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً } [يونس/91] .

• { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (40) } [النحل]

2. إرادةٌ دينيةٌ أمريةٌ شرعيةٌ : وهي المتضمنةُ للمحبةِ والرِّضا . كقوله تعالى :

• { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } [البقرة /185] .

• { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26) } (واللهُ يريدُ أن يتوبَ عليكم ويريدُ الذين يتَّبِعُونَ الشهواتِ

أن تَمِيلُوا ميلاً عظيماً (27) يريدُ اللهُ أن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً

(28) } [النساء] .

• { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ

{ [المائدة /6] .

والفرقُ بينَ الإرادتينِ : أنَّ الكونيةَ يلزمُ فيها وقوعُ المرادِ، ولا يلزمُ أن يكونَ محبوباً لله

تعالى، وأمَّا الشرعيةُ، فيلزمُ أن يكونَ المرادُ فيها محبوباً لله، ولا يلزمُ وقوعه .

فما الفرقُ بينَ الإرادةِ والأمرِ والرِّضا..؟

يتبع 26 دروسَ العقيدةِ

هنا دمشق.

الدرس السادس والعشرون

من دروس العقيدة الإسلامية

صفات المعاني: الإرادة

الفرق بين الإرادة والأمر والرضا

أولاً - الإرادة والأمر :

يختلف معنى الإرادة عن معنى الأمر، فإذا كانت الإرادة هي الصفة التي تختار للمخلوق أوصافه التي سيكون عليها، فإن الأمر طلب حصول الفعل. فهما متغايران:

1. فقد يريد الله شيئاً، ويأمر به، كإيمان سيدنا أبي بكر الصديق، فإيمانه أمر الله به، وأرادَه دليل وقوعه، فإنه لا يقع في ملك الله إلا ما أَرَادَهُ . وهنا اجتمعت الإرادة الكونية والشرعية.

2. وقد يريد الله شيئاً، ولا يأمر به . مثل كفر أبي لهب، فقد أَرَادَهُ الله دليل وقوعه، ولكنه تعالى لم يأمر أبا لهب بالكفر، وهنا وجدت الإرادة الكونية، وانتفت الشرعية.

3. وقد يأمر الله بشيء، ولا يريده، كإيمان أبي جهل، فإيمانه أمر الله تعالى به، ولم يرده منه دليل عدم وقوعه، وهنا وجدت الإرادة الشرعية، وانتفت الكونية.

4. وقد لا يأمر الله بشيء، ولا يريده، مثل كفر الأنبياء، عليهم السلام، فانتفت الإرادتان.

وهناك فرق بين إرادة المريد أن يفعل، وبين إرادته من غيره أن يفعل، فإذا أراد الفاعل أن يفعل شيئاً، فهذه الإرادة تتعلق بفعله هو، أما إذا أراد من غيره أن يفعل

شيئاً . فهذه الإرادةُ تتعلّق بفعلٍ غيره . والإرادةُ الأولى لا تحتاجُ إلى الأمرِ، بينما تحتاجُ الإرادةُ الثانيةُ إلى الأمرِ.

واللهُ تعالى إذا أمرَ العبادَ بأمرٍ، فقد يريدُ إعانةَ المأمورِ على ما أمره به، وقد لا يريدُ إعانتَه، وإن كان مريداً منه الفعلُ.

فاللهُ قد أمرَ الخلقَ بطاعته، ولكنّ منهم من أرادَ أنْ يخلقَ فعله، ومنهم من لم يُردْ، فجعله خلقه سبحانه لأفعالِ العبادِ غيرُ جهةِ أمره، فهو قد أمرَ فرعونَ وأبا لهبٍ بالإيمانِ ولكنّ لا يلزمُ من أمره أنْ يعينَهم على تحقيقِ الفعلِ، فهو يخلقُ ما يخلقُ لحكمةٍ.

ومثالُ ذلكَ الذي جاءَ من أقصى المدينةِ يسعى . وقال لسيدنا موسى عليه السلامُ:
{ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) }
[القصص]

فهذا مصلحتهُ في أنْ يأمرَ سيدنا موسى بالخروجِ، لا في أنْ يعينه على ذلكَ، إذ لو أعانهُ لضرّه قومه . فلا يلزمُ من أنْ يكونَ في الأمرِ حكمةٌ أنْ يكونَ في الإعانةِ على فعلِ المأمورِ به حكمةٌ، بل قد تكونُ الحِكمةُ في عدمِ الإعانةِ.

ثانياً - الإرادةُ والرّضا :

الرّضا معناه : قبولُ الشيءِ، واستحسانه، ومحَبّته، وتركُ الاعتراضِ عليه، فمعناه مختلفٌ عن معنى الإرادةِ . :

1. فقد يريدُ اللهُ شيئاً، ويرضَى عنه : كإيمانِ المؤمنينَ، وتوبةِ التائبينَ.
 2. وقد يريدُ اللهُ شيئاً، ولا يرضَى عنه، ولا يحبُّه : كمعاصي المؤمنينَ، وكفرِ الكافرينَ. فهي بإرادته تعالى، ومع ذلكَ لا يحبُّها، ولا يرضَى عنها.
- كما قالَ : { وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ } [الزمر/7] وإنْ كَانَ الْكُفْرُ وَقَعاً بِمَشِيئَتِهِ تَعَالَى.

وكما قال: { لا يحبُّ الله الجَهرَ بالسوءِ مِنَ القولِ إلا مَنْ ظَلَمَ } [النساء/148]
وقال : { يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا
يرضى من القول } [النساء /108] أي البهتان، وشهادة الزور، وبراءة الجاني،
ورمي البريء.

وأخبر في كتابه أنه لا يحبُّ المعتدين، ولا الظالمين . ولا الكافرين، ولا المفسدين، ولا
المسرفين، ولا الخائنين، ولا المستكبرين، ولا مَنْ كان مختالاً فخوراً.
فإن قيل : كيف يريدُ اللهُ أمراً، ولا يرضاهُ، ولا يحبُّه ؟ وكيف تجتمعُ إرادتهُ لشيءٍ
وبغضه وكرهيته له ؟

فالجوابُ : أنَّ المرادَ نوعانِ : مرادٌ لنفسه، ومرادٌ لغيره..

1. فالمرادُ لنفسه : محبوبٌ لذاته، ولما فيه من الخير، فهو مرادٌ لإرادة الغايات
والمقاصد.

2. والمرادُ لغيره : قد لا يكونُ مقصوداً للمريد، ولا فيه مصلحةٌ له بالنظرِ إلى ذاته،
وإنَّ كانَ وسيلةً إلى مقصوده ومراده، فهو مكروهٌ له من حيثُ نفسه وذاته، مرادٌ له
من حيثُ إيصاله إلى مراده، فيجتمعُ فيه الأمرانِ : بغضه وإرادته ولا يتنافيانِ
لاختلافِ متعلّقهما.

وذلك مثلُ الدواءِ الكريه إذا علمَ المريضُ أنَّ فيه شفاءً، وكقطعِ العضو المتأكلِ إذا
علمَ أنَّ في قطعِهِ بقاءَ جسده، وكقطعِ المسافةِ الشاقّة، إذا علمَ أنَّها توصلُ إلى
محبوبه.

فهو سبحانه يكرهُ الشيءَ، ومع ذلكَ يريدُه، لأنَّه سببٌ إلى أمرٍ أحبُّ إليه.
فقد أرادَ اللهُ خلقَ إبليسَ وهو أصلُ الشرِّ والفسادِ، ومع ذلكَ هو وسيلةٌ إلى محابِّ
كثيرةٍ للربِّ تبارك وتعالى، ترتبتُ على خلقه، ووجودها أقربُ إليه من عدمها . من
ذلك:

1. أن يظهر للعباد قدرة الرب على خلق المتضادات المتقابلات : فقد خلق شرّ الخلق إبليس، كما خلق خير الخلق سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلّم، كما خلق الليل والنهار، والداء والدواء، والحياة والموت، والحرّ والبرد، والذكر والأنثى . فهذا من أدلّ الدلائل على كمال قدرته عزّ وجلّ.

2. ظهور آثار أسمائه القهرية : كالقهار، والمنتقم، والعدل، والضاير، الشديد العقاب، والخافض، والمذلّ.

فهذه الأسماء كمال لله تعالى، ولا بدّ من وجود متعلّقها، ولو كان الخلق جميعاً في طبيعة الملائكة، لم تظهر آثار هذه الأسماء.

3. ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه، ومغفرته وسره، وتجاوزه عن حقّه، وعتقه لمن شاء من عبيده . فلولا خلق ما يكرهه، ما ظهرت آثار هذه الأسماء المباركة . وقد أشار سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلّم إلى هذا بقوله : " والذي نفسي بيده لو لم تذبّوا، لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم. "

4. ظهور آثار أسمائه الحكمة والخبرة، فإنّه سبحانه الحكيم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الحرمان والمنع مكان العطاء والفضل، ولا الفضل والعطاء موضع الحرمان والمنع، ولا الثواب موضع العقاب، ولا العقاب موضع الثواب، ولا العزّ مكان الذلّ، ولا الذلّ مكان العزّ.

فلو قدر عدم الأسباب المكروهة، لتعطّلت حكم كثيرة، ولفاتت مصالح عديدة، ولو عطّلت تلك الأسباب لما فيها من الشرّ، لتعطّل الخير الذي هو أعظم من الخير الذي في تلك الأسباب . وهذا كالشمس، والمطر، والرياح التي فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل من الشرّ . كما سبق أن أشرنا.

5. حصول أنواع مختلفة من العبودية لله، لولا خلق إبليس لما حصلت . مثل عبودية الجهاد، ولو كان الناس كلهم مؤمنين، لتعطّلت هذه العبودية، وتوابعها من الموالاة لله، والمعاداة فيه.

ومثل عبودية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وعبودية الصبر، ومخالفة الهوى، وإيثار محاب الله على محاب النفس.

وعبودية التوبة، والاستغفار، والاستعاذة بالله أن يجيره من عدوه، ويعصمه من كيده وأذاه.

إلى غير ذلك من الحكيم التي تعجز العقول عن إدراكها.

فإن قيل : هل كان يمكن وجود تلك الحكيم بدون هذه الأسباب ؟

فهذا سؤال فاسد، وهو فرض وجود الملزوم بدون لازمه، كفرض وجود الابن بدون الأب، والحركة بدون المتحرك، والتوبة بدون التائب.

فإن قيل : كيف يرضى لعبده شيئاً، ولا يعينه عليه ؟

قلنا : لأن إعانته عليه تستلزم فوات محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التي رضيها له، وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي أكره إليه سبحانه من محبته لتلك الطاعة.

وقد أشار تعالى إلى ذلك في قوله : { ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبّطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين (46) لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين (47) } [التوبة].

فأخبر سبحانه أنه كره انبعاثهم وخروجهم إلى الغزو مع رسوله . وهو طاعة . فلمّا كرهه منهم، تَبَطَّهْم عنه، ثمَّ ذَكَرَ سبحانه بعضَ المفاوِـد التي كانت تترتبُ على خروجهم مع رسوله : { لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا } أي فساداً وشرّاً { وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ } أي سَعَوْا بينكم بالفسادِ والشرِّ { يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ } أي قابلونَ منهم، مستجيبونَ لهم، فيتولَّد من سعي هؤلاء، وقبولِ هؤلاءِ مِنَ الشرِّ ما هوَ أعظمُ مِنْ مصلحةِ خروجهم، فاقتضتْ الحكمةُ والرحمةُ أَنْ أقعدهم. فهذا مثالٌ يقاسُ عليه.

فماهي صفة القدرة؟

يتبع 27 دروس العقيدة

هنا دمشق.

الدرسُ السابعُ والعشرون

من دروسِ العقيدةِ الإسلاميةِ

صفات المعاني: صفةُ القدرةِ

إخوتي!

سافرتُ فوقَ سِلْسِلَةِ جِبَالٍ ممتدةٍ ساعاتٍ طويلةً، وهالني مَنْظَرُ الْوُدَيَانِ الْخُضِرِ،
وَالْجِبَالِ الشُّمِّ الْمُخْتَلِفَةِ فِي ارْتِفَاعِهَا، وَأَشْكَالِهَا، وَأَلْوَانِهَا : بِيضٌ، وَحُمْرٌ، وَغَرَايِبُ سُودٌ
. سُبْحَانَ اللَّهِ !!

وَنَزَلْنَا لِنَسْتَرِيحَ، وَاسْتَلْقَيْتُ عَلَى ظَهْرِي، وَعَيْنَايَ تَجُولُ فِي السَّمَاءِ، وَقَدْ دَخَلَ اللَّيْلُ،
وَبَدَتْ النُّجُومُ، تُرَى مَا عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ ؟
تَذَكَّرْتُ مَا أَجَابَ بِهِ أَحَدُ عُلَمَاءِ الْفَلَكَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ : عَدْدُهَا عَدَدَ حَبَاتِ
الرِّمَالِ الْمَوْجُودَةِ عَلَى شَوَاطِيءِ بَحَارِ الْعَالَمِ !! سُبْحَانَ اللَّهِ!!
وَدَاعَبَنِي النَّوْمُ . وَمَا أَحْلَى النَّوْمَ بَعْدَ التَّعَبِ ! إِنَّهُ آيَةٌ عَظِيمَةٌ، وَنِعْمَةٌ جَلِيلَةٌ.
وَانْتَبَهْتُ عَلَى صَوْتِ رَفِيقِي : هَيَّا لِنَتَعَشَّى . أَتَأْكُلُ مِنَ السَّمَكِ أَمْ مِنَ الدَّجَاجِ؟
قُلْتُ : سَمَكٌ وَدَجَاجٌ وَسَطُ الصَّحْرَاءِ ؟

سُبْحَانَ اللَّهِ !! مَا أَعْظَمَ قُدْرَةَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ!!

وهذي الصَّحَارِي وَالْجِبَالُ الرَّوَاسِيَا	سَلِ الْوَاحَةَ الْخَضْرَاءَ وَالْمَاءَ جَارِيَا
سَلِ اللَّيْلَ وَالْإِصْبَاحَ وَالطَّيْرَ شَادِيَا	سَلِ الرُّوضَ مَزْدَانًا سَلِ الزَّهَرَ وَالنَّدَا
وَسَلِ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُ الْحَمْدَ سَارِيَا	وَسَلِ هَذِهِ الْأَنْسَامَ وَالْأَرْضَ وَالسَّمََا
فَمَنْ غَيْرُ رَبِّي يَرْجِعُ الصُّبْحَ ثَانِيَا.	فَلَوْ جُنُّ هَذَا اللَّيْلُ وَامْتَدَّ سَرْمَدًا

فَتَعَالَوْا أَتَعَرَّفْ مَعَكُمْ عَلَى صِفَةِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى :

. هِيَ صِفَةُ وُجُودِيَّةٍ أَرْلِيَّةٍ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، يَتَأَتَّى بِهَا إِيجَادُ الْمُمْكِنَاتِ وَإِعْدَامُهَا عَلَى
وُفْقِ عِلْمِهِ تَعَالَى وَإِرَادَتِهِ.

فإذا كَانَ عِلْمُ اللَّهِ صِفَةً انْكِشَافٍ، وَإِرَادَتُهُ صِفَةً تَخْصِصٍ، فَإِنَّ قُدْرَتَهُ صِفَةً تَأْثِيرٍ وَتَنْفِيزٍ لِمَا عِلِمُهُ وَأَرَادَهُ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ .

فإذا عِلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ سَيَكُونُ لَكَ غُلَامٌ واختارت الإرادة الإلهية، ورجحت الصفات التي سَيَكُونُ عَلَيْهَا الغُلامُ، فَإِنَّ اللَّهَ بِقُدْرَتِهِ الإلهية هُوَ الَّذِي سَيَبْرُزُ هَذَا الغلامُ إِلَى الوجودِ.

فَبالقُدرةِ يَكُونُ الإيجادُ، وبالقُدرةِ يَكُونُ الإعدامُ، وبالقُدرةِ يَكُونُ الخلقُ، وبالقُدرةِ يَكُونُ الرِّزْقُ، وبالقُدرةِ كانتِ الأرضُ مهاداً، والجبالُ أوتاداً، وبالقُدرةِ كانَ النُّومُ سُبَاتاً، والليلُ لباساً، والنَّهارُ مَعاشاً، وبالقُدرةِ يَكُونُ إِرْسَالُ الرِّيحِ، وإِنزَالُ مِياهِ الأمطارِ، وإنباتُ الزُّروعِ والثَّمَرِ والأشجارِ..

والقُدرةُ كَالإِرَادَةِ لَا تَتَعَلَّقُ بِالْأَمْرِ الْوَاجِبِ ؛ لِأَنَّهَا لَوْ تَعَلَّقَتْ بِهِ لَإِيجَادِهِ يَكُونُ تَحْصِيلُ حَاصِلٍ، وَلَوْ تَعَلَّقَتْ بِهِ لِإِعْدَامِهِ، كَانَ قَلْباً لِلْحَقَائِقِ، لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ الْعَدَمَ.

كَذَلِكَ لَا تَتَعَلَّقُ الْقُدرةُ بِالْأَمْرِ الْمُسْتَحِيلِ؛ لِأَنَّهَا لَوْ تَعَلَّقَتْ بِهِ لَإِيجَادِهِ، كَانَ قَلْباً لِلْحَقَائِقِ، لِأَنَّهُ غَيْرُ قَابِلٍ لِلوجودِ، وَلَوْ تَعَلَّقَتْ بِهِ لِإِعْدَامِهِ، كَانَ تَحْصِيلُ حَاصِلٍ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (البقرة/284) أَي كُلُّ شَيْءٍ مُمَكِّنٌ قَابِلٌ لِلوجودِ وَالْعَدَمِ. أَمَّا الْمَحَالُّ لِذَاتِهِ مِثْلُ كَوْنِ الشَّيْءِ مَوْجُوداً مَعْدُوماً فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ، فَلَا تَتَعَلَّقُ بِهِ الْقُدرةُ.

وَعُمُومُ لَفْظِ (كُلِّ) فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِحَسَبِهِ. وَيُعْرَفُ ذَلِكَ بِالْقَرَأَيْنِ:

فَقَوْلُهُ تَعَالَى عَنِ الرِّيحِ الَّتِي أَرْسَلَهَا عَلَى عَادٍ: {تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ} . [الأحقاف/25]

أَي تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ يَقْبَلُ التَّدْمِيرَ وَيَسْتَحِقُّهُ . فَمَسَاكِينُهُمْ . وَإِنْ كَانَتْ شَيْئاً لَمْ تَدْخُلْ فِي عُمُومِ: (كُلِّ) .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى عَنِ بَلْقِيسَ: {وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} [النمل/23] أَي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَلُوكُ. وَهَكَذَا.

وقُدْرَةُ اللَّهِ تَخْتَلِفُ عَنْ قُدْرَةِ الْعَبْدِ، لِأَنَّ قُدْرَةَ الْعَبْدِ حَادِثَةٌ وَمَحْدُودَةٌ، وَمُحَالٌ أَنْ يَوْصَفَ
غَيْرُ اللَّهِ بِالْقُدْرَةِ الْمُطْلَقَةِ، وَإِذَا قُلْنَا : فَلَانٌ مِنَ الْخَلْقِ قَادِرٌ، فَعَلَى سَبِيلِ التَّقْيِيدِ . أَيْ:
قَادِرٌ عَلَى كَذَا . وَلَا يُقَالُ : قَادِرٌ مُطْلَقًا.

وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يُوصَفُ أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ بِالْقُدْرَةِ مِنْ وَجْهِ إِلَّا وَيَصِحُّ أَنْ يَوْصَفَ بِالْعَجْزِ
مِنْ وَجْهِ آخَرَ، بَلْ مِنْ وَجْهِ أُخْرَى.

وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَنْتَفِي عَنْهُ الْعَجْزُ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ.

وقُدْرَتُهُ تَعَالَى تَعْمَلُ وَفَقَّ النَّوَامِيسِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي أَوْدَعَهَا فِي هَذَا الْكَوْنِ، وَحَسَبَ
قَانُونِ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ الَّذِي بَنَى عَلَيْهِ هَذَا الْوُجُودَ .

فَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنَّ تَوْجِدَ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ الشَّيْءَ عَقِبَ حَدُوثِ سَبَبِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ
يَخْرِقُ اللَّهُ هَذِهِ الْعَادَةَ إِذَا شَاءَ فَلَا يَأْتِي بِالْمُسَبَّبِ عَقِبَ السَّبَبِ؛ كَتَخْلُفِ الْإِحْرَاقِ
عَنِ النَّارِ، كَمَا فَعَلَهُ مَعَ خَلِيلِهِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. أَوْ
يَأْتِي بِالْمُسَبَّبَاتِ بِدُونِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الْمُعْتَادَةِ ؛ كَمَا خَلَقَ سَيِّدَنَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ مِنْ
غَيْرِ أَنْ يَمْسَسَهَا بَشَرٌ لِيُبَيِّنَ طَلَاقَةَ قُدْرَتِهِ تَعَالَى، وَأَنَّهَا تَفْعَلُ بِسَبَبٍ وَبِدُونِ سَبَبٍ، وَلَعَلَّ
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ (52)} [المائدة/52]
إِشَارَةً إِلَى ذَلِكَ، فَالْفَتْحُ يَكُونُ بِالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، وَأَمَّا الْأَمْرُ الَّذِي مِنْ عِنْدِهِ،
فَيَكُونُ بِكُنْ فَيَكُونُ.

وَفِعَلُ اللَّهِ تَعَالَى نَوْعَانِ :

1. نَوْعٌ أَبْدَعُهُ كَامِلًا، لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، إِلَى أَنْ يَشَاءَ فَنَاءَهُ أَوْ تَبْدِيلَهُ: كَالسَّمَوَاتِ
2. وَنَوْعٌ جَعَلَ أَصُولَهُ مَوْجُودَةً بِالْفِعْلِ، وَأَجْزَاءَهُ مَوْجُودَةً بِالْقُوَّةِ. وَقُدْرُهُ عَلَى وَجْهِ لَا
يَتَأْتَى مِنْهُ غَيْرُ مَا قَدَّرَهُ فِيهِ. كَتَقْدِيرِهِ فِي بُدُورِ الْقَمْحِ أَنْ يَنْبَتَ مِنْهَا الْقَمْحُ دُونَ غَيْرِهِ
مِنَ النَّبَاتَاتِ، وَتَقْدِيرُهُ لِمَنِ الْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ الْإِنْسَانُ دُونَ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ
فَمَا دَوْرُ الْعَبْدِ فِي ذَلِكَ؟!

يتبع 28 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرسُ الثامن والعشرون

من دروس العقيدة الإسلامية

صفات المعاني: صفة القدرة 2

نسبة الفعل بين الرب والعبد

إخوتي

نلاحظُ أنَّ الآياتِ القرآنيةَ، والأحاديثَ النبويةَ، قد تنسبُ بعضَ الأفعالِ التي نعلمُ يقيناً أنَّها من فعلِ الله تعالى، ومن مظاهرِ قدرته عزَّ وجلَّ تنسبُها إلى العبدِ، وذلك باعتبارِ أنَّه كان سبباً فيها، وبأشَرِ إيجادها.
من أمثلة ذلك:

1. نعلمُ أنَّ الذي يهبُ الدُّريةَ هو الله تعالى . قال سبحانه : { لله مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50) } [الشورى].
ونرى أنَّ القرآنَ الكريمَ ينسبُ ذلكَ إلى سيِّدنا جبريلَ عليه السَّلامُ . قال سبحانه :
{ واذكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) } [مريم].

2. نعلمُ أنَّ الذي يُدبِّرُ الأمرَ هو الله جلَّ في علاه.
ونرى القرآنَ الكريمَ ينسبُ ذلكَ إلى بعضِ الملائكةِ . قال سبحانه : { وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (1) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (2) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (3) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (4) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (5) } { النازعات . }

3. نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَرْزُقُ عِبَادَهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ نَرَاهُ يَنْسُبُ الرِّزْقَ إِلَى الْخَلْقِ .
قَالَ سُبْحَانَهُ :

{ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ
وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (5) } [النساء] .

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : { وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ

فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (8) } [النساء]

4. نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمَغْنِي وَمَعَ ذَلِكَ يُسْنِدُ هَذَا إِلَى رَسُولِهِ وَيُشْرِكُهُ مَعَهُ بِوَائِ
الْعَطْفِ فِي الْإِعْنَاءِ . قَالَ تَعَالَى : { وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ
فَضْلِهِ } [التوبة / 74]

5. وَالَّذِي يَفْرَجُ الْكَرْبَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالَّذِي يُيَسِّرُ الْأُمُورَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالَّذِي
يَسْتُرُ الْعِبَادَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَمَعَ ذَلِكَ نَجِدُ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْسُبُ ذَلِكَ إِلَى الْعِبَادِ .
فَيَقُولُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : " مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا ، نَفَسَ
اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ " (مسلم 4 /
2074) .

6. وَالَّذِي يُغِيثُ الْمَلْهُوفَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَنَجِدُ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " مَنْ أَغَاثَ مَلْهُوفًا ، كَتَبَ اللَّهُ
لَهُ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ مَغْفِرَةً " (خ في التاريخ والبيهقي في شعب الإيمان جامع الأحاديث
109 / 6) .

7. وَالَّذِي يُفَرِّغُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى .

ونجدُ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عِبَادًا اخْتَصَّاهُمْ
بِحَوَائِجِ النَّاسِ، يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ أَوْلَئِكَ الْآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ"
(الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما جامع الأحاديث 48/2).

وَهَكَذَا يُنْسَبُ الْفِعْلُ إِلَى اللَّهِ نِسْبَةً حَقِيقَةً.

وَيُنْسَبُ إِلَى الْعَبْدِ نِسْبَةً سَبَبِيَّةً.

فَمَا هِيَ الْأَدَلَةُ النَّقْلِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ عَلَى صِفَةِ الْقُدْرَةِ ؟

يَتَّبَعُ 29 دُرُوسَ الْعَقِيدَةِ.

هُنَا دِمَشْقُ.

الدرسُ التاسع والعشرون
مِنْ دُرُوسِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
صفات المعاني: صفةُ القُدرةِ 3
صفةُ القدرةِ في القرآنِ الكريمِ

إخوتي!

لَمْ تَرِدْ لَفْظَةُ (القدرة) كما جاءتْ صِفَةُ (العِلْمِ) وَلَكِنْ وَرَدَ وَصْفُهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ : (قَدِيرٌ
(قَالَ سُُبْحَانَهُ : { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) } [
الملك] .

وَالْقَدِيرُ هُوَ الْفَاعِلُ لِمَا يَشَاءُ عَلَى قَدَرٍ مَا تَقْتَضِي الْحِكْمَةُ بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ .
وَمِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى :

(الْقَادِرُ) قَالَ تَعَالَى : { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ
أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يُلَبِّسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ
نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (65) } [الأنعام]

وَقَالَ سُُبْحَانَهُ : { فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (23) } [المرسلات] .
وَوَرَدَ أَنَّهُ تَعَالَى (الْمُقْتَدِرُ) قَالَ سُُبْحَانَهُ : { وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (45)
{ [الكهف] .

وَقَالَ : { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَهْرٍ (54) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ
مُقْتَدِرٍ (55) } [القمر] .

وَوَرَدَ أَنَّهُ { ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) } [الذاريات] .
فَالْقُوَّةُ كِمَالُ الْقُدْرَةِ، وَالْمَتَانَةُ كِمَالُ الْقُوَّةِ، وَكَوْنُ الشَّيْءِ يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ يُسَمَّى قُوَّةً،
وَكَوْنُهُ لَا يَتَأَثَّرُ بِغَيْرِهِ يُسَمَّى أَيْضًا قُوَّةً.

فالإنسان الذي يَقْوَى على أَنْ يَصْرَعَ النَّاسَ يُسَمَّى قَوِيًّا، والإنسان الذي لَا يَنْصَرِعُ مِنْ أَحَدٍ يُسَمَّى أَيْضاً قَوِيًّا.

وبهذا التفسير يُسَمَّى الحَجَرُ والحديدُ قَوِيًّا شديداً.

إذا تَأَمَّلْنَا هذا، عَلِمْنَا أَنَّ الْقَوِيَّ على الْحَقِيقَةِ لَيْسَ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاهُ.

وَلَمْ يَكْتَفِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِإِثْبَاتِ صِفَةِ الْقُدْرَةِ لِلَّهِ تَعَالَى فَقَطْ، بَلْ أَكَّدَ ذَلِكَ بِأُمُورٍ:

1. إِنَّهُ مَنْزَعٌ عَنِ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ } [ق] أي تعب، وهذا رد على اليهود.

2. إِنَّ قُدْرَتَهُ سَبْحَانَهُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى آلَاتٍ، أَوْ أَدَوَاتٍ، أَوْ مَوَادٍّ : { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) } [يس].

3. إِنَّهُ لَا تَفَاوُتَ فِي قُدْرَتِهِ بَيْنَ فِعْلِ الْكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ : { وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (77) } [النحل].

وَمِنْ حَدِيثِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنْ مَظَاهِرِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى نَحْتَارُ مَوْضِعَيْنِ:

المَوْضِعُ الْأَوَّلُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20) }

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21) }

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ السِّنِّتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ (22) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (23) }

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (24) }

وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ مِنْ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (25) وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (26) وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27) { [الروم] .

المَوْضِعُ الثَّانِي : قَالَ سُبْحَانَهُ:

{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ { [الزمر / 21]

فبِقُدْرَةِ اللَّهِ تَبَخَّرَ الشَّمْسُ مِاءَ الْبَحَارِ وَالْمَحِيطَاتِ، فَتَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ مَاءً عَذْبًا، لِأَنَّ التَّبَخِيرَ يَخْلُصُهُ مِنَ الْأَمْلَاحِ الَّتِي تَضُرُّ الْإِنْسَانَ، وَالْحَيَوَانَ، وَالنَّبَاتَ.

قَالَ تَعَالَى : { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ(69) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ(70) } [الواقعة] .

لَكِنْ لَوْ ظَلَّ هَذَا الْمَاءُ يَرْتَفِعُ فِي الْفَضَاءِ لَتَبَدَّدَ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ، فَاقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ وَقُدْرَتُهُ أَنْ يَتَكَثَّفَ بِالْبُرُودَةِ، وَلَكِنْ كَيْفَ ذَلِكَ ؟

كَانَ الظَّاهِرُ أَنَّ تَزْدَادَ الْحَرَارَةَ كُلَّمَا ارْتَفَعْنَا إِلَى أَعْلَى، لِأَنَّا نَقْتَرِبُ مِنَ الشَّمْسِ، وَهِيَ مَصْدَرُ الْحَرَارَةِ، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ يَزْدَادَ بُحَارُ الْمَاءِ حَرَارَةً، كُلَّمَا ارْتَفَعَ إِلَى أَعْلَى، فَيَخْفُضُ وَزْنَهُ، فَيَرْتَفِعُ أَكْثَرَ فِي السَّمَاءِ، فَلَا يَنْزِلُ أَبَدًا إِلَى الْأَرْضِ.

هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ لَنَا، لَكِنَّ اللَّهَ قَضَى بَعَكْسِ مَا نَظُنُّ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ . فَقَدْ قَضَى سُبْحَانَهُ أَنَّ تَنْخَفِضَ الْحَرَارَةُ كُلَّمَا ارْتَفَعْنَا إِلَى أَعْلَى حَتَّى نَصِلَ إِلَى مَسَافَةِ ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ فَوْقَ سَطْحِ الْبَحْرِ، وَهَذِهِ هِيَ مَنْطِقَةُ تَكُونِ السَّحَابِ، وَهِيَ فَوْقَ أَعْلَى الْجِبَالِ.

وَبَعْدَ هَذِهِ الْمَنْطِقَةِ نَجِدُ مَنْطِقَةً ثَانِيَةً، تَبْتَدِئُ فِيهَا دَرَجَةُ الْحَرَارَةِ وَلَا تَتَغَيَّرُ، حَتَّى ارْتِفَاعِ ثَلَاثِينَ مِيلًا فَوْقَ سَطْحِ الْأَرْضِ، بَعْدَهَا تَبْدَأُ مَنْطِقَةُ الثَّلَاثَةِ تَبْدَأُ دَرَجَةُ الْحَرَارَةِ فِيهَا فِي الارتفاعِ الشَّدِيدِ، تَلِيهَا مَنْطِقَةٌ أُخْرَى فِيهَا تَنْخَفِضُ دَرَجَةُ الْحَرَارَةِ !

تأمل مظهر القدرة الإلهية في التصميم المحكم لطبقات الجوِّ ممَّا يضمن ارتفاع ماء البحر العذب فوق مُستوى الجبال، ثمَّ وقوة تكثُّفه بالبرودة الموجودة في الطبقة الأولى، حتَّى لا يغادر الأرض . قال تعالى :

{ وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكنناه في الأرض وإنَّا على ذهابٍ به لقادرون }
(18) [المؤمنون]

ولما كان بخار الماء خفيفاً لا يرى، فقد اقتضت حكمته تعالى وقدرته أن يرسل الرياح محمَّلةً بذرات الدخان، والأتربة، وحبوب اللقاح، فتتلقح جزئيات بخار الماء بها، فتثيرها وتحركها، وتتجمَّع حتَّى تصير سحاباً ثقيلاً لا يغادر غلاف الأرض.

تدبَّر قوله تعالى : { الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون. (48) } [الروم]

كسفاً : قطعاً . الودق : المطر .

ويأمر الله الرياح بنقل هذا الماء من البحار إلى أعماق القارات . قال تعالى : { وهو الذي يرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته حتَّى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلدٍ ميث فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات } [الأعراف/57]
وتأمل توزيع الماء العذب في غروق الأرض، وكيف أنَّ الأرض تحفظه من التعفن، وكيف تحفظه قريباً من سطحها، حتَّى يُمكن الانتفاع به في شكل عيون وآبار، تحتها صخور المياه الجوفية، حتَّى لا تغور في أعماق الأرض.

اقرأ قوله تعالى : { قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماءٍ معين (30)

{ [الملك] هذه مظاهر قدرة الله تعالى في القرآن الكريم

فماذا جاء في السُّنة المطهَّرة عن صفة القدرة..

يتبع 30 دروس العقيدة.

هنا دمشق.

الدرس الثلاثون

من دروس العقيدة الإسلامية

صفات المعاني: صفة القدرة 4

صفة القدرة في السنة المطهرة

إخوتي!

المطلع على السنة المطهرة يجد الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم يحدثنا بكلامه عن صفة القدرة الإلهية .منها:

1. قال صلى الله عليه وسلم : " اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. " (خ)

2. وقال صلى الله عليه وسلم للمريض : " ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل : باسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر. "

3. وقال صلى الله عليه وسلم : " إذا أراد الله خلق شيء، لم يمنعه شيء " (م1438)

4. وعن أنس بن مالك أن رجلا قال : يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال : " أليس الذي أمشاه على رجله في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة " قال قتادة : بلى وعزة ربنا. (ق)

5. وكان صلى الله عليه وسلم يقول خلف الصلاة : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد " (ق) الجد: الغنى أو الحظ. منك هنا =عندك.

6. وعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : { كل يوم هو في شأن } قال : " من شأنه أن يغفر ذنبا، ويفرج كربا، ويرفع قوما، ويخفض آخرين." (جه 202)

فما هو الدليل العقلي على صفة القدرة ؟

يتبع 31 دروس العقيدة

هنا دمشق.

الدرسُ الواحد والثلاثون
من دروس العقيدة الإسلامية
صفات المعاني: صفة القدرة 5
الدليل العقلي على صفة القدرة

إخوتي!

الدَّرسُ اليومَ لِدَارسِي العَقيدةِ لا لَعَرِهِم لَصُعوبةِ فهمه.
أقول:

لو لم يكن الله تعالى قادراً، لكان عاجزاً، ولو كان عاجزاً ما وُجدَ شيءٌ من هذه
الموجوداتِ...

وعدم وجودها باطلٌ بالمشاهدة (أي أننا نشاهدُ الكونَ موجوداً بأعيننا)...،
فَبَطَلَ ما أَدَّى إِلَيْهِ، وهو اتصافه تعالى بالعجزِ
وَوَجَبَ اتِّصافه بالقدرة. هذا يُسمَّى بالدَّليلِ العَقلي.
ولِصفةِ القُدرةِ تَعَلُّقاتٌ أو بتعبيرٍ آخرَ (وظائفُ):

وظيفتانِ إجمالاً وهما :

1. تَعَلُّقُ صَلَوحِي قديمٍ: فهي صالحةٌ للإيجادِ والإعدامِ في الأزلِ فيما لا يَزَالُ أي فيما
بعد الأزل.

2. تَعَلُّقُ تَنجِيزِي حَدِثٍ : وهو تأثيرُها وإيجادُها للأشياءِ بالفعل.

وأَمَّا تَفْصِيلاً: فَيُمْكِنُ أَنْ تَتَصَوَّرَ تَعَلُّقاتِ القُدرةِ هكذا :

أولاً : التَعَلُّقُ الصَّلَوحِي القَدِيمُ المَذْكُورُ في البِدايةِ.

ثانياً : كَوْنُ المِمكنِ فيما لا يَزَالُ قَبْلَ وجودِهِ في قَبْضةِ القُدرةِ : إِنَّ شاءَ أَبْقاهُ اللهُ
على عَدَمِهِ، وَإِنْ شاءَ أَوْجَدَهُ بها.

ثالثاً : إيجاد الله تعالى المخلوق بها فيما لا يزال (فيما بعد الأزل).
رابعاً : كون الممكن حال وجوده في قبضة القدرة :

إن شاء أبقاه الله على وجوده، وإن شاء أعدمه بها . (إن شاء أبقاه حياً وإن شاء أماته)

خامساً : إعدام الله الشيء بالفعل عندما يحين وقت عدمه (موته مثلاً) .

سادساً : كون الممكن حالة عدمه في قبضتها : إن شاء أبقاه على عدمه، وإن شاء أوجدته بها (أي يوم القيامة) .

سابعاً : إيجاد الله تعالى بها المخلوقات يوم البعث .

فهي سبعة وظائف أو تعلقات ..

أحبي

وبذلك نكون قد أنهينا الحديث عن صفة القدرة . فما هي الصفة الرابعة من الصفات المعاني ..

يتبع 32 دروس العقيدة

هنا دمشق .

الدرسُ الثاني والثلاثون

من دروس العقيدة الإسلامية

صفات المعاني: صفة الحياة

إخوتي!

صفة الحياة : صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى، تصحح اتصافه تعالى بالعلم والإرادة والقدرة، ونحو ذلك من الصفات التي تستلزم حياة المتصف بها. وحياة الله تعالى تختلف عن معنى حياة مخلوقاته، وليس في إمكان البشر أن يصلوا إلى حقيقة معنى حياته تعالى . بل إنَّ البشر يقفون عاجزين عن فهم معنى الحياة بالنسبة للمخلوقات.

إننا لا نفهم من معنى حياة النباتات إلا النمو. ولا نفهم من معنى حياة الحيوانات إلا النمو، والإحساس، والحركة الإرادية. ولا نفهم من معنى حياة الإنسان إلا النمو والإحساس والحركة والتفكير. أمّا حقيقة معنى الحياة، فهذا شيء صعب المنال . فما بالك بإدراك حقيقة حياته عز وجل!!

وقد وردت الأدلة النقلية تثبت تلك الصفة:

- {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} [البقرة /255].
- {وعنت الوجوه للحي القيوم} [طه/111].
- {وتوكل على الحي الذي لا يموت} [الفرقان /58].

فحياته تعالى لا يلحقها فناء، ولا عدم، ولا موت.

حكى أنه مات ابن لرجل : فبكى حتى عمي، فقيل له : الذنب لك، حيث أحببت حياً يموت، هلاً أحببت الحي الذي لا يموت.(سبحانه وتعالى)

وكما أنَّه تعالى (حيٌّ) فهو (مُحيي) فيُحيي الإنسانَ والحيوانَ بِخُلُقِ الروحِ في الجسدِ، ويحيي الأرضَ بِإِنزالِ الغيثِ عليها.

وكما أنَّه المحيي، فهو (المميتُ) قال تعالى: {الذي خلق الموتَ والحياةَ} [الملئ] 2/.

وإنَّما تَمَدَّحُ بالإِمَانَةِ ؛ لِيَعْلَمَ الخَلْقُ أنَّه قادرٌ على التَصَرُّفِ في الأشياءِ كيفَ شاءَ. والفرقُ بينَ صِفَةِ (الحياةِ) و (المحيي) أنَّ الصِّفَةَ الأولى ذاتيةٌ، والثانية فعليةٌ، وكان سيدنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ في دعائه: "يا حيُّ يا قيومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ" (نـبز) القيوم القائم بنفسه المقيم لغيره.

أمَّا الدَّلِيلُ العقليُّ على اتِّصافِهِ تعالى بِصِفَةِ الحياةِ فهو: أنَّه تعالى ثَبَتَ أنَّه مَتَّصِفٌ بِالْعِلْمِ، وَالْإِرَادَةِ، وَالْقُدْرَةِ، وَكُلُّ مَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ فهو حيٌّ. فمن المسلمِّ عقلاً أنَّ المَيِّتَ لا يكونُ عالماً قادراً.

ومن أينَ هذه الحياةُ التي نراها في العالمِ إنْ لم تكنْ هبةً منَ الحيِّ الذي لا يموتُ ؟ سبحانه وتعالى فما هي صفة السمع له تعالى؟

يتبعُ 33 دروسَ العقيدة.

هنا دِمَشْقُ.

الدرس الثالث والثلاثون

من دروس العقيدة الإسلامية

صفات المعاني: صفة السَّمْع

إخوتي!

سَمِعَ اللهُ تعالى صفةً من صفاته الوجودية الأزلية القائمة بذاته تعالى، تَنَكَّشُ بِهَا لَهُ جميع الأصوات الموجودة، ليست بأذنٍ أو آلة، كسَمْعِ المخلوقات تعالى اللهُ عن ذلك .

إِنَّهُ يَسْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي هَذَا الوجودِ .

إِنَّهُ يَسْمَعُ دُيُوبَ النَّملَةِ السوداء، على الصَّخْرَةِ الملساء، في الليلة الظلماء.

إِنَّهُ يَسْمَعُ دَعَوَاتِ عِبَادِهِ، وتَضَرُّعَهُمْ إِلَيْهِ، ولا يَشْغُلُهُ نَدَاءٌ عن نَدَاءٍ، ولا تَمْنَعُهُ إجابةُ دَعَاءٍ عن دَعَاءٍ، وتَأَمَّلْ ما يَكُونُ يَوْمَ عَرَفَةَ قُبَيْلَ الغروبِ مَنْ ضيُوفِ الرَّحْمَنِ، وما يَكُونُ حَوْلَ بَيْتِ اللهِ الحرامِ.

وصفة السَّمْعِ غيرُ صفةِ العِلْمِ . قَالَ تعالى : { وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } فلو كَانَ السَّمْعُ هو العِلْمُ، لَكَانَ تَكَرَّارًا، لا فائدةَ فِيهِ تَنَزَّهَ الْقُرْآنُ عَنْهُ.

وعندما أَرْسَلَ اللهُ تعالى سَيِّدَنَا موسى وسَيِّدَنَا هَارُونَ قَالَ لهما : { إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) } [طه].

وقَالَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَكِيدُونَ لِحَبِيبِهِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سَرَّهُمْ وَنَجْواهُمْ بَلَى وَرَسَلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُوبُونَ } [الزخرف]

وعندما جَاءَتْ السَّيِّدَةُ (خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ) تَجَادَلُ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَأْنِهَا نَزَلَ قَوْلُهُ تعالى : { قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا

وتشتكي إلى الله والله يسمعُ تحاوركما إنَّ الله سميعٌ بصيرٌ (1) { [المجادلة]
قالت أمُّ المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها :

"الحمدُ لله الذي وسَّعَ سمعه الأصواتِ، لقد جاءت المجادلةُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في جانبِ البيتِ تحدِّثه، ما أسمعُ ما تقولُ " ولكنَّ الله سميعٌ قولها". (خ)
ولما رأى سيِّدنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه يرفعون أصواتهم بالتكبير،
أشفقَ عليهم، ودنا منهم وقال : " أربِعوا على أنفسِكم . إنَّكم ليسَ تدعون أصمَّ،
ولا غائباً . إنَّكم تدعون سميعاً قريباً " . (م)

لا تسألنَّ بُنيَّ آدمَ حاجةً وسَلِ الذي أبوابه لا تُحجبُ.
الله يغضبُ إنْ تركتَ سؤاله وبُنيَّ آدمَ حينَ يُسألُ يغضبُ.

والدليلُ العقليُّ على اتِّصافِهِ تعالى بالسمعِ :

أنَّه لو لم يتَّصفَ بالسمعِ، لاتَّصفَ بضدِّه، وهو الصَّمَمُ، والصَّمَمُ نقصٌ، وهو على
الإلهِ مُحالٌ.

كما أنَّ في المخلوقاتِ نعمةَ السَّمْعِ، وهي هبةٌ من الله تعالى، ولا يُعقلُ أنْ يكونَ
واهبُها فاقداً لها ؛ فلو لم يكنْ سميعاً، لكانَ في المخلوقاتِ ما هو أكملُ من خالقِها
. وهذا مُحالٌ.

فماهي الصِّفَةُ التَّالِيَةُ؟

يتبع 34 دروسَ العقيدة.

هنا دمشق.

الدرسُ الرابع والثلاثون

من دروس العقيدة الإسلامية

صفة البصر

إخوتي!

صفة البصر لله تعالى صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى تنكشف له بها جميع المشاهدات الموجودة، وهي ليست بجارحة وحاسية، كبصر المخلوقات ؛ لأن الله منزّه عن ذلك.

وهي صفة تعم جميع الموجودات، ولذلك قيل: إذا عصيت مولاك، فاعصه في موضع لا يراك . سيدنا (إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه)

ومن أسمائه الحسنى:

(البصير) وهو الذي يشاهد ويرى، حتى لا يغيب عنه ما تحت الثرى.

قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. }

وقال سبحانه : { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (10) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (12) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (13) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (14) } [العلق].

وقال صلى الله عليه وسلم : "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. " (ق)

وقد عاب خليل الله سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام على الأصنام أنها لا تسمع ولا تبصر، فلا تصلح للعبادة، ولا للألوهية. فقال لأبيه :

{ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) } [مريم]،
وقال لقومه عبّاد الأصنام:

{هل يسمعونكم إذ تدعون (72) أو ينفعونكم أو يضرون (73) }
[الشعراء].

الدليل العقلي:

أنَّه تعالى لو لم يتَّصف بالبصرِ لا يتَّصف بضدِّه، وهو العمى، وهو نقص والنقص على الله مُحالٌ.

والبصرُ كمالٌ، وكلُّ كمالٍ لله أولى أن يتَّصف به، ولا يُعقلُ أن يكونَ واهبُ البصرِ للمخلوقاتِ فاقداً له، وإلاَّ كانَ المخلوقُ أكملُ من الخالقِ وهو مُحالٌ.

وأجمعتِ الأُمَّةُ على اتِّصافِهِ تعالى بصِفَتِي السَّمْعِ والبَصَرِ.

يا مَنْ يَرى مَدَّ البعوضِ جناحَه	في ظلمةِ اللَّيلِ البَهِيمِ الأَليلِ.
ويرى نياطَ عروقِها في نُحرِها	والمَحَّ في تلكَ العِظامِ النُّحْلِ.
ويرى ويسمُعُ ما يَرى ما دُونِها	في قاعِ بَحْرٍ زاخِرٍ مُتَجَنِّدِلِ

سبحانك.. سبحانك.. سبحانك.

يتبعُ 35 دروسَ العقيدةِ

هنا دمشق.

الدرس الخامس والثلاثون
من دروس العقيدة الإسلامية
الأدلة والشواهد القرآنية على
5-6 صفات المعاني:
صفتي السمع والبصر لله تعالى

إخوتي.!

في إثبات صفتي السمع والبصر آيات سبع في كتاب مولانا عزوجل :
الآية الأولى : قوله تعالى:

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [المجادلة: 1].
* {قَدْ} : للتحقيق.

والمجادلة ُ : هي التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشتكي زوجها حين
ظاهر منها.

ففي هذا إثبات السمع لله سبحانه وتعالى، وأنه يسمع الأصوات مهما بُعدت
ومهما خفيت.

والسمع المضاف إلى الله عز وجل ينقسم إلى قسمين :

1-سمع يتعلق بالمسموعات، فيكون معناه إدراك الصوت .

2-وسمع بمعنى الاستجابة، فيكون معناه أن الله يجيب من دعاءه، لأن الدعاء
صوت ينطلق من الداعي، وسمع الله دعاءه، يعني: استجاب دعاءه، وليس المراد
سمعه مجرد سماع فقط، لأن هذا لا فائدة منه، بل الفائدة أن يستجيب الله الدعاء ..

الآية الثانية : قوله : {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ} [آل عمران: 181].

* {لَقَدْ} : جُمْلَةٌ مُؤَكِّدَةٌ بِاللَّامِ،

و(قَدْ)، والقسمُ المقدَّرُ، تقديرُه: والله، فهي مُؤَكِّدَةٌ بثلاثِ مُؤَكِّدَاتٍ.

والذين قالوا: {إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ} : هم اليهودُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، فهمُ وصفوا
اللَّهُ بِالْعَيْبِ، قالوا: {إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ}.

الآية الثالثة : قوله: {أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرَسُولُنَا بِهِمْ
يَكْتُبُونَ} [الزخرف: 80].

أي: بَلَى أَيْحَسِبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ.

*والسِرُّ : ما يسره الإنسانُ في نفسه (إخفاء الشيء وكتمانه)

والنجوى: ما يناجي به صاحبه ويخاطبه، وسمي تكليم الله سيدنا موسى مناجاةً لأنه
كان كلاماً أخفاه عن غيره.

والنداءُ: ما يرفعُ به صوتُه لصاحبه.

{وَرَسُولُنَا بِهِمْ يَكْتُبُونَ}، أي:

عندهم يكتبون ما يُسرون وما به يتناجون، والمراد بالرسْلِ هنا الملائكةُ الموكلونَ
بكتابة أعمال بني آدم، ففي هذه الآية إثباتُ أَنَّ اللَّهَ تعالى يسمعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ.

الآية الرابعة : قوله: {إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: 46].

*الخطابُ لسيدنا موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، يقولُ اللَّهُ سبحانه وتعالى

لهما: {إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى}، أي: أسمعُ ما تقولانِ، وأسمعُ ما يقالُ لكما،
وأراكُما، وأرى مَنْ أُرسلتما إليه، وأرى ما تفعلا، وأرى ما يُفعلُ بكما.

الآية الخامسة : قوله: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} [العلق: 14].

*الضميرُ في {أَلَمْ يَعْلَمْ} يعودُ إلى مَنْ يُسيءُ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لقوله: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (10) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى

(11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (12) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى (13) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى { [العلق: 9-14]،

وقد ذكر المفسرون أَنَّ المراد به أبو جهلٍ . وفي هذه الآية : إثباتُ صفةِ الرؤيةِ لله عز وجل.

والرؤيةُ المضافةُ إلى الله لها معنيان:

المعنى الأول: العلمُ .

المعنى الثاني: رؤيةُ المبصراتِ، يعني: إدراكُها بالبصرِ .

*وأما قوله: { أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى }، فهي صالحةٌ لأنْ تكونَ بمعنى العلمِ وبمعنى الرؤيةِ البصريةِ، وإذا كانتَ صالحةً لهما، ولا منافاةَ بينهما وجبَ أنْ تُحملَ عليهما جميعاً، فيقال: إِنَّ اللَّهَ يَرَى، أي: يعلمُ ما يفعلُه هذا الرجلُ وما يقوله، ويراهُ أيضاً.

الآيةُ السادسةُ : قوله: {الذي يراك حين تقوم (218) وتقلبك في الساجدين (219) إنه هو السميعُ العليمُ} [الشعراء: 218-220].

*والرؤيةُ هنا رؤيةُ البصرِ، لأنَّ قوله: {الذي يراك حين تقوم} لا تصحُّ أنْ تكونَ بمعنى العلمِ، لأنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِهِ حِينَ يَقُومُ وَقَبْلَ أَنْ يَقُومَ، وأيضاً لقوله: {وتقلبك في الساجدين} وهو يؤيدُ أَنَّ المرادَ بالرؤيةِ هنا رؤيةُ البصرِ .

*ومعنى الآيةِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرَاهُ حِينَ يَقُومُ لِلصَّلَاةِ وَحَدَهُ وَحِينَ يَتَقَلَّبُ فِي الصَّلَاةِ مع الساجدين في صلاة الجماعة.

وفي هذه الآيةِ الجمعُ بينَ السمعِ والرؤيةِ .

الآيةُ السابعةُ: قوله: {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون} [التوبة: 105].

قال ابنُ كثيرٍ وغيره: قال مجاهدٌ : هذا وعيدٌ . يعني من الله تعالى . للمخالفين أوامره، بأن أعمالهم ستعرضُ عليه وعلى الرسولِ والمؤمنين، وهذا كائنٌ لا محالة يومَ القيامة، وقد يظهرُ ذلك للناسِ في الدنيا.

والرؤية هنا شاملة للعلمية والبصرية.

ففي الآية: إثبات الرؤية بمعنيها: الرؤية العلمية، والرؤية البصرية.

فالرؤية تنقسم إلى قسمين :

1- رؤية: بمعنى العلم.

2- ورؤية: بمعنى إدراك المبصرات.

وكل ذلك ثابت لله عز وجل.

ما نستفيد من الناحية المسلكية في الإيمان بصفتي السمع والرؤية:

-أما الرؤية، فنستفيد من الإيمان بها الخوف والرجاء :

الخوف عند المعصية، لأن الله يرانا. والرجاء عند الطاعة، لأن الله يرانا.

ولا شك أنه سيثبنا على هذا، فتتقوى عزائمنا بطاعة الله، وتضعف إرادتنا لمعصيته.

-وأما السمع، فالأمر فيه ظاهر، لأن الإنسان إذا آمن بسمع الله، استلزم إيمانه

كمال مراقبة الله تعالى فيما يقول خوفاً ورجاءً: خوفاً، فلا يقول ما يسمع الله تعالى

منه من السوء، ورجاءً، فيقول الكلام الذي يرضي الله تعالى.

يتبع 36 دروس العقيدة

هنا دمشق.

الدرس السادس والثلاثون

من دروس العقيدة الإسلامية

بيان ثمره الإيمان

بصفتي السمع والبصر لله تعالى

إخوتي في الله!

فائدة الإيمان بهذا البصر - بإبصار الله تعالى هي مراقبة الله تعالى، مراقبته : فلا يقدم على ذنب ولا يعمل سيئة، إذا هم بشيء يقول : كيف أفعله وأنا أمام الله تعالى؟ يراني في كل حالاتي، وقد علمت بأنه قد نهاني، وقد حرّم عليّ ذلك،

فمن استحضر أنّ الله تعالى يراه في كل الحالات ؛ فإنه لا تحدّثه نفسه أن يقدم على ذنب أو يفعل أيّ معصية وهو يعلم أنّه بمراي ومسمع من الله تعالى، ويعلم أنّ ربّه حرّم عليه ذلك، وأنّه قادرٌ على أن يعذّبه، وينتقم منه .

ذكر أنّ رجلاً كان قد عشق امرأة، وأغرم بها فقال له بعض أصحابه: لو خلوت بها في مكان بعيد عن الناس، لا يراكما إلا الله، ماذا تفعل معها ؟

فقال: لا أجعل ربّي أهون الناظرين إليّ.

هكذا تكون المعرفة، يعني: لا أتهاون بنظر ربّي عزوجل، الله تعالى ينظر إليّ، قد عرفت أنّه نهاني وحرّم عليّ فعل الفاحشة فكيف أتهاون بنظره؟

لو كان ينظر إليّ أبوها لهبّت أن أمسّها أو أن أقبلها، وأبوها أو أخوها أو زوجها ينظر، وربنا عز وجل أقدر منهم، الله قادرٌ أن ينتقم منّي ويعذّبني ويهلكني في لحظة، وقدرته أقوى من قدرة أوليائها، هذا أثر المعرفة، لا أجعل ربّي أهون الناظرين.

وهكذا يكون كلُّ عاقلٍ إذا خلا بمعصية؛ فلا يقول: إني خالٍ. يقول بعض الشعراء :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل.....خلوت ولكن قل عليّ رقيب
الرقيب:

هو الله تعالى (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا) (الأحزاب 52) أي: مراقباً لعباده، يطلع على أحوالهم ويعلم سرّاتهم وما تخفيه ضمائرهم، فلا تقل: خلوت؛ ولكن قل: عليّ رقيب .

ذكر الإمام ابن رجب أيضاً في بعض كتبه : أنّ رجلاً راود أعرابية على نفسها في ليلة ظلماء، في برية، فقال لها: ما يرانا إلا الكواكب، فقالت تلك الأعرابية الجاهلة: فأين مكوكبها؟!

استحضرت أنّها مخلوقة مدبرة مسخرة، وأنّ الذي كوكبها يعني خلقها وسيّرها لا يخفى عليه خافية، وأنّه يرى جميع العباد في كلّ الحالات.

فهكذا تكون مراقبة الله تعالى إذا علم المؤمن التقى أنّه دائماً بمراى ومسمع وأنّه لا يخفى على ربّه منه خافية لم يستطع أن يتجرأ على المعصية التي يعلم أنّها حرام، وأنّ الذي حرّمها يراه .

لو أنّ أميراً من الأمراء أو ملكاً من الملوك حرّم اعتداءً على شيء - على إنسان مثلاً أو على شجرة أو نحو ذلك - فهل يجرؤ أحد أن يقطع تلك الشجرة ؟ وذلك الملك يراه، ومعه قوّته، ومعه جنوده الذين هم مزودون بالأسلحة، يعلم أنّه لو قطعها لبطشوا به، كيف يقدم عليها؟ وقد علم أنّ ذلك الملك نهي عن قطعها أو نهي عن هدم هذا الجدار أو ما أشبه ذلك،

فإذا كان هذا في حقّ المخلوق؛ أنّه لا يتجرأ أحد على أن يطلب أو يفعل شيئاً نهي عنه وهو يرى فكيف بالخالق جلّ جلاله؟!

فهذا أثر الإيمان، مَنْ آمَنَ إيماناً حقيقياً يقينياً بأنَّ الله تعالى يراه ويراقبه لم يعصه طرفة عين .

في وصية بعض العلماء أو بعض النُساك لأحد تلاميذه يقول:

استحي من الله أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك يعني :

خف من الله أن تفعل شيئاً نهاك عنه، وتعلم أنه يراك، يراك تفعل شيئاً نهاك عنه، أو يفقدك في مكان أمرك بفعله، يفقدك في المساجد في صلاة الجماعة، وقد أمرك بذلك، أو يراك في أماكن الرقص وأماكن الغناء وأماكن اللهو، وتعلم أنه قد نهاك، استحي من الله أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدك حيث أمرك .

وكلُّ هذا إقرار بأنَّ الله تعالى يرى عباده في كلِّ حالاتهم، وأنه بصيرٌ بأحوالهم، ومراقبٌ لهم، لا يخفى عليه منهم أحدٌ مهما احتجب ومهما تَسَتَّر .

في الحديث الذي في الصحيح أن ثلاثة بمكة خلوا بمكان فقال أحدهم :

هل ترون أن الله يرانا في هذا المكان أو يسمعنا؟

فقال آخر: يسمعنا إن جهرنا، ولا يسمعنا إن أخفينا،

فقال الثالث مستنكراً: إن كان يسمعنا في الجهر فإنه يسمعنا في السر،.

فأنزل الله تعالى قوله :

(وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ) (فصلت 22).

تظنون أن الله لا يعلم أحوالكم، ولا يطلع على خفاياكم، ولا أسراركم ... كما كنتم تستترون من الله تعالى،

فيفيد أن أهل العلم وأهل الإيمان وأهل الصدق هم الذين لا يجرؤون على أن يفعلوا شيئاً مما حرّمه الله، وهم بمراى من ربهم ومسمع،

فهذه فائدةُ الإيمانِ برؤيةِ اللهِ تعالى .

اللهم إنا تبنا إليك وندمنا على ما فعلنا وعزمنا على ألا نعود إلى المعصية فاقبل توبتنا
برحمتك يا أرحم الراحمين.

يتبع 37 دروس العقيدة.

هنا دمشق.

الدرس السابع والثلاثون

من دروس العقيدة الإسلامية

صفة الكلام

إخوتي!

تقدّم معنا من الصّفات الإلهية:

- 1- الصّفة التّفسّية : الوجود.

- 2- الصّفات السّلبية الخمسة : القُدُم - البقاء - مخالفته تعالى للحوادث - قيامه بنفسه - الوحدانية.

- 3- الصّفات المعاني : العِلْم - الإرادة - القدرة - الحياة - السّمع - البصر .
..والصّفة الأخيرة من صّفات المعاني صِفة:

.....الكلام.....

وأرجو منكم أن تتأمّل معاً:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْأَرْضَ } ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ
اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. (11) { [فصلت].

وعهِدَ إِلَى مَلَائِكَتِهِ الْمَدَبَرَاتِ أَمراً بِالْقِيَامِ عَلَى شُؤْنِ خَلْقِهِ مِنْ : إحياءٍ، وإماتةٍ،
وخلقٍ، ورزقٍ، وغيثٍ، وخسفٍ، ورفعٍ، وخفضٍ، وغير ذلك.

وعهِدَ إِلَى رُسُلِهِ مِنَ الْبَشَرِ بِتَبْلِيغِ رِسَالَاتِهِ إِلَى خَلْقِهِ.

كُلُّ ذَلِكَ كَانَ وَيَكُونُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الْمُبَارَكَةِ : صِفةِ الْكَلَامِ.

إِنَّ الْإِنْسَانَ مِمَّا كَمْ يَسْتَخْدَمُ مِنَ الْكَلِمَاتِ وَالْأَلْفَاظِ أَثْنَاءَ حَدِيثِهِ، وَكِتَابَتِهِ وَقِرَاءَتِهِ!!

بَلْ كَمْ لُغَةً تَتَكَلَّمُ بِهَا مَخْلُوقَاتُ اللَّهِ!!

فَمَا ظَنُّكُمْ بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى الْخَالِقِ لِهَذِهِ الْكَائِنَاتِ، الْعَالِمِ بِكَلِمَاتِهَا وَأَلْفَاظِهَا، وَالْمَدَبِّرِ

لشؤونها!!

ألا يكونُ كلامُهُ مِنَ الكثرةِ والعظْمَةِ على التَّحوُّ الذي يَشِيرُ إليه قولُهُ :
{ ولو أُنْمَا في الأرضِ مِنْ شجرةٍ أَقْلَامٌ والبحرُ يمدُّهُ مِنْ بعده سبعةٌ أُبحُرٍ ما نَفِدَتْ
كلماتُ اللَّهِ { [لقمان /27].

ويشيرُ إليه قولُهُ : { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ
تُنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (109) { [الكهف]
سُبْحَانَكَ رَبِّي سُبْحَانَكَ.

تعريفُ صفةِ الكلامِ والمذاهبُ فيها :

صفةُ الكلامِ الإلهيةُ صفةٌ يكونُ بها الدِّلالةُ والإفهامُ. وأجمعتُ الأُمَّةُ على أنَّه تعالى
مُتَكَلِّمٌ . هذا ليسَ محلَّ خلافٍ.

لكنَّهم عندما فكَّروا في المسألةِ عقلياً، وجدوا دليلين متعارضين:
الأول . أنَّ كلامَهُ تعالى صفةٌ لَهُ، وكلُّ صفاته قديمةٌ، فكلامُهُ قديمٌ.
الثاني . أنَّ كلامَهُ مكوَّنٌ مِنْ أجزاءٍ متعاقبةٍ في الوجودِ حَسَبَ القراءةِ أو الكتابةِ، وكلُّ
ما كانَ كذلكَ فهو حادثٌ مخلوقٌ، فكلامُهُ حادثٌ مخلوقٌ.
فافتَرقتُ الأُمَّةُ إلى أربعِ فِرَقٍ:

ذهبتُ فِرقتانِ إلى صِحَّةِ الدَّلِيلِ الأوَّلِ . وهما : الحنابلةُ والماتريديةُ والأشعريةُ.
وذهبتُ فِرقتانِ إلى صِحَّةِ الدَّلِيلِ الثاني. وهما : الكراميةُ والمعتزلةُ.
والمهمُّ عندنا الأشعريةُ التي تمثلُ التيارَ الأولَ، والمعتزلةُ التي تمثلُ التيارَ الثاني، لأنَّ
المعركةَ الكلاميةَ جرتُ بينهما.

(1) الأشعريةُ : قالوا : كلامُهُ نوعان : نفسيٌّ ولفظيٌّ.

أ . فالكلامُ النَّفْسِيُّ : هو المعاني التي تكونُ في النَّفْسِ.

وهو غيرُ العِلْمِ؛ لأنَّ العِلْمَ صفةٌ انكشافٍ، وغيرُ الإرادةِ؛ لأنَّها صفةٌ تخصيصٍ، وهذا
الكلامُ النَّفْسِيُّ هو القَدِيمُ.

ب . والكلام اللفظي : وهو العبارات التي تدلُّ على ما في النَّفس، وهذا النَّوعُ حادثٌ.

(2) والمُعْتَزَلَةُ : قالوا : كلامه حروفٌ وأصواتٌ، لكنها ليست قائمةً بذاته تعالى، بل يخلُقها في غير ذاته . كاللوح المحفوظ، أو سيدنا جبريل، أو النبيِّ مثلاً.
ولكن .. كيف يكون الله متكليماً بكلام لا يقوم بذاته ؟
وهل تُعْتَبَرُ أنت متكليماً إذا قام الكلام بزميلك ؟!!
هذا من أعجب الأعاجيب !!

ثمَّ قامتِ المعاركُ الحاميةُ بينَ الفريقِ، وتصارعتِ الأدلَّةُ، وازدادتِ الهجماتُ ضراوةً على كلِّ فريقٍ، ممَّا سوَّدتْ به الصِّفحاتُ الضخمةُ، وضُيِّعَ فيه وقتُ المسلمين في محاولة التَّعرُّفِ على حقيقة وُكُنْهِ (كلام الله تعالى) حتَّى سُمِّيَ علمُ التوحيدِ بـ (علم الكلام) كما سبق.

ولا أريدُ أنْ أعْرِضَ لمذهبِ كلِّ فرقةٍ وأدلتِها، فهذا أمرٌ يطولُ جداً، يَرْهَقُ إلى أقصى درجة ؛ ولا يفيد القارئ بعد ظهور الحق ..

لكيَّ أريدُ أنْ أنبِّهَ إلى أمرٍ مهمٍّ بعد أنْ أيقنَّا بثبوتِ هذه الصِّفةِ لله تعالى، وهو ضرورةُ التفرقةِ بينَ ما يقومُ بذاته تعالى مِنْ هذه الصِّفةِ، وبينَ ما يقومُ بذواتنا نحنُ.
إننا عندما نقرأ أو نكتب أو نسمعُ كلامَ الله لا بدَّ أنْ نفرِّقَ بينَ هذينِ الأمرينِ.

وقد أشرتُ في المقدمةِ إلى دورِ أعداءِ الإسلامِ في ظُهورِ مشكلةِ خَلْقِ القرآنِ في البيئةِ الإسلامية . وقد تورَّطَ فيها بعضُ الخلفاءِ العبَّاسيينَ، وما كانَ ينبغي لهم أنْ يفرضُوا رأياً فكرياً على جميعِ العلماءِ والمفكرينَ، ولا أنْ يمتحنوهم للتأكّدِ مِنْ موقفهم مِنْ هذه القضيةِ التي ما أثارها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ولا أصحابه رضي الله عنهم.

وبسببِ هذا البلاءِ خرَجَ الإمامُ البخاريُّ فاراً . وقال : اللهم اقبضني إليك غيرَ مفتونٍ . فماتَ بعدَ أربعةِ أيامٍ.

وسُجِنَ سيدنا عيسى بنُ دينارٍ (ت212هـ) فقيهُ الأندلسِ في عصرِهِ عشرينَ سنةً.
وسُئِلَ الإمامُ الشَّعْبِيُّ (ت 103هـ) فَقَالَ : أَمَّا التَّوْرَةُ، وَالْإِنْجِيلُ، وَالزَّبُورُ، وَالْفِرْقَانُ،
فَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ حَادِثَةٌ، وَأَشَارَ إِلَى أَصَابِعِهِ، فَكَانَتْ سَبَبَ نَجَاتِهِ.
وَاشْتَهَرَ هَذَا الْجَوَابُ عَنْ مَوْلَانَا الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.
وَحُبِسَ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) وَضُرِبَ بِالسِّيَاطِ حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ.
وَيُذَكَّرُ أَنَّ سَيِّدَنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ فِي الْمَنَامِ بِشَرِّ أَحَدٍ
بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ، فَأَرْسَلَ لَهُ كِتَابًا إِلَى بَغْدَادَ. فَلَمَّا قَرَأَهُ بَكَى.
وَدَفَعَ لِلرَّسُولِ قَمِيصَهُ الَّذِي يَلِي جَسَدَهُ، وَكَانَ عَلَيْهِ قَمِيصَانِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى
الشَّافِعِيِّ غَسَلَهُ، وَادَّهَنَ بِمَائِهِ . تَبَرُّكًا بِهِ، وَطَلَبًا لِلشِّفَاءِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.
وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الْبَيْضاوِيُّ . وَهُوَ مَنْ هُوَ . عَنْ صِفَةِ الْكَلَامِ : "وَالْإِطْنَابُ فِي ذَلِكَ
قَلِيلُ الْجَدْوَى؛ فَإِنَّ كُنْهَ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ مُحْجُوبٌ عَنْ نَظَرِ الْعُقُولِ."
وَيَكْفِينَا أَنْ نُثَبِّتَ لِلَّهِ تَعَالَى هَذِهِ الصِّفَةُ الْمُبَارَكَةُ صِفَةُ الْكَلَامِ ؛ لِأَنَّهَا صِفَةُ كَمَالٍ . لَا
يُمْكِنُ أَنْ يَخْلُقَ عَنْهَا الْإِلَهُ الْحَقُّ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ رَدٌّ عَلَى عُبَادِ الْعَجَلِ بِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ،
وَهَذَا نَقْصٌ، فَلَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا . قَالَ تَعَالَى :
{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حَلِيَّتِهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا
يَكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا } [الأعراف/148]
وَقَالَ : {أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا } (89)
[طه].

فَمَا هِيَ صِفَةُ الْكَلَامِ وَمَا الْوَاجِبُ اعْتِقَادُهُ فِيهَا؟

يَتَّبَعُ 38 دُرُوسَ الْعَقِيدَةِ.

هَنَا دَمَشَقَ.

الدرسُ الثامن والثلاثون

من دروسِ العقيدةِ الإسلاميةِ

صفةُ الكلامِ من صفاتِ المعاني 2

أحبتي

قبلَ الدخولِ في القسمِ الثاني من صفةِ الكلامِ علينا معرفةُ أنَّ الكلامَ نوعانِ:

- 1-الكلامُ اللفظي:

ويطلقُ في اللغةِ على الأصواتِ المتتابعةِ ، المكوَّنةِ من حروفٍ ومقاطعٍ تدلُّ على معنى ، وحروفُ اللغةِ العربيةِ ثمانيةٌ وعشرونَ حرفاً ، أو 29 حرفاً تتكوَّنُ منها اللغةُ ، التي يتفاهمُ بها العربُ فيما بينهم ،

وهذا النوعُ من الكلامِ يحتاجُ إلى جهازٍ مادِّي كاملٍ حتى يحدثَ :
فلا بدَّ أنْ توجدَ الرئتانِ حتى يدخلَ فيهما الهواءُ وهو خارجٌ يمرُّ على حنجرةٍ ،
والأحبالِ الصوتيةِ ، ولا بدَّ من وجودِ اللسانِ والأُسنانِ ، والأُضراسِ ، والشفَتينِ ،
كما درسناه عن مخرجِ الحروفِ في علمِ التَّجويدِ.

- 2-الكلامُ النَّفسي:

وهو المعنى القائمُ بالنَّفْسِ ، الذي يتمُّ التعبيرُ عنه بالكلامِ اللفظي ، فلا يمكنُ معرفةُ ما يدورُ في نفسِ أيِّ إنسانٍ إلَّا بما ينطقُ به من حروفٍ وألفاظٍ ،
فأنتَ تجلسُ أمامَ الجهازِ الآنَ وأنتَ تقرأُ هذا الكلامَ المكتوبَ أمامَكَ ، وأنتَ مغلقُ القَمِّ ، تقرأُ بعينيكَ ، ويدورُ الكلامُ ومعانيه داخلَ نفسك بلا صوتٍ ولا حرفٍ.
قالَ الشاعرُ :

إنَّ الكلامَ لفي الفؤادِ وإنَّما جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلاً.

فالكلام اللفظي والكلام النفسي موجودان ومشاهدان في الواقع العملي اليومي من البشر، ويتم التعامل اليومي بهما بلا حرج ولا تفكير، ولا تردد.

بعد هذه المقدمة اللطيفة أقول في كلام الله تعالى:

أضيف الكلام إلى الله تعالى فقليل عن القرآن الكريم [كلام الله].

وقال تعالى [وكلم الله موسى تكليماً] (النساء 164).

وأجمعت الأمة على أن القرآن الكريم كلام الله ، وعلى أن الله تعالى متكلم فأين الخلاف؟؟؟

وقع الخلاف في الفرق بين الكلام اللفظي والكلام النفسي ،:

هل ننسب إلى الله تعالى الكلام اللفظي الذي يحتاج إلى جهاز مادي ، وأدوات معروفة للبشر حتى يتم منهم الكلام ،؟

وهذا تجسيم محض ، وتركيب لله تعالى من أجزاء ، واحتياج من الله تعالى للأدوات والأجهزة ، والأعضاء ، وهذا لا يمكن أن يكون،

ليس لتحكمات عقلية ، ولا لآراء فلسفية ، وإنما اتباعاً لآيات قرآنية من كلام الله تعالى ، تمنع احتياج الله تعالى ، وتمنع أن يكون مركباً من أجزاء. (وقد تقدم ذلك في

الوحدانية والمخالفة للحوادث)

تعريف صفة الكلام عند الأشاعرة:

صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، ليست بصوت ولا حرف ، منزّهة عن التقدم والتأخر، والإعراب والبناء، ومنزّهة عن الشكوت النفسي، وعن الآفة الباطنية.

وهذا التعريف واضح أنه في الكلام النفسي وليس اللفظي.

شرح التعريف وإيضاح ألفاظه:

– صفة قديمة

– أي أنها لا بداية لها ولا نهاية، فكلام الإنسان له بداية بالميلاد، وله نهاية بالوفاة

أمّا كلام الله تعالى فلا بداية له ولا نهاية، قال تعالى :

{ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله. }

-هذه الصِّفَةُ قائمةٌ بذاته تعالى -أى موجودةٌ لا تتخلَّفُ ، فالله تعالى فعلاً متكِّمٌ بكلام ، وهذا ردُّ على المعتزلة الذين أنكروا أن يكون متكِّمًا بكلام وإنما قالوا: بأنَّه يخلُقُ الكلامَ في غيره .

-و هذه الصِّفَةُ ليست بصوتٍ ولا حرفٍ - تنزيهاً لكلام الله تعالى عن أن يُشَبَّهَ كلام البشر ، فالله تعالى يُرْسِلُ كلَّ رسولٍ بلُغَةٍ قومِهِ ، [الإنجيلُ سرياني - والتوراةُ عبري - والقرآنُ عربيٌّ]

ويحاسبُ كلَّ إنسانٍ بلغته ولهجته ، والملائكةُ حالياً يكتبون أعمالَ العبادِ بكلِّ لهجاتهم ولغاتهم ، [وما يلفظُ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ] (ق 18) أيَّاً كان هذا اللفظُ انجليزيٌّ أو فرنسيٌّ أو عربيٌّ أو غيره ، والله تعالى يذكُرُ بلغاتٍ مختلفةً ، وتُتلى كتبه بلغاتٍ مختلفةً ،

-و هذه الصِّفَةُ منزَّهةٌ عن التَّقَدُّمِ والتَّأخُّرِ ومعنى هذا أن كلام الله تعالى منزَّهٌ عن الحرفِ والصوتِ ، لأنَّه ليسَ ألفاظاً ، فالألفاظُ لا بدَّ فيها من الترتيبِ ، فلا ينطقُ الإنسانُ بالحرفِ الثاني إلا بعدَ الأوَّلِ ، ولا بالكلمةِ الثانيةِ إلا بعدَ الأولى .

-ومنزَّهةٌ عن الإعرابِ والبناء .
ولابدَّ من وجودِ الإعرابِ والبناءِ في كلام البشرِ حتَّى يتَّضحَ المعنى المرادُ توصيله ، وكلام الله تعالى لا يحتاجُ إلى إعرابٍ ولا بناءٍ لأنَّ الله تعالى هو الذي يخلُقُ الإعرابَ والبناءَ ، وهو الذي يعلمُ البشرَ ذلك .

-ومنزّهة عن السكوت النفسي:

فلا بدّ للبشرِ مِنْ الشُّكُوتِ بَيْنَ الكلماتِ وبعضِها، وَبَيْنَ الجُمَلِ وبعضِها، حتّى يَفْهَمُوا أَنْفُسَهُمْ، ويوصلوا المعلومةَ إلى غيرِهِمْ مِنَ السامعينَ، وكلُّ هذا مَنْفِيٌّ عَنْ كلامِ اللَّهِ تعالى .

-ومنزّهة عن الآفة الباطنية:

لا بُدّ للبشرِ مِنْ تدبيرٍ وتجهيزِ الكلامِ في أَنْفُسِهِمْ أولاً قَبْلَ أَنْ يتكلّموا ، وهذا دليلٌ جَهْلٍ وعَجْزٍ ، وهذا مَنْفِيٌّ عَنْ اللَّهِ تعالى ،
وهُنَاكَ مِنَ البشرِ مَنْ لا يستطيعُ أَنْ يدبّرَ الكلامَ في نَفْسِهِ ، إلا بصعوبةٍ بالغةٍ،
لوجودِ آفةٍ باطنيةٍ تقابلُ الحَرَسَ الظَّاهِرِيَّ ، أو البَكَمَ الظَّاهِرِيَّ ، واللهُ تعالى مَنْزَعٌ عَنْ كلِّ هذا ،

فهلْ مِنْ أدلّةٍ على هذا التّفْسيمِ ؟

يتبعُ 39 دروسَ العقيدة.

هنا دمشق.

الدرسُ التاسع والثلاثون
منْ دروسِ العقيدةِ الإسلامية
7- صفات المعاني: الكلام:
الأدلة على صفة الكلام 3

إخوتي!

هلْ هُنَاكَ دليْلٌ على الكلامِ النَّفسي منَ القرآنِ والسُّنَّةِ النَّبويَّةِ ؟

إخوتي!

هناكَ عشراتُ الأدلَّةِ لمنْ كانَ لَهُ قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهوَ شهيدٌ:

أولاً منَ القرآنِ الكريمِ:

قالَ تعالى [إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبَدُّوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ] (آل عمران 29)
والذي في الصدورِ هوَ الكلامُ النَّفسي ، ذلكَ الحديثُ الداخلي سواءَ كانَ خيراً أو
شراً، وهوَ المكْرُ ،

وقالَ تعالى [وإنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ] (البقرة 284)

والذي في النَّفسِ هوَ الكلامُ النَّفسيُّ والحديثُ الداخلي ،

وقالَ تعالى عَنْ سَيِّدِنَا عيسى عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

[تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ] (المائدة 116)

وقالَ عَزَّ وَجَلَّ [وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ] . (آل عمران 28)

وقالَ تعالى [لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ

الْأَيْمَانَ] (المائدة 89) وعَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ معناه عَقَدُ الْقَلْبِ وَالنِّيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ

وقالَ تعالى [وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ] (النحل 68) والوحيُّ هُنا إلهامٌ بلا حَرْفٍ

ولا صوتٍ

وقال تعالى [وأوحينا إلى أم موسى] (القصص 7) أيضا إلهام بلا حرف ولا صوت ولا ثبت لها النبوة إذا تلقت الوحي عن سيدنا جبريل عليه السلام ،
 وقال تعالى على لسان سيدنا زكريا عليه السلام [قال ربّي اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ، فخرج على قومه من الخراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا] (مريم 11) أي أشار إليهم بلا صوت ولا حرف.
 وقال تعالى [إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان] (النحل 106)
 وقال صلى الله عليه وسلم [إن الله تجاوز لأمتي ما تحدّث به نفسها ما لم عمل].

وقال صلى الله عليه وسلم [إنما الأعمال بالنيات] (ق)
 وحديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، عن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم قال:
 [إن الله تجاوز عن أمتي ما حدّث به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم]
 أخرجه البخاري

-وحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما يروى عن ربه عز وجل، قال: ((قال إن الله كتب الحسانات والسّيئات، ثمّ بيّن ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبتها الله له عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبتها الله له سيئة واحدة)) أخرجه البخاري
 أليس [اللهم] حديث النفس ؟

-وحديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول: من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته)) أخرجه البخاري

هل يسمع العبدُ كلامَ الشيطانِ بصوتٍ وحرفٍ ؟ أم هو الكلامُ النَّفسيُّ ، ؟
وحديثُ النَّفسِ ؟

و القاعدةُ الأصوليةُ تقولُ : [لا يُنسبُ لساكِتٍ قولٌ] ؟

سؤالٌ مُهمٌّ :

هل الكلامُ النَّفسيُّ له استعمالاتٌ عمليةٌ في حياةِ النَّاسِ ؟ أم أنَّه بدعةٌ ابتدَعها
الأشاعرةُ ولا وجودَ لها في الواقعِ ؟
الجوابُ :

الكلامُ النَّفسيُّ له استعمالاتٌ في حياةِ البشرِ العملية لاغنى عنها ،
بل إنَّ الكلامَ النَّفسيَّ هو الأصلُ والكلامُ اللفظيُّ مجردٌ تعبيرٍ عنه
وهذا هو الدليلُ :

حالةُ نبي الله زكريا على نبينا وعليه الصلاة والسلام
[فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا]
قال البُقاعيُّ في نظم الدَّررِ - : [فأوحى إليهم] (مريم) (1)
أي أشارَ بشفتيه من غيرِ نطقٍ.

قال الإمامُ أبو الحسنِ الرُّماني في آلِ عمران : والرَّمزُ : الإيماءُ بالشفتينِ ، وقد
يستعملُ في الإيماءِ بالحاجِبينِ والعينينِ واليدينِ ، والأوَّلُ أغلبُ ؛ قال : وأصله الحركةُ .
وسبقه إلى ذلك الإمامُ أبو جعفرٍ بنُ جريرٍ الطبري فقال : وأمَّا الرَّمزُ فإنَّ الأغلبَ
من معانيه عند العربِ الإيماءُ بالشفتينِ ، وقد يستعملُ في الإيماءِ بالحاجِبينِ والعينينِ
أحياناً ، وذلك غيرُ كثيرٍ فيهم ، وقد يُقالُ للخفيِّ من الكلامِ الذي مثلُ الهمسِ
بخفضِ الصوتِ الرَّمزُ .

ثمَّ نقلَ أنَّ المرادَ به هنا تحرُّكُ الشفتينِ عن مجاهد - انتهى .

وهو ظاهرٌ أيضاً في الوحي لأنَّه مطلقُ الإشارةِ والكنايةِ والكلامِ الخفي، [جاء في أضواء البيان]⁽³⁾ : في هذه الآيةِ الكريمةِ : {آيَتِكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا} أي علامتُكَ على وقوعِ ذلك أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ، أي أَنْ تُمنَعَ [بضم التاء وسكون الميم] الكلامَ فلا تطيقهُ ثلاثَ ليالٍ بأيامهنَّ في حالِ كونِكَ سويًّا، أي سويَ الخلقِ سليمَ الجوارحِ، ما بك خرسٌ ولا بكَمٌ ولكنك ممنوعٌ من الكلامِ على سبيلِ خرقِ العادةِ. «آل عمران»

أمَّا ذكرُ اللهِ فليس ممنوعاً منهُ بدليلِ قوله: في «آل عمران»: [وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ]،

وقول من قال: إِنَّ معنى قوله تعالى: {ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا}، أي ثلاثَ ليالٍ متتابعاتٍ . غيرَ صوابٍ، بل معناه اعتقالُ لسانه عن كلامِ قومه ليسَ لعلَّه ولا مرضٍ حدثَ به. ولكنْ بقدرةِ اللهِ تعالى.

تم الكلام على صفات المعاني والله الحمد والمنة.

يتبع 40 دروس العقيدة.

هنا دمشق

(3) المؤلف محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي 7 مجلدات : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .
أحد كتب التفسير العصرية (التفسير بالمأثور).

الدرسُ الرابعون

من دروس العقيدة الإسلامية

الجائزاتُ في حقِّه تعالى

إخوتي في الله تعالى!

تذكروا معي:

قسّم علماء التوحيد الحكمَ العقليَّ إلى ثلاثة أقسامٍ:
واجبٌ.. ومستحيلٌ.. وجائزٌ.

فالواجبُ ما لا يقبلُ الانتفاء في ذاته.

والمستحيلُ ما لا يقبلُ الثبوت في ذاته.

والجائزُ كلُّ أمرٍ قابلٍ في حدِّ ذاته للانتفاء والثبوت.

وهذه الأقسامُ الثلاثةُ يجبُ على المكلفِ معرفتها لتوقُّفِ مباحثِ علمِ التوحيدِ عليها
لأنَّ القاعدةَ تقولُ : (ما لا يتمُّ الواجبُ إلَّا به فهو واجبٌ).

وقد عرفنا حتَّى الآنَ الواجباتِ والمستحيلاتِ في حقِّه عزَّ وجلَّ⁽⁴⁾ وبقيَ أمامنا
الكلامُ على الجائزاتِ في حقِّه تعالى. فما هي؟

يجوزُ في حقِّه تعالى فعلُ كلِّ ممكنٍ أو تركه حسبَ ما يشاءُ الله تعالى ويختارُ سواءً
كانَ ذلكَ في مصلحةٍ عبادةٍ أو ضدِّها.

الجائزُ عقلاً هو ما يجوزُ العقلُ وجوده وعدمه من غيرِ نظرٍ للشرع، لا يمتنعُ وجودُ
شيءٍ منه ولا عدمه إلَّا ما أخبرَ الشرعُ بذلكَ فيجبُ شرعاً لا عقلاً، وما أخبرَ
الشرعُ بعدم وقوعه فيمتنعُ لا لذاته بل لإخبارِ الشرعِ بذلكَ. قال تعالى (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ
ما يشاءُ ويختارُ) القصص 86.

والممكناتُ كثيرةٌ لكنَّ أمَّهاتها اثنتا عشرةً عقيدةً وهي:

(4) وقد ذكرت المستحيلات مع الصفات الواجبة في حقِّه تعالى فليتنبه ولا داعي لتكرارها ثانيةً.

- 1- خَلَقُ العبادِ وأعمالهم.
- 2- انفرادُه تعالى بالتأثير.
- 3- التَّوفيقُ والحُذْلانُ.
- 4- الوَعْدُ والوَعيدُ.
- 5- السَّعادةُ والشَّقاوةُ.
- 6- الكَسْبُ والجَبْرُ.
- 7- الإثابةُ على الأعمالِ.
- 8- الصَّلاحُ والأصلحُ.
- 9- خَلْقُ الخيرِ والشرِّ.
- 10- القضاءُ والقَدْرُ.
- 11- رؤيةُ الله تعالى بالأبصارِ.
- 12- إرسالُ الرُّسلِ.

وستحدّث عنها واحدةً واحدةً إن شاء الله تعالى.

فهذه الممكناتُ لا يجبُ منها شيءٌ عقلاً وإلّا لانقلبَ الجائزُ واجباً لا يصحُّ عدمه. ولا يستحيلُ منها شيءٌ عقلاً وإلّا لانقلبَ الجائزُ منها مستحيلاً لا يصحُّ وجوده. وكلاهما محالٌ لما يلزمُ عليه من قلبِ الحقائق وهو مُحالٌ.

وأيضاً لو وجبَ عليه منها شيءٌ لكانَ مجبوراً مقهوراً مع أنّه تعالى الفاعلُ المختارُ جلّ جلاله. قال تعالى (لا يُسألُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسألُونَ) الانبياء 23. وقال (إنَّ يَشَأْ يذهبكم ويأتِ بِخَلْقٍ جَديدٍ) فاطر 16.

فهذه مقدّمةٌ لا بدَّ منها قبلَ الشروعِ في الجائزاتِ التي سنفصّل فيها واحدةً واحدةً إن شاء الله تعالى رب تم بخير.

يتبع 41 دروس العقيدة.

هنا دمشق

الدرسُ الواحدُ الأربعون
من دروسِ العقيدةِ الإسلاميةِ
الجائزاتُ في حقِّه تعالى

الجائزُ الأوَّلُ

خلقُ العبادِ وأعمالهم

(وَحْدَةُ الْأَفْعَالِ فِي عَقِيدَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ)

قَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ فِي أَفْعَالِهِ لَا يَشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ، فَلِلْأَفْعَالِ كُلِّهَا مَخْلُوقَةٌ مِنْهُ تَعَالَى وَهُوَ الْقَائِلُ (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (الصافات 96) أَيِ خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ أَعْمَالَكُمْ.

فَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الْفِعْلَ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ يُنْسَبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَكِنَّ الْأَدَبَ أَنْ لَا يُنْسَبَ لَهُ الشَّرُّ فَيُنْسَبُ لِلنَّفْسِ كَسْبًا وَإِنْ كَانَ مَنْسُوبًا لِلَّهِ تَعَالَى إِيجَادًا قَالَ تَعَالَى: (وَمَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) (النساء 79)

وَقَالَ: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ). (الشورى 30)

وَقَالَ : (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً). (الأنبياء 35)

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) ثُمَّ قَالَ (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) (الفاتحة)

وَلَمْ يَقُلْ غَيْرَ الَّذِينَ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ وَأَضَلَلْتَهُمْ.

وَانْظُرْ إِلَى أَدَبِ سَيِّدِنَا الْخَضِرِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي قَوْلِهِ : (وَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا) (الكهف 82) مَعَ قَوْلِهِ فِي السَّفِينَةِ (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) ثُمَّ قَالَ (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي).

وانظرُ إلى أدبِ سيِّدنا الخليلِ على نبينا وعليه الصلاةُ والسلامُ
 (الذي خلَقني فهو يهْدِينِ .والذي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)
 (الشعراء78-80) نسبَ المرضَ إلى نفسه كسباً. مع أنَّ الكُلَّ منَ عندِ الله تعالى
 ولكنْ هذا منَ بابِ التأدُّبِ في الخطابِ معَ ربِّ الأربابِ.
 ولذا حكى الله تعالى عن الجنِّ أَنَّهُمْ قالوا (وَأَنَا لَآنَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ بَمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ
 أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا)(الجن10).

فهذا منَ بابِ التأدُّبِ معَ الله تعالى
 بخلافِ قولِ " قليلِ الأدبِ " إبليسُ ! حيثُ قالَ : (فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي) (الأعراف16)
 مع أَنَّهُ هُوَ الغاوي الذي غَوَى.
 وأمَّا قولُهُ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ. (كما في صحيح مُسْلِم).
 فهذا نفْيُ نِسْبَةِ الشَّرِّ المَحْضِ (أي الخالصِ)
 فَإِنَّ الله تعالى لَا يَخْلُقُ وَلَا يُقَدِّرُ شَرًّا خَالِصًا، فَلَيْسَ ثُمَّ شَرٌّ مُحْضٌ، وَلَيْسَ ثُمَّ شَرٌّ إِلَّا
 وفيه خيرٌ

والشَّرُّ قد يكونُ في المَقْضِيَّاتِ، ولذا قالَ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ في دُعائه : (وَقِنِي
 شَرَّ مَا قَضَيْتَ) . رواه الإمامُ أحمدُ وأهلُ السُّنَنِ.
 وهذا أيضاً يكونُ نسبياً ولا يكونُ شَرًّا خَالِصًا.
 ونحو ذلكَ ممَّا يَتَصَوَّرُ بعضُ الناسِ أَنَّهُ شَرٌّ وَلَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ وَلَا مَصْلَحَةٌ.
 فَإِنْ قِيلَ لَكَ : فإِبليسُ شَرٌّ مُحْضٌ، والكُفْرُ كذلكَ، وقد دَخَلُوا في الوجودِ، فأَيُّ خَيْرٍ
 في إبليسَ وفي وجودِ الكُفْرِ ؟

قالوا رضي الله عنهم:
 في خَلْقِ إبليسَ مِنَ الحَكَمِ والمصالحِ والخيراتِ التي تَرْتَبَتْ على وجودِهِ ما لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا
 اللهُ تعالى:

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْهُ عَبَثًا وَلَا قَصَدَ بَخْلَقِهِ إِضْرَارَ عِبَادِهِ وَهَلَاكَهُمْ، فَكَمْ لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ مِنْ حِكْمَةٍ بَاهِرَةٍ وَحُجَّةٍ قَاهِرَةٍ وَآيَةٍ ظَاهِرَةٍ وَنِعْمَةٍ سَابِغَةٍ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ لِلْأَدْيَانِ وَالْإِيمَانِ كَالسُّمُومِ لِلْأَبْدَانِ، فَفِي إِيجَادِ السُّمُومِ مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْحِكْمِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ تَفْوِيتِهَا .

قَالَ تَعَالَى (وَاسْبِغْ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) (لقمان 20) وَالْبَاطِنَةُ الْمَغْلَقَةُ بِالْمُصِيبَةِ وَالْمَحْنِ.

فمنها:

أَنْ يُكْمَلَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَأَوْلِيَائِهِ مَرَاتِبَ الْعِبُودِيَّةِ بِمُجَاهَدَةِ عَدُوِّ اللَّهِ وَحَزْبِهِ مُخَالَفَتِهِ وَمِرَاغَمَتِهِ فِي اللَّهِ تَعَالَى وَإِغَاظَتِهِ وَإِغَاظَةَ أَوْلِيَائِهِ وَالِاسْتِعَاذَةَ بِهِ مِنْهُ وَالِإِلْتِجَاءَ إِلَيْهِ أَنْ يَعِذَّهُمْ مِنْ شَرِّهِ وَكَيْدِهِ فَيَتَرْتَّبُ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرِيَّةِ مَا لَمْ يَحْصُلْ بِدُونِهِ...

وَمِنْهَا : خَوْفُ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَنْبِهِمْ بَعْدَ مَا شَاهَدُوا مِنْ حَالِ إِبْلِيسَ مَا شَاهَدُوهُ، وَسَقُوطُهُ مِنَ الْمَرْتَبَةِ الْمَلَكِيَّةِ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الْإِبْلِيسِيَّةِ ؛ يَكُونُ أَقْوَى وَأَتَمَّ. وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمَّا شَاهَدُوا ذَلِكَ حَصَلَتْ لَهُمْ عِبُودِيَّةٌ أُخْرَى لِلرَّبِّ تَعَالَى، وَخُضُوعٌ آخَرُ، وَخَوْفٌ آخَرُ.

فَاقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ إِخْرَاجَهُ وَظَهْوَرَهُ، فَلَا بَدَّ إِذَا مِنْ سَبَبٍ يُظْهِرُ ذَلِكَ، وَكَانَ إِبْلِيسُ مُحَكَّمًا يُمَيِّزُ بِهِ الطَّيِّبَ مِنَ الْخَبِيثِ.

وَمِثْلُ ذَلِكَ يَقَالُ عَنْ حِكْمَةِ وَجُودِ الْكَفَّارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .،

وَقَدْ يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ إِنَّ الْمَوْتَ مُصِيبَةٌ وَرَبَّمَا ظَنُّوه شَرًّا وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ قَالَ تَعَالَى (خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (الملك 7)

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ) . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ ؟

قَالَ : (العبدُ المؤمنُ يستريحُ منْ نصَبِ الدُّنيا وأذاها إلى رَحْمَةِ اللهِ، والعبدُ الفاجرُ يستريحُ منه العبادُ والبلاؤُ والشَّجرُ والدَّوابُّ) . متفقٌ عليه .
 ففي الموتِ راحةٌ للمؤمنِ، وراحةٌ مِنَ الفاجرِ والكافرِ .
 وكمْ منْ أمرٍ يكرهُهُ العبدُ ويرى أنَّ فيه شَرًّا، وليسَ كذلكَ
 ولذا قَالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا
 لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) (النور 11) .

وقَالَ سَيِّدُنَا عمرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنه : لا أبالي أَصَبَحْتُ على ما أُحِبُّ أو
 على ما أَكْرَهُ ؛ لأني لا أدري الخيرَ فيما أُحِبُّ أو فيما أَكْرَهُ .
 وَقَالَ سَيِّدُنَا الحسنُ رضيَ اللهُ عنه : لا تَكْرَهُوا النَّقَمَاتِ الواقعةَ والبلايا الحادثةَ، فلربَّ
 أمرٍ تَكْرَهُهُ فيه نَجَاتُكَ، ولربَّ أمرٍ تَوَثَّرَهُ فيه عَطْبُكَ .

وأذكرُ أَنِّي أَلْقَيْتُ دَرْسًا في شرحِ أركانِ الإيمانِ، ومنها : الإيمانُ بالقَدَرِ خيرُهُ وشَرُّهُ
 ثم فَصَّلْتُ التفصيلَ المتقدمَ، وقلتُ : إِنَّ الشَّرَّ قدْ يكونُ في نظرِ العبدِ، ولو كُشِفَتْ
 للعبدِ حُجُبُ الغيبِ لما تَمَنَّى غيرَ ما قَدَّرَ اللهُ تعالى وقضى . وذكرتُ حديثَ : (لا
 يقضي اللهُ لمؤمنٍ من قضاءٍ إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ) (م) .

فكثرتُ السؤالَ حولَ هذه المسألة فقامَ رجلٌ فقالَ : أنا في هذا البلدِ مهاجرٌ ! وقدْ
 طُرِدْتُ منْ بلدي، وظننتُ أَنَّ ما حصلَ لي شرٌّ، وإذا بي أرى الخيرَ منْ خلالِ ذلكَ
 الذي ظننتُهُ شرًّا .

فيا إخوتي!

سلموا الأمرَ لله تعالى

فكمْ منْ مِحْنَةٍ في طيِّها مِئْنَةٌ .

يتبع 42 دروس العقيدة

هنا دمشق

الدَّرْسُ الثَّانِيُّ وَالْأَرْبَعُونَ

مِنْ دُرُوسِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الْجَائِزَاتُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى

الْجَائِزُ الثَّانِي

التَّوْفِيقُ وَالْخُذْلَانُ

إِخْوَتِي!

معنى التوفيق والخُذْلَانُ :

هدايةُ اللَّهِ مَنْ هَدَى، وإِضْلَالُهُ مَنْ أَضَلَّ.

إذا كنَّا نقولُ إِنَّ الْإِنْسَانَ غَيْرُ مُجْبُورٍ عَلَى الضَّلَالِ وَغَيْرُ مُجْبُورٍ عَلَى الْهُدَى.

فما معنى قوله {يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} (النحل:93).

ما معنى {وَمَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلِّهِ وَمَنْ يَشَاءِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأنعام:39]؟

وما معنى {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ} [الكهف:17]؟

وما معنى {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ} [الأعراف:178]؟

وما معنى {مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأعراف:186]؟

ونحو ذلكَ مِنْ الآيَاتِ الَّتِي فِيهَا لَفْظُ الْإِضْلَالِ وَالْإِهْتِدَاءِ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَفُقَّ مَشِئَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَإِرَادَتِهِ.

هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ ضَلَّ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَمِنْ أَجْلِهَا ضَلَّتِ الْجَبَرِيَّةُ وَالْقَدَرِيَّةُ.

وَهِيَ مُرْتَبِطَةٌ فِي بَيَانِهَا بِمَسْأَلَةِ التَّوْفِيقِ وَالْخُذْلَانِ.

فَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَّقَ الْإِضْلَالَ بِمَشِئَتِهِ وَعَلَّقَ الْهُدَايَةَ بِمَشِئَتِهِ.

ونعلم أنَّ ما شاء الله كَانَ وما لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ (ابن السني في عمل اليوم والليلة)⁽⁵⁾،
فما شاء الله - عزَّ وجلَّ - خَلَقَهُ، والذي يشاءُهُ سبحانه وتعالى أَنْ يَكُونَ فَإِنَّهُ
يَكُونُ،

والذي يشاءُ الله - عزَّ وجلَّ - أَلَّا يَكُونَ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ.

إذا كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّ حَدُوثَ الْهَدَايَةِ وَحُدُوثَ الضَّلَالِ نَتِيجَةُ لِأَشْيَاءَ.

ولذلك جَاءَ لَفْظُ التَّوْفِيقِ وَالْخُذْلَانِ فِي النُّصُوصِ.

جَاءَ لَفْظُ التَّوْفِيقِ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ} [هود:88]، ونحو

ذلك فَاللهُ - عزَّ وجلَّ - يَوْفِّقُ مَنْ يَشَاءُ وَيُخْذِلُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنْ يَشَاءُ.

ما معنى وَفَّقَ وَخَذَلَ؟

وما صَلَّيْتُهَا بـ (يَهْدِي اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)؟ (النحل:93)

إذا تَبَيَّنَ لَكَ معنى التَّوْفِيقِ وَالْخُذْلَانِ فَإِنَّهُ سَيَتَبَيَّنُ لَكَ بوضوحٍ معنى أَنَّ اللهَ - عزَّ

وجلَّ - يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

*التَّوْفِيقُ : عند أهلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هو إِمْدَادُ اللهِ - عزَّ وجلَّ - بِعَوْنِهِ،

إِمْدَادُ اللهِ - عزَّ وجلَّ - الْعَبْدَ بِعَوْنِهِ -يعني بِإِعَانَتِهِ- وَتَسْدِيدِهِ وَتَيْسِيرِ الْأَمْرِ وَبَذَلِ

الْأَسْبَابِ الْمُعِينَةِ عَلَيْهِ أَوْ أَنْ يَخْلُقَ فِيهِ الْقُدْرَةَ عَلَى الطَّاعَةِ.

فإذا التَّوْفِيقُ فَضْلٌ لِأَنَّهُ إِعَانَةٌ.

أَيُّ مَوْضُوعٍ يَخْطُرُ فِي بَالِكَ (تَجَارَةً. زَوَاجٌ . تَعْلِيمٌ . طِبَابَةٌ...) إِنْ لَمْ تَوْفَّقْ مِنْ قَبْلِ اللهِ

لَا يَنْجُحُ.

قَدْ تَمْلِكُ كُلَّ أَسْبَابِ النَّجَاحِ وَلَا تَوْفَّقُ . وقد تفتقرُ إِلَى مُعْظَمِ أَسْبَابِ النَّجَاحِ وَتَوْفَّقُ.

فالتَّوْفِيقُ لَيْسَ بِالذِّكَاةِ وَلَيْسَ بِالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ فَقَطْ وَلَكِنَّ التَّوْفِيقَ بِعِنَايَةِ اللهِ

عَزَّوَجَلَّ.

(5) وكنز العمال، والبيهقي في الأسماء والصفات 163، الطبراني في الدعاء 343، والأصبهاني في الترغيب 333 وهو ضعيف.

*وَأَمَّا الْخُذْلَانُ: فهو سَلْبُ التَّوْفِيقِ، سَلْبُ الإِعَانَةِ. أو تقولَ خُلِقَ قَدْرَةُ الْمَعْصِيَةِ فِيهِ.

يعني التَّوْفِيقُ إعْطَاءٌ، مَنْ، كَرَّمَ.

وَأَمَّا الْخُذْلَانُ فهو عَدْلٌ وَسَلْبٌ.

لأنَّ الْعَبْدَ أَعْطَاهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْقُدْرَ، أَعْطَاهُ الصِّفَاتِ، أَعْطَاهُ مَا بِهِ يُحْصَلُ الْهُدَى، أَعْطَاهُ الْآلَاتِ، يَسَّرَ لَهُ، أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكُتُبَ، فَلِذَلِكَ هُوَ بِالْآلَاتِ الَّتِي مَعَهُ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ.

لَكِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يُنْعِمُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِالتَّوْفِيقِ فَيُعِينُهُمْ وَيَسَدِّدُهُمْ وَيَفْتَحُ لَهُمْ أَسْبَابَ تَحْصِيلِ الْخَيْرِ.

وَيَمْنَعُ مَنْ شَاءَ ذَلِكَ فَلَا يُسَدِّدُهُ وَلَا يُعِينُهُ وَلَا يَفْتَحُ لَهُ أَسْبَابَ الْخَيْرِ بَلْ يَتْرُكُهُ وَنَفْسَهُ. وَهَذَا مَعْنَى أَنَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يَخْذِلُ؛ يَعْنِي لَا يُعِينُ، يَتْرُكُ الْعَبْدَ وَشَأْنَهُ وَنَفْسَهُ.

الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ فِي حَيْرَةٍ يَسْأَلُونَ:

مَا سَبَبُ تَأْخُرِنَا؟

مَا سَبَبُ ضَعْفِنَا؟

مَا سَبَبُ فُرْقَتِنَا؟

وَالْجَوَابُ وَاحِدٌ: سَلِبُوا نِعْمَةَ التَّوْفِيقِ لَانْشَغَالِهِمْ بِالنِّعْمَةِ عَنِ الْمُنْعَمِ.

هَذَا خُذْلَانٌ وَلَيْسَ تَوْفِيقًا.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَبْدَ عِنْدَهُ آلَاتٌ يُحْصَلُ بِهَا الْأَشْيَاءُ لَكِنْ هُنَاكَ أَشْيَاءٌ لَيْسَتْ فِي يَدِهِ.

هُنَاكَ أَشْيَاءٌ لَا يُمَكِّنُ لَهُ أَنْ يُحْصِلَهَا، فَهَذِهِ بِيَدِ مَنْ؟

بِأَمْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ. -

لأنَّ الْإِنْسَانَ مُرْتَبِطٌ قَدْرُهُ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَفْتَحُ لَهُ بَابَ الْخَيْرِ.

مِثْلًا : أَنْ يَكُونَ لَهُ أَصْحَابٌ أَوْ أَنْ يُيسَّرَ لَهُ أَصْحَابًا يَعِينُونَهُ عَلَى الْخَيْرِ .

مثل : أن لا يكون في طبعه الخلقى مزيد شهوة، إمّا شهوة كبر من كبائر القلوب أو من كبائر البدن، هذه الأشياء موجودة فيه خلقاً، خارجة عن اختياره وتصرفه.
 فالله - عز وجل - يوفق بعض العباد بمعنى يُعينهم على الأمر الذي يريدونه، إذا انفتح له باب خير وأزاده فيحس العبد أنه أُعين على ذلك، إذا أراد فعل أمر ما من الخير يسر الله - عز وجل - له أسباباً تعينه فانفتح له طريق الخير.
 وآخر حصرته الشياطين وغلته على مُرادِه وأطاعها؛ لأنه لم يزود بوقاية، بإعانة، بتوفيق يمنعه من ذلك.

فإذا صار عندنا أن مسألة إضلال الله - عز وجل - من يشاء هو بخذلان الله - عز وجل - العباد.

وهداية الله - عز وجل - من يشاء بتوفيق الله - عز وجل - بعض العباد، يعني أعان هذا وترك ذاك ونفسه.

كونه - عز وجل - أعان هذا هو بمشيئته.

فإذا من يشأ الله يُضللّه يعني: يسلب عنه التوفيق فيحذله فينتج من ذلك أن الله - عز وجل - سلب عنه إعانته، سلب عنه تسديده، سلب عنه أسباب الخير، سلب عنه أبواب الخير ومفاتيحها.

فإذا يكون ضالاً، لاه هو بفعل نفسه؛ لأنه وكل إلى نفسه، لأن الله - عز وجل - لم يمن على هذا بمزيد توفيق.

فإذا مسألة الإضلال في كلام أهل السنة والجماعة عدل، ومسألة الهداية فضل. ولهذا أعظم الفضل والنعمة والإحسان نعمة التوفيق، الذي هو في الحقيقة نعمة. و من أسباب التوفيق :

الحفاظُ على الصلاة ؛ كثرةُ ذكرِ الله ، بُرُّ الوالدين ، الصَّدقةُ ، حسنُ الخُلُقِ، حضورُ
مجالسِ العلمِ والذِّكرِ .

أخي!

لا تحسبْ أنَّ نفسَكَ هيَ التي ساقَتَكَ إلى فِعْلِ الخِيراتِ ،
بلْ إِنَّكَ عَبْدٌ أَحَبَّكَ اللهُ تعالى فوَقَّقَكَ لفِعْلِ الخِيراتِ .
اللهمَّ وَقِّفْنَا لطاعتِكَ يا كريم .

يتبع 43 دروس العقيدة

هنا دمشق

الدرس الثالث والأربعون

من دروس العقيدة الإسلامية

الجائزات في حقه تعالى

الجائز الثالث

الوعد والوعيد

إخوتي!

الوعد ما وعد الله عليه أهل الإيمان من ثواب على أعمالهم الصالحة ،
والوعيد ما أوعد الله عليه العصاة والكفار من عذاب على أعمالهم الطالحة. والله
تعالى مُنَجِّزٌ للذي أَرَادَ به خيراً ما وعدَهُ به على لسانِ نبيِّه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أوفى
كتابهِ. فوعدَ اللهُ المؤمنَ بالجنة لا يتخلفُ شرعاً

قال تعالى (وَعَدَ اللهُ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ) (الروم 6)

وقال (إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ..) (آل عمران) أي الوعدَ فلو تخلفَ إعطاءُ الموعدِ
به لزمَ الكذبُ والسَّفَهُ والخُلْفُ واللهُ منزَّهٌ عنه سبحانه، ولأنَّ الخُلْفَ في الوعدِ نقصٌ
يجبُ تنزيهُهُ اللهُ عنه. هذا باتفاقٍ.

أمَّا الوعيدُ فيجوزُ الخُلْفُ فيه عندَ الأشاعرةِ لأنَّهُ لا يُعَدُّ نقصاً بلْ يَعدُّ كرمًا يُمتدَّحُ به
جلَّ وعلا

وهذا في غيرِ الكفارِ. أمَّا همُ فقد وردَ النصُّ بعدمِ العفوِ عنهم
قال تعالى (إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)
(النساء 48)

واعترضَ الماتريديُّ على جوازِ تخلفِ الوعيدِ بلزومِ مفسادِ ثلاثةٍ

- 1- الكذبُ في خبره تعالى وقد قامَ الإجماعُ على تنزيهِ خبره تعالى عن الكذبِ .

- 2- تبدُّلُ القولِ. وقد قالَ تعالى (مَا يبدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ) . (ق 9م)

3- تجويزُ عدمِ خلودِ الكفارِ في النَّارِ وهوَ خلافُ ما قامتْ عليه الأدلَّةُ القطعيةُ في خلودهم فيها
أجابَ الأشاعرةُ بأنَّ:

1- الكريمُ إذا أخبرَ بالوعدِ فاللائقُ بكرمه أنْ يبيِّنَ إخبارَهُ على المشيئةِ (إنْ شئتُ) وإنْ لمْ يصرِّحْ بها فإذا قالَ (لأُعذبَنَّ فلاناً) مثلاً فنيتهُ إنْ شئتُ بخلافِ الوعدِ فاللائقُ بكرمه أنْ يبيِّنَ إخبارَهُ على الجزمِ لئلاَ وَرَدَ في حديثِ ابنِ أبي عاصمٍ في السُّنةِ
960

(مَنْ وَعَدَهُ عَلَى عَمَلٍ ثَوَاباً فَهُوَ مَنْجُزٌ لَهُ وَمَنْ أَوَعَدَهُ عَلَى عَمَلٍ عِقَاباً فَهُوَ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ بِهِ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَهُ) (أبو يعلى)

2- الممنوعُ هوَ تبديلُ القولِ في وعيدِ الكفارِ أو مَنْ لمْ يُرِدِ اللهُ عنه عفواً .
فآلية ما يُبدَّلُ القولُ لديٍّ محمولةٌ على ذلك .

3- جوازُ تخلُّفِ الوعيدِ في ما إذا كانَ وارداً فيما يجوزُ العفوُ عنه منَ الذنوبِ والمعاصي فلا ينافي خلودَ الكفارِ في النَّارِ فإنَّه لايجوزُ العفوُ عن الكفرِ (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) هذه الآيةُ مخصَّصةٌ لآيةِ (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعاً).

رضي اللهُ عن الفريقين الأشاعرة والماتريدية.

يتبع 44 دروس العقيدة.

هنا دمشق

الدرس الرابع والأربعون
من دروس العقيدة الإسلامية
الجائزات في حقه تعالى
الجائز الرابع
انفراذه تعالى بالتأثير

إخوتي!

يقوم المزارعون كل يوم بزرع البذور في الأرض وقد قام مزارع يعلم ولده كيف يزرع البذور، فأحضر بذور بطيخ وراح يزرعها واحدة واحدة. وتمضي الأيام وهما يسقيان البذور وتبدأ الجذور والاوراق شيئاً فشيئاً تشق الأرض وتظهر...

ومر الوالد وولده عليها : هذه نبتت، وهذه نبتت، وهذه نبتت، حتى وصلا إلى بذرة لم تنبت. فسأل الولد أباه : يا أبت لم لم تنبت هذه البذرة؟ فقال الوالد : يا بني هذه البذرة سبب لنبات البطيخ ربما تنبت وربما لا تنبت؟ فصار الولد يلح على أبيه: لماذا تلك البذور نبتت وهذه البذرة لم تنبت؟! فقال الوالد : يا بني البذرة نفسها ليس عندها قابلية الإنبات، لا تنبت بطبعها، وليس فيها قوة إنبات، لكن الله تعالى من فضله علينا عندما نضع البذرة في الأرض تنبت عندها البطيخة..

ولما كان الإنبات من الله تعالى نبتت تلك البذور ولم تنبت هذه البذرة، ألم تقرأ قوله تعالى في سورة الواقعة (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ..) (الواقعة 53)

قال الولد لأبيه: يا أبت زدني.

قالَ الوالدُ : هلْ تظنُّ أَنَّ النَّارَ تحرقُ بطبيعتها أو بقوةٍ فيها؟!
 النارُ سببٌ عاديٌّ كهذهِ البذرةِ قد يجعلُها اللهُ تعالى تحرقُ وقد لا يجعلُها كذلكَ،
 ولذلكَ لما ألقى فيها سيدنا إبراهيمُ الخليلُ أمرها اللهُ تعالى ألا تحرقَه (قلنا يانارُ كوني
 برداً وسلاماً على إبراهيم) . (الأنبياء 69)
 هُنا التفتَ الولدُ إلى أبيه وقالَ : هذا درسٌ لن أنساهُ أبداً..

إخوتي!

الأسبابُ العاديةُ لا تؤثرُ بنفسِها ولا بقوةٍ أودعها اللهُ تعالى فيها ، بل اللهُ تعالى يوجدُ
 تأثيرهَ عندها، لأنَّه لا فاعلَ إلا اللهُ تعالى هو المنفردُ بالتأثيرِ .
 فمنْ نسبَ لها التأثيرَ فقدَ أشركَ باللهِ تعالى .
 فلا تأثيرَ للنارِ في الحرقِ ، ولا للطعامِ في الشَّبَعِ ، ولا للسَّكِينِ في القطعِ ، ولا للشَّربِ
 في الريِّ ، ولا للباسِ في الدِفءِ والسَّترِ .
 بل اللهُ عزَّ وجلَّ إذا أَكَلَ العبدُ الطعامَ أو شربَ ماءً يُوجدُ اللهُ تعالى عندَ ذلكَ
 الشَّبَعَ والريِّ .

فمنْ اعتقدَ أنَّ شيئاً منها يُؤثرُ بنفسِها أو بطبيعتها فلا نزاعَ في كفرهَ لأنَّه شاركَ اللهُ في
 التأثيرِ ، والشِّرْكُ كُفْرٌ .

ومنْ اعتقدَ أنَّ شيئاً منها يُؤثرُ بقوةٍ أودعها اللهُ تعالى فيه فهوَ فاسقٌ، وهوَ قولُ
 المعتزلةِ الذينَ قالوا : إنَّ العبدَ يخلقُ أفعالَ نفسه الاختياريةَ بقُدرةِ خلقها اللهُ فيه .

وقد ردَّ عليهم ناظمُ العقيدةِ رحمه اللهُ تعالى فقالَ :

ومنْ يَقُلُ بالطَّبْعِ أو بِالْعِلَّةِ فذاكُ كُفْرٌ عندَ أَهْلِ الْمِلَّةِ

ومنْ يَقُلُ بالقُوَّةِ المودَعَةِ فذاكُ بِدْعِي فلا تَلْتَفِتِ .

ذلكَ بأنَّ مولانا عزَّ وجلَّ مِنْ سُنَّتِهِ الأسبابُ العاديةُ فيخلقُ عندَ هذهِ الأسبابِ :
 فيوجدُ تعالى الاحتراقَ عندَ النارِ ، والضَّوءَ عندَ الشَّمْسِ ، والنورَ عندَ القَمَرِ والمصباحِ ،

والجُوعَ عندَ عَدَمِ الأَكْلِ، والرِّيَ عندَ الشُّرْبِ، والسَّتْرَ والوقايةَ عندَ لُبْسِ الثَّوبِ،
والقَطْعَ عندَ السِّكِينِ، والشفاءَ عندَ التداوي،
يُوجدُ ذلكَ بها عادةً وقد لا يفعلُ وهذا ما يُسمى صحّةِ التَّخَلُّفِ وعَدَمُ تأثيرِ
أحدهما في الآخرِ البتّةُ فلا تأثيرَ إلا اللهُ تعالى.
هذا الكلامُ المَتَقَدِّمُ

هو ما يُسمى بالتَّلازِمِ العاديِّ أو السببِ العاديِّ وهو ربطُ أمرٍ بأمرٍ وجوداً وعدماً
معَ صحّةِ التَّخَلُّفِ مِنْ غيرِ أنْ يُؤثِّرَ أحدهما بالآخرِ أَلْبَتّةُ.
احفظوا هذه القاعدةَ:

يُوجدُ اللهُ تعالى عندها لا بها ولا بقُوّةِ أودّعها اللهُ تعالى فيها.
بارك اللهُ تعالى بكم ونفعنا بعلمِ العقيدة.

يتبعُ 45 دروسَ العقيدة.

هنا دمشق

الدرس الخامس والأربعون
من دروس العقيدة الإسلامية
الجائزات في حقه تعالى
الجائز الخامس
السعادة والشقاوة

إخوتي!

تذكيرة:

الجائز هنا ليس بصفات ذات بل صفات أفعال لأنَّ صِّفَاتِ الذات تقفُ عندَ الواجبِ والمستحيلِ.

ويعدُّ الجائز هو القسمُ الثالثُ في الحُكْمِ العقلي بعدَ الواجبِ والمستحيلِ. وبهذا نتبينُ أنَّ الجائز في حقِّ الله تعالى يشملُ جميعَ صفاتِ الأفعالِ، وقد ذكرنا أنَّها لا تقعُ تحتَ الإحصاءِ

إذا علمنا أنَّ الصِّفَاتِ الواجبةَ هي ما يترتَّبُ على عدمِها نقصٌ، وأنَّ الصفاتِ المستحيلةَ هي في النهايةِ ضدها:

فإنَّ الصِّفَاتِ الجائزةَ لا يترتَّبُ على وجودِها أو عدمِها نقصٌ لله تعالى لأنَّه عزَّ وجلَّ [لا يُسألُ عما يفعلُ وهم يُسألونَ] (الأنبياء 23).

فتضييقُ الرِّزْقِ على فلانٍ لا يُعتبرُ نقصيَّةً في حقِّ الله تبارك وتعالى بل التَّضييقُ في الرِّزْقِ والتَّوسعةُ من بابِ الابتلاءِ.

فلا علاقةٌ للعطاءِ القليلِ أو الكثيرِ بالرِّضا والسَّخَطِ بل هو امتحانُ العبادِ. يشكرُ المؤمن على السَّراءِ ويصبرُ على الضَّراءِ.

إِنَّ جَمِيعَ أَفْعَالِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هِيَ صِفَاتُهُ الْجَائِزَةُ. تَخَضُّعٌ لِلْإِرَادَةِ الرَّبَّانِيَةِ الْمُطْلَقَةِ
التي لا يدرك الإنسان كُنْهَهَا.

وليسَ للمؤمنِ إِلَّا أَنْ يَنْزِعَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ جَمِيعِ النِّقَاصِ وَأَنْ يَنْسَبَ إِلَيْهِ كُلَّ صِفَاتِ
الكمال.

وقَدْ تَقَدَّمَ معنا أَرْبَعَةُ جَائِزَاتٍ فِي حَقِّهِ تَعَالَى وَنَحْنُ عَلَى مَوْعِدِ الْيَوْمِ مَعَ الْخَامِسِ وَهُوَ
السَّعَادَةُ وَالشَّقَاوَةُ

فَيَجُوزُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى وَلَيْسَ وَاجِباً عَلَيْهِ أَنْ يَقْدَرَ فَوْزَ الْعَبْدِ فِي الْأَزْلِ فِي عِلْمِهِ تَعَالَى
أَيُّ أَيُّ يَقْدَرُ لَهُ السَّعَادَةُ .

وكذا أَنْ يَقْدَرَ شِقَاءَ الْعَبْدِ فِي الْأَزْلِ فِي عِلْمِهِ تَعَالَى.

فليسَ السَّعِيدُ بِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ الْآنَ وَلَا الشَّقِيُّ بِأَنَّهُ كَافِرٌ الْآنَ، بَلْ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِمَ أَنَّهُ
سَيَفُوزُ أَوْ أَنْ سَيَشُقَّى.

إِخْوَتِي!

السَّعَادَةُ وَالشَّقَاوَةُ مَقْدَرَتَانِ فِي الْأَزْلِ لَا يَتَغَيَّرَانِ وَلَا يَتَبَدَّلَانِ..

لِأَنَّ السَّعَادَةَ هِيَ الْمَوْتُ عَلَى الْإِيمَانِ وَالشَّقَاوَةُ هِيَ الْمَوْتُ عَلَى الْكُفْرِ.

وَالْخَاتِمَةُ تَدُلُّ عَلَى السَّابِقَةِ فَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِالْإِيمَانِ دَلٌّ عَلَى أَنَّهُ فِي الْأَزْلِ كَانَ مِنْ

السَّعْدَاءِ وَإِنْ تَقَدَّمَهُ كُفْرٌ كَحَالِ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكَرَامِ بَعْدَ كُفْرِهِمْ،

وَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِالْكَفْرِ دَلٌّ عَلَى أَنَّهُ فِي الْأَزْلِ كَانَ مِنْ الْأَشْقِيَاءِ وَإِنْ تَقَدَّمَهُ إِيْمَانٌ....

فَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ق) (إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ

حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ

فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ

فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا) هَذَا عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ الطَّرَفِ

الْأَوَّلِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَقَالَ الْمَاثُرِيَّةُ وَهُمْ الطَّرَفُ الثَّانِي مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ:

السَّعَادَةُ هِيَ الْإِيمَانُ بِالْحَالِ وَالشَّقَاوَةُ هِيَ الْكُفْرُ كَذَلِكَ وَالسَّعِيدُ هُوَ الْمُؤْمِنُ فِي الْحَالِ
وَإِذَا مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ انْقَلَبَ شَقِيًّا،

وَالشَّقِيُّ هُوَ الْكَافِرُ فِي الْحَالِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ انْقَلَبَ سَعِيدًا.

وَلِذَا وَرَدَ عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ش) (اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنِي عِنْدَكَ فِي
أُمِّ الْكِتَابِ (أَيْ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كَمَا هُوَ الْمَفْهُومُ مِنْ كَلِمَةِ كِتَابَةٍ) شَقِيًّا أَوْ مُحْرَمًا أَوْ
مَقْتَرًا عَلَيَّ فِي الرِّزْقِ فَامْحُ اللَّهُمَّ بِفَضْلِكَ شَقَاوَتِي وَحَرِّمَانِي وَإِقْتَارَ رِزْقِي).

يَتْبَعُ 46 دُرُوسُ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

هنا دمشق

الدرسُ السادس والأربعون
من دروسِ العقيدةِ الإسلاميةِ
الجائزات في حقه تعالى
الجائزُ السادسُ
الكسْبُ والجَبْرُ عند مذهبِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ

إخوتي!

الكسْبُ : مصدرٌ، فعله الماضي: كَسَبَ يدلُّ على التَّحَمُّلِ والطلبِ.
وكَسَبَ الإِثْمَ واكْتَسَبَهُ: تَحَمَّلَهُ.
ومعنى الكسْبِ أَنْ يُجْرِيَ اللهُ تعالى الفِعلَ على يدي العبدِ مِنْ غيرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ تأثيرٌ
منهُ بوجهٍ من الأوجهِ فهو لَهُ الحركةُ الظاهرةُ للفِعلِ..
فليسَ للمخلوقِ في أفعاله الاختياريةِ إلا الكسْبُ، فليسَ مجبوراً وليسَ خالقاً لها.
توضيحُ :

الذَّبْحُ ليس بفِعْلي بل مِنْ اللهِ تعالى وَإِنَّمَا يَخْلُقُهُ اللهُ لِي عِنْدَ حَرَكَةِ الذَّبْحِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي
يَمْلِكُهَا الْإِنْسَانُ وَتَقَامُ الْحُدُودُ عَلَيْهِ لِأَجْلِهَا، وهذا ما يُقَالُ عَنْهُ الكَسْبُ ؛ يوضحه
قوله تعالى لنبیه الکریم صلی الله علیه وسلم بقوله:

(وما رميتَ إِذْ رميتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى) (الأنفال 17)

أَي مَارَمَيْتَ خَلْقاً إِذْ رَمَيْتَ كَسْباً وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى إِيجَاداً ، فالإنسانُ آلةٌ لتنفيذِ فِعْلِ
اللهِ عَزَّ وَجَلَّ..

وكانَ سَيِّدُنَا الإمامُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الشَّاعُورِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى يردُّدُ:

تُرَانِي كَالآلَاتِ أَنْتَ مُحَرِّكِي أَنَا قَلَمٌ وَالْاِقْتِدَارُ أَصَابِعُ.

وقَدْ مَثَّلُوا لِلْكَسْبِ بِكَبْسَةِ الضَّوئِ عِنْدَ كَبْسِهَا، هل هي التي أضاءتِ النُّورَ ؟ . لا .

ليست القوة نابعة منها بل هي سبب وصل. هذه عقيدة أهل السنة والجماعة.
بينما ذهب المعتزلة في ضلالاتهم:

أنَّ العبدَ خالقٌ لأفعاله الاختيارية بقُدرة خلقها الله فيه، ولقولهم بقُدرة خلقها الله فيه لم يكفروا على الأصح.

وقالت الجبرية وهي فرقة مذهبها باطل: إنَّ العبدَ ليس له كسبٌ، بل هو مجبورٌ (أي مقهورٌ) كالريشة المعلقة في الهواء تقلبها الرياح كيف شاءت.

والردُّ عليهم واضحٌ لأنني أرى في نفسي ميلاً وقصدًا وانبعاثًا نحو الفعل. وهذه هي حدودُ قدرة الإنسان.

أمَّا الفعلُ في حدِّ ذاته فهو مخلوقٌ لله تعالى، وكلُّ الأفعالِ مخلوقةٌ لله تعالى مكسوبةٌ من العبد.

مصادقا لقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون.) (الصفات 96)

ولما كان القولُ بأنَّ أفعالَ العبادِ مخلوقةٌ لله سبحانه مستلزماً للجبر، حاول الإمام الأشعري رضي الله عنه أن يعالجه بإضافة «الكسب» إلى «الخلق» قائلاً :

بأنَّ الله هو الخالقُ، والعبدُ هو الكاسبُ، وملاكُ الطاعةِ والعصيانِ، والثوابِ والعقابِ هو «الكسبُ» دونَ الخلقِ، فكلَّ فعلٍ صادرٍ عن كلِّ إنسانٍ مريدٍ، يشتملُ على جهتين:

«جهة الخلق» و«جهة الكسب» فالخلقُ والإيجادُ منه سبحانه، والكسبُ والاكتسابُ من الإنسان.

وبهذه الرؤية التوسُّطية للفعل الإنساني يبطلُ مذهبُ الجبرية القائمُ على أساس إنكارِ القدرةِ الحادثة، المرفوضة ضرورةً وبداهةً، وهو بهذا التوجُّه يبدو غيرَ واقعي ينتهي حتماً إلى إبطالِ محلِّ التكليفِ، بل يصبحُ التكليفُ لا معنى له في غيابِ إرادةٍ وقدرةٍ على الفعل.

كما يَسْقُطُ مذهبُ المعتزلة الذي يجعلُ العبدَ مختَرعاً لأفعاله وهذا مرفوضٌ لأنَّه ينافي أصلَ التوحيدِ الذي يجعلُ الخالقَ سبحانه وتعالى متفرداً بالوحدانية (واحدٌ في أفعاله)

وللهِ دُرُّ الأشاعرة فقد كَانَ نظرُهم بعيداً، في معالجَتهم وإقرارهم لمبدأ الكسبِ حيثُ حَقَّقُوا مِنْ خِلالِهِ مَقْصِدَيْنِ عَظِيمَيْنِ :

الأوَّلُ : إثباتُ حرية العبدِ ومسؤوليته عن بعض الأفعال .

الثَّاني: الحفاظُ على جوهرِ التَّوحيدِ وعدمُ تمزيقه كما فَعَلَ التَّيارُ الاعتزاليُّ مِنْ قَبْلُ .
لقد استطاعَ الخطابُ الأشعريُّ مِنْ خِلالِ عقيدةِ الكسبِ التي هي التفسيرُ العمليُّ والعِلْمِيُّ لمسألةِ القضاءِ والقَدَرِ أَنْ يَقَرَّرَ عَلَى أَنَّ الفاعلَ الحقيقيَّ في نهايةِ المطافِ هو اللهُ تعالى .

ولا يليقُ بالمسلمِ أَنْ يَحْتَجَّ بعِلْمِ اللهِ تعالى وقضائه وقَدَرِهِ لِيَبَرِّرَ أَعْمَالَهُ السيئةَ، ولا يذكُرُ شيئاً مِنْ ذَلِكَ إِذَا هُوَ فَعَلَ خيراً، لأنَّه لا يريدُ أَنْ يَحْرِمَ نَفْسَهُ شَرَفَ وَثَوَابَ الأفعالِ الحسنةِ، لكنَّه يَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ لِيَنْفِلَتَ مِنْ تَبِعَةِ الفَعْلِ القبيحِ، بَلْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْعَى لِفَعْلِ الخيراتِ و الطاعاتِ واجتنابِ المعاصي والمنكراتِ .

إخوتي!

لكنَّ ما يَجِبُ عِلْمُهُ وَيَضُرُّ الْجَهْلَ بِهِ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ مخلوقاتِ اللهِ تعالى تنقسمُ إلى قَسَمَيْنِ :

القسمُ الأوَّلُ :

مخلوقاتٌ لا كَسْبَ لأحدٍ فيها، وهي كُلُّ ما يَقَعُ فِي الكونِ على وجهِ القسْرِ والجبرِ مثلُ حركةِ الأفلاكِ والفصولِ ونموِ الأشجارِ وكثيرٍ من حركاتِ الإنسانِ كالنومِ واليقظة وحركةِ الإرتعاشِ . وهذا أمرٌ لا كلامَ فِيهِ لأنَّ الإنسانَ غَيْرُ مسؤولٍ عَنْ هَذِهِ التَّصرفاتِ .

القِسْمُ الثَّانِي:

مخلوقاتٌ اكتسابيةٌ يَتَّصِفُ بها الإنسانُ بكسبه وسعيه الاختياري، كإقباله على العمل والطعام والدِّراسة، ومختلف ما يختاره الإنسان لنفسه، وهذه التَّصرفاتُ موضوعُ المسألة.

وأفعال الإنسان الاختيارية من جُملة مخلوقات الله تعالى، فهو الذي جعل فيك الإقبال على الدِّراسة والانصراف عنها، وهو الذي خلق فينا تصرفاتنا كلّها من طاعة وعصيان... غير أنّ خلق الله لا يعني أنّك مُكرهٌ على ذلك .

تلبّسك بالفعل يقتضي أمرين:

- وجودُ هذا الفعل في الخارج (وجودُ مقوماته كلّها)

- ثمّ اكتسابك له عن طريق انبعاثك نحوه .

فأنت مختارٌ ومريدٌ بوصفك كاسباً ومُنْبَعثاً إليها لا بوصفك خالقاً وموجداً له ولعناصره .

وانتبهوا أحبّتي:

الإنسانُ يحاسبُ على الكسبِ لا على جوهرِ الفعلِ في حدّ ذاته: مثلاً الذي يدهسُ إنساناً بسيارته فيقتله، المسؤولُ عن الفعلِ المباشرِ هو السيارةُ نفسها ولكنّ الإنسانَ إنّما يُحاسبُ على أنّ الفعلَ جرى على يديه وهذا ما يُسمى بالكسبِ .

واللهُ تعالى يحاسبُ على الكسبِ : أي على الانبعاثِ النَّفسي إلى التلبّسِ بالفعل . أدلّة على الكسبِ :

" (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [البقرة : 286].

(• لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) [البقرة : 225]

(•) (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) [غافر : 17]

(وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) [الزمر : 48]
أخيراً:

يمكنُ القولُ:

إنَّ العبدَ مجبورٌ في صورةٍ مختارٍ، لذا يقولُ سيّدنا إبراهيمُ الدُّسوقي (من نظرَ للخلقِ بعينِ الحقيقةِ (أي بعينِ الإيمانِ وأنّه لافاعلَ إلا الله) عذّرهم ومنَ نظرَ إليهم بعينِ الشّريعةِ (أي التّكليفِ) مقتّهم.)

والواجبُ اعتقاده أنّ بعضَ أفعالِ العبدِ صادرةٌ باختياره وأفعاله الأخرى صادرةٌ باضطراره.

يتبع 47 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس السابع والأربعون

من دروس العقيدة الإسلامية

الجائزات في حقه تعالى

الجائز السابع

الإثابة على الأعمال

إخوتي!

قبل الدخول في الجائز الجديد أسأل سؤالين:

السؤال الأول:

لو أن والدا يريد أن يحتفل بأحد أولاده لنجاحه وجاء لأولاده الآخرين لكل واحد هدية من ماله الخاص وقال لأولاده ليأخذ كل منكم هدية ويقدمها باسمه لأخيكم هل يقول واحد منهم ياأبت أعطني ثمن الهدية التي قدمتها لآخي؟! لا.

السؤال الثاني:

لو أني صنعت لعبة وأردت أن أحرق هذه اللعبة هل لأحد ما أن يعترض علي في فعل ذلك وقد تصرف في مالي الخاص ؟ لا.

هذان السؤالان كان لابد منهما لأوضح لكم قضية الجائز السابع اليوم.

نحن خلق الله

وكل أعمالنا مخلوقة لله خيرا أو شرا، كما تعرفنا في الجائز الأول، لذلك مولانا عز وجل مختار أن يثيبنا على أعمالنا الحيرة أو يعذبنا على أعمالنا الشريرة...لأنه لم يصدر منا خير نستحق عليه ثوابا ولا شر نستحق عليه عقابا.

فعندما يعطينا الله تعالى ثوابا على أعمالنا فهو بفضله الخالص، وعندما يعذبنا على أعمالنا فهو بعدله الخالص لأننا ملكه يتصرف بنا كما يشاء.

ولم يوجب أحد على الله تعالى أن يفعل ذلك.. كما لا وجوب عليه بحيث تصير الإثابة مستحقة عليه يقبح عليه تركها..

فكل ما في الكون ملكه يتصرف فيه ثوابا وعقابا (لا يسأل عما يفعل).
فعقيدتنا أن الله تعالى يثيبنا على أعمالنا بالفضل الخالص غير مشوب بإيجاب ولا وجوب.

ويدل على هذه العقيدة أن طاعات العبد وأن كثرت لا تفي بشكر بعض ما أنعم الله به عليه، فلذا هو لا يستحق عوضا عن أي عبادة عملها مقابل النعم العظيمة عليه.

وقد حدثنا نبينا صلى الله عليه وسلم (أن رجلا نجاه الله من الغرق إلى جزيرة وأنبت له عين ماء عذبة وشجرة رمان وبقي يتعبد على الجزيرة 500 عام .. وأنه يأتي يوم القيامة ويقول الله له: ادخلوا عبدي الجنة برحمتي. فيقول: العبد بل بعملتي... فيقول الله تعالى: زنوا عبادة عبدي بنعمة البصر.. فتستوي كفتا الميزان... فيقول: خذوه إلى النار.. (يعني مازالت بقية النعم وما أكثرها...)... فيقول: يارب بل برحمتك..
فيعدد الله تعالى نعمه على عبده ثم يقول: فعلت ذلك برحمتي وبرحمتي أدخلك الجنة)..

وكذلك يقال في العقاب، فلو عذَّبنا فهو بعدله الخالص.. ومعنى العدل وضع الشيء في محله من غير اعتراض على الفاعل.. وعكسه الظلم..

يا إخوة !

علينا أن نعلم أنه سبحانه لا تنفعه طاعة عباده، ولا تضره معاصيهم، والكلُّ بخلقه تعالى، فليست الطاعة مستلزمةً للثواب (الله غير مجبر أن يثيبنا) وليست المعصية مستلزمة للعقاب (الله تعالى غير مجبر على عقابنا) وإنما هما أمارتان تدلان على الثواب لمن أطاع والعقاب لمن عصى.

حتى لو عكس مولانا عز وجل دلالتهما بأن قال : (من أطاعني عذبتة ومن عصاني أثبتته) لكان ذلك منه حسناً فلا حرج عليه (لا يسأل عما يفعل).

وهذا كله بحسب العقل..

أما بحسب الشرع فلأن الله تعالى وعدنا الإثابة على فعل الخيرات فلا يجوز شرعاً أن لا يفي بوعده لأن الخلف بالوعد سفيه والله تعالى منزّه عنه.

وأما الوعيد فيجوز أن لا ينفذه لأنه يعد ذلك منه كرمًا وفضلاً يُمتدح به كما مر سابقاً في جائز الوعد والوعيد.

القاعدة إذن:

إذا علمنا انفراده تعالى بخلق العباد وأعمالهم خيراً كانت أو شراً فإنّ يثبنا بفضله الخالص وإن يعذبنا فبعدله الخالص، لأنه لم يحصل منا خير نستحق به ثواباً ولا شر نستحق به عقاباً.

يتبع 48 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس الثامن والأربعون من دروس العقيدة الإسلامية

الجائزات في حقه تعالى

الجائز الثامن

الصَّلاح والأصلح

إخوتي!

لا واجب على الله، لا في الدنيا ولا في الدين فكل نعمة من الله على خلقه تعتبر من باب التفضل حتى ما أوجبه سبحانه وتعالى على نفسه من باب التفضل؛ لأنه لم يوجبه أحد عليه .

هذا ما يجب معرفته أولاً.

ويوضح هذه القاعدة الموقف التالي في هذا الجائز الثامن.

أنقل لكم هذه المناظرة بين إمام العقيدة سيدنا أبي الحسن الأشعري وبين نظيره وشيخه الجبائي المعتزلي.

قال الإمام الأشعري:

ما تقول في ثلاثة إخوة: - مات الأول كبيراً مطيعاً - والآخر كبيراً عاصياً.

- ومات الثالث صغيراً.

فقال الجبائي: - الأول: يثاب بالجنة. - والثاني: يعاقب بالنار. - والثالث: لا يثاب ولا يعاقب.

فقال الإمام الأشعري:

فإن قال الثالث: يارب لما أمتني صغيراً وما أبقيتني فأطيعك كبيراً فأدخل الجنة؟

ماذا يقول الرب جل جلاله؟

فقال الجبائي:

يقول الرب إني أعلم أنك لو كبرت عصيت فتدخل النار فكان الأصح لك أن تموت صغيراً.

وهنا قال الإمام الأشعري :

فإن قال الثاني: يا ربي لما لم تمتني صغيراً فلا أدخل النار ؟ ماذا يقول الرب جل جلاله ؟

فبهت الجبائي وسكت.

وترك الإمام الأشعري مذهبه الاعتزالي واشتغل هو وأتباعه بالرد على المعتزلة وإثبات ما ورد في السنة المطهرة ، فلذلك سموا أهل السنة والجماعة.

فلماذا تبرأ الإمام الأشعري من مذهب الاعتزال بناء على هذه المناظرة؟

من المعروف لدى الباحثين أن المعتزلة هي من الفرق الإسلامية التي كان لها حضور واضح على الساحة الإسلامية، وأن وجودها كان سبباً في إثارة الكثير من المعارك العلمية والفكرية بينها وبين خصومها، مما حدا بأهل السنة والجماعة أن ينبروا للرد عليهم.

وكان من المواضيع التي دار حولها الخلاف، وثار بسببها الجدل مسألة وجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى، فقد اندفع المعتزلة في الدفاع عن فكرتهم هذه وإيجاد الأدلة والبراهين على صحتها، في المقابل نرى الاندفاع المضاد من قبل خصومهم في نقض هذه الفكرة وبيان تهافتها.

لأن المعتزلة يقولون : يجب على الله أن يفعل ما فيه صلاح العبد دون ما فيه فساد له.

وكذا لو كان أمران أحدهما فيه صلاح للعبد والآخر أصح له: الواجب على الله تعالى أن يفعل الأصح منهما سبحانه .

فمثلا الصلاح للعبد أن يدخله الله تعالى الجنة، والأصلح له أن يكون في أعلى الجنان مقابل كونه في ربض الجنة، فيجب على الله تعالى أن يفعل ما هو الأصلح للعبد.

هذا قول أهل الاعتزال. وهو قول باطل.

لأننا نجد أنه لو وجب على الله تعالى الصلاح والأصلح لعباده لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا بالفقر والمعذب بالآخرة بالعذاب الأليم المخلد، لأن الأصلح له ألا يخلقه تعالى، وإن خلقه فالأصلح له إمامته صغيرا، أو سلب عقله قبل التكليف كي لا يعذب.

وكذا نجد الأولاد الصغار الذين يصابون بالأمراض أليس من الصلاح لهم ألا يصابوا لكن ذلك غير واجب على الله تعالى.

ومنها: أن عدم خلق إبليس وجنوده أصلح للخلق ومن أنفع. لازم مذهبهم أن يميت الله تعالى الأطفال قبل بلوغهم من الذين سيجحدون الله أو يكفرونه كما تقدم.

والطالب الذي يدرس ثم ينجح بعلامات ضعيفة أليس الأصلح له أن ينال العلامات العالية ؛ لكن ذلك ليس واجبا على الله سبحانه وتعالى.

لأنه تعالى فاعل بالاختيار ولو وجب عليه فعل أو ترك لما كان مختارا..

ولهذا قال تعالى لبني إسرائيل (وأني فضلتكم على العالمين) (البقرة 47)

فهذه الآية تدل على أن رعاية الأصلح لا تجب على الله تعالى لا في الدنيا ولا في الدين.

فذلك التفضيل إما أن يكون واجبا أو لا يكون واجبا، فإن كان واجبا لم يجز جعله منة عليهم لأن من أدى واجبا فلا منة له على أحد وإن كان غير واجب مع أنه تعالى خصص بعضهم بذلك دون بعض، فهذا يدل على أن رعاية الأصلح غير واجبة لا في الدنيا ولا في الدين.

فماذا نقول عن الآيات الدالة على الوجوب عليه تعالى نحو قوله

(وما من دابة إلا على الله رزقها) هود 6

فمثل هذه الآيات محمولة على أن المراد بها الوعد تفضلا من الله تعالى. وكذا يقال في الأحاديث التي على تدل ذلك نحو

(إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا) (د 1488).

هذه عقيدتنا الإسلامية

وتذكروا...الصلاح ما قابل الفساد...كأن يخلق الله تعالى عبده مؤمنا مقابل أن يخلقه كافرا...

والأصلح ما قابل الصلاح..كأن يجعل الله عبده في قصر منعما مقابل أن يجعله الله تعالى في بيت سليما مرزوقا

فيجوز على الله تعالى ذلك ولا يجب.

يتبع 49 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس التاسع والأربعون
من دروس العقيدة الإسلامية
الجائزات في حقه تعالى
الجائز التاسع
خلق الخير والشر

إخوتي!

يجوز على الله تعالى خلق الخير والشر والهدى والضلالة والإيمان والكفر..
ولأجل توضيح هذه المسألة أسأل:

لماذا خلق الله الشرّ..؟!..

فريق من الناس يسأل استرشاداً .. وفريق يسأل فتنة: لماذا خلق الله الشرّ..؟!..
ولهؤلاء وأولئك أقول:

خلق الله تعالى الشرّ لحكمٍ جليلة عديدة، نعرف بعضها، ونجهل أكثرها .. (وَاللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ). (البقرة 216).

من تلك الحكم:

أن الله تعالى ربُّ العالمين .. ومن كمال الربوبية وشموليّتها .. أن يكون الربُّ ربّاً
لكلِّ شيء .. وخالقاً لكل شيء .. للخير والشرّ معاً.

ومنها: لكي تظهر قدرته لخلقه .. وأن الله تعالى قادر على أن يخلق الشيء وضده

.. وأنه المتفرد بذلك .. فكما أن الله تعالى قادر على أن يخلق الخير، وعلى تصريفه

كيفما يشاء، وحيث يشاء .. فهو قادر على أن يخلق الشر، وعلى تصريفه كيفما

يشاء، وحيث يشاء .. بلا ممانع ولا منازع .. وكما أن الله تعالى قادر على أن يخلق

الحياة من لا شيء .. فهو سبحانه قادر على أن يخلق الموت وأسبابه..!!..

ومنها: أن الدنيا دار عملٍ، واختبارٍ، وبلاء .. وهذا من لوازمه أن يخلق الله تعالى الخير والشر، كما قال تعالى (وَنَبَلُّوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً). (الأنبياء 35)

ومنها: أن المخلوق يحتاج لمن يجلب له الخير، ويدفع عنه الشر .. فلا يستقيم شرعاً ولا عقلاً أن يجد الأولى عند خالقه .. والأخرى عند غيره .. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً!

ومنها: أن الخير يُعرف بضده .. وأن الحق يُعرف بضده؛ فنعمة الخير تُعرف بشرِّ فقداها .. والحق يُعرف قدره بمعرفة ضده من الباطل!..

كيف تعرف نعمة التوحيد وفضله عليك .. وأنت تجهل الشرك .. وما يُجلبه من شرور وأضرارٍ على صاحبه في الدنيا والآخرة؟!

كيف تعرف نعمة الصحة .. وأنت لا تعرف المرض .. ولم تجربه ..؟!

كيف تعرف نعمة الشبع .. وأنت لا تعرف الجوع .. ولم تجربه ..؟!

كيف تعرف نعمة الغنى .. وأنت لا تعرف الحاجة ولا الفقر .. ولم تجربه ..؟!

كيف تعرف نعمة الوصل .. والعيش مع الأهل والأحبة .. وأنت لا تعرف شر وفتنة وآلام الفراق ..؟!

كيف تعرف نعمة العلم .. وأنت تجهل الجهل وآثاره ..

وهكذا كل شيءٍ فإنه لكي يُعرف على حقيقته لا بد أن يُعرف ضده.

ومنها:

أن الشرَّ سببٌ للموت .. والإنسان لا بد له من الموت!..

ومنها:

أن الله تعالى يُعبد في السراء والضراء .. ويُحب أن يُعبد في الضراء كما يُعبد في السراء .. وهذا من لوازمه وجود السراء والضراء .. والخير والشر.

ومنها: أن من مقتضيات ولوازم أسماء الله تعالى وصفاته .. وجود الخير والشر ..
فالله تعالى هو الغني الرزاق .. وهذا من مقتضياته ولوازمه وجود الفقير المحتاج الذي
يسأل الله تعالى الغنى والرزق .. فيعطيه.

والله تعالى غفور رحيم .. وهذا من لوازمه ومقتضياته وجود الشر والإثم .. الذي
يحمل صاحبه على طلب الرحمة والمغفرة من ربه .. فيغفر له ويرحمه.

والله تعالى المنتقم الجبار .. وهذا من لوازمه ومقتضاه .. وجود الظالمين .. الذين
ينتقم الله منهم...!

وهكذا كل اسم من أسماء الله تعالى تجد أن له مقتضيات في خلقه .. لا بد من
ظهورها ووجودها..!

ومنها: أن العبد لا يعرف فضل الله عليه .. إلا عندما يرى غيره مبتلاً بفقد ما منَّ
الله به عليه..

فيجد نفسه مشدوداً للقول:

الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه به، وفضلني على كثير من خلقه تفضيلاً...!
ومنها: أن الخير الصرف يُطغي صاحبه ويُنسيه أن له رباً يُعبد .. كما قال تعالى
(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ . أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى .)

فيأتي الشر لِيُذَكِّرَهُ .. ويأطره لأن يقول: يا رب اغفر لي .. يا رب رحمني .. يا رب
عافني واعف عني...!

فالشرُّ في الغالب يأتي بالعبد ليقف في حضرة ربه منكسراً ضارعاً متذللاً .. خائفاً
.. باكياً .. يسأله العفو والمغفرة .. وهذا مطلب شرعي يُحبه الله .. بخلاف الخير ..
وفعل الخير .. فإنه . في كثير من الأحيان . يحمل صاحبه على الغرور .. والأمن
والرجاء .. إلا من رحم الله..!

ومنها: ليندفع به شرُّ أكبر .. فكم من شرٍّ يُبتلى به المرء ليندفع به شرُّ أكبر وهو لا يدري .. كخرق سيدنا الخضر للسفينة .. وقتله للغلام .. وما أكثر الأمثلة والشواهد على ذلك من حياتنا اليومية لو أردنا التوسع والاستدلال.

كم من مرة نُبتلى بشرٍّ .. نسخطه .. ثم ندرك بعد زمن يشاؤه الله .. أن هذا الشرَّ كان فيه خير كثير..!!

أصيب ابن أخي بحادث سيارة فقطعت رجله وتمضي الأيام وتقع البلاد تحت محنة كبيرة لا يدري إلا الله متى تنفرج فيأتي إلي ويقول: الآن عرفت فضل الله علي ولولا هذه المحنة ما عرفت ما ألم بي من الخير.

ومنها: أن الشر يؤدب بعضه بعضاً .. فينتقم الله من شرٍّ بشرٍّ آخر .. فيسلط الظالمين بعضهم على بعض .. وهذا هو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر". فيدفع الله بهم ظملاً أشد .. وفجوراً أكبر!

ونحو ذلك الجهاد .. فيندفع بشر القتل والقتال .. شر أكبر، وفتنة أكبر .. ليعم الأمن والأمان .. والخير والسلام..!

ومنها: أن من النفوس من لا ينفع معها الخير .. فالخير يزيد لها طغياناً وتجبراً .. بخلاف لو جُرب معها الشرِّ فإنه يهذبها ويؤدبها ويُعيدّها إلى رشدها وصوابها .. كما في القصاص بالنسبة للمجرمين الخارجين عن حدود الله..!!

ومنها: أن من مقتضيات البلاء والتمحيص .. وحتى يُعرف الحق من الباطل .. والمؤمن الصابر من غيره .. وجود الخير والشرِّ .. والبلاء بالخير والشرِّ..!!

فهل يرضى العبد بحكم الله تعالى وقضائه في الشر .. كما يرضى بحكمه في الخير .. أم أنه إذا أصابته سراء رضي وشكر .. وإن أصابته ضراء كفر وتضجّر .. واعترض..؟!

فمن النفوس من تنجح في بلاء الخير دون الشر .. ومنها من تنجح في بلاء الشر دون الخير .. والنفوس المؤمنة الصالحة هي التي تنجح في بلاء الخير والشر .. وترضى وتسلم في بلاء الخير والشر .. وهؤلاء هم الفائزون.!

ومنها:

ليقذف الله الحق بالباطل فيدمغه .. وليصطفي الله من عباده الشهداء .. فالشر في كثير من صوره يكون بلاءً لأهل الخير .. ليُرى كيف سيتصرفون ويتعاملون معه.!!..

ومنها:

أن الشرّ في بعض صوره يكون لصاحبه طهوراً وكفارة لذنوبه وخطاياہ.!!..

ومنها:

أن معالجة الشر .. والصبر عليه .. احتساب الأجر .. يرفع صاحبه يوم القيامة درجات ومقامات عالية في الجنان ما كان ليحظى بها لولا البلاء .. وصبره على البلاء.!!..

ومنها:

أن الله تعالى خلق الجنة والنار .. وهذا من تمام عدله وحكمته .. ومن لوازم وجود الجنة والنار .. وجود الخير والشر .. والحق والباطل .. والظالم والمظلوم .. ليذهب كل فريق إلى ما أعد له من نعيم مقيم أو عذاب أليم مهين.!!..

هذه بعض الحكم من خلق الله تعالى للشر .. وما يعلمه الله تعالى .. ونحن لا نعلمه .. أكثر وأكثر .. (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (والله يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ونحن نقول:

إن الله كله رحمة وكله خير وأنه لم يأمر بالشر ولكنه سمح به لحكمة.

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) (الأعراف: 28-29).

الله لا يأمر إلا بالعدل والمحبة والإحسان والعفو والخير وهو لا يرضى إلا بالطيب.
فلماذا ترك الله الظالم يظلم والقاتل يقتل والسارق يسرق؟!
لأن الله أرادنا أحرارا .. والحرية اقتضت الخطأ، ولا معنى للحرية دون أن يكون لنا
حق التجربة والخطأ والصواب .. والاختيار الحر بين المعصية والطاعة.
وكان في قدرة الله أن يجعلنا أختياراً، وذلك بأن يقهرنا جميعاً على الطاعة قهراً..
وكان ذلك يقتضي أن يسلبنا حرية الاختيار.
وفي دستور الله وسنته أن الحرية مع الألم أكرم للإنسان من العبودية مع السعادة..
ولهذا تركنا نخطئ ونتألم ونتعلم، وهذه هي الحكمة في سماحة الشر.
ومع ذلك فإن النظر المنصف المحايد سوف يكشف لنا أن الخير في الوجود هو
القاعدة وأن الشر هو الاستثناء.
فالصحة هي القاعدة والمرض استثناء .. ونحن نقضي معظم سنوات عمرنا في صحة
ولا يزورنا المرض إلا أياماً قليلة..
وبالمثل الزلازل، هي في مجملها بضع دقائق في عمر الكرة الأرضية الذي يحصى
بملايين السنين..
وكذلك البراكين، وكذلك الحروب التي هي تشنجات قصيرة في حياة الأمم بين
فترات سلام طويلة ممتدة.
ثم إننا نرى لكل شيء وجه خير، فالمرض يخلف وقاية، والألم يربي الصلابة والجَلَد
والتحمل، والزلازل تنفس عن الضغط المكبوت في داخل الكرة الأرضية، وتحمي
القشرة الأرضية من الانفجار، وتعيد الجبال إلى أماكنها كأحزمة وثقلات تثبت
القشرة الأرضية في مكانها، والبراكين تنفث المعادن والثروات الخبيثة الباطنة، وتكسو
الأرض بتربة بركانية خصبة
والحروب تدمج الأمم وتلقح بينها وتجمعها في كتل وأحلاف..

وأعظم الاختراعات خرجت أثناء الحروب.. البنسلين، الذرة، الصواريخ، الطائرات
النفثة.. كلها خرجت من أتون الحروب.

ومن سم الثعبان يخرج الترياق . ومن الميكروب يصنع اللقاح.
ولولا أن أجدادنا ماتوا لما كنا الآن في مناصبنا..

والشر في الكون كالظل في الصورة إذا اقتربت منه خيل إليك أنه عيب ونقص في
الصورة .. ولكن إذا ابتعدت ونظرت إلى الصورة ككل نظرة شاملة اكتشفت أنه
ضروري ولا غنى عنه.. وأنه يؤدي وظيفة جمالية في البناء العام للصورة.

وخلاصة هذه الأسس هي : القضاء الإلهي لا شر فيه بوجه من الوجود، ولا يقبح
من الله تعالى شيء، نهاية الامر أنه يخفى علينا وجه حسنه، وهو من النعم الباطنة
التي قال الله تعالى فيها (واسبح عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) لأنه علم الله تعالى
وقدرته وكتابته ومشئته، (فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) (م 771) وذلك
خيرٌ محض وكمالٌ من كل وجه.

فالشر ليس إلى الرب تعالى بوجه من الوجوه، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في
صفاته، ولا في أفعاله، وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في المقضي المقدّر، ويكون
شراً بالنسبة إلى محل، وخيراً بالنسبة إلى محل آخر، وقد يكون خيراً بالنسبة إلى المحل
القائم به من وجه، كما هو شر له من وجه، وهذا هو الغالب في هذا العالم، فله
فيما خلقه الحكمة والعدل.

كما أنه قد يترتب على خلق من يكفر به ويشرك به ويعاديه من الحكم الباهرة
والآيات الظاهرة ما لم يكن يحصل بدون ذلك، فلو لا كفر قوم نوح لما ظهرت آية
الطوفان وبقيت يتحدث بها الناس على ممر الزمان،

ولولا كفر عاد لما ظهرت آية الريح العقيم التي دمرت ما مرت عليه،

ولولا كفر قوم صالح لما ظهرت آية إهلاكهم بالصيحة،

ولولا كفر فرعون لما ظهرت تلك الآيات والعجائب يتحدث بها الأمم أمة بعد أمة،
واهتدى من شاء الله، فهلك بها من هلك عن بينة، وحيّ بها من حي عن بينة،
وظهر بها فضل الله وعدله ورحمته، وآيات رسله وصدقهم،
ولو تعطلت تلك الأسباب لتعطلت هذه الحكم والمصالح والآيات.
هذا فيض من فيض، وما توفيتي إلا بالله....

يتبع 50 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس الخمسون

من دروس العقيدة الإسلامية

الجائزات في حقه تعالى

الجائز العاشر

القضاء والقدر

إخوتي!

للإيمان بالقدر أهمية كبرى بين أركان الإيمان عند المسلمين، حيث ورد التنصيص في السنة النبوية على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره. وهذا البحث ذكره أئمة العقيدة للرد على القدرية الذين يقولون إن الله تعالى لم يقدر الأمور أزلاً.

إخوتي!

الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد العبد أن الله خالق أعمال العباد، خيرها وشرها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم، وفي القرآن الكريم : قول الله تعالى:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [37:96]،

وقال عز وجل : { قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } [الرعد : 16]،

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [54:49]،

فالإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، كلها بقضاء الله وقدره، وإرادته ومشئته، غير أنه يرضى الله تعالى الإيمان والطاعة، ووعد عليها الثواب، ولا يرضى الكفر والمعصية، وأوعد عليها العقاب.

والقدر سر من أسرار الله لم يُطْلَع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا، ولا يجوز الخوض فيه، والبحث عنه بطريق العقل، (إذا ذكر القدر فأمسكوا)...

بل يعتقد أن الله - سبحانه وتعالى - خلق الخلق فجعلهم فريقين : أهل يمين خلقهم للنعيم فضلاً، وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلاً.

وترجع أهمية هذا الركن ومنزلته بين بقية أركان الإيمان إلى عدة أمور: ارتباطه مباشرة بالإيمان بالله وكونه مبنياً على المعرفة الصحيحة بالذات الإلهية وأسمائه الحسنی، وصفاته الكاملة الواجبة له، وقد جاء في القدر من صفاته سبحانه: صفة العلم، والإرادة، والقدرة، والخلق.

ومعلوم أن القضاء والقدر إنما يقوم على هذه الأسس. حين ننظر إلى هذا الكون، ونشأته، وخلق الكائنات فيه، ومنها هذا الإنسان، نجد أن كل ذلك مرتبط بالإيمان بالقدر.

ومراتب القضاء والقدر أربع هي:

العلم، والكتابة، والمشیئة، والخلق.

المرتبة الأولى : مرتبة العلم:

يجب الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء، وأنه علم ما كان، وما يكون، وما لم يكن كيف يكون،

وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم، وحركاتهم، وسكناتهم، وأعمالهم، ومن منهم من أهل الجنة، ومن منهم من أهل النار، وأنه يعلم كل شيء بعلمه القديم المتصف به أزلاً وأبداً.

المرتبة الثانية : مرتبة الكتابة:

وهي أن الله تعالى كتب مقادير المخلوقات، والمقصود بهذه الكتابة الكتابة في اللوح المحفوظ، وهو الكتاب الذي لم يفرط فيه الله تعالى من شيء، فكل ما جرى ويجري وسيجري فهو مكتوب عند الله تعالى.

المرتبة الثالثة : مرتبة الإرادة أو المشیئة:

أي : أن كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج عن إرادته الكونية شيء.

فالقضاء عند الأشاعرة إرادة الله تعالى الأشياء في الأزل على ماهي عليه فيما يزال أي فيما بعد الأزل.

المرتبة الرابعة : مرتبة الخلق (أي إيجاد الأشياء على ماأراده سبحانه)

فنعتقد أن الله خالق كل شيء، من ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه،

فالقدر عند الأشاعرة إيجاد الله تعالى الأشياء على قدر مخصوص ووجه معين أرادته الله تعالى.

وهذه المرتبة هي محل النزاع الطويل بين أهل السنة ومن خالفهم.

يقول شيخ المالكية في المغرب ابن أبي زيد القيرواني:

((والإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وكل ذلك قد قدره الله ربنا، ومقادير الأمور عنده، ومصدرها عن قضائه، علم كل شيء قبل كونه، فجرى على قدره، لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [67:14]،

يضل من يشاء فيخذه بعدله، ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله، فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه، وقدره من شقي أو سعيد، تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد، أو يكون لأحد عنه غنى، خالق لكل شيء، ألا هو رب العباد، ورب أعمالهم، والمقدر لحركاتهم وآجالهم)).

مسألة الاحتجاج بالقدر

عقيدة الإيمان بالقدر لقيت كثيراً من الاعتراضات، وأثيرت حولها كثير من الشبهات، ومن المعلوم أن كثيراً من الكافرين والمشركين الضالين والمقصرين في عبادة

الله تعالى والمنحرفين عن منهج الله تعالى، قد وجدوا في القدر مجالاً للاحتجاج به على كفرهم وفسادهم وتقصيرهم.

ولذلك أوردنا الجواب على هذه الشبهة فإن غنى الله الكامل عن العباد ؛ حيث لا تنفعه طاعة المطيع كما لا تضره معصية العاصي. وغنى الله شامل ومطلق، وهو يفيد في طمأنينة القلب عند المؤمن في هذا الباب، وأن الله تعالى ليس بحاجة إلى العباد حتى يجبرهم أو يعذبهم بغير ذنب يستحقون العقاب عليه.

لأن الله لا يظلم، وقد حرم على نفسه الظلم، ونفاه في كتابه : (إن الله لا يظلم الناس شيئاً) [يونس : 44]،

وفي معنى هذه الآية آيات كثيرة تنفي عن الله ظلم العباد لا في عقوباتهم في الدنيا ولا في جزائهم يوم القيامة.

وهذه قاعدة مهمة في باب الاحتجاج بالقدر، فإذا توهم العبد أو وسوس له الشيطان فليتذكر أن الله تعالى لا يظلمه مثقال ذرة، حتى يطمئن قلبه. ولقد قامت الحجة على العباد بأمور:

1. أن لا يكلف إلا البالغ العاقل ؛ فالصغير والمجنون قد رفع عنهما القلم.
 2. وجود الإرادة للعبد ؛ ففاقد الإرادة المكره لا يكلف، وحصول هذه الإرادة للعبد مما لا ينكره أي عاقل، وبهذه الإرادة يختار بين الطاعة والمعصية.
 3. القدرة ؛ فالعاجز عن فعل الشيء المطلوب لا يكلف و(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)، والله لم يكلف الناس ما لا يطيقون.
 4. قيام الحجة الرسالية، بإرسال الرسل وإنزال الكتب.
- وبهذه الأمور نعلم أن الحجة قد قامت على العباد..
- فإذا قال عبد قدر الله علي الزنا مثلاً وغرضه بذلك التوصل إلى الوقوع في الزنا فهو مردود لأنه لا يعلم ما قدره الله عليه.

كما لا يجوز الاحتجاج بالقدر بعد وقوعه تخلصاً من الحد.

المؤمن والقدر

المؤمن بالقدر هو: الذي استقر في قلبه التصديق بكل ما قدره الله تعالى، وحكم به على الخلق، من موت، وحياة، وغنى، وفقر، وغيره، وأنه لا يملك جلب النفع لنفسه، ولا دفع الضر عنها إلا بالله تعالى، فلا يجزع، ولا يضجر مما أصابه، لأن ذلك معارضة لما حكم به الله تعالى، ولن يرد بذلك القدر، فالمؤمن يرضى بقدره تعالى ويصبر، ويحتسب عند الشدائد والمصائب، ويسترجع بقوله : (إنا لله وإنا إليه راجعون)، ويترك التضجر، ولا يشكو إلا لله تعالى.

والمؤمن الصادق لا يذل إلا لله، ولا يخضع إلا له، ولا يخاف إلا منه، وحين يكون كذلك تجده يسلك الطريق المستقيم، وَيَثْبُتُ عليه، ويدعو إليه، ويصبر على ما يلقاه من المشاق، والمتاعب، ومن عداء المعتدين، وحرب الظالمين، ومكر الماكرين، لأن هؤلاء لا يملكون من أمر الحياة ولا أمر الأرزاق شيئاً، وإذا كان الأمر هكذا فكيف يبقى في نفس المؤمن ذرة من خوف وهو يؤمن بقضاء الله وقدره ؟ !

فما قدر سيكون، وما لم يقدر لن يكون، وهذا كله مرجعه إلى الله تعالى، والعباد لا يملكون خلقاً ولا إيجاداً لأعمالهم.

وسيمر تفصيل أكثر إن شاء الله تعالى عند الإيمان بالقضاء والقدر.

يتبع 51 دروس العقيدة

هنا دمشق

الدرس الواحد والخمسون
من دروس العقيدة الإسلامية
الجائزات في حقه تعالى
الجائز الحادي عشر
رؤية الله تعالى

أحبتي

يجوز رؤية الباري جل جلاله في الدنيا والآخرة لأن مولانا جل جلاله موجود، وكل موجود يصح أن يرى، لكن لم تقع في الدنيا لغير نبينا صلى الله عليه وسلم.
وواجبة شرعا في الآخرة كما اتفق عليه أهل السنة لأدلة الكتاب والسنة والإجماع :
أما الكتاب الكريم فقوله تعالى :

(وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة) القيامة 23.

وقوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) سورة يونس 26.

فقد صح عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل.

وقوله تعالى (على الأرائك ينظرون) سورة المطففين 35.

وأما السنة المطهرة فقد تواترت الأحاديث الشريفة عنه صلى الله عليه وسلم أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة منها قوله عليه الصلاة والسلام
(إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر) متفق عليه.

وفي لفظ (لا تضارون في رؤيته)

وفي لفظ (كما تطلع الشمس صحوا ليس دونها سحاب)

وهل بعد هذا البيان بيان، ما أوضح هذا البيان وما أبينه وما أكمله.

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى :

(لما حجب أعدائه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه، ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكافرون بالحجاب)، قال تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين 15.

فمن أنكر الرؤية فهو ضال.

لكنه يُرى سبحانه بلا تكُّيف للمرئي بكيفية في كفيات الحوادث من مقابلة وتحيز وغير ذلك، ولا انحصار للمرئي عند الرائي بحيث يحيط به لاستحالة الحدود والنهايات عليه تعالى.

وقد حكمنا بجواز الرؤية عقلا لأن الله تعالى علقها بأمر جائز عقلا وهو استقرار الجبل حين سأله سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة السلام حيث قال : (رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) الأعراف 143.

فما علق على الجائز فهو جائز، وما علق على المستحيل فهو مستحيل.

ولو كانت الرؤية ممتنعة في الدنيا ما سألها سيدنا موسى، لأنه نبي يعلم ما يجب في حق الله وما يستحيل وما يجوز، إذ لا يجوز على أحد من الأنبياء الجهل بشيء من أحكام الألوهية، لكنه سألها فدل على أنها جائزة .

ولم تثبت الرؤية في الدنيا إلا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج كما صح الخبر عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما،

وأما نفي السيدة عائشة فغير معتبر لأن المثبت للرؤية مقدّم على النافي لها، حتى قال معمر بن راشد :

(ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس رضي الله عنهما).

يتبع 52 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الثاني والخمسون

من دروس العقيدة الإسلامية

الجائز الثاني عشر

إرسال الرسل

أحبتي!

يجوز عقلا في حقه تعالى أن يرسل الرسل للبشر لإقامة الحجة عليهم حتى لا يحتجَّ أحد على الله فيقول (لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذلَّ ونخزي ..).

لقد قطع الله هذه الحجة من أساسها بإرسال الرسل وتأيدهم بالآيات البينات الدالة على صدقهم وصحة نبوتهم وسلامة طريقتهم.

ثم إن إرسال الرسل فيه توجيه الناس وإرشادهم لما فيه الخير والصلاح لهم في دينهم ودنياهم، فإن الناس مهما أوتوا من الفهم والعقل والذكاء لا يمكنهم أن يستقلوا بعقولهم بالتنظيم العام المصلح للأمة بأكملها، إذ لا يحيط بذلك إلا الله وحده.

ثم إن في إرسال الرسل جمع الأمة على دين واحد ورجل واحد، فإن انقياد الناس لما يشاهدونه من الآيات المؤكدة للأنبياء أسرع وأقوى وأشد تماسكا فإنهم يجتمعون عليه عن عقيدة راسخة وإيمان ثابت فيحصل الصلاح والاصلاح .

وهذا كله موجود في قوله تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ..).

يتبع 53 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الثالث والخمسون من دروس العقيدة الإسلامية

مقدمة بين يدي التفويض والتأويل

التفويض (التأويل الإجمالي):

على الرغم من وجود حالات عديدة تذكر أن السلف من صحابة وتابعين ومن تبعهم قد قاموا بتأويل عدد من النصوص المتشابهة تأويلاً تفصيلياً، إلا أن الأشاعرة يرون أن السمة الغالبة في طريقة التعامل مع النصوص المتشابهة في فترة السلف كانت بطريق التفويض مع التنزيه، وهو ما يعده الأشاعرة تأويلاً إجمالياً، حيث أنه وبحسب ما يعتقد الأشاعرة، فإن السلف أثناء التفويض يصرفون معنى النص الموهم للتشبيه عن ظاهره، وهذا يتفق مع التأويل التفصيلي الذي كان السمة الغالبة عند علماء الخلف دون أن ينفي ذلك وجود من اتبع من علماء الخلف طريقة التفويض مع التنزيه.

ويبرز الاختلاف بين التأويلين في أن التفويض (التأويل الإجمالي) لا يحدد معنىً معيناً، بل يكفي بعدم الإقرار بظاهر النص المتشابه الذي يستحيل على الله، ويفوضون المعنى المراد من النص إلى الله،

أما التأويل التفصيلي فيزيد على التفويض بأنه حدد معنىً للنص المتشابه بعد أن نفى ظاهره المستحيل على الله، وهذا المعنى المأول إليه يكون جائزاً في حق الله وينفي عنه التشبيه الذي توهمه بعضهم من ظاهر النص.

ويكون هذا التأويل التفصيلي متماشياً مع لسان العرب وما تحمله اللغة العربية من معان، وقد ذكر الإمام العز بن عبد السلام هذا القول في شرح المشكاة، حيث أوضح "أن السلف والخلف متفقان على التأويل، وأن الخلاف بينهما لفظي

لإجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره ولكن تأويل السلف إجمالي لتفويضهم إلى الله في المعنى المراد من اللفظ الذي هو غير ظاهره المنزه عنه تعالى، وتأويل الخلف تفصيلي لاضطرارهم إليه لكثرة المبتدعين.. ولو كنا على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم المبطلين في زمانهم لم نخض في تأويل شيء من ذلك.

وقد جاء التأويل التفصيلي عن السلف في بعض المواضع، وجاء عن كثير من محققي المتأخرين عدم تعيين التأويل في شيء معين.. وهذا مما يبين تقاربهما وعدم اختلافهما حقيقة".

وهناك عبارة مشهورة عند الأشاعرة وهي: "طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم"، وذلك للدلالة على غرض كلا الطريقتين، فطريقة السلف - وهي كانت في الغالب التفويض - أسلم، لأنها لا تقوم بتحديد أي معنى للنص المتشابه، وفوّضت المعنى إلى الله، وبذلك اختار السلف السلامة من الخطأ، أما طريقة الخلف أعلم وأحكم، لأنها تحتوي على حجج وبراهين علمية ترد بطريقة محكمة على المخالفين لعقيدة أهل السنة والجماعة، وقد حددت الطريقة التي غلبت في زمن الخلف وهي التأويل التفصيلي، معنىً محددًا للنص المتشابه، وذلك من باب قطع الطريق على المخالفين، إلا أن العلماء الذين قاموا باستخدام آلية التأويل التفصيلي لا يقدمون تأويلهم على أنه المعنى المراد من النص بشكل جازم، ومن هنا يأتي معنى آخر لمعنى السلامة في طريقة السلف، وكافة الأشاعرة سلفًا وخلفًا يرجحون طريقة التفويض ويرونها أصوب، حتى الذين يستخدمون آلية التأويل التفصيلي، ويرون أنه لولا لزوم إبراز الحجة في وجه المخالف لكان الأسلم تفويض المعنى المراد إلى الله، إلا أنه وسعيًا لعدم ترك المجال للمشككين في عقيدة الإسلام بشكل عام وعقيدة أهل السنة بشكل خاص، فإنه قد اختار العلماء حين توجيه خطابهم للمخالفين استخدام التأويل التفصيلي للنصوص المتشابهة، وكذلك عندما يكون المعنى المأول

إليه متماشياً مع لسان العرب، خاصةً وأن هناك حالات عدة قام فيها السلف
بالتأويل التفصيلي دفعاً لأي معنى لا يليق في حق الله تعالى.

يتبع 54 لدروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس الرابع والخمسون

من دروس العقيدة الإسلامية

التأويل (التأويل التفصيلي:)

اهتم علماء الأشاعرة بشكل كبير بعلوم اللغة العربية لفهم معاني نصوص القرآن والأحاديث النبوية

يتمسك الأشاعرة بظاهر ما يدل عليه اللفظ ويجيزون صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى احتمال مرجوح لدليل يقترب باللفظ فيصرفه عن ظاهره، وهذا الدليل يسمى عندهم (قرينة) ومن أمثلة ذلك عندهم الآية القرآنية: (نسوا الله فنسيهم) من سورة التوبة، فتأتي كلمة النسيان في كلام العرب بمعنى الآفة وذهاب العلم، وتأتي بمعنى الترك واستعمالها بالمعنى الأول أكثر ولذا كان هو (الظاهر الراجح) من كلمة النسيان بصفة عامة وكان الثاني وهو الترك هو (الاحتمال المرجوح) لذا فإنه يتعين العدول عن تفسير النسيان في الآية عن الظاهر الراجح وهو الآفة وذهاب العلم إلى الاحتمال المرجوح وهو الترك، والقرينة الصارفة عن المعنى الأول هو استحالة (الآفة وذهاب العلم) على الله تعالى.

وأما صرف اللفظ عن ظاهره لغير دليل فلا يجوز، فالخروج عن ظاهر اللفظ إنما يصح عند قيام الدليل القاطع على أن ظاهره محال ممتنع، وهو ما يطلقون عليه (التأويل الصحيح)، أما الخروج عن ظاهر اللفظ لما يظنه المرء دليلاً دون أن يكون في حقيقة الأمر دليلاً فهو (التأويل الفاسد)،

وأما الخروج عن ظاهر اللفظ لا لدليل ولا لشبهة دليل فإن الأشاعرة يعتبرونه لعباً وليس من التأويل في شيء وهو ما يطلق عليه ((تحريف الكلام عن مواضعه.))

فذهب الأشاعرة في التعامل مع الآيات المتشابهة إلى (التأويل الصحيح) للفظ المتشابه، أي بصرفه عن المعنى الظاهر المباشر إلى معان أخرى، ويستعان على هذا بالقرائن المتعددة، ويعرف الاستعمال والعادة، لأنهم يرون أن التعويل في الحكم والاستنباط على قصد المتكلم ومراده، ومراده يظهر أحيانا من اللفظ نفسه، وأحيانا من العلامات والقرائن المصاحبة، فمراد المتكلم من قوله: رأيت أسدا، غير مراده من قوله: رأيت أسدا يخاطب على المنبر، ففي الأولى يقصد الحيوان المفترس بدلالة لفظ الأسد، وفي الثاني يقصد الرجل الشجاع بدلالة القرينة (يخاطب على المنبر)

وبالتالي فإنهم يرون أنه من عَرَفَ مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب -عليه- اتباع مراده، فالألفاظ عندهم لم تقصد لذواتها، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق، فإنه يجب العمل بمقتضاه سواء كان بإشارة، أو كتابة، أو بإيماءة، أو دلالة عقلية، أو قرينة حالية، أو عادة مطردة.

ضرورة التأويل :

وضّح الكثير من العلماء الضرورة الدافعة إلى التأويل، وفيما يلي عرض لجانب من أقوال بعض العلماء بهذا الخصوص:

قال إمامنا الشافعي رحمه الله تعالى عن القرآن: "وأن منه ظاهراً يُعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره."

وقال الإمام أبو إسحاق الشاطبي في كتابه الموافقات: "اتباع ظواهر القرآن على غير تدبر ولا نظر في مقاصده ومعاقده والقطع بالحكم به ببادئ الرأي والنظر الأول... معلوم أن هذا الرأي يصد عن اتباع الحق المحض ويضادُّ المشي على الصراط المستقيم... ألا ترى أن من جرى على مجرد الظاهر تناقضت عليه الصور والآيات وتعارضت في يديه الأدلة على الإطلاق والعموم."

وقال الإمام العز بن عبد السلام: "وليس الكلام في هذا - يعني التأويل - بدعة قبيحة، وإنما الكلام فيه بدعة حسنة واجبة لَمَّا ظهرت الشبهة، وإنما سكت السلف عن الكلام فيه إذ لم يكن في عصرهم من يحمل كلام الله وكلام رسوله على ما لا يجوز حمله عليه، ولو ظهرت في عصرهم شبهة لكذبهم وأنكروا عليهم غاية الإنكار، فقد رد الصحابة والسلف على القدرية لما أظهروا بدعتهم، ولم يكونوا قبل ظهورهم يتكلمون في ذلك."

ورجَّح الإمام العز بن عبد السلام طريقة التأويل فقال: "طريقة التأويل بشرطها أقربها إلى الحق" وعلق الإمام مرتضى الزبيدي على قول العز بقوله "ويعني بشرطها أن يكون على مقتضى لسان العرب."

وقال الإمام ملا علي القاري الحنفي في كتابه (مرقاة المفاتيح) معتذراً عن علماء الأمة لأخذهم بالتأويل: "ولم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح - معاذ الله أن يُظنَّ بهم ذلك - وإنما دعت الضرورة في أزمنتهم لذلك، لكثرة المجسمة والجهمية وغيرها من فرق الضلال، واستيلائهم على عقول العامة، فقصدوا بذلك ردعهم وبطلان قولهم، ومن ثم اعتذر كثير منهم وقالوا: لو كنا على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم المبطلين في زمنهم لم نخض في تأويل شيء من ذلك."

وقال أيضاً: "اتفق السلف والخلف على تنزيه الله تعالى عن ظواهر التشابهات المستحيلة على الله تعالى... وخاض أكثر الخلف في التأويل لكن غير جازمين بأن هذا هو مراد الله تعالى من تلك النصوص، وإنما قصدوا بذلك صرف العامة عن اعتقاد ظواهر التشابه، والرد على المبتدعة المتمسكين بأكثر تلك الظواهر."

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: "أكثر السلف لعدم ظهور أهل البدع في أزمنتهم يفوضون علمها - آيات الصفات - إلى الله تعالى مع تنزيهه سبحانه عن ظاهرها الذي لا يليق بجلال ذاته، وأكثر الخلف يؤولونها بحملها على محامل تليق بذلك

الجلال الأقدس والكمال الأنفس، لا يضطّارهم إلى ذلك لكثرة أهل الزيغ والبدع في أزمّنتهم."

وقال إمام الحرمين الجويني: "لو بقي الناس على ما كانوا عليه لم نؤمر بالاشتغال بعلم الكلام، أما الآن فقد كثرت البدع فلا سبيل إلى ترك أمواج الفتن تلتطم." وقال الإمام النووي: "فإن دعت الحاجة إلى التأويل لرد مبتدع ونحوه تأولوا حينئذ، وعلى هذا يحمل ما جاء عن العلماء في هذا."

وقال أيضاً في سياق شرحه لحديث النزول (شرح صحيح مسلم 6 / 36): "هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما أن:

أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين: أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى، وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق، وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي: أنها تُتأَوَّل على ما يليق بها بحسب مواطنها. فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين: أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره معناه: تنزل رحمته وأمره وملائكته كما يقال: فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره .

والثاني: أنه على الاستعارة، ومعناه: الإقبال على الداعين بالإجابة واللفظ. والله أعلم."

والإمام مالك والأوزاعي من كبار علماء السلف الصالح.

وقال الإمام بدر الدين الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن:

... "وإنما حملهم على التأويل وجوب حمل الكلام على خلاف المفهوم من حقيقته لقيام الأدلة على استحالة التشابه والجسمية في حق البارئ تعالى، والخوض في مثل

هذه الأمور خطره عظيم، وليس بين المعقول والمنقول تغاير في الأصول، بل التغاير إنما يكون في الألفاظ، واستعمال المجاز لغة العرب، وإنما قلنا: لا تغاير بينهما في الأصول لما علم بالدليل أن العقل لا يكذب ما ورد به الشرع، إذ لا يردُّ الشرع بما لا يفهمه العقل، إذ هو دليل الشرع وكونه حقاً، ولو تصور كذب العقل في شيء لتصور كذبه في صدق الشرع، فمن طالت ممارسته العلوم، وكثر خوضه في بحورها أمكنه التلفيق بينهما، لكنه لا يخلو من أحد أمرين، إما تأويل يبعد عن الأفهام، أو موضع لا يتبين فيه وجه التأويل لقصور الأفهام عن إدراك الحقيقة، والطمع في تليق كل ما يرد مستحيل المرام، والمرد إلى قوله: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (الشورى: 11)"

وقال أيضاً في الكتاب نفسه: "وقد اختلف الناس في الوارد منها - يعني المتشابهات - في الآيات والأحاديث على ثلاث فرق :

أحدها: أنه لا مدخل للتأويل فيها، بل تجرى على ظاهرها، ولا نؤول شيئاً منها، وهم المشبّهة.

الثانية: أن لها تأويلاً ولكننا نمسك عنه مع تنزيه اعتقادنا عن الشبه، والتعطيل، ونقول لا يعلمه إلا الله وهو قول السلف.

والثالثة: أنها مؤولة، وأولوها على ما يليق به. والأول باطل - يعني مذهب المشبهة - والأخيران منقولان عن الصحابة."

فأثبت الإمام الزركشي مذهب التأويل للصحابة. ثم استكمل كلامه إلى أن قال: "...قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: وعلى هذه الطريقة مضى صدر الأمة وسادتها، وإياها اختار أئمة الفقهاء وقادتها، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه، ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها

ويأبأها... ومن نقل عنه التأويل (سيدنا) علي، و(سيدنا) ابن مسعود، و(سيدنا) ابن عباس وغيرهم.

وقال سيدنا الإمام الغزالي في كتاب (التفرقة بين الإسلام والزندقة): إن الإمام أحمد أوّل في ثلاثة مواضع، وأنكر ذلك عليه بعض المتأخرين. قلت: وقد حكى ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى تأويل أحمد في قوله تعالى: أو يأتي ربك (الأنعام: 158) قال: وهل هو إلا أمره، بدليل قوله: أو يأتي أمر ربك (النحل: 33).

واختار ابن برهان وغيره من الأشعرية التأويل، قال: ومنشأ الخلاف بين الفريقين: أنه هل يجوز في القرآن شيء لا يعلم معناه؟ فعندهم يجوز، فلهذا منعوا التأويل، واعتقدوا التنزيه على ما يعلمه الله. وعندنا لا يجوز ذلك، بل الراسخون يعلمونه."

وقال الإمام تاج الدين السبكي في كتابه طبقات الشافعية الكبرى :

... "ثم أقول للأشاعرة قولان مشهوران في إثبات الصفات، هل تُمرَّر على ظاهرها مع اعتقاد التنزيه، أو تُؤوّل؟ والقول بالإمرار مع اعتقاد التنزيه هو المعزو إلى السلف، وهو اختيار الإمام في الرسالة النظامية (يقصد إمام الحرمين الجويني)، وفي مواضع من كلامه، فرجوعه معناه الرجوع عن التأويل إلى التفويض، ولا إنكار في هذا، ولا في مقابله، فإنها مسألة اجتهادية، أعني مسألة التأويل أو التفويض مع اعتقاد التنزيه. إنما المصيبة الكبرى والداهية الدهياء الإمرار على الظاهر، والاعتقاد أنه المراد، وأنه لا يستحيل على الباري، فذلك قول المجسمة عباد الوثن، الذين في قلوبهم زيغ يحملهم الزيغ على اتباع المتشابه، ابتغاء الفتنة، عليهم لعائن الله تترى واحدة بعد أخرى، ما أجرأهم على الكذب، وأقل فهمهم للحقائق."

وقال الشيخ محمود محمد خطاب السبكي: (أما ما ورد من الآيات والأحاديث المتشابهة فقد أجمع السلف والخلف رضي الله عنهم على أنها مصروفة عن ظاهرها لقوله تعالى (قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد) وقوله سبحانه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ثم اختلفوا في بيان معاني تلك الآيات والأحاديث: فالسلف يفوضون علم معانيها إليه تعالى، فيقولون إن الاستواء في آية (الرحمن على العرش استوى) لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، مع

جزمهم بأنه جل جلاله يستحيل عليه الاستقرار على العرش أو اتصاله به أو جلوسه عليه، لأنه تعالى إله قديم موصوف باستوائه على العرش قبل خلق العرش، لأن القرآن الذي منه هذه الآية موجود قبل إيجاد العرش، فكيف يعقل أنه تعالى استقر على عرش غير موجود؟ ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان يحل فيه، بل هو غني عنه. فهو تعالى لم يزل بالصفة التي كان عليها.

والخلف يقولون فيها: الاستواء معناه الاقتدار والتصرف أو نحو ذلك.

ومذهب السلف أسلم... ووجه صحة مذهب الخلف أنهم فسروا الآية بما يدل عليه اللفظ العربي، والقرآن عربي، وحملهم على التفسير المذكور ولم يفوضوا كما فوض السلف وجود المشبهة في زمانهم زاعمين - أي المشبهة - أن ظاهر الآيات يدل على أنه تعالى جسم، ولم يفقهوا أنه مستحيل عليه عز وجل الجسمية والحلول في الأمكنة... فوجب عليهم - يعني الخلف - أن يبينوا للعامة معنى تلك الآيات والأحاديث المتشابهة حسب مدلولات القرآن والأحاديث النبوية بما يصح اتصاف الله تعالى به، ليعرفوا الحق فيعملوا عليه ويتركوا الباطل وأهله فجزاهم الله تعالى خير الجزاء. وقد نقل العلامة زروق عن أبي حامد أنه قال: (لا خلاف في وجوب التأويل عند تعين شبهة لا ترتفع إلا به)

وقال الشيخ عدي بن مسافر الشامي: "...فلما ظهرت البدع وانتشر في الناس التشبيه والتعطيل فزع أهل الحق إلى التأويل."

وقد دعاسيدنا النبي لابن عباس فقال: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل). رواه الإمام أحمد والطبراني. وفي رواية أخرى: (اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب). رواه ابن ماجه. وهذا الحديث هو وحده لو لم يكن غيره كاف في الدلالة على جواز التأويل. وكان مجاهد يقول: العلماء يعلمون تأويله، أي: تفسيره.

وقد شدد الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في كتابه "المجالس" المعروف باسم (مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية) النكير على من يمنع التأويل ووسّع القول في

ذلك، فمما ورد فيه: "وكيف يمكن أن يقال إن السلف ما استعملوا التأويل وقد ورد في الصحيح عن سيد الكونين أنه قدّم له ابن عباس وضوءه فقال: «من فعل هذا؟» فقال: قلت: أنا يا رسول الله، فقال: «اللهم فقّهه في الدين وعلمّه التأويل». فلا يخلو إما أن يكون الرسول أراد أن يدعو له أو عليه، فلا بدّ أن تقول أراد الدعاء له لا دعاءً عليه، ولو كان التأويل محظوراً لكان هذا دعاءً عليه لا له. ثم أقول: لا يخلو إما أن تقول: إن دعاء الرسول ليس مستجاباً فليس بصحيح، وإن قلت: إنه مستجاب فقد تركت مذهبك، وبطل قولك: إنهم كانوا لا يقولون بالتأويل، وكيف والله يقول: {وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم} [آل عمران: 7] وقال: {الم} [البقرة: 1] أنا الله أعلم، و{كهيعص} [مريم: 1] الكاف من كافي،، والهاء من هادي، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق، إلى غير ذلك من المتشابه. ولو كان الراسخون في العلم لا يعلمون كما أن الجاهل لا يعلمون، سَوَّوا العالم بالجاهل، وهل من يعلم كمن لا يعلم؟! وقد فرّق الحق بينهما، فقال: {هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون} [الزمر: 9]، والمعنى لا يَسْتَوُونَ."

استخدام السلف والعلماء للتأويل :

الأشاعرة يتبعون السلف باتخاذهم لمذهب التأويل في التعامل مع النصوص المتشابهة وقد أشار إلى ذلك شهاب الدين الآلوسي بقوله: "والتأويل القريب إلى الذهن الشائع نظيره في كلام العرب مما لا بأس به عندي، على أن بعض الآيات مما أجمع على تأويلها السلف والخلف."

وفيما يلي بعض الأمثلة التي يستشهد بها الأشاعرة على تأويل السلف للنصوص المتشابهة:

تأويل سيدنا ابن عباس والضحاك وقتادة وسعيد بن جبير للفظ الساق في قوله تعالى: **(يوم يكشف عن ساق)** بالشدّة. وقال الطبري في تفسيره: "قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل: يبدو عن أمر شديد."

تأويل سيدنا ابن عباس ومجاهد وقتادة وسفيان (الأيدي) في قوله تعالى: "والسمااء بنيناها بأيدي" بالقوة، ذكره الطبري في تفسيره.

تأويل سيدنا ابن عباس للكرسي بالعلم فقد جاء في تفسير الطبري عند تفسيره لآية الكرسي ما نصّه: "اختلف أهل التأويل في معنى الكرسي الذي أخبر الله تعالى ذكره في هذه الآية أنه وسع السموات والأرض، فقال بعضهم: هو علم الله تعالى ذكره... وأما الذي يدلُّ على ظاهر القرآن فقول سيدنا ابن عباس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير أنه قال: هو علمه."

تأويل سيدنا ابن عباس لمجيء الله فقد جاء في تفسير النسفي عند قوله تعالى (وجاء ربك والملك صفّاً صفّاً) ما نصّه: "هذا تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه، فإن واحداً من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصّه، وعن سيدنا ابن عباس: أمره وقضاؤه."

ونقل القرطبي نحو هذا عن الحسن البصري، وقال هناك نقلاً عن بعض الأئمة ما نصّه: "جعل مجيء الآيات مجيئاً له تفخيماً لشأن تلك الآيات، ومنه قوله تعالى في الحديث " (يا ابن آدم مرضت فلم تعدني.. واستسقيتك فلم تسقني.. واستطعمتك فلم تطعمني..) والله جلّ ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان إلى مكان، وأتى له التحول والانتقال ولا مكان له ولا أوان، ولا يجري عليه وقت ولا زمان، لأن في جريان الوقت على الشيء فوّت الأوقات، ومن فاته شيء فهو عاجز."

تأويل سيدنا ابن عباس لقوله تعالى (الله نور السموات والأرض) فقد جاء في تفسير الطبري ما نصّه: "عن ابن عباس قوله (الله نور السموات والأرض) يقول: الله سبحانه هادي أهل السموات والأرض."

تأويل سيدنا ابن عباس للفظ الوجه في قوله تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) قال: الوجه عبارة عنه. وقال القرطبي في تفسيره: أي ويبقى الله فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه.. وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا ابن فورك وأبو المعالي وغيرهم.. وقال أبو المعالي: وأما الوجه المراد به عند معظم أئمتنا وجود الباري تعالى.

تأويل سفيان الثوري والطبري (للاستواء): قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء) بعد أن ذكر معاني الاستواء في اللغة، ما نصّه: "علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته... علا عليها علو مُلك وسلطان، لا علو انتقال وزوال" وأول سفيان الثوري الاستواء على العرش: بقصد أمره، والاستواء إلى السماء: بالقصد إليها.

تأويل مجاهد والضحاك وأبي عبيدة للفظ (الوجه): قال تعالى (فأينما تولوا فثم وجه الله) قال مجاهد: قبله الله. وقال الضحاك وأبو عبيدة في قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) أي إلا هو.

تأويل مجاهد والسدي للفظ (الجنب) فقد جاء في تفسير الطبري عند قوله تعالى (أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله) قال مجاهد: في أمر الله، وقال السدي: على ما تركت من أمر الله.

تأويل الحسن البصري في قوله تعالى: (وجاء ربك) قال: جاء أمره وقضاؤه. وعن الكلبي: جاء حكمه.

وعنه في قوله تعالى (أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله) قال: في طاعة الله.

تأويل الضحك لصفة العين بالحفظ والحراسة في قوله تعالى: (فإنك بأعيننا) وقوله: (ولتصنع على عيني)، ذكره الماوردي في تفسيره.

تأويل البخاري (الضحك) الوارد في بعض الأحاديث بالرحمة، نقله عنه البيهقي في الأسماء والصفات. وتأويله للوجه في قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) قال: إلا ملكه.

تأويل الطبراني (للوجه) في قوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه) بقوله: "أي إلا هو. وانتصب قوله (وجهه) على الاستثناء كأنه قال: إلا إياه، وقال عطاء: (معناه: كل شيء هالك إلا ما أريد به وجهه، وكل عمل لغيره فهو هالك إلا ما كان له)" تأويل الحافظ حماد بن زيد لحديث النزول: (ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا) بقوله: "نزوله إقباله"، نقله البيهقي في الأسماء والصفات.

تأويل الإمام مالك لحديث النزول: أوله بنزول رحمته وأمره أو ملائكته، نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، ومحمد بن عبد الباقي الزرقاني في شرحه على الموطأ.

تأويل الإمام الشافعي للفظ (الوجه): حكى المزني عن الشافعي في قوله تعالى (فثم وجه الله) قال: يعني والله أعلم فثم الوجه الذي وجهكم الله إليه.

تأويل الإمام أحمد قوله تعالى: (وجاء ربك) بمجيء ثوابه، نقله ابن كثير في البداية والنهاية عن الإمام البيهقي في مناقب الإمام أحمد، وأورد سند البيهقي له، ثم قال: قال البيهقي: وهذا إسناد لا غبار عليه. ونقل الحافظ ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى عن الإمام أحمد في قوله تعالى: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) أنه قال: المراد به قدرته وأمره. قال: وقد بينه في قوله تعالى (أو يأتي أمر ربك) ومثل هذا في القرآن (وجاء ربك) قال: إنما هو قدرته. وأول الإمام أحمد أيضا قوله تعالى: "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث" فقال: يحتمل أن يكون

تنزيله إلينا هو المحدث، نقله ابن كثير في البداية والنهاية. وقال التميمي في اعتقاد أحمد في حديث النزول: "ولا يجوز عليه الانتقال، ولا الحلول في الأمكنة". قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في باب قول الله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه):

... "قال ابن بطال: في هذه الآية والحديث دلالة على أن لله وجهها وهو من صفة ذاته، وليس بجارحة ولا كالوجوه التي نشاهدها من المخلوقين، كما نقول إنه عالم ولا نقول إنه كالعلماء الذين نشاهدهم، وقال غيره: دلت الآية على أن المراد بالترجمة الذات المقدسة، ولو كانت صفة من صفات الفعل لشملمها الهلاك كما شمل غيرها من الصفات وهو محال،

وقال الراغب: أصل الوجه الجارحة المعروفة، ولما كان الوجه أول ما يستقبل وهو أشرف ما في ظاهر البدن، استعمل في مستقبل كل شيء وفي مبدئه وفي إشراقه، فقل وجه النهار، وقيل وجه كذا أي ظاهره، وربما أطلق الوجه على الذات كقولهم كرم الله وجهه، وكذا قوله تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وقوله (كل شيء هالك إلا وجهه) وقيل: إن لفظ الوجه صلة، والمعنى كل شيء هالك إلا هو

وكذا (ويبقى وجه ربك) وقيل المراد بالوجه القصد، أي يبقى ما أريد به وجهه . وهذا الأخير نقل عن سفيان وغيره، وقال الكرماني قيل المراد بالوجه في الآية والحديث الذات أو الوجود أو لفظه زائد، أو الوجه الذي لا كالوجوه، لاستحالة حمله على العضو المعروف، فتعين التأويل أو التفويض،

وقال البيهقي: تكرر ذكر الوجه في القرآن والسنة الصحيحة، وهو في بعضها صفة ذات كقوله: إلا رداء الكبرياء على وجهه وهو ما في صحيح البخاري عن أبي موسى، وفي بعضها بمعنى من أجل كقوله (إنما نطعمكم لوجه الله) وفي بعضها بمعنى

الرضا كقوله (يريدون وجهه)، (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) وليس المراد الجارحة جزماً والله أعلم.

ونقل الإمام النووي — في شرحه لحديث الجارية في صحيح مسلم — عن القاضي عياض ما نصه: "لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيهم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى: (أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) ونحوه ليست على ظاهرها، بل متأولة عند جميعهم."

وقد نقل إجماع الأمة على منهج التأويل حيث قال الحافظ أبو الحسن علي بن القطان الفاسي: "وأجمعوا أنه تعالى يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر لمن يشاء من المؤمنين ويعذب منهم من يشاء، كما قال تعالى، وليس محيئه بحركة ولا انتقال.

وأجمعوا أنه تعالى يرضى عن الطائعين له، وأن رضاه عنهم إرادته نعيمهم. وأجمعوا أنه يحب التوابين ويسخط على الكافرين ويغضب عليهم، وأن غضبه إرادته لعذابهم، وأنه لا يقوم لغضبه شيء."

قال حافظ الشام ابن عساكر:

فيا ليت شعري ماذا الذي تنفر منه القلوب عنهم - يعني الأشاعرة - أم ماذا ينقم أرباب البدع منهم؟!

أغزارة العلم، أم رجاحة الفهم، أم اعتقاد التوحيد والتنزيه، أم اجتناب القول بالتجسيم والتشبيه، أم القول بإثبات الصفات، أم تقديس الرب عن الأعضاء والأدوات؟!

أم تثبيت المشيئة لله والقدر، أم وصفه عزوجل بالسمع والبصر، أم القول بقدم العلم والكلام، أم تنزيههم القديم عن صفات الأجسام؟!

اللهم اجعلنا ممن تلقاها بقلب سليم. آمين

يتبع 55 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس الخامس والخمسون

من دروس العقيدة الإسلامية

التفويض والتأويل في آيات الصفات

جمع ما تفرق (1)

إخوتي !

كتاب الله عزوجل مشحون بالتوحيد، وهو الدليل القاطع على وجوده سبحانه وتعالى، ومن لم يكن هداه من قِبَلِهِ تعالى لاتنفعه براهين عقله، لأن العقل لا يستقل بنفسه في الدلالة على الصانع المدبر خلافا للماتريديّة وإن اتسع فهمه وتعاضم علمه.

بل لابد معه من معونة الله تعالى مع مقارنة إتباع الكتب المنزلة وإلا ضاع سعيه وركب متن عمياء وخبط خبط عشواء وهوى في المهاوي المهلكة وهو لا يشعر.

*** مهمة علماء العقيدة : ***

إذا ماورد نصان في الكتاب والسنة ظاهرهما تناقض : أي نص يوهم مشابهة الله تعالى لمخلوقاته، ونص آخر يقطع بمخالفته للحوادث (أي المخلوقات) كلها... فالنص الأول يسمى بالمتشابه، والتي قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها فذلك الذي يحكم فيه بأن مراده تعالى به غير ظاهر.

وأما النص الثاني : فواضح المعنى لايعرض فيه شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى؛ كآيات المحكمات التي لا يحتاج سامعها إلى تأويل لبيانها :

هنا لابد من الجمع بين النصين (المتشابه والمحكم) للعمل بهما ؛ ولا يفرق بين آيات الله تعالى، لأن القرآن كله محكم، فهو كما قال تعالى (كتاب أحكمت آياته) هود2

*فمهمة علماء العقيدة الجمع بين النصوص فإن تعذر الجمع حمل على المجاز *
وإذا ما ورد نص متأخر ينسخ المتقدم فيكون العمل بالأخير، لكن النسخ لا يكون
في أمر يتعلق بالاعتقاد، بل هو خاص بعلم الفروع (الأحكام) كصلاة وصوم وحج
ونحوها ،

وكذا لا يكون النسخ في الخبر إذا كان المقصود منه الإخبار، وأما إذا كان خبراً يراد
به أمر أو نهي فيدخله نسخ، لأن المراد به الحكم دون الخبر كآية المنسوخة: (
عشر رضعات يحرم) .

أما الخبر المحض فلا يتعلق به نسخ لأنه لو نسخ للزم كذب في خبره تعالى وهو محال
فالنسخ يتعلق بالأحكام فقط.

يتبع 56 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس السادس والخمسون

من دروس العقيدة الإسلامية

التفويض والتأويل في آيات الصفات

جمع ما تفرق (2)

إخوتي!

تقدم معنا الحلقة الأولى من هذا العنوان فأرجو مراجعتها لمتابعة هذه الحلقة.
قلت سابقا :إن مهمة علماء العقيدة *الجمع بين النصوص ما أمكن* فإذا قرأنا:

(الرحمن على العرش استوى)~طه5

(و يخافون ربهم من فوقهم)~النحل50

(وهو القاهر فوق عباده)~الانعام18_61

(فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)~البقرة186

(ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)~ق16

(وهو معكم أينما كنتم)~الحديد4

(كلا إنَّ معي ربي سيهدين)~الشعراء62

(إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنَّ الله معنا)~التوبة40

(ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)~المجادلة7.

إذا قرأنا ذلك كله فنحن بين أمرين:

الأول : وجب علينا الجمع بين ما ظاهره الجهات لله تعالى، فإذا تعذر الجمع حُمِلَ

ذلك على المجاز لتعذر الحقيقة بالمناقضة..

فإن كان العبد واسع القلب فسيح الصدر عظيم الذوق والإدراك *يرد علم جميع

ذلك له تعالى وينزعه عن المعنى الحسي المفهوم من ظاهر الصفة أو الآية *

وهذا هو التفويض كما كان عليه قرن الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى الخمس مئة هجرية وقيل الثلاثمئة، وهذا المذهب الأسلم والطريق الأقوم.

الأمر الثاني:

إن كان ليس من فرسان هذا الميدان فليرجع إلى التأويل وهو *صرف اللفظ عن ظاهره المحال في حقه تعالى إلى معنى يليق بذاته وصفاته وأفعاله تعالى* كما عليه أئمة معتبرون، وهم من جاء بعد القرون الخمسة أو الثلاثة كما قيل، لفهم القاصر وتطمينا لقلبه ودفعاً لخواطره..

وقد أول الخلف الآية الأولى الاستواء بالقهر والاستيلاء على العرش ومادونه من الخلق كلهم، فهو فوق العرش بقهره ورحمانيته وكبريائه وعظمته، منزه عن الاستقرار والجلوس ونحوهما، والرب جل جلاله قال * (الرحمن على العرش استوى)* طه 5 ولم يقل الله على العرش استوى، والتأويل هنا استوى برحمانيته على العرش لأنه تعالى يقول : (ورحمتي وسعت كل شيء). الأعراف 156.

وهل العرش قديم قبل الحق جل جلاله؟

لا، أكيد، إذ هو مخلوق، لأن الله تعالى كان موجوداً ولا عرش ولا كرسي. (كان الله ولا شيء غيره) خ.

وقد فهمت اليهود من مثل هذه الآية في التوراة أن المراد هو الاستقرار الحسي، قالوا: إنه تعالى تعب من خلق السماوات والأرض في ستة أيام، فلما فرغ استلقى يوم السبت على العرش فاتخذوه عيداً وراحة،

وهذا من شئ فهمهم، كما فهم مثل فهمهم جماعة من الحنابلة المتأخرين فوقعوا في ورطة التجسيم وحملهم على ذلك أن سيدنا الإمام أحمد رحمه الله يمنع التأويل، فياليتهم حيث قلدوه في منع التأويل كانوا قلدوه في وجوب التنزيه، لكنهم تبعوه في بعضهم وخالفوه في بعض، كما قال الشاعر:

حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء.

والتأويل مذهب الخلف والمعتزلة، ولا يلزم من كونه مذهب المعتزلة أن يكون ممنوعاً، فإنه جرى عليه كثير من أهل السنة من المذاهب الأربعة، مع أن الأئمة الأربعة كلهم من السلف لا من الخلف، ومذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أحكم.

وقد سئل الإمام مالك رحمه الله تعالى عن الاستواء فأجاب بقوله: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعاً).

وسئل إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه عن ذلك فقال : (آمنت بالله واتهمت نفسي)

وسئل الإمام أحمد رضي الله عنه عن ذلك فقال: (الاستواء كما يقول لا كما يخطر في العقول).

فكل منهم أجاب بالتسليم،

ومن أين لنا قلوب مثل هذه القلوب المملوءة بالأنوار متعنا الله تعالى باتباعهم.

يتبع 57 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس السابع والخمسون

من دروس العقيدة الإسلامية

أقسام آيات الصفات / 3

إخوتي

الآيات المتشابهة في القرآن الكريم التي ظاهرها مشابهة الله لخلقه تسمى عند علماء العقيدة بآيات الصفات وقسموها إلى خمسة أقسام:

أولا - ما يوهم الجهة له تعالى: * كالفوقية في الآية القرآنية (* يخافون ربهم من فوقهم *) النحل 50

أولها العلماء بالتعالى في العظمة

* العندية نحو قوله تعالى (* وعنده مفاتيح الغيب *) الأنعام 59 فإنها موهية للمكانية أولها العلماء بالإحاطة والتمكن

* القرب نحو قوله تعالى (* ونحن أقرب إليه من حبل الوريد *) ق 16 أولها العلماء بقرب الرحمة والتصرف في خلقه كل بحسبه

* الجانب نحو قوله تعالى (* يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله *) الزمر 56 فإنها موهمة أن لله جانبا وقد أولها العلماء بمعنى: يا حسرتا على ما فرطت في حق الله تعالى.

- 2- الثاني : ما يوهم الصورة:

أي ما يوهم أن لله صورة، فيما رواه الإمام أحمد والشيخان : أن رجلا ضرب عبده فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : (* إن الله خلق آدم على صورته *). وقد قال السلف عن الصورة { صورته } صورة لا نعلمها.

وأما الخلف من أئمة العقيدة فيقولون : المراد بالصورة الصفة من سمع وبصر وعلم وحياء، فخلق سيدنا آدم جاء على صفة مولانا عز وجل في الجملة من أن له سمعا كما أن الله سمعا، وبصرا كما أن الله بصرا، وعلما كما أن الله علما وحياء... .

وهذا كله إذا قيل : بأن الضمير عائد إلى الله سبحانه كما يقتضيه اللفظ وكما ورد به في بعض طرق الحديث (إن الله خلق آدم على صورة الرحمن)

وأما إذا كان الضمير عائدا على سيدنا آدم، كرواية الإمام مسلم (فإذا قاتل أحدكم أخاه فليجنب الوجه * فإن الله خلق آدم على صورته *) أي على صورة هذا الأخ فهذا غير موهم وواضح ويكون معناه:

خلق آدم على صورة الأخ الذي تريد ضربه فينبغي احترامه باتقاء وجهه. والله أعلم
- 3- الثالث : الآيات الموهمة للجسمية له تعالى نحو قوله تعالى (* وهو معكم أينما كنتم) * فأولها العلماء بمعية العلم أو معية الحفظ.

وحديث (إن الله ينزل)

فإنها موهمة للنزول الذي هو من صفات الحوادث وأولها علماء العقيدة بنزول أمره أو أن ملك ينزل بأمره كما في بعض الروايات المحكمة وهذا خير ما فسرته بالوارد.
وآية (* وجاء ربك *) فهي موهمة بمجيء الرب تعالى، وتأويلها جاء أمر ربك وتدييره.

- 4- الرابع : ما يوهم الجوارح له تعالى * كقوله تعالى (* ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي *) ص 75.

وحديث (* والذي نفسي بيده *) فهي موهمة أن لله يدا أو يدين أو أيد كما في قوله (* والسماء بنيناها بأيد *) فاليدان أولها العلماء بالقدرة والإرادة والأيدي بالقدرة والإرادة والعلم

* وكقوله تعالى (* ويبقى وجه ربك *) الرحمن 27.

فإنها توهم أن الله وجهها فأولها الخلف من علماء العقيدة: ويبقى ذات ربك أو وجوده سبحانه.

*وكقوله تعالى (*ولتصنع على عيني*) طه 39. فإنها موهمة أن الله عينا ومثلها آية (*فإنك بأعيننا*) فإنها موهمة أن الله أعينا فقد أولها العلماء بالحفظ والتربية والرعاية .

*وكقوله تعالى (*والسماوات مطويات بيمينه*) الزمر 67. فإنها موهمة أن الله يميننا وآية (*فأخذنا منه باليمين*) الحاقة 45 وقد أولها العلماء بالقوة.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : (*إن قلوب بني آدم كلها كقلب واحد بين أصبعين من أصابع الرحمن*) مـحـمـ.

فإنها موهمة أن الله أصابعاً، وقد أول العلماء الأصابع بالصفات، فمعنى بين أصبعين أي بين صفتين من صفاته تعالى وهما القدرة والإرادة. والله أعلم.

- 5- الخامس : مايوهم الحوادث نحو (*غضب عليهم*) و (*عجب ربك*) * و (*يحبهم ويحبونه*) و (*ضحك*) و (*رحمة ربك..*) *

فهذه النصوص موهمة أن الله عز وجل يتغير ويشبه الحوادث بالتغير من حال إلى حال، وحتى لا يقع المسلم في هذا الإيهام وضح علماء العقيدة هذه الألفاظ قالوا : يؤول كل لفظ منها بعاقبته ومآله

فقوله تعالى : (غضب الله عليهم) أي ينتقم منهم..

وقوله في الحديث (عجب ربك) أي رضيه.

وقوله (يحبهم) أي رضي عنهم وأثابهم.

و (رحمته) أي إحسانه إلى خلقه و (ضحكه) رضاه بما فعلوا أو يفعلون.

فنسبة تلك الألفاظ المتقدمة الخمسة إلى الله تعالى نسبة مجازية كما في فتح الباري

لابن حجر العسقلاني الشافعي 39/6

والبيهقي في الأسماء والصفات ص 470.

وقد تأول البخاري الضحك بمعنى الرحمة.

والعمدة في أقسام الصفات الخمسة كلها قوله تعالى (*ليس كمثله شيء وهو

السميع البصير*) الشورى 11.

وهذه الآية قاطعة في منع المشابهة والمماثلة لشيء من الأشياء، لأن كلمة (شيء)

واقعة في سياق النفي (ليس) ومعنى ذلك أنها عامة فلا يبقى شيء يماثل الله تبارك

وتعالى، فيكون معنى الآية ليس كذاته وكصفته وكفعله شيء لقوله تعالى (*ولله

المثل الأعلى*) النحل 60.

إن كل من يقول: إن الله استقر على العرش فهو مجسم خرج عن الملة .

عياذا بالله تعالى.

يتبع 58 دروس العقيدة الإسلامية.

هنا دمشق

الدرس الثامن والخمسون
من دروس العقيدة الإسلامية
آيات الصفات 4
مظاهر يجب التنبيه عليها

إخوتي!

عن سيدنا عبد الله رضي الله عنه قال:
جاء خبرٌ من الأحرار إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إنَّنا نجد (أي في التوراة) أنَّ الله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع فيقول : أنا الملك.
فضحك النبي صَلَّى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الخبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما قدرُوا الله حقَّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) رواه الشيخان والترمذي.

إخوتي!

درس اليوم درس في العقيدة يعطينا إيَّاه سيِّدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم.
درس اليوم تنبيه وتحذير من المجسِّمة والمشبَّهة.
التجسيم والتشبيه حرام للذات المقدَّسة فإنَّ اعتقده خرج عن ملَّة الإسلام.
واليهود هم الأصل في هذه العقيدة قالوا : إنَّ الله تعالى تعب من خلق السموات والأرض في ستَّة أيام فجلس على العرش في اليوم السابع وهو السبت ليرتاح ، فرد عليهم مولانا عزَّ وجلَّ..
(ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستَّة أيام وما مسنا من لغوب)
سورة ق (38) أي من تعب.

كل من يعتقد من الفرق هذه العقيدة وأنَّ الله فوق العرش وأنَّ له أصابع ويدين ووجه وساق وعين فقد جعلوا إلههم صنماً يعبد ووقعوا في ورطة التجسيم كما عليه بعض متأخري الحنابلة.

كل من يقرأ لفظ الجلالة (الله) ويشير إلى السماء فهو جهويٌّ قائل بالجهة للذات المقدَّسة.

كل من يقرأ حديث (إنَّ قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن) ويشير بأصبعيه فهو مجسِّم.

كل من يقرأ حديث (ينزل ربنا عزَّ وجل في ثلث الليل الأخير) وينزل من على منبر الدرس ويقول: كنزولي هذا فهو مجسِّم.

هذه عقيدة ضلال وسفه وباطلة.

قد سئل الإمام مالك عمَّن يفعل ذلك في حديث يحرك أصبعيه فقال ليس له كفارة إلا أن تقطع أصبعاه.

وقال إمامنا الشافعي : تقطع يده.

عقيدتنا هي عقيدة التنزيه:

فكل من يقرأ لفظاً فيه إيهام تشبيه الله تعالى بخلقه فواجبه أن يقرأ الآية ولا يقول أي كلمة بينهما بل يقول: الله أعلم بمرادها ؛ وهذا ما يسمَّى عقيدة التفويض ، أن يفوض المعنى لله تعالى.

أو أنه ينزّه الله تعالى عن المعنى الظاهر في الآية ويؤول اللفظة بما يناسب عقيدة التنزيه أي يصرف اللفظ عن ظاهره المحال في حقّه تعالى إلى معنى يليق بذاته وصفاته وأفعاله ، وهذا يسمَّى عقيدة التأويل، هذه العقيدة أسلم لمن لا يفهم.

يا شباب:

القرآن فيه ألفاظ متشابهة

* (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا *)
آل عمران 7.

أخي المسلم:

أنت عندما تقرأ في الحديث الشريف:

والذي نفسي بيده..

وتقرأ في القرآن:

* (يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)*

وتقرأ في القرآن:

* (والسماء بنيناها بأيدي)*

ماذا ستقول ؟!

هل لله يد؟! أم يدان؟! أم أيدي؟!

ألفاظ موهمة لا يجوز اعتقادها.

أنت عندما تقرأ * (ولتصنع على عيني)* ثم تقرأ * (فإنك بأعيننا)*

هل ستقول لله عين؟! أم عينان؟! أم أعين ؟!

ألفاظ موهمة لا يجوز اعتقادها..

هذا تمثيل يمثله القرآن لتفهم وإلا فالله تعالى : منزّه عن الجارحة، منزّه عن الصورة،

منزّه عن الجهة، منزّه عن الجسميّة، منزّه عن صفات الحوادث.

واجبك كمسلم أن تقرأ وتمر على الآية وتقول: الله أعلم بمرادها وهذا تفويض المعنى

لله تعالى ،

أو تصرف اللفظ عن ظاهره المحال في حقه تعالى وتقول:

اليد بالقدرة

واليدان بالقدرة والإرادة

والأيدي بالعلم والإرادة والقدرة.

والعين تؤول بالحفظ

والأعين تؤول بالحفظ والتربية والرعاية..

من أين استقينا هذه القواعد؟

من القرآن .. من قوله تعالى في سورة الشورى آية 11

*** (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) *.**

وقد سئل الإمام مالك عن قوله تعالى *** (الرحمن على العرش استوى) *** طه: 5

فقال: (الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة).

وسئل إمامنا الشافعي رضي الله عنه فقال: (آمنت بالله واتهمت نفسي).

وسئل الإمام أحمد فقال : (الاستواء كما يقول لا كما يخطر في العقول).

يتبع 59 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس التاسع والخمسون
من دروس العقيدة الإسلامية
هل يجوز السؤال أين الله؟
وهل هو عال فوق عباده؟
وهل هذا من التجسيم؟

وما موقِفنا من القائِلين بِعَدَمِ جَوَازِ هَذَا السُّؤَالِ؟
وَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ مُنَزَّهٌ عَنِ كُلِّ مَكَانٍ وَأَنَّ مَنْ عَمِلَ ذَلِكَ فَهُوَ مُجَسِّمٌ مُبْتَدِعٌ؟

إخوتي!

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْعُلُوِّ فَقَالَ (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)
(الأعلى 1) وَقَالَ (وَهُوَ الْعَلِيُّ). (البقرة 255) وَقَالَ (إِنَّهُ الْعَلِيُّ الْقَدِيرُ).
فَعَلُوا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَتَمَارَى فِيهِ أَحَدٌ وَلَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَقُولَ سِوَى ذَلِكَ .
أَمَّا أَنْ تَقُولَ : كَيْفَ؟! فَهَذَا لَيْسَ مَطْلُوباً مِنْكَ .
قَدْ وَرَدَ حَدِيثُ أَحَادٍ وَهُوَ (أَنَّ أُمَّةً جَاءَ بِهَا سَيِّدُهَا لِيَعْتَقَهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ اللَّهُ؟).
وَرَدَ هَذَا الْحَدِيثُ؛ حَدِيثُ أَحَادٍ وَلَمْ يَرِدْ فِي أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سَأَلَ أَحَدًا هَذَا السُّؤَالَ، وَلَا أَنَّ أَحَدًا مِنَ السَّلَفِ كَانَ يَسْأَلُ هَذَا السُّؤَالَ .
فَمِثْلُ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ لَيْسَتْ مَطْلُوبَةً وَلَيْسَتْ مَرْغُوبَةً .
فَعَلَيْكَ أَنْ تَقْرَأَ آيَاتِ الْإِثْبَاتِ وَآيَاتِ النَّفْيِ؛ آيَاتِ إِثْبَاتِ الْعُلُوِّ كَمَا هِيَ وَآيَاتِ
النَّفْيِ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (الشورى 11) وَلَا تَخُوضَ فِي مِثْلِ هَذَا .

هَذَا لَيْسَ مِنَ الْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ . إِنَّ اللَّهَ يَسْأَلُكَ عَنْ أَعْمَالِكَ وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ ذَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَعَلَيْكَ أَنْ تُؤْمِنَ بِهَا فَهَذَا مَذْهَبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ كَمَا يَقُولُ الطُّوفِيُّ :
مَذْهَبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَسَائِرِ عُلَمَاءِ أَعْيَانِ السَّلَفِ إِمْرَئُهَا كَمَا هِيَ مَعَ السَّكُوتِ .
فَلَا يَقُولُ أَحَدٌ شَيْئاً كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ أَبُو نُعَيْمٍ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ ، وَذَكَرَ هَذَا الْحَافِظُ
ابْنُ كَثِيرٍ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي
اللَّيْلَ النَّهَارَ) (الْأَعْرَافُ 54) يَقُولُ : ثُمَّهَا كَمَا هِيَ مَعَ تَنْزِيهِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يَتَبَادَرُ إِلَى الْأَذْهَانِ ؛

هَذَا كَلَامُ أَبِي نُعَيْمٍ شَيْخِ الْبُخَارِيِّ وَشَيْخِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَشَيْخِ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ .
فَالْخِلَافُ حَوْلَ هَذَا وَإِثَارَةُ الْجَدَلِ حَوْلَ الْمَكَانِ وَحَوْلَ الزَّمَانِ ؛ هَذَا أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ
صَنِيعِ السَّلَفِ وَهُوَ مُخَالَفٌ لِمَا عَلَيْهِ السَّلَفُ .
فَلَا تَقُلْ شَيْئاً ، اقْرَأْهَا كَمَا هِيَ فَقَطْ . وَعَلَيْكَ أَنْ تُؤْمِنَ كَمَا آمَنَ السَّلَفُ دُونَ زِيَادَةٍ
وَلَا نَقْصَانٍ .

وَاقْرَأْ فِي الْإِثْبَاتِ عُلُوَّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَأَنْتَ تَقُولُ فِي صَلَاتِكَ : سُبْحَانَ رَبِّيَ
الْأَعْلَى .

وَاقْرَأْ فِي النَّفْيِ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) . (الشُّورَى 11)
وَهَذَا الْمَطْلُوبُ مِنْكَ وَلَا تُجَادِلْ .

يتبع 60 دروس العقيدة الإسلامية .

هنا دمشق .

الدرس الستون

من دروس العقيدة الإسلامية

حديث الجارية

إخوتي!

ماذا يقول أهل العلم بحديث الجارية الذي فيه لفظ : أين الله ، فقالت الجارية : في السماء ؟

هذه الحلقة تنمة للحلقة السابقة إزالة لما في قلوب أهل الإيمان حول هذا الحديث الذي تبناه الجهمية من الوهابية وغيرهم.

هذا الحديث قال فيه سيدنا الإمام النووي (في شرح صحيح مسلم الجزء الخامس كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته :)

” هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيها مذهبان تقدّم ذكرهما مرّات في كتاب الإيمان :

أحدهما: الإيمان به من غير خوض في معناه، مع اعتقاد أنّ الله ليس كمثله شيء، وتنزيهه عن سمات المخلوقات.

والثاني: تأويله بما يليق به. فمن قال بهذا قال: كان المراد امتحانها هل هي موحّدة تقرّ بأنّ الخالق المدبّر الفعّال هو الله وحده، وهو الَّذي إذا دعاه الدّاعي استقبل السّماء، كما إذا صلّى المصلّي استقبل الكعبة، وليس ذلك لأنّه منحصر في السّماء، كما أنّه ليس منحصرّاً في جهة الكعبة، بل ذلك لأنّ السّماء قبلة الدّاعين، كما أنّ الكعبة قبلة المصلّين،

أو هي من عبدة الأوثان العابدين للأوثان التي بين أيديهم، فلمّا قالت: في السّماء علم أنّها موحّدة وليست عابدة للأوثان .

قال القاضي عياض: لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيهم ومحدّثهم ومتكلّمهم ونظارهم ومقلّدهم أنّ الظّواهر الواردة بذكر الله في السّماء كقوله تعالى: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ} [الملك: 16] ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم” انتهى.

وقال الحافظ أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (في كتابه المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ما نصه):

”وقيل في تأويل هذا الحديث: إن النبي صلى الله عليه وسلم سأها بأين عن الرتبة المعنوية التي هي راجعة إلى جلاله تعالى وعظمته التي بها باين كلّ مَنْ نُسبت إليه الإلهية ؛ وهذا كما يقال: أين الثريا من الثرى؟! والبصر من العمى؟! أي بُعد ما بينهما واختصت الثريا والبصر بالشرف والرفعة، وعلى هذا يكون قولها في السماء أي في غاية العلو والرفعة وهذا كما يقال: فلان في السماء ومناطق الثريا” اهـ .

وقال الإمام الرازي أيضا (في كتابه أساس التقديس):

”إن لفظ (أين) كما يجعل سؤالا عن المكان فقد يجعل سؤالا عن المنزلة والدرجة يقال : أين فلان من فلان، فلعل السؤال كان عن المنزلة وأشار بها إلى السماء أي هو رفيع القدر جدا ” اهـ .

وفي كتاب إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للإمام محمد بن خليفة الأبّي ما نصه :
وقيل : إنّما سأها (بأين) عما تعتقده من عظمة الله تعالى، وإشارتها إلى السماء إخبار عن جلاله في نفسها، فقد قال القاضي عياض لم يختلف المسلمون في تأويل ما يوهّم أنه تعالى في السماء كقوله تعالى: {ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ}. اهـ.

ومثله في كتاب مكمل إكمال الإكمال شرح صحيح مسلم للإمام محمد السنوسي الحسني.

وقال الإمام محمد بن أحمد السرخسي الحنفي (المتوفى سنة 483 هـ في كتابه المبسوط، المجلد الرابع (الجزء 7] >> (تابع كتاب الطلاق >> [باب العتق في الظهار]:

فأما الحديث فقد ذكر في بعض الروايات: أن الرجل قال عليّ عتق رقبة مؤمنة، أو عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي أن عليه رقبة مؤمنة، فلهذا امتحنها بالإيمان، مع أن في صحة ذلك الحديث كلامًا

قد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أين الله فأشارت إلى السماء) ولا نظن برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يطلب من أحد أن يثبت لله تعالى جهة ولا مكانًا، ولا حجة لهم في الآية، لأن الكفر خبث من حيث الاعتقاد، والمصروف إلى الكفارة ليس هو الاعتقاد إنما المصروف إلى الكفارة المالية، ومن حيث المالية هو عيب يسير على شرف الزوال” اهـ.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي (في شرح سنن الترمذي):

”أين الله؟ والمراد بالسؤال بها تعالى المكانة فإن المكان يستحيل عليه. اهـ

وقال الحافظ ابن الجوزي (في دفع شبه التشبيه) بعد رواية حديث معاوية بن الحكم:

قلت ” قد ثبت عند العلماء أن الله تعالى لا يحويه السماء والأرض ولا تضمه الأقطار وإنما عرف بإشارتها تعظيم الخالق عندها. اهـ

وقال الباجي: لعلها تريد وصفه بالعلو وبذلك يوصف كل من شأنه العلو فيقال: فلان في السماء، بمعنى علو حاله ورفعته وشرفه. اهـ

وقال البيضاوي: لم يرد به السؤال عن مكانه فإنه منزّه عنه والرسول أعلى من أن يسأل ذلك. اهـ

وقال الإمام الحجة تقي الدين السبكي (في رده على نونية ابن قيم الجوزية المسمى بالسيف الصقيل) :

أما القول فقولہ صلی اللہ علیہ وسلم للجارية: أين الله؟ قالت في السماء، وقد تكلم الناس عليه قديما وحديثا والكلام عليه معروف ولا يقبله ذهن هذا الرجل لأنه مشاء على بدعة لا يقبل غيرها. اهـ

قال الإمام الفخر الرازي: وأما عدم صحة الاحتجاج بحديث الجارية في إثبات المكان له تعالى فللبراهين القائمة في تنزه الله سبحانه عن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات، قال الله تعالى: {قل لمن ما في السموات والأرض قل لله} [الأنعام:12] وهذا مشعر بأن المكان وكل ما فيه ملك لله تعالى، وقال تعالى: {وله ما سكن في الليل والنهار} [الأنعام:13] وذلك يدل على أن الزمان وكل ما فيه ملك لله تعالى فهاتان الآيتان تدلان على أن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات كلها ملك لله تعالى وذلك يدل على تنزيه الله سبحانه عن المكان والزمان. اهـ

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر (في كتاب التذكار في أفضل الأذكار):

لأن كل من في السموات والأرض وما فيهما خلق الله تعالى وملك له وإذا كان كذلك يستحيل على الله أن يكون في السماء أو في الأرض إذ لو كان في شيء لكان محصورا أو محدودا ولو كان كذلك لكان محدثاً وهذا مذهب أهل الحق والتحقيق، وعلى هذه القاعدة قوله تعالى: {ءأمتنم من في السماء} وقوله عليه السلام للجارية: أين الله؟ قالت في السماء، ولم يُنكر عليها، وما كان مثله ليس على ظاهره بل هو مؤول تأويلات صحيحة قد أبدأها كثير من أهل العلم في كتبهم. اهـ

وقال بعض العلماء إن الرواية الموافقة للأصول هي رواية الإمام مالك وفيها أن الرسول قال لها: “أتشهدين أن لا إله إلا الله؟”

قالت: “نعم”

قال: “أتشهدين أني رسول الله” قالت: “نعم”.

أخرجها الإمامان إماما أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل ومالك بن أنس رضي الله عنهما.

أما الإمام أحمد فأخرج عن رجل من الأنصار أنه جاء بأمة سوداء فقال :
“يا رسول الله إن عليّ رقبه مؤمنة فإن كنت ترى هذه مؤمنة فأعتقها” فقال لها
الرسول صلى الله عليه وسلم: “أتشهدين أن لا إله إلا الله” قالت: “نعم”، قال:
“أتشهدين أني رسول الله” قالت: “نعم”، قال: “أتؤمنين بالبعث بعد الموت”
قالت: “نعم”، قال: “أعتقها”، ورجاله رجال الصحيح.

وفي رواية لابن الجارود بلفظ: (أتشهدين أن لا إله إلا الله؟
قالت: نعم،

قال: أتشهدين أني رسول الله؟

قالت: نعم،

قال: أتوقنين بالبعث بعد الموت؟ قالت نعم،

قال: اعتقها فإنها مؤمنة.)

وهي رواية صحيحة.

ومنها ما رواه الإمام ابن حبان في صحيحه عن الشريد بن سويد الثقفي قال قلت:
يا رسول الله إن أُمِّي أوصت أن نعتق عنها رقبة وعندني جارية سوداء قال: ادع بها،
فجاءت فقال: من ربك؟ قالت: الله، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال:
أعتقها فإنها مؤمنة .

ورواه أيضا بهذا اللفظ النسائي في الصغرى وفي الكبرى والإمام أحمد في مسنده والطبراني والبيهقي، ورواه أيضا بهذا اللفظ ابن خزيمة في كتابه الذي سماه كتاب التوحيد من طريق زياد بن الربيع عن بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن الشريد.

قال بعض العلماء : ظاهر هذا الحديث (الذي فيه حُكِمَ على الجارية بالإسلام لأنها قالت : في السماء) يخالف الحديث المتواتر الذي رواه خمسة عشر صحابيا. وهذا الحديث المتواتر الذي يعارض حديث الجارية قوله عليه الصلاة والسلام: {أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله}. هذا الحديث فيه أنّ الرسول لا يحكم بإسلام الشخص الذي يريد الدخول بالإسلام إلا بالشهادتين. لأن من أصول الشريعة أن الشخص لا يحكم له بقول ” الله في السماء ” بالإسلام لأن هذا القول مشترك بين اليهود والنصارى وغيرهم وإنما الأصل المعروف في شريعة الله ما جاء في الحديث: ” أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله “أه ولفظ رواية مالك : أتشهدين ، موافق للأصول . لذا حكم الحافظ أبو بكر البيهقي وغيره باضطراب حديث الجارية هذا .

—الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى قال في ” الأسماء والصفات: ”

”وهذا صحيح قد أخرجه مسلم مقطعا من حديث الأوزاعي وحجاج الصواف عن يحيى بن أبي كثير دون قصة الجارية ؟ وأظنه إنما تركها من الحديث لاختلاف الرواة في لفظه ، وقد ذكرت في كتاب الظهار من السنن مخالفة من خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث ” (انظر السنن الكبرى 7 / 388)

—الحافظ البزار قال بعد أن روى الحديث من طريق من طريقه (كما في كشف الاستار 1 / 14) : ” وهذا قد روي نحوه بألفاظ مختلفة. ”

—الحافظ ابن حجر العسقلاني قال في ” التلخيص الحبير ” (3 / 223) ما نصه : ” وفي اللفظ مخالفة كثيرة ” اه.

قال الحافظ في ” فتح الباري ” (1 / 221 :)

”فإن إدراك العقول لاسرار الربوبية قاصر فلا يتوجه على حكمه لم ولا كيف ؟ كما لا يتوجه عليه في وجوده أين وحيث . . ” اهـ.

—المحدث الكوثري حكم بالاضطراب في تعليقه على ” الأسماء والصفات ” ص (422) فقال:

”وقصة الجارية المذكورة فيما بأيدينا من نسخ مسلم لعلها زيدت فيما بعد إتماما للحديث ، أو كانت نسخة المصنف ناقصة ؟ وقد أشار المصنف — أي البيهقي — إلى اضطراب الحديث بقوله (وقد ذكرت في كتاب الظهار — من السنن — مخالفة من خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث) . . . ” اهـ
وفي تعليقه رحمه الله تعالى على كتاب الحافظ السبكي ” السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ” ص (94) توسع في مبحث اضطرابه.

—المحدث عبد الله ابن الصديق ذكر في تعليقه على كتاب ” التمهيد ” (7 / 135) للحافظ ابن عبد البر عن لفظ ” أين الله ” ما نصه:

”رواه مسلم وأبو داود والنسائي . وقد تصرف الرواة في ألفاظه ، فروي بهذا اللفظ كما هنا وبلفظ ” من ربك ؟ ” قالت : الله ربي . وبلفظ ” أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ ” قالت : نعم . وقد أستوعب تلك الألفاظ بأسانيدنا الحافظ البيهقي في

السنن الكبرى بحيث يجزم الواقف عليها أن اللفظ

المذكور هنا مروى بالمعنى حسب فهم الراوي“ . . .

فإن قيل : كيف تكون رواية مسلم : أين الله، فقالت : في السماء، إلى آخره مردودة مع إخراج مسلم له في كتابه وكل ما رواه مسلم موسوم بالصحة ، فالجواب : أن عددا من أحاديث مسلم ردها علماء الحديث وذكرها المحدثون في كتبهم كحديث أن الرسول قال لرجل : إن أبي وأباك في النار،

وحديث إنه يعطى كل مسلم يوم القيامة فداء له من اليهود والنصارى، وكذلك حديث أنس : صليت خلف رسول الله وأبي بكر وعمر فكانوا لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم . فأما الأول ضعفه الحافظ السيوطي، والثاني رده البخاري ، والثالث ضعفه الشافعي.

فائدة : تضعيف السيوطي (في كتابه مسلك الحنفا في نجات أبي المصطفى صلى الله عليه وسلم) ، وتضعيف الإمام الشافعي مذكور في كتب الحديث المطولة كشرح ألفية العراقي في علم الحديث (فتح المغيث) للعراقي نفسه،

أما تضعيف البخاري ففي فتح الباري قال الحافظ ابن حجر ما نصه: وقد أخرج أصل الحديث مسلم من وجه آخر عن أبي بردة بلفظ: إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار: قال البيهقي ومع ذلك فضعفه البخاري وقال الحديث في الشفاعة صحيح. انتهى

ولو صح حديث الجارية لم يكن معناه أن الله ساكن السماء كما توهم بعض الجهلة ، بل لكان معناه أن الله عالي القدر جدا ، وعلى هذا المعنى أقر بعضهم صحة رواية مسلم هذه.

ونقول للمشبهة :

لو كان الأمر كما تدعون من حمل آية (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه:5) على ظاهرها وحمل حديث الجارية على ظاهره لتناقض القرآن بعضه مع بعض والحديث بعضه مع بعض ، فما تقولون في قوله تعالى (فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)(البقرة: من الآية115)) فإما أن تجعلوا القرآن مناقضا بعضه لبعض والحديث مناقضا بعضه لبعض فهذا اعتراف بكفركم لأن القرآن ينزه عن المناقضة وحديث الرسول كذلك ، وإن أولتم آية (فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)(البقرة: من الآية115) ولم تأولوا آية الاستواء فهذا تحكّم (أي قول بلا دليل).

وقد روى الإمام البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يَنَاجِي رَبَّهُ فَلَا يَبْصُقَنَّ فِي قِبَلْتِهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ فَإِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قِبَلْتِهِ ” ، وهذا الحديث أقوى إسنادا من حديث الجارية.

وأخرج البخاري أيضا عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : “: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا ، إِنَّهُ مَعَكُمْ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ) . ” .

وفي مسند الإمام أحمد ” : أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ مَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبَ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ “ . اهـ

فيقال للمعتز : إِذَا أَخَذْتَ حَدِيثَ الْجَارِيَةِ عَلَى ظَاهِرِهِ وَهَذِينَ الْحَدِيثَيْنِ عَلَى ظَاهِرِهِمَا لَبَطَلَ زَعْمُكَ أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ ، وَإِنْ أَوَّلْتَ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ وَلَمْ تَوَوَّلْ حَدِيثَ الْجَارِيَةِ فَهَذَا تَحْكُمُ . أَيُّ قَوْلٍ بَلَا دَلِيلَ . وَيَصْدُقُ عَلَيْكَ قَوْلُ اللَّهِ فِي الْيَهُودِ (أَفْتَوْمُنُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) (البقرة: من الآية 85).

وكذلك ماذا تقول في قوله تعالى : (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) (البقرة: من الآية 115) فَإِنْ أَوَّلْتَهُ فَلِمَ لَا تَوَوَّلْ حَدِيثَ الْجَارِيَةِ.

وقد جاء في تفسير هذه الآية عن مجاهد تلميذ ابن عباس : ” قِبْلَةُ اللَّهِ ” ، ففسر الوجه بالقبلة ، أي لصلاة النفل في السفر على الراحلة.

وفي صحيح مسلم : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : “أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ . فَأَكْثَرُوا الدُّعَاءَ ” . اهـ

ونختم هذا الجواب بما في كتاب رد المحتار على الدر المختار < كتاب الصلاة > باب شروط الصلاة :

استقبال القبلة : حقيقة أو حكما كعاجز ، والشروط حصوله لا طلبه ، وهو شرط زائد للابتلاء قوله (للابتلاء) علة لمحذوف أي شرطه الله تعالى لاختبار المكلفين

لأن فطرة المكلف المعتقد استحالة الجهة عليه تعالى تقتضي عدم التوجه في الصلاة إلى جهة مخصوصة فأمرهم على خلاف ما تقتضيه فطرتهم اختباراً لهم هل يطيعون أو لا كما في البحر ح . قلت : وهذا كما ابتلى الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم حيث جعله قبلة لسجودهم . اهـ .
أسأل الله تعالى أن يهدي المشبهة فيرجعوا إلى الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة . وعذراً للإطالة .

يتبع 61 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق .

الدرس الواحدة والستون

من دروس العقيدة الإسلامية

حديث نزول الله تبارك وتعالى

إخوتي !

ظهر في أيامنا هذه من ينسب نفسه إلى السلف الصالح، ويضرب القراءان بعضه ببعض، والحديث الشريف بعضه ببعض لشدة جهلهم وعمائتهم ويصفون الله بالجسمية والجهة والجلوس والانتقال نزولا بالحركة وصعودا وغير ذلك مما لا يجوز نسبته إلى الله تعالى مما هو من علامات الحدوث.

أما السلف الصالح فقد كانوا ينفون عن الله المكان والحركة والسكون والانتقال وسائر صفات المخلوقين، وكل هذا يعطيه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [سورة الشورى / ١١]

قال سيدنا الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) صاحب السنن [الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، البيهقي ص ٧٢]

يجب أن يُعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى، ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج، ولا استقرار في مكان، ولا مماسة لشيء من خلقه، لكنه مستو على عرشه كما أخبر بلا كيف بلا أين، بائن من جميع خلقه، وأن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان، وأن مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بنقلة، وأن نفسه ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها، ونفينا عنها التكيف، فقد قال : ﴿ليس كمثله شيء﴾ وقال ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ وقال ﴿هل تعلم له سميا﴾. ا.هـ.

وأما حديث النزول الذي رواه الإمامان البخاري ومسلم وغيرهما، ولفظ البخاري :
حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك عن ابن شهاب، عن أبي سلمة وأبي عبد الله
الأغر، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال :

* ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل
الآخر يقول : من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفري
فأغفر له))*

فلا يجوز أن يحمل على ظاهره لإثبات النزول من علو إلى سفلى في حق الله تعالى.
قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه على صحيح مسلم [شرح صحيح
مسلم، الإمام النووي - المجلد السادس، ص ٣٦ -] :

“هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء:
أحدهما : وهو مذهب السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق
بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد
تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق،
والثاني : مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك
والأوزاعي على أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأولوا هذا
الحديث تأويلين :

أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره، معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته، كما يقال
فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره،
والثاني: أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللفظ. ” انتهى
كلام الامام النووي. رحمه الله تعالى.

ويبطل ما ذهب إليه المشبهة من اعتقاد نزول الله بذاته إلى السماء الدنيا أن بعض
رواة البخاري ضبطوا كلمة (يُنزل) بضم الياء وكسر الزاي، فيكون المعنى نزول الملك

بأمر الله الذي صُرح به في رواية النسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد من (أن الله يأمر ملكا بأن ينزل فينادي) ، فتبين أن المشبهة ليس لها حجة في هذا الحديث. وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري [فتح الباري شرح صحيح البخاري - المجلد الثالث - كتاب الصلاة: باب الدعاء والصلاة من آخر الليل]:

“وقال ابن العربي النزول راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه..”

ثم قال : “والحاصل أنه تأوله بوجهين : إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه.

وحكى ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي يُنزل ملكا ، قال الحافظ : ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد * ((أن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا يقول : هل من داع فيستجاب له*)) الحديث،

وحديث عثمان بن أبي العاص عند أحمد ((*ينادي مناد هل من داع يستجاب له*)) الحديث،

قال القرطبي وبهذا يرتفع الإشكال...

وقال البيضاوي : ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزّه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد نور رحمته. ” انتهى كلام الحافظ ابن حجر.

وفي شرحه على موطأ الإمام مالك [شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، الزرقاني المجلد الثاني، ص ٣٤] نقل الزرقاني ما نقله ابن حجر عن ابن العربي وابن فورك وزاد ما نصه:

“وكذا حكى عن مالك أنه أوله (بنزول رحمته وأمره أو ملائكته) كما يقال فعل الملك كذا أي أتباعه بأمره.” انتهى كلام الزرقاني.

قال رئيس القضاة الشافعية في مصر في زمانه بدر الدين بن جماعة (ت ٧٢٧ هـ) في كتابه “إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل” [إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، ابن جماعة ص ١٦٤] ما نصه:

”اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفلى لا يجوز حمل الحديث عليه، لوجوه:

الأول : النزول من صفات الأجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة : منتقل، ومنتقل عنه ومنتقل إليه، وذلك على الله تعالى محال.

الثاني : لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله، وتنقلات كثيرة، لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئاً فشيئاً، فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلاً نهاراً، من قوم إلى قوم، وعوده إلى العرش في كل لحظة على قوهم، ونزوله فيها إلى سماء الدنيا، ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

الثالث : أن القائل بأنه فوق العرش، وأنه ملأه كيف تسعه سماء الدنيا، وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة، فيلزم عليه أحد أمرين: إما اتساع سماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه، أو تضائل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين.” انتهى كلام ابن جماعة.

وقال الحافظ المتبحر عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي في كتابه “الباز الأشهب” بعد ذكر حديث النزول ما نصه : “إنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والنقلة والتغيير. وواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام جسم عال وهو مكان الساكن، وجسم سافل، وجسم ينتقل من علو إلى أسفل، وهذا لا يجوز على الله قطعاً.”

وقال أبو بكر بن العربي المالكي في شرحه على الترمذي [عارضة الأحوذى بشرح سنن الترمذي، ابن العربي المجلد الثاني، ص ٢٣٥] ما نصه :

“ثم إن الذي يتشبه بظاهر ما جاء في حديث النزول في الرواية المشهورة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له من الثلث الأخير إلى الفجر، هو جاهل بأساليب اللغة العربية، وليس له مهرب من المحال الشنيع كما نص عليه الخطابي.”

وقال القسطلاني في شرحه على البخاري عند ذكره لهذا الحديث [شرح صحيح البخاري، القسطلاني - المجلد الثاني، ص ٣٢٣]:

“هو نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة، لا نزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله فهو نزول معنوي” ثم قال “نعم يجوز حمله على الحسي ويكون راجعا إلى ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه.”

وروى البيهقي بإسناده عن الإمام إسحاق بن راهويه وهو من أئمة السلف أنه قال [الأسماء والصفات - البيهقي - ص ٥٦٨]:

“سألني ابن طاهر عن حديث النبي -يعني في النزول- فقلت له النزول بلا كيف” وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) صاحب السنن في كتابه [السنن الكبرى، البيهقي - المجلد الثالث ص ٣] عند ذكر هذا الحديث : “أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني يقول : حديث النزول قد ثبت عن رسول الله من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال، بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه، جل الله تعالى عما تقوله المعطلة لصفاته والمشبهة بها علوا كبيرا. قلت : وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول : إنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو تدل من أعلى إلى أسفل

وانتقال من فوق إلى تحت وهذه صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ” انتهى كلام البيهقي.

وقال القاضي أبو بكر محمد الباقلاني المالكي الأشعري (ت ٤٠٣ هـ) ما نصه [الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به - ص ٦٤]:

“ويجب أن يعلم أن كل ما يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالرب تعالى يتقدس عنه، فمن ذلك : أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول والانتقال، ولا القيام ولا القعود، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى يتقدس عن ذلك“. ا.هـ.

وقال المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المالكي (ت ٦٧١ هـ) في تفسيره ما نصه [الجامع لأحكام القرآن، القرطبي - سورة الفجر]:

“والله جل ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان إلى مكان، وأنى له التحول والانتقال ولا مكان له ولا أوان، ولا يجري عليه وقت ولا زمان، لأن في جريان الوقت على الشيء فوت الأوقات، ومن فاته شيء فهو عاجز.“

وليس محور الاعتقاد على الوهم بل على ما يقتضيه العقل الصحيح السليم الذي هو شاهد للشرع ، ذلك لأنه لو كان الله تعالى مكاناً لكان له مقدار ، أبعاد وحدود ومن كان كذلك كان محدثاً أي مخلوقاً ولم يكن إلهاً.

وكما صحَّ وجودُ الله تعالى بلا مكانٍ قبلَ خَلْقِ الأماكنِ والجِهاتِ ، يَصِحُّ وجودُهُ بعدَ خَلْقِ الأماكنِ بلا مكانٍ . وهذا لا يَكُونُ نَفْيًا لوجودِهِ تعالى . قال الإمام ذو النُّون المصري : ” مَهْمَا تَصَوَّرْتَ بَبَالِكَ فَإِنَّهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ. “

يتبع 62 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الباب الثاني

النُّبُوءَات

وماتوفيقي إلا بالله

الدرس الثاني والستون

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان بالرسول

وجوب الإيمان بالرسول

إخوتي!

قبل الدخول في هذا الدرس لابد من تعريف بمعناه:

فالإيمان بالرسول هو: التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده، والكفر بما يعبد من دونه، وأنهم جميعاً مرسلون صادقون، قد بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، منهم من أعلمنا الله باسمه، ومنهم من استأثر الله بعلمه.

بين النبي والرسول

الرسول في اللغة: المرسل، والإرسال هو التوجيه، فإذا بعثت شخصاً في مهمة فهو رسولك، ورسالة الرسول ما أمر بتبليغه عن الله تعالى، ودعوته الناس إلى ما أوحى إليه (لسان العرب: رسل).

أما النبي لغة: فهو مشتق من النبأ وهو الخبر، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: 1، 2]، وإنما سمي النبي نبياً؛ لأنه مُخْبِرٌ، وَمُخْبِرٌ، أي: أن الله أخبره وأوحى إليه، وَمُخْبِرٌ؛ أي: يخبر عن الله تعالى وحيه وأمره، وقيل: النبوة مشتقة من النبوة، وهي ما ارتفع من الأرض (لسان العريس: نبأ)

أما الرسول والنبي في الاصطلاح فالمشهور :

أن الرسول من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، أما النبي فهو من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ.

وعلى ذلك فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا.

وقيل: إن الرسول من أرسل إلى قوم كفار؛ كسيدنا نوح وسيدنا هود، وسيدنا موسى، والنبي من أرسل إلى قوم مؤمنين كأنباء بني إسرائيل مثل: سيدنا زكريا وسيدنا يحيى. على نبينا وعليهم الصلاة والسلام.

وعلى هذا فالنبي والرسول كل منهما مرسل؛ يدل لهذا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: 52]. ولعل الراجح هو: أن الرسول من أوحى إليه بشرع جديد، والنبي: هو المبعوث لتقرير شرع من قبله.

وجوب الإيمان بالرسول:

الإيمان بالرسول الكرام ركن من أركان الإيمان؛ فلا يعتبر الإنسان مسلماً ولا مؤمناً حتى يؤمن بأن الله قد أرسل للبشر رسلاً من أنفسهم يبلغونهم الحق المنزل إليهم من ربهم، ويشرحونهم وينذرونهم، ويبينون لهم حقيقة الدين.

كذلك الإنسان لا يكون مسلماً ولا مؤمناً حتى يؤمن بالرسول جميعاً، لا يفرق بين أحد منهم، وأنهم جميعاً جاؤوا بالحق من عند الله، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

1- ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177].

2- ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 84].

3- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 136].

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 150 - 152].

وفي حديث سيدنا جبريل المشهور: "هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم" قال: "ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله". (مسلم 1/1 /37).

ويتبين لنا من النصوص السابقة -وأمثالها كثير في القرآن والسنة- أن الإيمان بالرسول ركن أساس من أركان الإيمان، لا يتم إسلام المرء إلا به، وأنه يستوي عند الله من أنكر الرسل جميعاً، ومن أنكر واحداً منهم بعينه، فالمنكرون كلهم عند الله كفار، إنما المؤمن هو الذي يؤمن بالرسالات جميعاً وبالرسول جميعاً دون تفريق. وإذا سألنا أنفسنا:

لماذا أوجب الله الإيمان بالرسول، وجعله ركناً من أركان الإيمان، ولم يكتف - سبحانه - - وتعالى من البشر بوجوب الإيمان به وحده، مع أن الإيمان بالله هو أساس كل شيء، وعبادته هي غاية كل شيء؟

فالإجابة عن هذا السؤال واضحة، فكيف يعرف الإنسان ربه المعرفة الحقة إلا عن طريق الرسل؟ وكيف يعبد العباد الحق إلا بإرشادهم؟ انظر إلى ضلالات البشرية في جاهلياتها المختلفة؟

مرة تصورته في قرص الشمس كما فعلت الجاهلية الفرعونية، ومرة تصورته في النار الملتهبة كما فعلت الجاهلية الفارسية، ومرة تصورته على هيئة بشر ذي خصائص فائقة كما فعلت الجاهلية اليونانية والرومانية.

ولا يقل عن ذلك ضلالاً ما تصورته الجاهليات المختلفة من وجود أرباب صغيرة مع رب الأرباب، تقوم ببعض اختصاصه - سبحانه - فإنه للمطر، وإله للبرق وإله للرعْد، وإله للريح..

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: 3].

والسبب هي أن هذه الجاهليات استرشدت بخيالها وأهوائها وعلمها القاصر، ولم تأخذ الحق من طريقه الصحيح المعتمد من عند الله تعالى، وهو طريق الرسل الموحى إليهم بالحق.

إذن هنا تكمن أهمية الإيمان بالرسول؛ وأنه يستحيل للبشرية - كما يثبت لك الواقع التاريخي - أن تهتدي إلى الحق في شأن الألوهية وفي شأن العبودية إلا عن طريق ذلك المصدر الموثق وهم الرسل المرسلون من عند الله.

أما الواجب علينا نحو الرسل فهو الآتي:

1- يجب علينا تصديق رسل الله جميعاً، بعد الإيمان بهم وبرسالتهم وأن لا نفرق بينهم، فمن فرق بين رسل الله، فأمن ببعضهم وكفر بالآخرين، أو صدق بعضهم وكذب بعضاً، كان من الكافرين، بنص القرآن الكريم، قال الله تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: 151]

2- كما يجب علينا أن نؤمن أن كل رسول أرسله الله أدى أمانته، وبلغ رسالته على الوجه الأكمل، وبينها بياناً واضحاً كافياً.

3- كما يجب علينا طاعتهم وعدم مخالفتهم؛ لأن ذلك من طاعة الله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: 80] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 64]

4- كما يجب علينا أن نعتقد بأنهم أكمل خلقاً وعلماء وعملاً وفضلاً وصدقاً، وأن الله ميزهم بفضائل لا تتوفر لغيرهم، وأنه عصمهم، ونزههم عن الكذب والخيانة والكتمان.

5- كما يجب علينا أن نؤمن بأن رسل الله جميعاً كانوا رجالاً من البشر فلم يكونوا من الملائكة، ولم يبعث الله أنثى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 109].

6- كما يجب علينا أن نؤمن أن الله تعالى - لم يخصصهم بطبائع أخرى غير الطبائع البشرية، وإنما اختارهم سبحانه من الرجال، الذين يأكلون ويشربون، ويمشون في الأسواق، وينامون ويجلسون ويضحكون ولهم أزواج وذرية، ويتعرضون للأذى وتمتد إليهم أيدي الظلمة، وينالهم الاضطهاد، وأنهم يموتون، وقد يقتلون بغير حق، وأنهم يتألمون، ويصيبهم المرض، وسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص مراتبهم العالية بين الخلق،

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]..

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: 20]..

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ
بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد: 38]

7- كما يجب علينا أن نؤمن أنهم لا يملكون شيئاً من خصائص الألوهية، فلا يتصرفون في الكون، ولا يملكون النفع أو الضر، ولا يؤثرون في إرادة الله، ولا يعلمون الغيب إلا أن يطلعهم الله عليه:

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ
لَا سَتَكُنَّ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾
[الأعراف: 188].

8- كما يجب علينا أن نؤمن بأن الله تعالى أيدهم بالمعجزات الباهرات والآيات
الظاهرات؛ الدالة على صدقهم فيما جاؤوا به.. مفادها: صدق عبدي فيما يبلغ
عني.

9- كما يجب أن نؤمن أن أفضلهم على الإطلاق هو نبينا سيدنا محمد - صلى
الله عليه وسلم -؛ وأنهم يتفاضلون في المنازل عند الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ
فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ
بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ
كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (البقرة: 253).

يتبع 63 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس الثالث والستون

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان بالرسول

مهمة الرسل ووظائفهم

إخوتي!

أرسل الله تعالى الرسل لهداية البشرية وكلفهم بمهام عدة نستعرضها على الشكل التالي:

1- إن المهمة الأولى والوظيفة الكبرى هي هداية البشرية إلى معرفة الخالق وتوحيده؛ لأن الفطرة البشرية بذاتها تعرف وجود الخالق وتتجه إليه بالعبادة، ولكنها كثيراً ما تضل، فتتصور الخالق على غير حقيقته، وتشرك معه آلهة أخرى، ومن ثم يرسل الله الرسل ليعرفوا البشر بحقيقة خالقهم، وينفوا عن عقولهم ونفوسهم التصورات الباطلة عن الله . وما يترتب عليها من انحرافات في الفكر والسلوك، وليعالجوا بصفة خاصة قضية الشرك، وهي أشد ما يتعرض له البشر من انحراف في تصورهم للخالق وسلوكهم نحوه، يقول الرسل جميعاً لأقوامهم:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَأْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]،

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]

2- المهمة والوظيفة الثانية :

تعريف الناس بالمنهج الحق الذي تستقيم به حياتهم في الدنيا، وينالون به رضوان الله تعالى في الآخرة، وذلك بتبليغ ما أوحى الله به إليهم، وشرحه وبيانه، وتعريف الناس بطريقة تطبيقه وتدريبهم على ذلك، كما يفعل المعلم مع تلاميذه حتى يطمئنوا أن أتباعهم قد وعوا ما أنزل الله وعياً صحيحاً، وطبقوه التطبيق الصحيح.

ولا تقتصر مهمة الرسل على التعريف والتعليم؛ على ما لهذا الأمر من أهمية بالغة في حياة الناس؛ بل تمتد إلى التربية، فليس دون الله معلومات تلقى ثم تحفظ. إنما هو

سلوك عملي بمقتضى التعليم الرباني، والسلوك العملي لا يكتسب فجأة، ولا يكتسب بغير جهد يبذله المري والمتلقي على حد سواء..

ووسيلة الرسل في تربية أتباعهم وتقويم نفوسهم تقوم على الآتي:

أ- تبدأ من ذات أنفسهم -أي الرسل- بأن يكونوا هم أنفسهم القدوة الكاملة في كل ما يدعون الناس إلى اتباعه. سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: "كان خلقه القرآن"[مسلم 139]، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]

ب- التربية تحتاج إلى الصبر والحلم وسعة الصدر :

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28].

ج- تحتاج تربية الناس إلى التذكير الدائم: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55]

د- تحتاج إلى معايشة الناس ومصاحبتهم وملازمتهم لا العزلة والانقطاع عنهم، حتى تقدم التوجيهات والتعليمات في المناسبات، وتتم الملاحظة والمتابعة المطلوبة التي لا بد منها؛ حتى يستقيم الناس على الحق المطلوب، وتكون هناك فرصة لبذر العادات الصالحات في نفوسهم.. وهذا ما شاهدناه في سيرة المصطفى - صلى الله عليه وسلم -

وتحتاج التربية - أيضاً - إلى معرفة بطباع النفوس ومداخلها لتقديم التوجيه المناسب لها بالطريقة التي تقومها ولا تنفرها:

"حدثوا الناس بما يعرفون"[خ العلم 1 / 41]

و"كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتخولنا بالموعظة مخافة السامة" [خ العلم. 1 / 25 م.]

3-ومن مهام الرسل ووظائفهم كذلك: تعريف الناس بالحقائق الحقيقية التي تستحق الاعتبار، وتستحق أن يحرص الناس ويسعوا إلى تحصيلها.

إن الناس بطبيعتهم منجذبون إلى متاع الأرض: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ﴾ [آل عمران: 14]، وهم يحتاجون دائماً إلى من يرفعهم من ثقله الأرض هذه، ويصبرهم بالقيم العليا التي ينبغي أن يتجهوا إليها من صدق، وإخلاص، وأمانة، وتضحية، وكرم، وشجاعة، وإيثار، وعدل، مما يليق بالإنسان الذي كرمه الله وفضله على سائر مخلوقاته.

حاجة البشر إلى الرسل:

الرسالة ضرورية للعباد، لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره، وحياته؛ فأني صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، ولا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدارين إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من طريقهم.

لقد سمى الله رسالته روحاً، والروح إذا عدم فقدت الحياة: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

وإن ما تعانيه الدول - التي يسمونها دولاً متقدمة ومتحضرة - من أنواع الاضطراب والهموم والشقاء والتفكك؛ إنما هو بسبب الإعراض عن الرسل والرسالة.

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ومتعنا باتباع أنبيائه عليهم السلام.

يتبع 64 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس الرابع والستون
من دروس العقيدة الإسلامية
عقيدة الإيمان بالرسول
خصائص الرسالة المحمدية

إخوتي!

تختص الرسالة المحمدية عن الرسائل السابقة بجملة من الخصائص ، نذكر منها:

1- الرسالة المحمدية خاتمة للرسالات السابقة، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 40].

2- الرسالة المحمدية ناسخة للرسالات السابقة، فلا يقبل الله تعالى من أحد ديناً إلا باتباع سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا يصل إلى نعيم الجنة إلا من طريقه، فهو - صلى الله عليه وسلم - أكرم الرسل، وأتمه خير الأمم، وشريعته أكمل الشرائع، ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: 85]،

وقال - صلى الله عليه وسلم - : "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" [م. الإيمان. 240].

3- الرسالة المحمدية عامة إلى الثقلين: الجن والإنس، قال تعالى حاكياً عن الجن: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف: 31]،

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
[سبأ: 28]،

وقال - صلى الله عليه وسلم - : "فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون" [م 1 / 371. ت 4 / 123]

-4- معجزة الرسالات السابقة ومعجزة الإسلام:

لكل رسول يرسله الله إلى الناس آية يأتي بها مصدقة لدعواه ومؤيدة له، وهي المعجزة، والمعجزة تكون دائماً فوق قدرة البشر وخارقة لما تعودوه؛ وقد كانت المعجزات للرسالات السابقة كلها حسية مشاهدة تخاطب الحس البشري وتقهره، وهي لا تتعدى فترة زمنية بحيث تنتهي بانتهاء النبي الذي جاء بها، فمثلاً معجزة سيدنا صالح هي الناقة، ومعجزة سيدنا موسى العصا واليد البيضاء، ومعجزة سيدنا عيسى إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بدون علاج..

أما معجزة الإسلام ورسوله سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فهي معجزة تحدى الله بها البشر؛ هي معجزة تخاطب العقل البشري في كل مكان وزمان؛ فهي معجزة ودعوة في آن واحد لا تنفك إحداها عن الأخرى وتلك هي القرآن الكريم، قال - صلى الله عليه وسلم:-

"ما من نبي إلا وأعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة" [خ. الوحي. 4 / 1905. م. 1 / 134]،

ولذلك فإن القرآن الكريم أعظم المعجزات التي أيد الله تعالى بها رسوله؛ لأنه معجزة دائمة باقية تتحدى البشر على الإطلاق بما فيها من إعجاز اللفظ والمعنى. وسيمر ذلك ان شاء الله تعالى في بابه.

أثر الإيمان بالرسول:

1- معرفة رحمة الله بعباده، وعنايته بهم، حيث أرسل إليهم الرسل يهدونهم إلى عبادة ربهم، وكيف يعبدونه.

2- شكر الله على هذه النعمة العظيمة.

3- محبة الرسل والثناء عليهم من غير إطراء؛ لأنهم رسل الله، قاموا بعبادته، وإبلاغ رسالته، والنصح لعباده.

4- إتباع الرسالة التي جاءت بها الرسل من عند الله، والعمل بها، فيتحقق للمؤمنين في حياتهم الخير والهداية والسعادة في الدارين، قال تعالى: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) الآية..سورة طه..

يتبع 65 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس الخامس والستون

من دروس العقيدة الإسلامية

صفات وعِصْمَةِ الأنبياء والرُّسُل / 1

إخوتي!

أرسل الله تعالى أنبياءه الكرام ليلبغوا الناس مصالح دينهم ودنياهم فهم قدوة للناس، ولذلك فإن الله تعالى جمّلهم بصفات حميدة وأخلاق حسنة منها :

الصدق والأمانة والفتانة والشجاعة والعفة، قال تعالى بعد ذكر عدد منهم: ﴿وَكَلَّا

فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام آية 86]

فَيَحِبُّ اعْتِقَادُ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ يَحِبُّ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَالْفُطَانَةِ، فَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمُ الْكَذِبُ وَالْخِيَانَةُ وَالرِّذَالَةُ وَالسَّفَاهَةُ وَالْبَلَادَةُ.

وَتَحِبُّ لَهُمُ الْعِصْمَةُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْكَبَائِرِ وَصَغَائِرِ الْخِسَّةِ قَبْلَ النَّبُوءَةِ وَبَعْدَهَا.

والأنبياء محفُوظون من كل ما يُنفَرُ عن قبول الدعوة منهم. فلا تصيبهم الأمراض المنقّرة كالبرص والعمى... وليس كلهم عربا .

والأنبياء كالأخوة الذين أبوهم واحد وذلك لأن دينهم واحد وهو الإسلام، وإنما الفرق بينهم في الشريعة التي هي الفروع العملية كالزكاة والصلاة. كما تقدم..

قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ وَإِنَّ نَبِيَّكُمْ أَحْسَنُهُمْ وَجْهًا وَأَحْسَنُهُمْ صَوْتًا » رواه الترمذي.

صلى الله وسلم عليك يا سيدي يا رسول الله وعلى آل بيتك الطيبين وصحابتك أجمعين.

فالأنبياء لا تصيبهم الأمراض المنقّرة كالبرص وخُروج الدُّود، وما ورد من أن سيّدنا أيُّوب خرج منه الدُّود وأنّه كان يأخذ الدُّود ويقول: (كلي ممّا رزقك الله)، فغير

صحيح، ومن قال ذلك فقد كذب الدين. (انظر القضايا الإيمانية للفقير ج2 قصص الأنبياء سيدنا أيوب.).

كذلك كل الأنبياء يتكلمون بكلام مفهم حسن، فلا يجوز أن يعتقد أن سيدنا موسى كان كلامه غير مفهم ولا يطاوعه لسانه، ونسبة ذلك للأنبياء مخرج من الإسلام. (انظر: القضايا الإيمانية ج1 سيدنا موسى الكليم)

وتجب للأنبياء العصمة من الكفر والكبائر وصغائر الخسنة والدناءة كسرقة حبة عنب .

وأما ما ورد في الكتاب العزيز من نسبة ذلك إليهم كما حصل من سيدنا آدم حين أكل من الشجرة ثم تاب بعد ذلك. فقد قال مولانا عز وجل (فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْمًا) وقد أول علماء التوحيد ذلك تأويلا حسنا يوافق عقيدة عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وكذا قتل سيدنا موسى للقبطي الكافر، (انظر القضايا الإيمانية للفقير : قصص الأنبياء).

فمما مضى نعلم أن النبي لا يحصل منه كفر ولا معصية ولا مكروه ولا خلاف الاولى لا قبل النبوة ولا بعدها ، لأن الله يحفظه ويُلهمه الإيمان قبل أن ينزل عليه الوحي. نعم قد يقع منه خلاف الأفضل كما سيبين لاحقا إن شاء الله تعالى.

قال الإمام تقي الدين السبكي في تفسيره : (أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء فيما يتعلق بالتبليغ وفي غير ذلك من الكبائر ومن الصغائر الرذيلة التي تحط مرتبتهم ، ومن المداومة على الصغائر، هذه الأربعة مجمع عليها) . (2|256 من الخصائص الكبرى للسيوطي رحمه الله تعالى).

ويُعلم من هذا أن سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام لم يكن يُعبد الكوكب بل كان يُنكر على قومه ذلك . فما ورد في القرآن الكريم عن سيدنا إبراهيم أنه قال لما رأى الكوكب : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ فهذا للإنكار عليهم، ومعناه (أهذا ربّي كما تزعمون) أي يستحيل ، وليس معناه الموافقة لهم، ولكي يفهم قومه أنه لا

تَصِحُّ الألوهيَّةُ للكوكب ، فلمَّا غاب الكوكبُ قال : ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أي أن الكوكب وكذا الشمس والقمر لا يصحَّ في العقل أن يكون واحدٌ منها إلهاً يُعْبَد من دون الله تعالى ، لأنَّ كلَّ واحدٍ من هذه الأشياء يأتي ثم يغيب وله حَجْمٌ مما يدلُّ على أنَّه مخلوقٌ وليس خالقاً .

وقيل : إنه أراد أن يقيم الحجة عليهم في ذلك وأنزل مولانا (تلك حجتنا آتينها إبراهيم على قومه...) الآية .. (الأنعام 83)

يتبع 66 العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس السادس والستون

من دروس العقيدة الإسلامية

صفات الأنبياء وعصمتهم / 2

إخوتي!

يجب للأنبياء عقلاً صفة *الأمانة* فلا يجوز عليهم ارتكابُ الخيانة في الأقوال والأفعال والأحوال فإذا استنصَحَهُمْ شخص لا يكذبون عليه فيوهمونه خلاف الحقيقة، وإذا وضع عندهم شخصُ شيئاً لا يُضَيِّعُونَهُ.

ولذا اوصى نبينا عليه الصلاة والسلام سيدنا علياً رضي الله عنه برد ودائع القرشيين إليهم لما هاجر إلى المدينة المنورة.

ولا يجوز عليهم ارتكابُ الكبائر قبل النبوة ولا بعدها . فلم يحصل من أيّ نبيّ أنه شَرِبَ الخمرَ أو سرق ولم يحصل من نبيّ أنه زنى .

وسيدنا يوسف عليه السلام لم يهَمَّ بالزنى وإنما هَمَّ بدفع امرأة العزيز عنه ثمَّ أُلْهِمَ أن لا يدفَعَهَا حتى لا يُقال: هو أرادَ الفاحِشَةَ . فلَمَّا انصَرَفَ من وجهها شَقَّت قميصَهُ من خَلْفٍ فَعَلِمَ الناسُ أنَّها هي التي أرادت الزنى وهو لم يُرد ذلك ولم يَهَمَّ بالزنى لأنه معصومٌ كسائر الأنبياء عن مثل هذا الشيء.

(براءة يوسف الصديق.القضايا الإيمانية للفقير ج 2)

وينبغي الحذر من كلام بعض المفترين الذين يزعمون أن سيدنا داود أعجب بامرأة قائد الجيش عنده فبعثه سيدنا داود إلى القتال ليقتل كي يأخذ زوجته، كما هو مدسوس في تفسير الجلالين وهذا افتراء عظيم وسيمر تفصيلها إن شاء الله تعالى.

وليُحذَر مما يفتره بعضُ قاصري العقول الذين يقولون إن سيدنا محمدًا عليه الصلاة والسلام كان مُتعلّق القلب بالنساء لذلك تزوّج أكثر من أربع. والجواب على هؤلاء أن يقال لهم :

إنَّ سيّدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم كان معروفًا بين أهل مكة بمحمدٍ الأمين، وكان أوتي من الجمال ما لم يُساوهِ فيه أحد، فلو كان ولوعًا بالنساء لظهرت منه رذيلةٌ بل رذائل ولكن قومه طعنوا فيه في حال الشباب وذلك لم يحصل.

ولم يتزوَّج رسولُ الله إلا بعد أن صار عمره خمسة وعشرين عاما ثم ماتت زوجته حين بلغ من العمر خمسين ولم يعدد الزوجات الا بعد هذه السن ثم عدّد للحكم تعودُ إلى مصالح دعوته.

ومن جملة تلك الحكم أن تنتشر شريعته بطريق النساء إلى النساء. وأن يصاهر القبائل ليكسب تأييدها للشريعة.

فتأملوا!

فلو كان الأمر كما يقول السفهاءُ عنه لكان عدّد الزواج قبل أن يبلغ خمسين سنة كما هو شأن المنهمكين في هذه الأمور. !!

ومن الدليل على أنه لم يكن متعلّق القلب بالنساء ما رواه مسلمٌ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ” مَا كَانَتْ تَمُرُّ لَيْلِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا خَرَجَ إِلَى الْبَقِيعِ ” أي جبانة المدينة يدعو لأهل الجبّانة مع ما اجتمع في عائشة من حداثة السن والجمال. (انظر القضايا الإيمانية للفقير : أمهات المؤمنين).

ويجب للأنبياء الفطنة فتستحيل عليهم العبّابة لأنهم بُعثوا لبيان الحقّ فلا يليقُ بهم أن يكونوا قاصرين عن إقامة الحجّة على مَنْ جَانَبَ الحقّ وعاداه. قال الله تعالى : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الأنعام].

ويجب لهم أيضًا التبليغ فلا يجوز عليهم أن يكتُموا شيئًا مما أمروا بتبليغه لأن ذلك يُنافي منصب النبوة.

ولا يجوز أن يُنسبَ للأنبياء صفاتٌ لا تليق بهم . فمثلاً لا يجوز أن يقال إنّ سيدنا موسى فرّ جُبناً من فرعون ، وإنّما سيدنا موسى عمل ما أمره الله به، فذهب وضرب البحرَ فانفَرَقَ البحرُ اثنا عَشَرَ فِرْقاً كلَّ فِرْقٍ كالجبل العظيم ثم مرّ هو ومَن معه فلمّا تبعه فرعونُ عاد البحرُ كما كان ومات فرعون .

ولا يجوز أن يقال :

إن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم قد هُزِمَ في معركةٍ من المعارك، إنّما الرسولُ ثابتٌ والذين خالفوه ولم يطيعوه هم خَسِرُوا. (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا) (غافر 51) . (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) (الروم 47) ألم يكن سيدنا رسول الله مؤمناً؟؟!!

وكذلك لا يجوز أن يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر من مكة إلى المدينة هرب وفرّ جُبناً والعياذ بالله. وإنّما هو أمر الله تعالى.

واعلموا أن اسم لوط أعجمي ليس عربياً وليس مشتقاً من اللواط لأن اللواط لفظ عربي ولا يليق بمنصب الأنبياء أن يكون اسم أحدهم مشتقاً من لفظ معناه خبيث، فأسماء الأنبياء ليست خبيثة ولا مشتقة من خبيث ولا يشتق منها خبيث.

قد تكني العرب بالنعاج عن النساء، لكن لا يجوز تفسير النعاج في هذه الآية بالنساء كما فعل بعض المفسرين، فقد أساءوا بتفسيرهم لهذه الآية بما هو مشهور من أن داود كان له تسع وتسعون امرأة، وأن قائداً كان له واحدة جميلة فأعجب بها سيدنا داود، فأرسل هذا القائد إلى المعركة ليموت فيها ويتزوجها هو من بعده، فهذا فاسد لأنه لا يليق ما ذكر فيه بنبي من أنبياء الله، قال الإمام ابن الجوزي في تفسيره بعد ذكر هذه القصة المكذوبة عن سيدنا داود: وهذا لا يصح من طريق النقل ولا يجوز من حيث المعنى، لأن الأنبياء منزّهون عنه، وأما استغفار داود ربه، فهذا لأنه حكم بين الاثنين بسماعه من أحدهما قبل أن يسمع من الآخر.

فإن الله تعالى قد أرسل الأنبياء ليبينوا دين الإسلام وينشروه.

والنُّبُوَّةُ اشتقاقها من النبأ أي الخبر ، لأنَّ النُّبُوَّةَ إخبارٌ عن الله .
والسبيل إلى معرفة النبي “ *المعجزة* ” وهي أمرٌ خارقٌ للعادة يأتي على وفق
دَعْوَى من ادَّعَوْا النُّبُوَّةَ سالمٌ من المَعَارِضَةِ بِالْمَثَلِ ، كانفجار الماء الزُّلَال من بين
أصابع سيدنا النَّبِيِّ وعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة
والسلام .

فما كان من الأمور عجيبيًا:

* ولم يكن خارقاً للعادة فليس بمعجزة،
* وكذلك ما كان خارقاً لكنه لم يقترن بدعوى النُّبُوَّة كالخوارق التي تظهر على أيدي
الأولياء أتباع الأنبياء فإنه ليس بمعجزة بل يسمى كرامةً
* وكذلك ليس من المعجزة ما يستطاع معارضته بالمثل كالسحر فإنه يُعَارَضُ بسحرٍ
مثله.

ورد في القرآن : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [البقرة 253]
فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام متفاوتون في الفضل.

وورد في الشرع أنَّ أفضل الأنبياء على الترتيب سيدنا محمد ثم سيدنا إبراهيم ثم
سيدنا موسى ثم سيدنا عيسى ثم سيدنا نوح عليهم الصلاة والسلام وهم أولو العزم.
قال الإمام النسفي (ت 710 هـ) في تفسيره (مدارك التنزيل وحقائق التأويل):

فإن قلت: كيف قال شعيب ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾ [الأعراف 89] والكفر على
الأنبياء عليهم السلام محال؟

قلت: أراد عود قومه إلا أنه يضم نفسه في جملتهم وإن كان بريئاً من ذلك إجراء
لكلامه على حكم التغليب.

يتبع 67 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس السابع والستون

من دروس العقيدة الإسلامية عدد الأنبياء والرسل الكرام

إخوتي

لقد ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - عدد الأنبياء والمرسلين، وذلك في مسند الإمام أحمد، عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه قال:

(قلت يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر، جمًّا غفيراً)، وفي رواية لأبي أمامة قال سيدنا أبو ذر: (قلت يا رسول الله: كم وفاء عدّة الأنبياء؟ قال: مائة ألف، وأربعة وعشرون ألفاً، والرّسل من ذلك: ثلاثمائة وخمسة عشر، جمًّا غفيراً). مشكاة المصابيح للإمام البغوي.

وقد ذكر القرآن الكريم خمسةً وعشرين نبياً ورسولاً في القرآن الكريم، ذكر ثمانية عشر منهم في سورة الأنعام، والباقي ذكروا في سور متفرقة، وهم سادات الأمم:

آدم عليه السّلام، وهود عليه السّلام، وصالح عليه السّلام، وشعيب عليه السّلام، وإدريس عليه السّلام، وذو الكفل عليه السّلام، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الله سبحانه وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا) سورة آل عمران، 33 وقال سبحانه وتعالى: (وإِلَىٰ عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا ..) سورة هود، 65 ، وقال سبحانه وتعالى: (وإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا) سورة هود، 61 ، وقال تعالى: (وإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا) سورة هود، 84 ، وقال تعالى: (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ) سورة الأنبياء، 85.

وأما في سورة الأنعام فقد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله سبحانه وتعالى: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۖ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ۖ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا

مِنْ قَبْلُ ۖ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ ۚ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ
سورة الأنعام، 83-86 .

ومن الخمسة والعشرين المذكورين أربعة من العرب، هم: هود، وشعيب، وصالح، ومحمد صلى الله عليهم جميعاً . فقد ورد في صحيح ابن حبان عن سيدنا أبي ذر مرفوعاً: (منهم أربعة من العرب: هود وصالح وشعيب، ونبئك يا أبا ذر)،

وقد ورد في السنة النبوية أسماء أنبياء لم يذكروا في القرآن الكريم، مثل سيدنا يوشع بن نون، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (غزا نبي من الأنبياء ... فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها عليّ شيئاً)، والذي يدل على أنّ هذا هو النبي يوشع بن نون فتى سيدنا موسى عليه السلام، قوله صلى الله عليه وسلم: (إنّ الشمس لم تحبس إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس) رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

وقد ذكر القرآن الكريم بعض الرسل بأسمائهم صراحةً في مواضع كثيرة، ونصّ على أنّ هناك الكثير من الرسل الذين لم يذكروا في القرآن الكريم ، حيث قال سبحانه وتعالى :

(وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) سورة النساء، 164 .

وقال سبحانه وتعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) سورة غافر، 78.

ولا يمكن لنا تحديد عمر كلّ الرسل والأنبياء، وذلك لأنّ كثيراً منهم لم تردنا أخبارهم ولا قصصهم أصلاً، وبالتالي ليس لنا القدرة على تحديد أعمارهم، ودلالة ذلك قوله

سبحانه وتعالى: (وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) سورة النساء، 164 ،

وقد قال ابن أبي العزّ في شرح الطحاوية:

"وأما الأنبياء والمرسلون فعلينا الإيمان بمن سمّى الله في كتابه من رسله، والإيمان بأنّ الله تعالى أرسل رسلاً سواهم، وأنبياء لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، فعلينا الإيمان بهم جملةً، لأنّه لم يأت في عددهم نصّ ، قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) سورة غافر، 78 .

***آخر الأنبياء والرسل:**

إنّ آخر الأنبياء والمرسلين بعثةً هو سيّدنا محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - وذلك بالإجماع ، ودلالة ذلك قوله صلّى الله عليه وسلّم: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ! قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ) رواه البخاري .

***أولو العزم من الرسل**

لقد ورد ذكر أولي العزم من الرسل في قوله سبحانه وتعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) سورة الأحقاف، 35 ،

والمقصود بالعزم هنا هو الشدّة، والقوّة، والتّصميم، والحزم في إعلاء كلمة الله عزّ وجلّ والدّعوة إليه، وعدم التقصير أو التّهاون في ذلك الأمر، وقد كان العلماء على قولين في تحديدهم لماهيّة أولي العزم من الرسل على التّحو الآتي:

منهم من قال: إنّ أولي العزم من الرسل هم جميع الرسل، ما عدا يونس بن متى، وذلك لقوله سبحانه وتعالى: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) سورة القلم، 48 ،

وقد قيل أيضاً أنّ سيّدنا آدم ليس منهم كذلك، وذلك لقوله سبحانه وتعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) سورة طه، 115 .

ومنهم من قال: إنّ أولي العزم من الرّسل هم بعض الرّسل، وقد اختلفوا في تعيين أسمائهم في عشرة أقوال أو أكثر، وأشهر ذلك ما قاله الإمام مجاهد: هم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله وسلّم عليهم أجمعين .

كتب الأنبياء والرّسل

دلّ القرآن الكريم على أنّ كلّ رسول قد أرسل بكتاب، وذلك لقوله سبحانه وتعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ) سورة الحديد، 25 ،

وقال سبحانه وتعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ) سورة البقرة، 213 ،

ونؤمن بأنّ الله تعالى قال : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) سورة الحديد، 25.

وقد ذكر أهل العلم أنّ الفرق بين النّبي وبين الرّسول هو إنزال الكتاب معه، فالرّسول هو من أنزل إليه الكتاب، وأمّا النّبي فإنّه لم ينزل إليه كتاب، وقد قال الشنقيطي في أضواء البيان:

وَاسْتَظْهَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ الَّذِي هُوَ رَسُولٌ أَنْزَلَ إِلَيْهِ كِتَابٌ وَشَرَعَ مُسْتَقِلًّا مَعَ الْمُعْجَزَةِ الَّتِي ثَبَتَتْ بِهَا نُبُوَّتُهُ.

وَأَنَّ النَّبِيَّ الْمُرْسَلَ الَّذِي هُوَ غَيْرُ الرَّسُولِ، هُوَ مَنْ لَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِ كِتَابٌ، وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ أَنْ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى شَرِيعَةِ رَسُولٍ قَبْلَهُ، كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا يُرْسَلُونَ وَيُؤْمَرُونَ بِالْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَةِ.

وقريب من ذلك قول الإمام بدر الدّين العيني في شرح البخاري:

(والتعريف الصحيح أن الرسول من نزل عليه كتاب، أو أتى إليه ملك، والنبي من يوقفه الله تعالى على الأحكام، أو يتبع رسولا آخر، فكل رسول نبي من غير عكس).

ولكن ليس كل من أوحى إليه بشيء يعتبر نبيا، وذلك لقول الله تعالى : (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) سورة النحل، 68 ،

وقوله سبحانه وتعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ) سورة القصص، 7 ،
وقوله سبحانه وتعالى: (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي) سورة المائدة، 111 ،

لأن هؤلاء المحدثين الملهمين المخاطبين يوحى إليهم، وليسوا بأنبياء معصومين مُصَدِّقِينَ فِي كُلِّ مَا يَقَعُ لَهُمْ.

والرسول في اللغة: المرسل، وَيُسْتَعْمَلُ لِلْمَذْكُورِ وَالْمُؤَنَّثِ وَالْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ، وفي التنزيل العزيز: (إِنَّا رَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ) سورة طه، 47 ، وَيُجْمَعُ أَيْضًا عَلَى رُسُلٍ وَأَرْسُلٍ .
وأما في الاصطلاح ف: الرسول إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام، ولفظ الرسول أخص من لفظ النبي، قال كل من الكلبي والقرائي: كل رسول نبي من غير عكس .

المختلف في كونهم أنبياء

هناك مجموعة اختلف في كونهم أنبياء أو رسلا، ومنهم :

سيدنا *الخضر*: وهو صاحب سيدنا موسى عليه السلام، وقد وردت قصتهما معاً في سورة الكهف، ويعتبر الخضر عليه السلام من الأنبياء غير المجمع على نبوتهم، حيث قال القرطبي: الخضر نبي عند الجمهور، وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية - يَغْنِي قَوْلُهُ تَعَالَى: (آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) ، تشهدُ بِنُبُوَّتِهِ، قَالَ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُ: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) يَقْتَضِي أَنَّهُ نَبِيٌّ .
واعتمد الباجوري في تحقيقه أنه نبي.

سيدنا *لقمان*: وقد وردت سورة في القرآن الكريم باسمه، وقال بنبوته بعض من العلماء، قال ابن كثير: كَانَ جُمُهورُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا، وَإِنَّمَا يُنْقَلُ كَوْنُهُ نَبِيًّا عَنْ عِكرَمَةَ .

ذو الكفل: وهو الذي ورد فيه قوله سبحانه وتعالى في سورة الانبياء: (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ) سورة الانبياء، 85 ، وقال ابن كثير: الظَّاهِرُ مِنْ ذِكْرِهِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ مَقْرُونًا مَعَ هَؤُلَاءِ السَّادَةِ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُ نَبِيٌّ. قَالَ: وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ، وَقَدْ زَعَمَ آخَرُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا وَإِنَّمَا كَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَحَكَمًا مُقْسِطًا عَادِلًا. قَالَ: وَتَوَقَّفَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي ذَلِكَ.

عزير: حيث قال ابن كثير في أمره: الْمَشْهُورُ أَنَّ عَزِيرًا نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

يتبع 68 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس الثامن والستون

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان بالأنبياء

معجزات الأنبياء

إخوتي!

المعجزة في الإسلام هي أمر خارق للعادة تكون من نفس النوع الذي برع به قوم النبي، وهي تعجز الآخرين عن الإتيان بمثله، وتدل على صدق النبي ورسالته عن ربه، وعلى الناس اتباعه؛ فتعددت المعجزات واختلفت لتناسب الأقسام: فقوم سيدنا عيسى -عليه الصلاة والسلام- اشتهروا بالطب وأتقنوه فكانت معجزته التي أيد به الله تعالى بها وأجراها على يديه هي إحياء الموتى وإبراء الأبرص والأعمى . وكذلك إنزال مائدة من السماء كما طلبوا منه ، وكذلك كان يعمل تماثيل من الطين ثم ينفخ فيها فتكون طيراً- بإذن الله تعالى-، وتكليمهم في مهده كلها معجزات تؤكد صدق نبوته فلا أحد منهم استطاع المجيء بمثله.

معجزة سيدنا موسى

أما النبي سيدنا موسى - عليه الصلاة والسلام - فكانت معجزته تحويل العصا إلى حية كبرى، وادخال يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء آية لقومه، وذاك لاشتهارهم بالسحر وخداع أعين الناس، فلما رأى السحرة معجزته آمنوا به، فهم يميزون السحر عن الحقيقة.

معجزة سيدنا صالح

أما سيدنا صالح -عليه الصلاة والسلام- فكانت معجزته الناقة التي تخرج من الصخر قال تعالى : " وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ. لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا. بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. " (الأعراف 73)

معجزة سيدنا إبراهيم

أما معجزة النبي سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام - فهي خروجه من النار سالماً عندما ألقاه فيها قومه ليحرقوه لأنه حطم أصنامهم ، ودعاهم للإيمان بالله تعالى ، وترك عبادة الاصنام. قال تعالى : " قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. "

معجزات سيدنا سليمان

أما معجزات سيدنا سليمان - عليه الصلاة والسلام - علمه وفهمه للغة الحيوانات والطيور؛ كالهدهد والنمل، وتسخير الريح والجن والإنس جنود له . وأعطاه الله تعالى ملكاً لم يعطه لأحد بعده، وغيرها من المعجزات.

معجزة سيدنا محمد رسول الله

أما سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فمعجزاته تعددت وكثرت حتى أوصلها الإمامان الأصبهاني والبيهقي في دلائل النبوة إلى 1200 معجزة، وأهمها إعجاز القرآن الكريم وبلاغته، وفرقه بين الرسل السابقين على أن القرآن الكريم معجزة خالدة في الرسول وتبقى ليوم القيامة، فقد وصف قومه بالبلاغة واتقان اللغة العربية فكان على لسان النبي - صلى الله عليه وسلم - القرآن العظيم المليء بالإعجاز اللغوي والبياني والعلمي والغبي.

قال تعالى: " إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ .. "(القيامة 17-19)

فما أتى به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أبهرهم فلم يكن شعراً، فهم يعرفون الشعر تماماً، ولم يكن كاهناً وعرافاً، فهم يعرفون الكهنة والعرافين من بينهم ، ويميزون كلامهم ، وليس بسحر فقد أدركوا أن كلامه ما أتى به أحد من قبله ، وقد أعجبهم بشدة ؛ فمنهم من آمن به ومنهم من كفر .

وقد تكفل الله تعالى بحفظه إلى يوم القيامة قائلاً: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ. " (الحجر 9)

وسمعه - عليه الصلاة والسلام - لأهل القبور.

ومعجزة انشقاق القمر - أيضاً - ومخاطبته لقتلى أحد ، وحنين جذع النخلة حينما تركها، واهتزاز جبل أحد حينما وقف عليه يوماً، ونبع الماء من بين أصابعه، وكذلك إضاءة المدينة المنورة لقدمه، وظلامها لموته، ونزول المطر مباشرة بعد استسقائه، والإسراء والمعراج من معجزات النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - واخباره عن أمور وقعت في الماضي، وستقع في المستقبل ، وغيرها الكثير من معجزاته . وقد عجز الخلق أن يأتوا بمثل القرآن الكريم ولا حتى بآيه واحدة.

الفرق بين المعجزة والكرامة

هناك فرق بين المعجزة والكرامة؛ فالمعجزة خاصة بالرسول والأنبياء. أما الكرامة فهي خاصة بأولياء الله تعالى الصالحين، كرمهم الله بها للدلالة على صحة الطريقة التي يتبعونها .

إن المعجزات

*تبين قدرة الله عز وجل ولا تضاهيها قدرة أحد .
*والمعجزة تزيد الرسل تأييدا وتطمئنهم،
*وتزيد إيمان الناس واقتناعهم بنبيهم وبربهم خالقهم،
*وكذلك المعجزة تكون حجة الله تعالى على خلقه فلو لم تأتكم البينات والأدلة لكان حجتهم يوم القيامة بكفرهم أنهم لم يأتهم البلاغ من ربهم، لذا فمن عدل الله تعالى ورحمته إرسال الرسل والأنبياء بأدلة وبراهين ومعجزات للناس، ومن ثم يختارون الإيمان بهم أو الكفر ولهم الخيار وعلى الله تعالى الحساب والجزاء.

يتبع 69 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس التاسع والستون

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان بالأنبياء

هل يخطئ الأنبياء

إخوتي!

من أساسيات العقيدة الإسلامية الإيمان بالأنبياء، وقد بحث علماء العقيدة هذا الركن العظيم، ونبهوا على دقيقه وجليله، وبيينوا جميع جوانبه، من حيث ما يجب في حق الأنبياء من صفات، وما يجوز، وما يستحيل. ومن العناوين الطريفة التي نخشى أن تصدق على بعض الباحثين في جامعاتنا، كتاب: "تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حُثالة الأغبياء" لابن خمير السبتي. الذي كشف فيه عن بعض الشبهات والدسائس والأوهام، التي يروج لها بعض الجاهلين بحقيقة النبوة ومكانتها عند المسلمين.

لقد شد فعلا بعض الباحثين فذهب على سبيل التطرف العقدي والفكري إلى إنكار عصمة الأنبياء كمقوم من مقومات النبوة، في خلط واضح بين ما يعتقده أهل الحق، وما يقوله أهل الباطل. متوسلا في استنتاجاته الواهية بمقدمات خطائية، لا ترقى إلى مستوى البرهان المبني على مقدمات يقينية.

وقد وقفت موقفا مع أحد الأساتذة الجامعيين أناقشه حول هذا البحث بعد أن كتب في كتابه الذي طبع عشرات المرات أن النبي يخطئ وقلت له : المعصوم لا يخطئ.. أليس هذا ماقرره علماء الأصول ؟!.

وبعد نقاش بقي عقيما من أوله إلى آخره لم يتراجع عن قوله.
وقد كتبت حلقتين في الرد عليه في كتابي القضايا الإيمانية فليُنظر.

لا يليق بأستاذ باحث في علم مقارنة الأديان، أن يخالف البديهيات في العقائد الإيمانية، وهو يعلم أكثر من غيره أن الدين في وضعه العرفي كما اشتهر عند المسلمين: "وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل"،

أو هو " وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات". كما عرّفه الإمام الباجوري رحمه الله تعالى وقرأناه على أسيادنا رحمهم الله تعالى.

ومن البديهي عند المسلمين أيضا أن الدين الحق يهدي العقول السليمة إلى ما فيه الخير والصلاح، معاشا ومعادا، ولا يخفى على اللبيب كذلك أن العقل شرط أساس، لإدراك مزايا الدين، وأسرار التشريع، أما ضعف العقول فخليق بهم أن ينكروا البديهيات في العقائد والعادات.

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الأنبياء بشرا من جنس المرسل إليهم، حتى يكونوا أكثر صلة بالناس، وأعرف بمشاعرهم وأحاسيسهم، ليقتدوا بهم فيما يبلغونه عن الله عز وجل، واختيار مَلَكٍ يبلّغ رسالة الله إلى الرسول ليبلغها هو إلى الناس شيء طبيعي، ما دام عالم الملائكة مختلفا عن عالم الإنسان: "قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمَشُّونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا" [الإسراء: 95].

لقد أسس أهل الحق مذهبهم العقدي في هذا الموضع الخطير، على مقدمات يقينية تستمد مضمونها من القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية المطهرة وإجماع الأمة. فأجمعوا على عصمة الأنبياء عن الكفر والبدعة، وخالفهم في ذلك بعض الخوارج، الذين جوزوا صدور الذنب منهم، وقالوا: كل ذنب كفر .

ومن الأدلة التي يعتمد عليها علماء الإسلام في إقرار مبدأ العصمة أن الأنبياء لا يعصون الله تعالى لا بكبيرة ولا صغيرة على سبيل العمد، لأنهم معصومون، والناس مأمورون بالاعتداء بهم، ولا يجوز الأمر بالاعتداء بمن يعصي.

ومن الصفات الضرورية التي لا تنفك عن جميع الأنبياء التي دل الشرع والعقل على ثبوتها ووجوب الإيمان بها: الأمانة والتبليغ والصدق والفظانة. المتقدم الإشارة إليها، والأفضل التفصيل بها لإتمام الفائدة.

أولاً: الأمانة:

ومعناها حفظ ظواهر الأنبياء وبواطنهم من المعاصي والمكروهات، ويعبر علماء العقيدة عن الأمانة بالعصمة أيضاً، وهي ملكة نفسانية تمنع صاحبها الفجور. وعلى هذا الأساس يعتقد المسلمون أن الله تعالى حفظ أنبياءه ظاهراً من ارتكاب المنهيات، كما حفظهم من منهيات الباطن كالحسد والكبر والرياء... وبهذا التفسير يكون

***معنى العصمة*:** هو حفظ الله تعالى لظواهر أنبيائه وبواطنهم من كل عمل منهي عنه، في الصغر والكبر، قبل النبوة وبعدها. فلا يصدر عنهم ذنب ولا يرتكبون معصية.

ويتفرع عن صفة الأمانة الكلام في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من خلال العناصر الآتية:

أ- مفهوم العصمة:

العصمة لغة تعني المنع والوقاية والحفظ، تقول: عَصَمَهُ اللهُ من المكروه، أي حفظه ووقاه، وفي اصطلاح علماء العقيدة تعني: حفظ الله تعالى لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام من الذنب مع استحالة وقوعه.

ويعرفها بعض العلماء بأنها: تهيئة العبد للموافقة مطلقاً، بمعنى أن الله تعالى خلق القدرة على كل طاعة أمروا بها. كما عدها بعضهم ضرباً من التوفيق، فقال: إن التوفيق خلق القدرة على الطاعة المعينة، والعصمة إذن عام. باجوري.

ب- العصمة قبل النبوة:

ذهب بعض أصحابنا من أهل السنة إلى عدم امتناع صدور ذنب من النبي قبل نبوته ...

والذي نرتضيه معتقدا في هذا الموضوع، من باب سد للذريعة، أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا معصومين قبل البعثة، فلا يصدر عنهم ذنب. وهذا الامتناع إنما استفدناه من الشرع الحكيم، دون العقل، لأن ما يسمى معصية في العرف إنما يكون بعد تقرير الشرع الحكيم نفسه أنه معصية.

ج-العصمة بعد النبوة:

وهذا الأمر مما أجمع عليه أهل الحق قاطبة، وهو من العقائد العامة عند سائر المسلمين، إلا ما شذ منهم. وهذا المعتقد -عصمة الأنبياء بعد النبوة- هو الأليق بخير من اصطفاهم الله تعالى لهداية الناس إلى الطريق المستقيم.

ثانيا:الصدق:

وهو ضد الكذب، ومعناه مطابقة الخبر للواقع، أو موافقة الخبر لما في نفس الأمر، إي لما عند الله تعالى، سواء وافق اعتقاد المخبر أم لا.

وإذا كان الصدق واجبا في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في كل ما يبلغونه ويخبرون عن رب العالمين فإن اتصافهم بالكذب محال. والدليل على ذلك أنهم لو لم يكونوا صادقين للزم الكذب في خبره تعالى لتصديقه لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى: صدق عبدي في كل ما يبلغ عني...

ثالثا: الفطنة:

ومعناها الحذق وسرعة الفهم والتيقظ لإلزام الخصوم وإبطال دعاويهم ودحض حججهم، بحيث يستطيعون إقامة الدليل على صدق ما يدعون إليه، ويبتلون شبه المخالفين لهم.

وهذا واقع جميع الأنبياء قال تعالى: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) [الأنعام : 83].
وقال أيضا : " قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ " [هود : 32].

وقال لنبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : (وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [النحل : 125].

رابعا: التبليغ:

ومعناه لغة الإيصال، والمقصود بهذا اللفظ في هذا الموضع أنهم عليهم الصلاة والسلام يبلغون جميع ما أمرهم الله تعالى بتبليغه، ولا يتصور كتمانهم لشيء من ذلك، لقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ " [المائدة : 67].

فهذه الصفات الأربعة الواجبة التي لا ينفك عنها الأنبياء، مما يجب على كل مكلف اعتقاده، واعتقاد استحالة اتصافهم بأضدادها، وهي كما سلف:

الصدق، وضده الكذب،

والأمانة، وضدها الخيانة،

والتبليغ، وضده الكتمان .

والفطنة وضدها الغفلة.

وللإفادة فإن هذه الصفات الأربعة هي المتداولة في مبحث النبوات، وهي من الشروط العقلية للنبوة.

أما الشروط الشرعية العادية فهي البشرية، والحرية، والذكورة، وكمال العقل، والذكاء، وقوة الرأي، والسلامة من كل ما ينفر من الاتباع حال النبوة. ومنها أيضا كونه أعلم من جميع من بعث إليهم بأحكام الشريعة المبعوث بها أصلية كانت أو فرعية.

هل أخطأ الأنبياء ؟

من الأمور التي يتمسك بعض الباحثين في جامعاتنا للتدليل على إنكار عصمة الأنبياء ما صدر عن بعض الأنبياء كمعصية سيدنا آدم وأكله من الشجرة وطلب سيدنا نوح المغفرة لابنه واستغفار سيدنا إبراهيم لأبيه... وهي أمور أجاب عنها علماء العقيدة إجابات وافية لا تخرج عما يعتقد عامة المسلمين في وجوب اعتقاد عصمة الأنبياء والتماس تأويلات مقبولة شرعا وعقلا، وحسبنا أن نشير إلى بعض منها. وقد تم تفصيل ذلك في كتابنا القضايا الإيمانية باب النبوات فليراجع.

*قصة سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام:

يدرك الناظر في القرآن الكريم أن الله تعالى لم ينص صراحة على معصية نبي إلا معصية سيدنا آدم عليه السلام. قال تعالى " فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى " [طه:121] وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى القول بأن نهي آدم عن الأكل من الشجرة كان نهي إرشاد وإعلام، وليس نهيًا على جهة التكليف، ثم أنساه الله تعالى بعد ذلك إرشاده إياه ووصيته له لأمر يريده هو تعالى فأكل من الشجرة غافلا عن الوصية والوسوسة...

كما يذهب علماء آخرون إلى القول بأن سيدنا آدم عليه السلام إنما عصى وارتكب الذنب قبل النبوة، وليس بعدها، يدل عليه قوله تعالى: "... وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى " [طه : 122-121] فدل على أن الاجتباء إنما كان بعد المعصية. وهذا قد قيل به. ولي تأويلات حسنة في كتابي القضايا الإيمانية فليراجع هناك.

قصة نوح عليه الصلاة والسلام:

من الحجج الواهية التي يتمسك به بعض الغافلين من أجل إبطال مبدأ عصمة الأنبياء قوله تعالى " (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [هود : 46] . فاستنتج هذا الجاهل أن الله تعالى كذب نوحا في قوله " إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي " [هود : 45] ..

وهذا تأويل لا يصح البتة لأن الكذب مستحيل في حق الأنبياء مطلقا، لا عن طريق العمد ولا السهو ولا التأويل. وقد فسر بعض العلماء المعتبرين الآية السابقة بأن الله تعالى نفى أن يكون ابن نوح من أهله الذين وعد الله بنجاتهم. من الواضح إذن أن قوله تعالى " إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ " إنما ينصرف إلى الدين والإيمان، أي أنه ليس من أهلك في العقيدة والدين وليس في النسب. وخلاصة القول فإن عصمة الأنبياء محسوم فيها عند علماء العقيدة، ولا يصح الإيمان بالأنبياء إلا بالإيمان بعصمتهم.

الجائز في حق الأنبياء:

لقد تحدث علماء العقيدة عن الصفات الجائزة في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقرروا في هذا الصدد أصلا مهما وهو القول بجواز اتصاف الأنبياء بسائر

الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم أو الإخلال بمقاماتهم العلية كالمرض والعمى والبرص وغير ذلك من الأمور المنفرة...

ومن النصوص القطعية الدالة على البشرية:

قوله تعالى " (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف : 110].

وقال أيضا: " (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ) [فصلت : 6].

وقال أيضا : " (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [الأعراف : 188].

وقال أيضا: " (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) [يونس : 49].

وقال أيضا: " (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) [آل عمران: 144]

أما دليل جواز وقوع الأعراض البشرية على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والتي لا تؤدي إلى نقص كما سلف القول، فمشاهدة وواقعة فعلا. وهذا كما يقول بعض العلماء "إما لتعظيم أجورهم أو للتسلي عن الدنيا أو للتنبيه لخسة قدرها عند الله تعالى وعدم رضاه بها دار جزاء لأنبيائه وأوليائه باعتبار أحوالهم فيها عليهم الصلاة والسلام. ..."

وصفوة الكلام، فإن أهل الحق، انطلاقاً من أصول الأدلة المتمثلة في القرآن وصحيح السنة والإجماع يعتقدون اعتقاداً جازماً بجملة من الصفات التي لا تنفك عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، هي بمثابة مسلمات عقدية، والشك فيها أو تأويلها على وجه غير صحيح مدخل لهدم الدين من أساسه. ومن القواعد المقررة في هذا المبحث الشريف - مبحث النبوة - أن ما ثبت من الكمال لبعضهم ثبت لبقيتهم. والله تعالى أعلم.

يتبع 70 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس السبعون

من دروس العقيدة الإسلامية

ثمرات الإيمان بالأنبياء والرسل

إخوتي!

معرفة الأنبياء والرسل، والإيمان بهم، له ثمرات:

منها: معرفة كمال رحمة الله بعباده، وعنايته بهم، حيث أرسل إليهم الرسل يأمرهم بعبادة الله وحده، ويبينون لهم كيف يعبدونه.

ومنها: حمد الله وشكره على هذه النعمة.

ومنها: محبة الرسل، وتصديقهم، والثناء عليهم من غير إطراء؛ لأنهم رسل الله آمنوا بالله، وقاموا بعبادته، وإبلاغ رسالته، والنصح لعباده.

قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الجمعة:2].

وقال الله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة:128].

وعَنْ سَيِّدِنَا أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». متفق عليه.

فقه الإيمان بالأنبياء والرسل:

أكرم الله سيدنا آدم عليه السلام بكرامات:

فخلقه سبحانه كما ذكر في كتابه بيده... ونفخ فيه من روحه.. وأسجد له ملائكته.. وأسكنه جنته.. وجعله خليفة في الأرض.

وأكرم الله بني آدم بكرامات:

ففطرهم على التوحيد، ووهبهم العقول والأسماع والأبصار، وجعل منهم الأنبياء والرسل، وأرسلهم إلى خلقه بالدين، واصطفى الله هؤلاء الأنبياء والرسل، وجعلهم أئمة الناس في الخير والهدى، وحسن العبادة، وحسن الخلق. والإيمان بالأنبياء والرسل ليس فقط اعتقاداً بالقلب، بل هو مع ذلك عمل إيجابي في تنفيذ جميع ما جاؤوا به، وفيما وقفوا حياتهم كلها من أجله، وهو إبلاغ رسالة الله إلى عباده.

فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ودينه وشرعه مقتضاه أن ينهض المؤمن لينصر ما آمن به، وليقيمه في الأرض، وليحققه في حياة الناس كافة. والشرائع السابقة أكملها الله بالإسلام، ورسول الله جاء ليكمل اللبنة الناقصة في البناء الإيماني، ليكمل البناء، ويكون صالحاً مفتوحاً لكل فرد من البشرية إلى يوم القيامة.

فما أعظم فضل الرب على الناس.. وما أعظم رحمته بهم... وما أعظم عنايته بهم.. وتودده إليهم.

يرسل إليهم رسولاً بعد رسول، ويهديهم بكتاب بعد كتاب، حتى أكمل الله الدين، وبعث به رسوله سيدنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين. إن مصائر البشرية كلها في الدنيا والآخرة منوطة بالرسل، وبأتباعهم من بعدهم، وهي أمانة عظيمة ثقيلة جسيمة كبيرة، إنها أمانة إبلاغ رسالة الله إلى خلقه، والتي عليها مدار سعادتهم وشقاوتهم في الدنيا والآخرة.

ولهذا قام بها الأنبياء والرسل على أكمل وجه، وبذلوا كل ما يملكون من أجل وصول الحق إلى الخلق، والله يعينهم ويحفظهم وينصرهم، لمحبتة لعباده، ورحمته لهم، وشدة عنايته بهم.

فكم أرسل الله من الأنبياء والرسل إلى البشرية..؟

وكم من رسالة حملوها إلى ذرية آدم.. عليه السلام؟

وكم بذلوا من الأوقات والأموال والأنفس في سبيل إبلاغ دين الله إلى الناس..؟
وكم تركوا من الديار والأهل والأموال والشهوات من أجل أن يكون الدين كله لله...؟

وكم تعرضوا للسب والشتم والقتل وهم يبلغون رسالات الله..؟
وكم صبروا على الأذى والظلم، والافتراء والتكذيب، والاستهزاء والسخرية من أقوامهم..؟

وكم وقفوا بين يدي ربهم ركعاً وسجداً وبكياً..؟

وكم أحسنوا إلى الناس..؟

وكم رحموا من أهل الأرض؟

وكم من البشرية هداهم الله على أيديهم..؟

فنالوا رضوان ربهم.. وبلغوا رسالات الله.. وفازوا بأعلى الجنان.

ثم مضى هؤلاء الأنبياء والرسل من أول الرسل نوح عليه السلام، إلى خاتمهم وسيدهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبقي هذا الواجب العظيم الثقيل على من بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من المؤمنين برسالته.

ولا فكاك أبداً من هذه التبعة الثقيلة إلا بإبلاغ رسالة الله على ذات المنهج الذي بلغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين للناس كافة.

قال الله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} [الإسراء: 70].

وقال الله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36].

وقال الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3].

وقال الله تعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ } [يونس:108].

وقال الله تعالى: { هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } [إبراهيم:52].

انتهى باب الإيمان بالأنبياء

ويليه السمعيات إن شاء الله تعالى

يتبع 71 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

خاتمة دروس النبوات من دروس العقيدة الإسلامية حكم ساب الرسول الأعظم

إخوتي !

لا يجوز بحال الاعتداء على الإسلام ونبي الإسلام وحرمات الإسلام.
وكل من استهزأ بالرسول العظيم عليه الصلاة والسلام أو سبّه أو تنقّصه أو استحلّ شيئاً مما حرّمه فالقتل القتل، ودمه هدر، لأنه كافر زنديق ولا تقبل له توبة (مالك وأحمد).

ولا يشك مسلم أن هذا كفر بواح، وإلحاد سافر واستهزاء صريح بمقام سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين وقائد الغر المحجلين، إنها لوقاحة تحزن كل مسلم، وتدمي قلب كل مؤمن:

1- وتوجب اللعنة

2- والعار

3- والخلود في النار،

4- وغضب العزيز الجبار،

5- والخروج من دائرة الإسلام والإيمان إلى حيز الشرك والنفاق والكفران لمن قالها أو رضي بها، .

بهذا نطق كتاب الله الكريم والسنة النبوية الشريفة وإجماع علماء الأمة.

*أولاً - من كتاب الله تعالى:

قال الله عز وجل: { أَبِاللّٰهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ* } الآية التوبة 65.66

فهذه الآية الكريمة نص ظاهر وبرهان قاطع على كفر من استهزأ بالله العظيم أو رسوله الكريم أو كتابه المبين.

والمرتد يقتل والدليل (*كفرتم بعد إيمانكم*) أي ارتد عن الإسلام وحكمه كما هو معلوم القتل..

فلماذا القتل؟

لأنها عقوبة تعلق بها حق الله وحق الآدمي فلا تسقط بالتوبة مثل عقوبة قاطع الطريق فإنه يجب قتله وصلبه.

إن سب سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم المحرمات وهو كفر وردة سواء فعل ذلك جادا أم هازلا.

الدليل الثاني : قوله تعالى (*وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعنهم ينتهون*). التوبة 12.

وانتهبوا إلى قوله (*وطعنوا في دينكم*) أي عابوه وانتقصوه... .
فارتدوا فوجب قتلهم...

الدليل الثالث : قوله تعالى (*إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا*). الأحزاب 57.

فلا يُعدُّ لهم عذابا مهينا إلا أن يكونوا كافرين.

*أما من *السنة الشريفة:*

فقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((*من بدل دينه فاقتلوه*)) .خ عن ابن عباس.

وهذا أمر من سيدنا النبي بقتل المرتد.

ويروي (خ 4037 و م 2359 ود 2387):

أن كعب بن الأشرف كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم ويؤذيه فقال سيدنا رسول الله : من لكعب بن الأشرف؟

فقام محمد بن مسلمة فقال : أتحب ان أقتله يارسول الله ؟
قال : نعم.

فذهب إليه مع آخر فاحتالا عليه ليختليا به، وقال مسلمة : مارأيت كالיום ريحا
طيبة أتأذن لي ان أشم رأسك.؟ قال : نعم. فشمه ثم ضرب عنقه)
ويروي (خ 4039)

أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع
اليهودي تاجر أهل الحجاز وكان يستهزئ بالنبي فضربه بالسيف فقتله.
وروى (د 3795 و ن) أن أعمى كان عنده امرأة تشتم النبي الكريم وتقع فيه
فينهاها فلا تنتهي فأخذ معولا فقتلها وجيء به إلى سيدنا رسول الله فقال : إنها
كانت تشتمك يارسول الله وتقع فيك . فقال سيدنا النبي : ألا اشهدوا أن دمها
هدر.) أي لا قصاص عليه.

وروى (د 4362) أن يهودية كانت تشتم النبي الكريم وتقع فيه فخنقها رجل حتى
ماتت فأبطل رسول الله دمها.

وذكر أصحاب السير : أن امرأة هجت النبي الكريم فقال : من لي بها؟.

فقال رجل اسمه عمير بن عدي : أنا لها يارسول الله . فنهض وقتلها.

فقال سيدنا النبي لمن حوله : إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب
فانظروا إلى عمير بن عدي.

وأما *الإجماع* :

فقد أجمع علماء الإسلام في جميع الأعصار والأمصار على كفر من استهزأ بالله أو
رسوله أو كتابه أو شيء من الدين،

وأجمعوا على أن من استهزأ بشيء من ذلك وهو مسلم أنه يكون بذلك كافرا مرتدا
عن الإسلام يجب قتله للأدلة المذكورة.

ومن الأدلة القاطعة على كفر من استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه: أن الاستهزاء تنقص واحتقار للمستهزأ به، والله سبحانه له صفة الكمال، كتابه من كلامه، وكلامه من صفات كماله عز وجل، ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو أكمل الخلق وسيدهم وخاتم المرسلين و خليل رب العالمين، فمن استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه أو شيء من دينه فقد تنقصه واحتقره، واحتقار شيء من ذلك وتنقصه كفر ظاهر ونفاق سافر وعداء لرب العالمين وكفر برسوله الأمين..

وقد نقل غير واحد من أهل العلم إجماع العلماء على كفر من سب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أو تنقصه، وعلى وجوب قتله.

قال الإمام أبو بكر بن المنذر رحمه الله: أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي صلى الله عليه وسلم القتل، وممن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق، وهو مذهب الشافعي. انتهى.

وقوله: "عوام" جمع عامة، والعامة هنا بمعنى الجماعة، فمراده رحمه الله أن جماعات العلماء أجمعوا على وجوب قتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم. فيكون فاعل ذلك كافراً حلال الدم والمال .

وقال القاضي عياض رحمه الله: أجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه، انتهى.

وقال محمد بن سحنون من أئمة المالكية: أجمع العلماء على أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم والمتنقص له كافر، والوعيد جاء عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر، انتهى.

وفي كتابه: (الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم) (لابن تيمية) ما نصه: وتحرير القول فيه: (أن الساب إن كان مسلماً أنه يكفر ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول:

من شتم الرسول صلى الله عليه وسلم أو انتقصه مسلما كان أو كافرا فعليه القتل، وأرى أن يقتل ولا يستتاب) انتهى .

وكلام العلماء في هذا الباب كثير، وفيما نقلنا عنهم كفاية لطالب الحق. ولذلك قامت المظاهرات في العالم الاسلامي تطالب بقتل ذلك الصحفي الذي اساء للنبي برسوماته الكاريكاتورية كتبته بعض الصحف المأجورة :ليعرض برسول الله صلى الله عليه وسلم في صور كاريكاتورية مسيئة

، إن مثل هذا الرسم لو نشر في أية صحيفة إنجليزية أو أمريكية أو فرنسية أو حتى إسرائيلية ضد رئيس دولة لقامت الدنيا وقعدت، ولاتخذت سلاحا بتارا للدعاية والتشهير،

فالأمة لاتزال معترزة بدينها غيورة على رسولها..

لتسمع الأمة من أقصاها إلى أقصاها :

إن إسلامنا هو وطننا ولا وطن لنا غيره،

إن إسلامنا هو روحنا ولا حياة لنا بسواه،

إن إسلامنا هو رزقنا ولا قيمة للطعام والشراب عندنا بدونه،

وإسلامنا هو كل شيء في الوجود بالنسبة لنا،

وأقول هذا باسم أكثر من مليار ونصف مسلم من أبناء هذا الإسلام العزيز.

ولقد أجاد وأفاد، وصدع بالحق،

من دافع عن الإسلام والمسلمين ووضع حدا لمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فجزاه الله عن ذلك خيرا وزاده من الهدى والتوفيق وكثر في المسلمين من أمثاله من الصادعين بالحق بين الظلمة اللئام،

والحمد لله الذي أوجد في العالم من ينطق بالحق ويصدع بالرد على من حاد عنه،

وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن بالزوايا خبايا، وأن في الرجال بقايا، ولا

شك أن ذلك من حفظ الله تعالى لدينه وحمايته لخاتم أنبيائه وسيد أصفياه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،.

ولقد صان الله رسوله صلى الله عليه وسلم وحماه مما قاله المبطلون ورماه به المفترون، فقد كان أعف الناس وأنصحهم لله ولعباده وأرفعهم قدرا وأشرفهم نفسا وأشدهم صبرا وأقومهم بحق الله وتبليغ رسالته، وأخشاهم لله وأتقاهم له، وأزهدهم في كل ما يلوث مقامه العظيم أو يعوقه عن مهمته في الجهاد والنصح والتبليغ.

هذا : ولا يجوز قتل مسلم قام بواجب الدفاع عن الإسلام.

الله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

تابع 71 دروس العقيدة الإسلامية

مشيخة الطريقة الشاذلية

هنا دمشق.

هامش :

من عظيم ما يذكر في (ق) أن رجلا قرأ البقرة وآل عمران ثم ارتد إلى أهل الكتاب وصار يسخر من سيدنا النبي ويقول أنا علمته القرآن فقربوه حتى دق الله عنقه. فكان كلما دفنوه عادت جيفته إلى سطح الأرض ثلاث مرات... حتى تركوه لتأكله الكلاب..

هنا دمشق.

الباب الثالث

الإيمان بالكتب السماوية

الدرس الواحد والسبعون

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان بالكتب السماوية

لمحة عامة:

هي الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله ، حيث جاء في القرآن في سورة النساء آية رقم 163:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾.

يجب على كل مسلم ومسلمة ان يؤمنوا بالكتب السماوية من تورا و زبور و إنجيل وقران

الكتب كما وردت في القرآن الكريم

يعتبر الإيمان بالكتب السماوية من أهم أركان الإيمان الستة وقد قال الله تعالى:
"والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون"
(البقرة 4)

حيث إن العقيدة الإسلامية تقتضي الإيمان بكل الرسل والأنبياء السابقين وتقديرهم واحترامهم بحسب ما ذكر في القرآن " : لا نفرق بين أحد من رسله " (البقرة 285)
وبالتالي يقتضي ذلك الإيمان بكل ما أتوا به.

صحف سيدنا إبراهيم

التوراة

وهو الكتاب الذي أنزله الله وفقا للعقيدة الإسلامية على سيدنا موسى، والتوراة كتاب عظيم اشتمل على النور والهداية حيث جاء في القرآن:

في سورة المائدة آية رقم 44: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾
في سورة الأنعام آية رقم 154: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

ولقد أخبر الله في القرآن بأن هذه التوراة قد تعرضت للتحريف، ولذلك أرسل الله نبيه عيسى لهداية اليهود إلى الحق من جديد. وهذا ما اعترض عليه المخطوطات القديمة، ومنها :

*لغائف البحر الميت وترجع إلى 100-250 ق.م .

*بردية ناش وترجع للقرن الثاني الميلادي .

*مخطوطات جينزة - القاهرة وترجع للقرن السادس حتى التاسع الميلادي.

* مخطوطات الترجمة اليونانية السبعينية وترجع إلى 100 ق.م .

أهم مخطوطات العهد الجديد : * المخطوطات البردية : مخطوطة جون رايلاند وترجع إلى 125 م .

*مخطوطة بودمير وترجع إلى 150 م.

*مخطوطة تشستر بيتي وترجع إلى 220 م .

*المخطوطات البوصية : النسخة السينائية وترجع إلى 340 م.

وهي محفوظة الآن بالمتحف البريطاني.

*النسخة الفاتيكانية وترجع إلى 350 م. وهي محفوظة الآن بمكتبة الفاتيكان.

*النسخة الإسكندرية وترجع إلى 450 م. وهي موجودة الآن بالمتحف البريطاني.

*النسخة الافرايمية وترجع إلى 450 م. وهي موجودة الآن في المكتبة الوطنية

بباريس.

هذه المخطوطات وآلاف المخطوطات الأخرى الموجودة لدينا الآن، والتي حدد عمرها علماء محايدون، تؤكد بكل يقين أن الكتاب المقدس قد تم نقله إلينا بأمانة ودقة تامة.

أما التوراة الموجودة اليوم فهي ما يطلق عليه الشريعة المكتوبة، كما يطلق لفظ (التلمود) على الشريعة الشفهية. والتوراة الموجودة اليوم تشتمل على خمسة أسفار وهي:

سفر التكوين: ويتحدث هذا السفر عن خلق العالم، وظهور الإنسان، وطوفان سيدنا نوح، وولادة سيدنا إبراهيم إلى موت سيدنا يوسف.

سفر الخروج: ويتحدث عن حياة بني إسرائيل في مصر، منذ أيام سيدنا يعقوب إلى خروجهم إلى أرض كنعان مع سيدنا موسى ويوشع بن نون.

سفر اللاويين: نسبة إلى لاوي بن يعقوب، وفي هذا السفر حديث عن الطهارة، والنجاسة، وتقديم الذبائح، والنذر، وتعظيم هارون وبنيه.

سفر العدد: يحصي قبائل بني إسرائيل منذ سيدنا يعقوب، وأفرادهم ومواشيهم.

سفر التثنية: وفيه أحكام، وعبادات، وسياسة، واجتماع، واقتصاد، وثلاثة خطابات لسيدنا موسى.

* الزبور *

وهي زبور سيدنا داود حيث جاء في القرآن في سورة النساء آية رقم 163:

﴿.. وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾.

أنزل على بني إسرائيل ويحتوي هذا الكتاب على تسييحات سيدنا داود النبي ويسمى بالمزامير...

وحسب ما جاء في المزامير الذي يوجد في كتاب اليهود أن الذين كتبه لم يكن سيدنا داود فقط بل وسيدنا سليمان و سيدنا موسى وهيمان.

* الإنجيل *

وهو الكتاب الذي أنزله الله تعالى وفقا للعقيدة الإسلامية على السيد المسيح بعدما أنزل التوراة على سيدنا موسى ومؤيداً لها، وموافقاً لها في أكثر الأمور الشرعية، يهدي إلى الصراط المستقيم، ويبين الحق من الباطل، ويدعو إلى عبادة الله وحده دون من سواه،

وهو الإنجيل الذي أنزل على السيد المسيح عليه السلام وأنه قد تعرض للتحريف .
وأما الإنجيل فهو الكتاب المقدس لدى المسيحيين و قد كتب أربع كتب عن حياة المسيح مع أن كان كل منهم في بلد مختلف إلا إن الأربع أناجيل متشابهة:

1- إنجيل يوحنا.

2- إنجيل مرقس.

3- إنجيل متى.

4- إنجيل لوقا.

ذكر في في القرآن بأن الأنجيل قد تعرضت للتحريف، ولذلك أرسل الله نبيه سيدنا محمداً لهداية البشر إلى الحق من جديد. مع أن هذا يتعارض مع كلام المؤرخين حيث يوجد في أوروبا أكثر من 23000 نسخة من الأنجيل، حيث يوجد كتب يرجع تاريخها إلى بدايات القرن الأول الميلادي أي إذا حصل تحريف فهو حصل فور نزول الإنجيل ومن هذه الكتب :

*الترجمات اللاتينية : اللاتينية (إيطاليا) في القرن الثاني الميلادي –

*الفولجاتا الشعبية في القرن الرابع الميلادي.

*الترجمات السريانية : القديمة (القرن الثاني الميلادي) –

*البيسطة (150-200) – *الفيلوكسينان (508م) .

*الترجمات القبطية : الصعيدية (بدأها نينوس 185م) – الأخميمية

والفيومية (الرابع والخامس الميلادي) - البحرية (القرن الرابع الميلادي). *ترجمات أخرى : مثل الأرمنية

*الجورجية والأثيوبية والعربية وغيرها .

هذه الترجمات الكثيرة للكتاب المقدس، والتي بدأت منذ زمن مبكر جداً قد عملت على سرعة انتشار الكتاب المقدس بين شعوب العالم. ويوجد لدينا الآن أكثر من عشرة آلاف مخطوطة لهذه الترجمات القديمة و تتفق مع الكتاب المقدس.

القرآن الكريم

القرآن هو آخر الكتب السماوية وهو خاتمتها، وهو أطولها، وأشملها، ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: 111)،

وقال أهل التفسير في القول ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة 48): مهيمناً وشاهداً على ما قبله من الكتب، ومصدقاً لها؛ يعني يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف، وتبديل، وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير...

كما قال الشيخ ابن سعدي في قوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: أي مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة في المطالب الإلهية، والأخلاق النفسية؛ فهو الكتاب الذي يتبع كل حق جاءت به الكتب، فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه، وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود قد دخله التحريف والتبديل، وإلا لو كان من عند الله لم يخالفه.

ولهذا يخضع له كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه وذلك كما جاء في القرآن: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا

يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
(القصص: 52، 53).

فالقرآن هو رسالة الله لجميع الخلق، وقد تكفل الله بحفظه كما جاء في القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9). ولا يقبل الله من أحد دينًا إلا إذا آمن بما جاء في القرآن وأصبح مسلمًا لأن الإيمان بالديانات السابقة أمر يحض عليه الإسلام والقرآن ويأمرنا به أن نؤمن بنزولها ولكن ما جاء بها فقد بطل بنزول القرآن لأنه خاتمها، فالمسلم يؤمن بما أنزل من قبل الرسول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من كتب سماوية كما يؤمن أيضًا بأن على أتباع هذه الكتب اتباع الإسلام لأن فيه النجاة:.

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۖ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ). (آل عمران 19)

والقرآن

هو الكتاب الرئيسي في الإسلام، يُعَظَّمُ المسلمون ويؤمنون بأنه كلام الله المنزل على نبيه سيدنا محمد للبيان والإعجاز، المنقول عنه بالتواتر حيث يؤمن المسلمون أنه محفوظ في الصدور والسطور من كل مسٍ أو تحريف، وهو المتعبد بتلاوته، وهو آخر الكتب السماوية بعد صحف إبراهيم والزبور والتوراة والإنجيل. كما يعدّ القرآن أرقى الكتب العربية قيمة لغوية ودينية، لما يجمعه من البلاغة والبيان والفصاحة.

وللقرآن أثر فضل في توحيد وتطوير اللغة العربية وآدابها وعلومها الصرفية والنحوية، ووضع وتوحيد وتثبيت اللبّات الأساس لقواعد اللغة العربية، إذ يعتبر مرجع وقاعدة أساس لكل فطاحلة اللغة العربية كسيبويه والعلامة أبو الأسود الدؤلي والخليل بن أحمد الفراهيدي وغيرهم، حيث تركز عليه كل مساهمات الفطاحلة اللغويين في

تطوير اللغة العربية، سواء عند القدماء أو المحدثين إلى حقبة أدب المهجر في العصر الحديث، ابتداء من أحمد شوقي إلى الذين كان لهم دور كبير في محاولة الدفع بإحياء اللغة والتراث العربي في العصر الحديث.

ويعود الفضل في توحيد اللغة العربية إلى نزول القرآن الكريم، حيث لم تكن موحدة قبل هذا العهد رغم أنها كانت ذات غنى ومرونة، إلى أن نزل القرآن وتحدى الجموع ببيانه، وأعطى اللغة العربية سيلاً من حسن السبك وعذوبة السجع، ومن البلاغة والبيان ما عجز عنه بلغاء العرب...

وقد وحد القرآن الكريم اللغة العربية توحيداً كاملاً وحفظها من التلاشي والانقراض، كما حدث مع العديد من اللغات السامية الأخرى، التي أضحت لغات بائدة واندثرت مع الزمن أو لغات طالها الضعف والانحطاط، وبالتالي عدم القدرة على مسايرة التغيرات والتجاذبات التي تعرفها الحضارة وشعوب العالم القديم والحديث.

ويحتوي القرآن على 114 سورة تصنف إلى مكّية ومدنية وفقاً لمكان وزمان نزول الوحي بها.

ويؤمن المسلمون أن القرآن أنزله الله على لسان الملاك سيدنا جبريل إلى النبي سيدنا محمد على مدى 23 سنة تقريباً، بعد أن بلغ النبي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام سن الأربعين، وحتى وفاته عام 11 هـ/632م.

كما يؤمن المسلمون بأن القرآن حُفظ بدقة، على يد الصحابة، بعد أن نزل الوحي على النبي سيدنا محمد فحفظه وقرأه على صحابته، وأن آياته محكمات مفصلات وأنه يخاطب الأجيال كافة في كل القرون، ويتضمن كل المناسبات ويحيط بكل الأحوال.

بعد وفاة سيدنا النبي، جُمع القرآن في مصحف واحد بأمر من الخليفة الأول سيدنا أبو بكر الصديق وفقاً لاقتراح من الصحابي سيدنا عمر بن الخطاب.

وبعد وفاة الخليفة الثاني سيدنا عمر بن الخطاب، ظلت تلك النسخة محفوظة لدى أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر، إلى أن رأى الخليفة الثالث سيدنا عثمان اختلاف المسلمين في القراءات لاختلاف لهجاتهم، فسأل السيدة حفصة بأن تسمح له باستخدام المصحف الذي بحوزتها والمكتوب بلهجة قريش لتكون اللهجة القياسية، وأمر سيدنا عثمان بنسخ عدة نسخ من المصحف لتوحيد القراءة، وأمر بإحراق ما يخالف ذلك المصحف، وأمر بتوزيع تلك النسخ على الأمصار واحتفظ لنفسه بنسخة منه.

تعرف هذه النسخ إلى الآن بالمصحف العثماني. لذا فيؤكد معظم العلماء أن النسخ الحالية للقرآن تحتوي على نفس النص المنسوخ من النسخة الأصلية التي جمعها الصديق سيدنا أبو بكر.

ويؤمن المسلمون أن القرآن معجزة النبي سيدنا محمد ﷺ للعالمين، وأن آياته تتحدى العالمين بأن يأتوا بمثله أو بسورة مثله، كما يعتبرونه دليلاً على نبوته، وتتويجاً لسلسلة من الرسالات السماوية التي بدأت، وفقاً لعقيدة المسلمين، مع صحف سيدنا آدم مروراً بصحف سيدنا إبراهيم، وتوراة سيدنا موسى، وزبور سيدنا داود، وصولاً إلى إنجيل سيدنا عيسى. عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

يتبع 72 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس الثاني والسبعون
من دروس العقيدة الإسلامية
الإيمان بالكتب السماوية
صور الوحي

إخوتي!

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: 163].

والذي يحمل الكتب والوحي الإلهي إلى الأنبياء والمرسلين، هو أمين الوحي سيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: 192-195]،

فما معنى الوحي؟ وما أنواعه؟

الوحي في *اللغة*:

يطلق على الإعلام بالشيء سراً، ولذلك كانت الكتابة والإشارة والرمز والكلام الخفي، كل ذلك يسمى وحياً، ومنه قوله تعالى حكاية عن سيدنا زكريا عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: 11]،

وهو بهذا المعنى اللغوي لا يختص بالأنبياء، ولا بكونه من عند الله سبحانه وتعالى.

الوحي في *الاصطلاح* (عند أهل العلم الشرعي):

هو التعليم الصادر من الله تعالى الوارد إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أو هو إعلام الله أنبياءه ورسله بما يريد أن يبلغه من شرع أو كتاب بواسطة أو بغير واسطة. فهو بذلك المعنى الشرعي أخص من المعنى اللغوي بخصوص مصدره ومورده، فمصدره من الله تعالى، ومورده هم الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أنواع الوحي:

يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: 51].

اشتملت هذه الآية على أربعة أنواع من الوحي إلى الأنبياء والمرسلين وهي:

النوع الأول:

الإلهام وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ فالوحي بمعنى القذف في القلب والنفث في الروح.

النوع الثاني :

الرؤيا في المنام وهو مأخوذ أيضاً من قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ فالوحي هنا بمعنى الإلهام يقظة أو مناماً، (فإن رؤيا الأنبياء وحي)

النوع الثالث:

التكليم بلا واسطة، وهذا النوع مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، أي يكلم الله عز وجل نبيه بلا واسطة، واشتهر به الكليم موسى عليه السلام وأثبتته القرآن في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164]،

وقد وقع هذا النوع من الوحي أيضاً لنبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿ [النجم: 7-10].

النوع الرابع :

الوحي بواسطة الملك، وهذا النوع مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: 51]،

فالمقصود بالرسول هنا سيدنا جبريل عليه السلام وهذا النوع من الوحي هو الغالب في الإيحاء إلى الأنبياء والرسل، ويقع على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: حيث يشاهد النبي الملك عند نزول الوحي بصورته الحقيقية، وهذا نادر، فقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم سيدنا جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية مرتين: بعد أن فتر الوحي، وليلة المعراج.

الوجه الثاني: أن يتمثل سيدنا جبريل عليه السلام في صورة بشر، كما نزل على سيدنا الخليل عليه السلام في قصة ضيف إبراهيم، وكما ظهر للسيدة مريم ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17].

الوجه الثالث: أن لا يرى النبي الملك ولكنه يسمع عند قدومه صلصلة شديدة كصلصلة الجرس، وعند ذلك تعتري النبي صلى الله عليه وسلم حالة روحية غير عادية يتحول فيها من حالته البشرية الخالصة إلى حالة يحصل فيها استعداد للتلقي عن الملك، ولا يدرك الحاضرون منها إلا أماراتها الظاهرة: من ثقل بدنه، وتقصده جبينه عرقاً، وربما سمعوا عند وجهه الكريم دويّاً كدوي النحل، وهذا أشد أنواع الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم، (عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: *أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول*، قالت عائشة رضي الله

عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً).

والقرآن الكريم كله نزل بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام ولم يكن في صورة بشر عند نزوله بالقرآن بل كان مثل صلصلة الجرس كما تقدم.

يتبع 73 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الثالث والسبعون

من دروس العقيدة الإسلامية

الايمان بالكتب السماوية

ترجمة القرآن

كانت ترجمة القرآن إلى لغات أخرى غير العربية إحدى أبرز المشاكل التي واجهت الدعاة الإسلاميين وغير المسلمين ممن لا يعرفون العربية ويرغبون بالاطلاع على هذا الكتاب ودراسته. وقد اعتبر علماء الشريعة الإسلامية وعدد من اللغويين أن ترجمة القرآن أمرٌ في غاية العسر،

ومن أبرز الأسباب التي تحول دون ذلك هي فصاحة القرآن ذاته، فاللغة العربية الفصحى تتميز بطائفة واسعة من المشتركات اللفظية، والكلمات التي يختلف معناها باختلاف موقعها من النص، وبما أن النص القرآني أكثر النصوص العربية فصاحةً، فإن ترجمته ترجمةً دقيقةً أمرٌ فائق الصعوبة.

تقول الدكتورة ليلي عبد الرازق عثمان، وهي رئيسة قسم اللغة الإنكليزية والترجمة الفورية بجامعة الأزهر، أن ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأخرى بنفس الدقة التي جاءت بها لغة القرآن بالعربية أمرٌ مستحيل، ونوّهت إلى أن القرآن يمكن أن تترجم كلماته حرفياً، لكن من الصعوبة بمكان ترجمة ما تحمله هذه الكلمات بباطنها من مدلولات ومعان تمثل روح القرآن وسر بلاغته.

وذكرت في دراسة لها أن كثيرين ممن ترجموا معاني القرآن اعترفوا بصعوبة ذلك وعجز اللغات الأخرى عن مجازة اللغة العربية التي نزل بها القرآن. ومن الذين اعترفوا بهذه الحقيقة على سبيل المثال لا الحصر - أ. ج. اربري - الذي كان من أشد المعجبين

بلغة القرآن - حيث قال: «بدون شك لغة القرآن العربية تتحدى أية ترجمة مناسبة؛ لأن البيان المعجز يتلاشى حتى في أكثر الترجمات دقة»

وتؤكد هذه الدراسة أنه لكي ينقل المترجم معاني القرآن على أفضل وجه فإن عليه أن يفهم البيئة التي نزل فيها القرآن، وأسباب نزول الآيات والسياقات التي نزلت فيها، إضافة إلى فهم الخصائص البلاغية والبيانية التي تتمتع بها اللغة العربية، ومن ثمّ نقلها بكل دقة وأمانة، دون إضافة أو حذف أو تغيير للمعنى؛ وأوضحت الدراسة، أن هناك بعض المترجمين حاولوا نقل معنى كل كلمة قرآنية، وأضافوا هوامش لشرح الصور البلاغية الواردة في القرآن، كالذي فعله يوسف علي في ترجمته للقرآن؛ في حين أن بعضاً من المترجمين لم يولوا هذا الجانب أهمية، ولم يعتنوا بالخصائص البلاغية والبيانية، واهتموا فقط بتبسيط معاني القرآن حتى يفهمها العامة.

تُرجم القرآن اليوم إلى أغلب لغات أفريقيا وآسيا وأوروبا، وكان أول ما تُرجم منه هو سورة الفاتحة، وذلك على يد الصحابي سلمان الفارسي، الذي نقلها إلى اللغة الفارسية خلال القرن السابع.

وهناك بعض ممن يقول إن أول ما تُرجم من الآيات أيضاً كان ما بعثه النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى هرقل إمبراطور الروم وأصحمة بن أبجر نجاشي الحبشة، متضمنة في رسالتيه التي دعاها فيها إلى الإسلام.

أما ترجمة أول نسخة كاملة من القرآن فكانت في عام 884 في إقليم السند، بناءً على أمر من عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، بعد أن طلب منه راجا الهندوس ذلك.

أما أولى الترجمات الأوروبية للقرآن فكانت ترجمة اللاهوتي الإنكليزي المستعرب "روبرت الكيتوني" وذلك بناءً على طلب رئيس رهبنة القديس بندكت، بطرس المحترم، وقد وُضعت هذه الترجمة باللغة اللاتينية وأُطلق عليها تسمية "قانون محمد النبي المزيّف" (باللاتينية

[176]. Lex Mahumet pseudoprophete).

وفي سنة 1649 وضع الكاتب الاسكتلندي إسكندر روس أول نسخة إنكليزية للقرآن، بعد أن ترجمها عن أول نسخة فرنسية والتي تعود لعام 1647، حاملة عنوان "قرآن محمد" (بالفرنسية (L'Alcoran de Mahomet): التي وضعها أندريه دوريه .

ومن الجدير بالذكر أن تلك الترجمات الأولى لم تُنشر بين الناس، بل بقيت محظورة عند رجال الدين والحكّام، وفي كثير من الأحيان لم تترجم عن دراية بالمعنى الحقيقي للنص، وفي أحيان أخرى حُرّفت.

أما أول ترجمة علمية فعلية أوروبية للقرآن فكانت عام 1734، على يد المستشرق الإنكليزي جورج سيل، وتبعتها ترجمة أخرى عام 1937 بيد المستعرب البريطاني ريتشارد بل، وأخرى بيد المتشرق والباحث في الدراسات الإسلامية آرثر آربي في سنة 1955.

بعد هذه المرحلة دخل المسلمون ميدان الترجمة إلى اللغات الأوروبية، بعد أن كثر عدد الذين هاجروا منهم إلى الغرب بحثًا عن مورد رزق أو طلبًا للعلم، وانخرطوا مع أهل تلك البلاد وعاشوهم، واتصفت بعض ترجمات المسلمين بالعلمية، وشيء من الموضوعية، وقد بلغت ما يزيد عن 45 ترجمة كاملة سوى ما كان من الترجمات الجزئية.

استخدم مترجمو القرآن من مسلمين وغير مسلمين ألفاظًا لغوية قديمة عفا عليها الزمن لكتابة النص القرآني باللغة الأجنبية المستهدفة، وذلك عند النقل من العربية إلى الإنكليزية.

أُفيد في عام 1936 أن القرآن قد تُرجم إلى 102 من اللغات العالمية. وفي سنة 2010 أفادت صحيفة الحرية للأخبار السياسية والاقتصادية (بالإنكليزية : Hürriyet Daily News and Economic Review) أن نسخ

القرآن التي عُرضت في معرض طهران للقرآن في دورته الثامنة عشر، كانت بمئة وأثنا عشرة لغة مختلفة.

نهاية الكلام على عقيدة الإيمان بالكتب السماوية ويليهِ إن شاء الله تعالى السمعيات.

يتبع 74 دروس العقيدة الإسلامية
هنا دمشق.

الباب الرابع

الإيمان بالسمعيات

❖ الإيمان بالملائكة والجن

❖ الإيمان باليوم الآخر

❖ الإيمان بالقضاء والقدر

الدرس الرابع والسبعون

من دروس العقيدة الإسلامية

مقدمة في السمعيات

تعريفها:

السمعيات كلمة منسوبة إلى السَّمْع من سمع يسمع سمعا، قال الخليل ابن أحمد في معجم العين: "السَّمْعُ: الأذن"، وقال ابن منظور في لسان العرب: "السمع: حس الأذن. وفي التنزيل: {أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق:37]،

قال ثعلب: معناه خلا له فلم يشغل بغيره."

والمعنى *الاصطلاحي* للكلمة قريب من هذا لأن السمعيات عند المتكلمين هي *أمور تتوقف معرفتها على السمع*، فعرفها السفاريني مثلا في كتابه لوامع الأنوار البهية بـ:

"ما كان طريق العلم به السمع الوارد في الكتاب أو السُّنَّة والآثار مما ليس للعقل فيه مجال."

ففي الاعتقاد أنها "كل ما ثبت بالسمع أي: بطريق الشرع ولم يكن للعقل فيها مدخل، وكل ما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من أخبار فهي حق يجب تصديقه سواء شاهدناه بحواسنا أو غاب عنا وسواء أدركناه بعقولنا أم لم ندركه." والسمعيات تُعرف أيضا باسم آخر وهو *الغيبات*، والمقصود بها "كل ما لا سبيل إلى الإيمان به إلا عن طريق الخبر اليقيني" كما ذكره علماء العقيدة.

أما في ما يخص موضوع السمعيات:

فإن المشهور عند المتكلمين أن موضوعات علم الكلام عموماً تنقسم إلى:
إلهيات، نبوات وسمعيات.

إلا أن هذا التقسيم عرف اختلافاً بين المتكلمين على مر العصور، خصوصاً في موضوع السمعيات، فمنهم من جعل مثلاً النبوات قسماً منها ومنهم من اعتبر العكس ومنهم من فرق بينهما وهو الغالب .

وسأكتفي في هذا العرض إن شاء الله بذكر أهم هذه الاختلافات والمواضيع المتناولة في السمعيات بين بعض من أشهر أعلام الأشاعرة:

-إمام الحرمين أبو المعالي الجويني ت478 هـ وبناء على كتابه "العقيدة النظامية" فإنه قسّم موضوع السمعيات إلى: إعادة الخلق، عذاب القبر وسؤال منكر ونكير، الجنة والنار والصراط والميزان، الشفاعة، الآجال والأرزاق، الإيمان ومعناه، والتوبة وشروطها.

ثم الإمام أبو حامد الغزالي ت505 هـ قال في كتابه "إحياء علوم الدين" أن موضوع السمعيات على مدار هذه الأصول: الحشر والنشر، سؤال منكر ونكير، عذاب القبر، الميزان، الصراط، خلق الجنة والنار، أحكام الإمامة وشروطها وأفضلية الصحابة حسب ترتيبهم في الخلافة.

أما ابن خمير السبتي ت614 هـ في كتابه مقدمات المرشد إلى علم العقائد فقد وضع مقدمة ذكر فيها السمعيات التي يجب الإيمان بها ثم فصل الكلام في كيفية الموت، سؤال القبر وعذابه ونعيمه، والحساب والإعادة والصحف والميزان، والحوض والشفاعة، والصراط والجنة والنار.

والقاضي ناصر الدين البيضاوي ت: 685 هـ في كتابه "مصباح الأرواح في أصول الدين" قسم علم التوحيد إلى طبيعيات، إلهيات ونبوات. وجعل مباحث السمعيات

من النبوات، وقسم باب النبوات إلى ثلاث فصول: النبوة وما يتعلق بها، الحشر والجزاء ومن مسأله خلق الجنة والنار والشفاعة، ثم الإمامة.

لكن القاضي عضد الدين الإيجي ت: 756 هـ وعلى عكس الإمام البيضاوي اختار في كتابه "المواقف في علم الكلام" أن يضم قسم النبوات للسمعيات، فجعل مضمون السمعيات هو: النبوات، المعاد وذكر فيه الحشر والجنة والنار والشفاعة وإحياء الموتى والصراط والميزان، الإيمان وحقيقته ثم الإمامة وشروطها وأفضلية الصحابة.

ومن المعاصرين من سمى السمعيات بالغيبيات وجعل مضمونها هو: حقائق تتعلق بالموت وذكر فيها ملك الموت وقبضه للأرواح وسؤال القبر وعذابه ونعيمه، الساعة وأشراتها، ويوم القيامة وأحداثه وما يتعلق به من الحشر والحساب والميزان والصراط والحوض والشفاعة والجنة والنار والخلود فيهما .

يتبع 75 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الخامس والسبعون
من دروس العقيدة الإسلامية
عقيدة الإيمان بالملائكة
مقدمة

إخوتي!

كل حركة في السموات والأرض من حركات الأفلاك والنجوم والشمس والقمر والرياح والسحاب والنبات والحيوان فيها ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسموات والأرض كما قال تعالى:

(فالمدبرات أمرا) (نزعات : 5) وقال : (فالمقسمات أمرا) (الذاريات : 40).

وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل عليهم السلام

وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجمال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظه وملائكة لحفظ ما يعمل، وإحصائه، وكتابه، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغراسها وعمل الأنهار فيها ملائكة.

فالملائكة أعظم جنود الله تعالى، ومنهم (المرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا، فالملقيات ذكرا،)

ومنهم (النارعات غرقا والناشطات نشطا والساجات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا،)

ومنهم (الصفات صفا فالزجرات زجرا فالتاليات ذكرا)، ومنهم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب،

وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السموات بالصلاة والتسبيح والتقديس...

إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله تعالى .

وأما عن علاقتهم بالإنسان فالملائكة هم الموكلون بتخليقة، ونقله من طور إلى طور، وتصويره وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث، وكتابة رزقه، وعمله وأجله وشقاوته، وسعادته، وملازمته في جميع أحواله، وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره،

وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ، وبعد البعث، وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب.

وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله، والمعلمون له ما ينفعه، والمقاتلون الذابون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة، وهم الذين يرونه في منامه ما يخافه ليحذره، وما يحبّه ليقوى قلبه، ويزداد شكرا . وهم الذين يعدونه بالخير، ويدعونهم إليه، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه.

فهم أولياؤه وأنصاره، وحفظته ومعلموه، وناصره والداعون له، والمستغفرون له، وهم الذين يصلّون عليه ما دام في طاعة ربه،

ويصلّون عليه ما دام يعلم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه وعند موته، ويوم بعثه.

وهم الذين يزهدونه في الدنيا، ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يذكرونه إذا نسي، وينشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته.

فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عبادته، تنزل بالأمر من عنده في أقطار العالم، وتصعد إليه بالأمر، (وقد أطّت بهم وحقّ لها أن تنطّ، ما فيها موضع أربع أصابع، إلا وملك قائم أو راعع أو ساجد.)
ويدخل (البيت المعمور كل يوم منهم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه).

يتبع 76 دروس العقيدة الإسلامية
هنا دمشق.

الدرس السادس والسبعون
من دروس العقيدة الإسلامية
الإيمان بالملائكة
التعريف بالملائكة وحكم الإيمان بهم
أحبتي!

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : قال جمهور أهل الكلام من المسلمين :
الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها
السموات .

وقال أيضا: الملائكة جمع ملك بفتح اللام ... وقيل مشتق من الألوكة وهي الرسالة
وهذا قول سيبويه والجمهور، وأصله لأك. وقيل أصله : الملك وهو الأخذ بقوة .

معنى الإيمان بالملائكة

الاعتقاد الجازم بوجودهم وأنهم خلق من خلق الله، مخلوقون من نور، وأنهم قائمون
بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها، ووصفهم بما وصفهم الله به في كتابه ورسوله في
سنته .

حكم الإيمان بهم

والإيمان بهم واجب، فلا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بهم على الصفة المذكورة آنفاً
لقول الله تعالى: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله) (البقرة : 285)

وفي حديث جبريل المشهور قال النبي صلى الله عليه وسلم عندما سأله عن الإيمان:
[أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره] رواه
مسلم.

ولذا فإنكار وجود الملائكة وعدم الإيمان بهم كفر وذلك بنص القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى:

(ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا)
(النساء: 136)

الإيمان بالملائكة تفصيلي وإجمالي

ويجب الإيمان بالملائكة التي وردت أسماؤهم في الكتاب وفي السنة تفصيلا، بأسمائهم وصفاتهم والأعمال الموكلين بها .

ومنهم ساداتنا جبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك ورضوان، ومنكر ونكير وهاروت وماروت.

أما سيدنا *جبريل* وهو الموكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وسيدنا ميكائيل الموكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان فذكرنا في القرآن كما في قوله تعالى: (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين) (البقرة : 98).

وكذلك مالك خازن النار ذكر في قول الله تعالى: (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون) (الزخرف : 77).

وأما سيدنا *إسرافيل* فهو الموكل بالصور، وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه في صلاة الليل فقال: [اللهم رب جبريل وميكال وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ...) الحديث رواه مسلم.

وأما سيدنا *رضوان خازن الجنة* فقد قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية عند ذكر الملائكة : وخازن الجنة ملك يقال له "رضوان " جاء مصرحا به في بعض الأحاديث. وقد وجدته مصرحا باسمه في ثلاثة أحاديث: الأول : في فضل سورة يس في مسند الشهاب لأبي عبد الله القضاعي حديث رقم (1036)، والثاني : في

فضل رمضان في شعب الإيمان للبيهقي وقد ذكره أيضا كل من الحافظ ابن رجب في التخويف من النار والحافظ المنذري في الترغيب والترهيب. والثالث : في بيان منازل الصحابة في الجنة في كتاب " من حديث خيثمة " لخيثمة بن سليمان القرشي.

ومنكر ونكير ورد ذكرهما في الأحاديث المشهورة في عذاب القبر.

وهاروت وماروت في قوله تعالى: (***ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت*** ..) (البقرة : 102)
وأما الملائكة الذين لم يرد ذكر لأسمائهم، فيجب الإيمان بهم بصورة إجمالية، ونؤمن كذلك بما ذكر من أصنافهم وأعمالهم .

عدد الملائكة

أما عددهم فكثير جدا لا يعلمه إلا الله تعالى الذي خلقهم. يقول تعالى: (***وما يعلم جنود ربك إلا هو***) (المدثر : 31) .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في البيت المعمور الذي هو في السماء السابعة بمنزلة الكعبة في الأرض [***يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخر ما عليهم***] رواه البخاري ومسلم

وقال أيضا في وصف جهنم، أعادنا الله منها: [***يؤتي بجهنم يؤمئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك***] رواه مسلم .

صفاتهم الخلقية والخلقية

تقدم في التعريف بهم أنهم خلقوا من نور، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [***خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم***] رواه مسلم.

وقد تقدم خلقهم على آدم أبي البشر - عليه السلام - فقد أخبرنا الله تعالى أنه أعلم الملائكة أنه سيجعل في الأرض خليفة وهو آدم عليه السلام . قال تعالى :
(* وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة *) (البقرة:30) .

وعن عظم خلقتهم بقول الله تعالى في وصف الملائكة الموكلين بالنار - أعادنا الله منها - : (* يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون *) (التحريم : 6) .

وقال تعالى في وصف جبريل عليه السلام : (* ذي قوة عند ذي العرش مكين *)
(التكوير : 20)

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في وصفه : [* رأيت منهبطا من السماء سادًا عظم خلقه ما بين السماء والأرض *] رواه الترمذي

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمئة جناح كل جناح منها قد سد الأفق (رواه أحمد .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم في وصف أحد حملة العرش : [* أذن لي أن أحدث عن أحد حملة العرش ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمئة عام *] رواه أبو داود .

ومن صفاتهم أن لهم أجنحة، كما قال الله تعالى : (* الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير *) (فاطر:1)

وهم * لا يأكلون ولا يشربون * كما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام عند ما جاءه في صورة بشر فقدم لهم الطعام فلم يأكلوا فأوجس منهم خيفة. قال تعالى في سورة الذاريات : (* هل أتاك حديث إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا

سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم* (الذاريات : 24-28) .

ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة

وقد رد الله على مشركي العرب قولهم إن الملائكة إناث وإناهم بنات الله، خاصة أنهم يكرهون البنات، فقال تعالى : (*وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم سكتب شهداتهم ويسألون*) (الزخرف : 19)

وعندهم قدرة على التشكل بغير صورهم الحقيقية، كما تقدم آنفا في قصة إبراهيم فقد جاؤوه في صورة بشر وكذلك جاؤوا لوطا عليه السلام في صورة شبان حسان الوجوه، وجاء جبريل عليه السلام السيدة مريم كذلك في صورة بشر، قال تعالى : (*فتمثل لها بشرا سويا*) (مريم : 17) .

وقد كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الصحابي دحية الكلبي، وفي صورة أعرابي، كما في حديث جبريل المشهور في ذكر الإيمان والإسلام والإحسان وأشراف الساعة .

ومن صفاتهم الخلقية

أنهم كرام بررة، قال تعالى : (*بأيدي سفرة كرام بررة*) (عبس 15) وقال النبي صلى الله عليه وسلم واصفا إياهم بالأوصاف نفسها : [*الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة* ...] الحديث .

وأن من أخلاقهم الحياء . كما في حديث استئذان أبي بكر وعمر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس كاشفا عن فخديه أو ساقيه فأذن لهما وهو على حاله، فلما استأذن عثمان رضي الله عنهم جميعا، جلس النبي صلى الله عليه وسلم وسوى

ثيابه، فسأله عائشة رضي الله عنها عن ذلك فقال : [*ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة*] رواه مسلم .

***علاقتهم بالله تعالى وعبادتهم له ***

الملائكة خلق من خلق الله كما تقدم فهم عباد له وليسوا بآلهة أو بنات لله كما زعم المشركون ورد الله ذلك عليهم، وقد تقدم ذلك . لذلك فهم يعبدون الله ويسبحونه، ويركعون ويسجدون له ؟ ويخافونه ويخشونه، ويطيعونه ولا يعصونه . وكل صفاتهم هذه وردت في القرآن الكريم . فمنها قوله تعالى : (*لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون*) (التحريم : 6)

وقوله تعالى : (*ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون*) (النحل : 49-50) .

وقال تعالى : (*وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون* يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون*) (الأنبياء : 26-28)

وقال تعالى : (*الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم*) (غافر : 7) .

وقال تعالى : (*يسبحون الليل والنهار لا يفترون*) (الأنبياء : 5)

إلى غير ذلك من الآيات .

وأما السنة فقد ورد فيها أيضا ما يدل على عبادة الملائكة وخضوعها لله عز وجل . فهم يقفون صفوفًا عند الله تعالى . قال صلى الله عليه وسلم : [ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟] قالوا: وكيف يصفون عند ربهم ؟ قال : [*يكملون الصف الأول فالأول يترأصون في الصف] رواه الجماعة إلا البخاري . وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوما : [أسمعون ما أسمع؟] قالوا : ما نسمع من شيء .

قال : [*إني لأسمع اطيط السماء، وما تلام أن تنط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم*] رواه الطبراني في المعجم الكبير والطحاوي في مشكل الآثار وصححه وتقدم حديث البيت المعمور وأنهم يحجون إليه في كل يوم سبعون ألفاً يتغيرون يومياً. ومما رُود في السنة يدل على خشيتهم قوله صلى الله عليه وسلم : [*مررت ليلة أُسرى بالملاء الأعلى وجبريل كالحلس البالي من خشية الله تعالى*] ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن. والحلس : كساء ييسط في أرض البيت .

يتبع 77 دروس العقيدة الإسلامية
هنا دمشق.

الدرس السابع والسبعون

من دروس العقيدة الإسلامية

أعمال الملائكة

أحبتني!

هذا استعراض لأهم أعمال الملائكة:

*فمنهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام، وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام، قال الله تعالى : (من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله) (البقرة : 97)، وقال تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين) (الشعراء : 193)، وقال تعالى : (قل نزلّه روح القدس من ربك بالحق) (النحل : 102)، وقال تعالى : (إن هو إلا وحي يوحى علّمه شديد القوى، ذو مرّة فاستوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى) (النجم : 4-9) وهذا في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم له في الأبطح حين تجلّى له على صورته التي خُلِقَ عليها، له ستمائة جناح قد سد عظم خُلِقَ الأفق، ثم رآه ليلة المعراج أيضا في السماء " كما قال تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى) (النجم : 13-15).

ولم يره صلى الله عليه وسلم في صورته إلا هاتين المرتين، وبقيّة الأوقات في صورة رجل، وغالبا في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه.

وقال تعالى فيه : (إنه لقول رسول كريم، ذي قوّة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين . وما صاحبكم بمجنون، ولقد رآه بالأفق المبين) (التكوير : 19-23) الآيات . وقال تعالى : (حتى إذا فُزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم، قالوا

الحق وهو العلي الكبير) (سبأ : 23) . وفي معنى الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم : " فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل بأهل السموات ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل عليه السلام : قال الحق وهو العلي الكبير " فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل . ثم ينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل (وهو في الصحيحين).

*ومنهم الموكل بالقطر وتصاريفه إلى حيث أمره الله عز وجل ، وهو ميكائيل عليه السلام ، وهو ذو مكانة عليّة ومنزلة رفيعة وشرف عند ربه عز وجل ، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه ، ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله عز وجل . وقد جاء في بعض الآثار : ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها في موضعها من الأرض . وفي حديث ابن عباس عند الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل " على أي شيء ميكائيل؟ قال : على النبات والقطر " ولأحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريل عليه السلام " مالي لم أر ميكائيل ضاحكا قط ؟ فقال عليه السلام : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار " عيادًا بالله منها .

*ومنهم الموكل بالصّور ، وهو اسرافيل عليه السلام ، ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربه عز وجل : الأولى ، نفخة الفزع ، والثانية : نفخة الصعق . والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين .

ولأحمد والترمذي من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له . قالوا كيف نقول يا رسول الله ؟ قال قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا . "

وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه من صلاة الليل " اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. "

*ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه، وقد جاء في بعض الآثار تسميته عزرائيل، قال الله تعالى : (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) (السجدة : 11) وقال تعالى : (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون . ثم ردّوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) . (الأنعام : 61)

وقد جاء في الأحاديث أن أعوانه يأتون العبد بحسب عمله، إن كان محسنا ففي أحسن هيئة وأجمل صورة بأعظم بشارة، وإن كان مسيئا ففي أشنع هيئة وأفظع منظر بأغلظ وعيد، ثم يسوقون الروح حتى إذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت فلا يدعونها في يده بل يضعونها في أكفان وحنوط يليق بها.

*ومنهم الموكل بحفظ العبد في حلّه وارتحاله وفي نومه ويقظته وفي كل حالاته، وهم المعقبات، قال الله تعالى : (سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله، إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد : 10-11)، وقال تعالى : (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) (الأنعام : 18).

قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية الأولى : (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) (الرعد : 11) : والمعقبات من أمر الله هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله تعالى خلوا عنه.

وقال مجاهد : مامن عبد إلا له ملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك وراءك، إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه .
وقال تعالى : (قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن) (الأنبياء : 42) قال ابن كثير: أي بدل الرحمن، يمتنّ سبحانه وتعالى بنعمته على عبده وحفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام . اهـ

*ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر، وهم الكرام الكاتبون، وهؤلاء يشملهم مع ما قبلهم قوله عز وجل (ويرسل عليكم حفظة) (الأنعام : 61) وقال تعالى فيهم : (أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم، بلى ورسلنا لديهم يكتبون) (الزخرف : 80) وقال تعالى: (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (ق : 17-18) فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات . وقال تعالى (وإن عليكم لحافظين، كراما كاتبين، يعلمون ما تفعلون) (الانفطار : 10).

عن علقمة عن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه .

وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه " . ورواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه . وقال الترمذي : حسن صحيح.

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال الله عز وجل : إذا همّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فآكتبوها سيئة . فإذا همّ بحسنة فلم يعملها فآكتبوها حسنة، فإن عملها فآكتبوها عسرا " وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن

يعمل سيئة - وهو تعالى أبصر به - فقال ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرّاي. "

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى وتلا هذه الآية : (عن اليمين وعن الشمال قعيد) (ق: 17): يا بن آدم بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفةك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول الله تعالى : (وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) (الإسراء : 14) ثم يقول : عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك. اهـ.

*ومنها الموكلون بفتنة القبر، وهم منكر ونكير : فقد روى البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد صلى الله عليه وسلم فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله ...] الحديث.

وفي سنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إذا قبر الميت - أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما : المنكر والآخر : النكير، فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل ...] الحديث.

*ومنها خزنة الجنة ومقدمهم رضوان عليهم السلام، قال الله تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) (الزمر: 73) وقال تعالى : (جنات عدن

يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة عليهم يدخلون من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) (الرعد: 23).

*ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفياتهم، وفي يوم القيمة . كما قال تعالى: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم) (فصلت : 30-31)، وقال تعالى فيهم : (لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) (الأنبياء : 103).

*ومنهم خزنة جهنم عباداً بالله منها، وهم الزبانية، ورؤساهم تسعة عشر، ومقدمهم مالك عليهم السلام، قال الله تعالى : (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا . حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) (الزمر: 71) الآيات. وقال تعالى : (وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب، قالوا ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات . قالوا : بلى . قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) (غافر: 49) وقال تعالى : (فليدع ناديه سندع الزبانية) (العلق : 17-18) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرؤن) (التحريم : 6) وقال تعالى : (وما أدراك ما سقر، لا تبقي ولا تذر، لوأحة للبشر، عليها تسعة عشر . وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدّتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا) . (المدثر : 27-31)، وقال تعالى : (ونادوا يا مالك ليقض علينا

ربك، قال إنكم ماكثون) (الزخرف:77)، وفي صحيح مسلم " يؤتي بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، كل زمام في يد سبعين ألف ملك يجرونها. " *ومنهم المؤكلون بالنطفة في الرحم كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: " حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد " الحديث . وفي بابيه من الأحاديث كثير، وفيها " أن الملك يقول يا رب مخلّقة ؟ أوتوأم ؟ ذكر أم أنثى ؟ شقي أو سعيد ؟ ما الرزق وما الأجل ؟ فيقضي الله تعالى ما يشاء. فيكتب الملك كما أمره الله عز وجل فلا يغير ولا يبدل "

*ومنهم حملة العرش والكروبيون وهم الذين قال الله تعالى فيهم : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) (غافر: 7) الآيات، وقال تعالى: (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) (الحاقة : 17).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام]، وقال ابن عباس وسعيد بن جبيرة والشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج : ثمانية صفوف من الملائكة . وقال الضحاك عن ابن عباس : الكروبيون ثمانية أجزاء، كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشیاطین والملائكة.

وفي حديث الصور الطويل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [حتى ينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة، فيحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة،

أقدامهم في تحوم الأرض السفلى والأرض والسموات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم، لهم زجل في تسبيحهم، يقولون : سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت . سُبُوح قدوس قدوس قدوس سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح . سبحان ربنا الأعلى الذي يميت الخلائق ولا يموت [. الحديث رواه ابن جرير والطبراني وغيرها.

*ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم بهم منهم : ما يقول عبادي ؟ قالوا : يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك ويمجدونك " الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم : " وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده " الحديث بطوله في الصحيح عن أبي هريرة.

*ومنهم الموكل بالجبال، وقد ثبت ذكره في حديث خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني عبد يا ليل وعوده منهم، وفيه قول جبريل له صلى الله عليه وسلم " إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوه عليك " . وفيه قول ملك الجبال " إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين " فقال صلى الله عليه وسلم : " بل استأن بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا. "

*ومنهم زوار البيت المعمور الذي أقسم الله تعالى به في كتابه، ثبت ذلك في حديث المعراج، وهو بيت في السماء السابعة بجال الكعبة في الأرض لو سقط لوقع عليها، حرمة في السماء كحرمة الكعبة في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم " يعني لا تحول نوبتهم لكثرتهم والحديث بألفاظه في الصحيحين.

*ومنهم ملائكة صفوف لا يفترون، وقيام لا يركعون، ورَّع وسجَّد لا يرفعون، ومنهم غير ذلك: (وما يعلم جنود ربِّك إلا هو، وما هي إلا ذكري للبشر) (المدر: 31).

روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون . أظت السماء وحق لها أن تئطَّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذذتم بالنساء على الفرشات وخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى " فقال أبو ذر: والله لوددت أني شجرة تعضد. وقال الترمذي غريب . ويروى عن أبي ذر موقوفا . قلت : وله حكم الرفع، ومن أين لأبي ذر رضي الله عنه مثل هذا إلا عن توقيف والله أعلم.

وعن حكيم بن حزام قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إذ قال لهم : " هل تسمعون ما أسمع ؟ قالوا : ما نسمع من شيء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمع أطيط السماء وما تلام أن تئطَّ، ما فيها موضع شبرٍ إلا وعليه ملك راکع أو ساجد. "

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما في السماء الدنيا موضع إلا عليه ملك ساجد أو قائم، وذلك قول الملائكة: وما منا إلا له مقام معلوم، وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون " (الصفات 164)

وعن رجل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته، ما منهم ملك

تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجودًا منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق الله السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيمة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل فقالوا : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك " . وإسناده لا بأس به.

يتبع 78 دروس العقيدة الإسلامية
هنا دمشق.

الدرس الثامن والسبعون

من دروس العقيدة الإسلامية

الإيمان بالملائكة

أثر الإيمان بالملائكة في حياة المسلم

إخوتي!

الإيمان بالملائكة على الوجه الصحيح الذي جاء به الوحي الإلهي المتضمن للكتاب والسنة له آثار عظيمة في حياة المسلم عقيدة وسلوكاً. فمن الآثار العقدية:

*البعد عن الخرافات والأباطيل التي وقع فيها أهل الجاهلية والفلاسفة وبعض أصحاب الديانات الأخرى، حيث يعتقدون أن الملائكة إناث، أو أنهم بنات الله، وقد رد القرآن على ذلك كله، وقد تقدم.

أو أنهم مستحقون للعبادة مع الله أو دونه، وقد أوضح القرآن أن الملائكة يتبرؤون يوم القيامة ممن عبدوهم من دون الله، قال تعالى : (*ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون*) (سبأ: 40-41).

أو القول بأن الملائكة المقصود بها النجوم كما يزعم الفلاسفة ؟ فالمسلم إذا آمن بالملائكة كما جاء في القرآن والسنة علم أنهم عباد لله مخلوقون مريبون له، مخلوقون من نور، وغير ذلك مما تقدم من أوصافهم والأعمال المكلفين بها، أبعد عن نفسه خرافات وأوهام الجاهلية والفلاسفة وأصحاب الديانات الأخرى الفاسدة.

*ومن آثار الإيمان بالملائكة على سلوك المسلم وعبادته:

-1- الجد والاجتهاد في العبادة والطاعة بقدر الإمكان كما قال تعالى: (*فاتقوا الله ما استطعتم*) (التغابن : 16) وذلك إذا علم المسلم ما عليه الملائكة من العبادة الدائمة لله تعالى، والطاعة المستمرة له، كما في قوله تعالى عنهم : (*لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون*) (التحریم : 6) وكما في قوله تعالى : (*فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون*) (فصلت : 38).

وبذلك يندفع عنه الملل والسآمة، فكلما أحس بالملل ودفعته نفسه إلى الكسل تذكر ما عليها الملائكة - وهم من عباد الله - فيعود إليه نشاطه واجتهاده.

-2- دفع الغرور عن نفس المسلم خاصة إذا كان مجتهدا في العبادة، وحمله على التواضع والإنكسار لعظمة الله، والشعور الدائم بالتقصير، عند تذكره لعبادة الملائكة وأنهم (*يسبحون الليل والنهار لا يفترون*) (الأنبياء: 20)

-3- الاجتهاد في البعد عن ما حرمه الله ونهى عنه خوفا من الله أولا ثم حياء من الملائكة الذين يكتبون ويسجلون أعمال بني آدم خاصة وأن الله وصفهم بأنهم كرام، كما قال تعالى : (*وإنَّ عليكم لحافظين . كرامًا كاتبين . يعلمون ما تفعلون*) (الانفطار : 10-12)، وقال : (*ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد*) (ق: 18) .

فإن الإنسان قد تستولي عليه الشهوة ويغفل عن مراقبة الله له، فيهم بالمعصية وذلك إذا كان خاليا بمعزل عن الناس، فإذا سمع صوت إنسان أو شعر باقتراب أحد منه، قد يخجل ويخشى من الفضيحة، فيترك المعصية، فكيف إذا تذكر أن معه ملائكة كرام لا يفارقونه يكتبون أعماله، ازداد حياؤه وخجله، وترك ما كان قد هم به من السوء.

يتبع 79 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس التاسع والسبعون

من دروس العقيدة الإسلامية

مقدمة الإيمان بالجن

التعريف بهم

إخوتي!

الجنُّ بالكسر: اسم جنس جمعي واحده جني، وهو مأخوذ من الاجتنان، وهو التستر والاستخفاء. وقد سموا بذلك لاجتنانهم من الناس فلا يُرَوَّن، والجمع جنان وهم الجنَّة .

وعلى هذا فهم ضد الإنس، لأن الإنس سمي بذلك لظهوره، وإدراك البصر إياه، فيقال: آنست الشيء: إذا أبصرته .

ويقال: لا جنَّ بهذا الأمر: أي لا خفاء به ولا ستر .

والجن بالكسر: هو الترس، لأن المقاتل يستتر به من الرامي والطاعن وغير ذلك. وكل شيء وقيت به نفسك واستترت به فهو جنَّة . ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

((..والصيام جنَّة .)) أي وقاية، لأنه يقي صاحبه من المعاصي.

وجُنَّ الرجل جنوناً وأجنه الله فهو مجنون: إذا خفي عقله واستتر، وجُنَّ الرجل كذلك: أعجب بنفسه حتى يصير كالمجنون من شدة إعجابه. وقال القتيبي:

وأحسب قول الشنفري من هذا :

فلو جُنَّ إنسان من الحسن جُنَّتِ ..

أسماء الجن في لغة العرب :

قال ابن عبد البر: (الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب :

- 1- فإذا ذكروا الجن خالصاً قالوا جني .
- 2- فإذا أرادوا أنه مما يسكن مع الناس، قالوا: عامر والجمع عُمَّار .
- 3- فإن كان مما يعرض للصبيان قالوا: أرواح .
- 4- فإن خبت وتعرَّض قالوا: شيطان .
- 5- فإن زاد أمره على ذلك وقوي أمره قالوا: عفريت .

وعليه:

سمي الجن بهذا الاسم لاجتنانهم عن العيون أي استتارهم، قال تعالى :
{ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } [الأعراف:27]..

يا بني آدم لا يخدعنكم الشيطان، فيزين لكم المعصية، كما زينها لأبويكم آدم وحواء، فأخرجهما بسببها من الجنة، ينزع عنهما لباسهما الذي سترهما الله به؛ لتتكشف لهما عوراتهما.

إن الشيطان يراكم هو وذريته وجنسه وأنتم لا تروهم فاحذروهم. إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلْكَافِرِ الَّذِينَ لَا يُوْحِدُونَ اللَّهَ، وَلَا يَصْدُقُونَ رِيسْلَهُ، وَلَا يَعْمَلُونَ بِهَدْيِهِ .
فَالْجِنَّ حَقٌّ وَهُمْ خَلْقٌ مِّنْ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فِيهِمُ الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ؛ يَرَوْنَنَا وَلَا نَرَاهُمْ؛ يَأْكُلُونَ وَيَنْسِلُونَ وَيَمُوتُونَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ } [الأنعام:130] وَقَالَ تَعَالَى: { وَالْجَانُّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ } [الحجر:27].

وَقَالَ تَعَالَى حَاكِياً عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا { وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا } [الجن:14]

{وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} [الجن:15].
وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ} [الأعراف:27] وَقَالَ
تَعَالَى: {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي} [الكهف:50].
وَقَالَ تَعَالَى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن:26]
وَقَالَ تَعَالَى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [آل عمران:185]."

يتبع 80 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الثمانون

من دروس العقيدة الإسلامية الأدلة السمعية على وجود الجن

إخوتي!

أفاض القرآن الكريم والسنة النبوية في الحديث عن الجن وأحوالهم في مواضع كثيرة، فقد ورد ذكرهم في القرآن في مواضع متعددة تقرب من أربعين موضعاً عدا عن الآيات التي تحدثت عن الشيطان وهي كثيرة، وانفردت سورة كاملة للحديث عن أحوال النفر الذين استمعوا للقرآن من الرسول عليه الصلاة والسلام وهو بمكة هي سورة الجن، إذ ورد في مطلعها إخبار الله لنبيه باستماع هذا النفر للقرآن، قال تعالى: (*قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا *) [الجن: 1-2] .

واعتبرهم القرآن نوعاً آخر يشترك مع الإنسان في التكليف وإن اختلف عنهم في الصفات، فجاءت كثير من خطابات التكليف شاملة للجن والإنس قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: 56] . وقال: (*يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا *) [الأنعام: 130]

ورتب القرآن الجزاء لهم حسب أعمالهم في الدنيا فقال: (*وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ *) [السجدة: 13] ، وقال في معرض الحديث عن نعيم الجنة: (*فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ *) . [الرحمن: 56]

وتحدى الله الجن والإنس أن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال: (*قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ
الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ ظَهِيرًا*). [الإسراء: 88]،

واستنكر القرآن المزاعم التي تقول بأن الجن يعلمون الغيب فقال في معرض الحديث
عن موت سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام: (*فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ
كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ*). [سبأ: 14]
وغير ذلك من الآيات التي تحدثت عن أحوال هذا المخلوق .

وأما السنة النبوية فقد ورد ذكرهم في أحاديث كثيرة، وهذه الأحاديث بمجملها تبين
أحوال هذا المخلوق، من حيث المادة التي خلقوا منها، ومن حيث طعامهم وشرابهم
وتناسلهم ومطالبتهم بالتكاليف الشرعية، ومحاسبتهم في الآخرة، بالإضافة إلى
الأحاديث التي تبين إمكانية رؤيتهم بمختلف الصور التي يتشكلون فيها، وغيرها من
التي تشرح أحوالهم، قال الدميري: (واعلم أن الأحاديث في وجود الجن والشياطين
لا تحصى، وكذلك أشعار العرب وأخبارها، فالنزع في ذلك مكابرة فيما هو معلوم
بالتواتر).

فمن حيث بيان أصل المادة التي خلقوا منها، فقد أورد الإمام مسلم في صحيحه
من حديث عروة عن السيدة عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(*خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف
لكم*) .

وما ورد من الأحاديث في تكليم الرسول صلى الله عليه وسلم الجن وقراءته القرآن
عليهم ودعوتهم إلى الله في أكثر من مرة، وقد كان ابن مسعود رفيقاً للرسول عليه
السلام في كثير منها...

وهذه الأحاديث في كثير منها أحاديث صحيحة، رواها الثقات من الصحابة والتابعين عن الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، فلا مجال لتكذيبها أو تأويلها تأويلاً فاسداً يخرج عن المقصود منها .

وقد فصلت هذه الأحاديث كثيراً من أحوال الجن وصفاتهم، ومتى ثبتت صحتها، فإن المكذب بها يكون مكذباً للقرآن،

على أن هذه الأدلة السمعية الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في وجود الجن، لها في نفس الوقت دلالات حسية كذلك على وجودهم، إذ قد ثبت رؤيتهم له عليه السلام ولنفر من أصحابه الذين رافقوه عند ذهابه لتكليم الجن وقراءة القرآن عليهم، ومثل هذا قد حصل لأبي هريرة عندما جاءه الشيطان في صورة رجل فقير فجعل يحثو من مال الصدقة ... وكما ورد عن ابن عباس ((أن امرأة جاءت بابن لها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن ابني هذا به جنون، وأنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيخبث علينا، فمسح رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذه عند غدائنا وعشائنا فيخبث علينا، فمسح رسول الله صلى الله عليه وآله صدره ودعا، فثع ثعة، وخرج من جوفه مثل الجرو الأسود يسعى))

فهذه قصة سمعية من جهة، حسية من جهة أخرى، حيث دلت على رؤية الحاضرين للجن على شكل جرو أسود يسعى..

وما حصل ذلك من أخذ الرسول عليه السلام للشيطان وخنقه إياه عندما جاءه ليقطع صلاته، حتى وجد برد لعابه على يديه الشريفتين .

وغير ذلك من الروايات التي تحمل دلالات حسية على رؤية الجن مما لا يجعل مجالاً للشك في وجودهم.

يتبع 81 درس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس الواحد والثمانون

من دروس العقيدة الإسلامية الأدلة من القرآن على تكليف الجن

إخوتي!

وردت آيات كثيرة تدل على تكليف الجن، وهي على أنواع مختلفة هي :

-1- ما جاء من التصريح في الحكمة من خلق الجن والإنس .

وذلك في قوله تعالى: (*وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا*). [الذاريات: 56-57] .

فالآية صريحة في أن الله قد خلق الجن والإنس للعبادة، و على هذا وردت أقوال العلماء :

قال ابن عباس: (إِلَّا لِيَعْبُدُونِ أَي: إِلَّا ليقروا بعبادتي، طوعاً أو كرهاً)، وهذا اختيار ابن جرير الطبري ..

ويدل على ما تقدم قوله تعالى: (*وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا*) [التوبة: 31] وهي عامة في الجن والإنس.

قال ابن كثير: (ومعنى الآية: أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم.)
-2- ما ورد عن صرف الجن إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، واستماعهم للقرآن منه.

قال تعالى: (*وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنَّ يَستَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا

قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ*
([الأحقاف: 29-31] .

فقد أخبر القرآن الكريم أن الله قد صرف الجن إلى الرسول عليه الصلاة والسلام لاستماع القرآن منه، وسواء كان حضورهم إلى مكة - حيث كان الرسول عليه السلام يقرأ القرآن، بعد منعهم من استراق أخبار السماء - أو كان حضورهم بتوفيق من الله هداية لهم، فإن في ذلك دلالة على استماعهم للقرآن منه عليه السلام، وإنصاتهم لسماعه.

تدل على تكليف الجن من عدة وجوه:

أحدها: أن الله تعالى صرفهم إلى رسوله يستمعون القرآن ليؤمنوا به، ويأتمروا بأوامره وينتھوا عن نواهيه .

الثاني: أنهم أخبروا أنهم سمعوا القرآن وعقلوه وفهموه، وأنه يهدي إلى الحق، وهذا القول منهم يدل على أنهم عالمون بسيدنا موسى وبالكتاب المنزل عليه، وأن القرآن مصدق له، وأنه هاد إلى صراط مستقيم، وهذا يدل على تمكنهم من العلم الذي تقوم به الحجة، وهم قادرون على امتثال ما فيه، والتكليف إنما يستلزم العلم والقدرة .

الثالث: أنهم قالوا لقومهم: (* يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ *) [الأحقاف:

[30]

والآية صريحة في أنهم مكلفون، مأمورون بإجابة الرسول، وهو تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر .

وقال الألوسي في قوله تعالى: (* يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ *) (وهذا ونحوه يدل على أن الجن مكلفون.)

وقال ابن كثير: (و في هذا دلالة على أنه تعالى أرسل سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين: الجن والإنس، حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التي

فيها خطاب الفريقين، وتكليفهم، ووعدهم، ووعيدهم، وهي سورة الرحمن، ولهذا قال: أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ.)

وقد دلت هذه الآيات على إيمانهم بالقرآن وأخذهم عهداً على أنفسهم أن لا يشركوا بالله، وذلك في قوله تعالى عنهم: (* إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا *) [الجن: 1-2]، وقوله عنهم: (* وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ *) [الجن: 12].

ففي إيمانهم بالقرآن، ووصفهم له بأنه يهدي إلى الرشـد، وعدم إشراكهم بالله، دلالة على أنهم مكلفون.

-3- ما يتضمن التصريح بإرسال رسل إليهم :

قال تعالى: (* يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا *) [الأنعام: 130].

ففي هذه الآية خطاب للجن والإنس يوم القيامة، وهذا الخطاب فيه تقرير من الله في أنه قد بعث رسلاً إلى الجن والإنس حيث يسألهم وهو أعلم: هل بلغتكم الرسل رسالاته؟، وبذلك يزول العذر وتنقطع الحجة لأي واحد من الجن والإنس، إذ بعث الله رسلاً يوضحون الطريق ويأمرون بعبادة الله، وينهون عن معصيته، ولا شك أن أمر الرسل ونهيهم للجن والإنس هو محض التكليف،

-4- ما يتضمن خطاب الجن والإنس معاً :

وذلك في سورة الرحمن في قوله تعالى بعد الحديث عن نعمه على عباده: (* فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *) [الرحمن: 13]، حيث ورد هذا الخطاب في واحد وثلاثين موضعاً من سورة الرحمن، وفيه خطاب للجن والإنس معاً،

وفي هذه المواضع امتنان من الله على عباده بهذه النعم التي لا يجحدها إلا كافر .
(وهذا يدل على ذكائهم، وفطنتهم، ومعرفتهم بمؤنة الخطاب وعلمهم أنهم مقصودون به).

(وقد دلت سورة الرحمن على تكليفهم بالشرائع كما كلف الإنس، ولهذا يقول في إثر كل آية: (*فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ*)، فدل على أن السورة خطاب للثقلين معاً، ولهذا قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن قراءة تبليغ، وأخبر أصحابه أنهم كانوا أحسن رداً منهم، فإنهم جعلوا يقولون كلما قرأ عليهم (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ): لا نكذب بشيء من آلائك ربنا فلك الحمد)

5- ما يتضمن بشارة المؤمنين من الجن بالثواب على أعمالهم، وتحذير الكافرين والعصاة منهم بالعقاب على كفرهم ومعصيتهم في الآخرة :

وقد وردت البشارة بالتحذير في مواضع متعددة من القرآن منها :

أ- قوله تعالى في سورة الأحقاف: (*أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقَّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ*) [الأحقاف: 18 - 19]

فقد أخبر الله في هذه الآيات أن في الجن من حق عليه القول، أي: وجب عليه العذاب مع أمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس، و في هذا أبين دليل على تكليف الثقلين، وتعلق الأمر والنهي بهم، ثم قال بعد ذلك: (*وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا*) أي في الخير والشر يوقونها ولا يظلمون شيئاً من أعمالهم، فدل ذلك لا محالة أنهم كانوا مأمورين بالشرائع، متعبدين بها في الدنيا، ولذلك استحقوا الدرجات بأعمالهم في الآخرة في الخير والشر .

وقوله تعالى كذلك: (*وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنَّ يَستَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ*) [الأحقاف: 29]

والإنذار هو الإعلام بالخوف بعد انعقاد أسبابه، فعلم أنهم منذرون لهم بالنار إن عصوا الرسول عليه الصلاة والسلام .

ثم ما جاء من أمر هذا النفر من الجن لقولهم بإجابة دعوة الرسول عليه السلام المستجابة لمغفرة الله لذنوب الجن ونجاتهم من العذاب، وذلك في (قوله تعالى عن

هؤلاء النفر: (* يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) * [الأحقاف: 31]. والذنب هو مخالفة الأمر وارتكاب النهي، وقوله: وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وهذا يدل على أن من لا يستجب منهم لداعي الله لم يجره من العذاب الأليم، وفيه بشارة لمن آمن بالرسول واستجاب لدعوته، وإنذار لمن كذب وعصى، وهذا صريح في تعلق الشريعة الإسلامية بهم .

ثم عقب تعالى على ذلك بقوله عنهم: (* وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) * [الأحقاف: 32] وهذا تهديد شديد لمن تخلف عن إجابة داعي الله منهم، قال الإمام الطبري: (يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء النفر لقومهم: ومن لا يجب أيها القوم رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم وداعيه إلى ما بعثه بالدعاء إليه، وهو توحيده والعمل بطاعته، فليس بمعجز ربه بهربه إذا أراد عقوبته على تكذيبه داعيه إلى الإسلام وتركه تصديقه، وإن ذهب في الأرض هارباً، لأنه حيث كان فهو في سلطانه وقبضته، وليس لمن لم يجب داعي الله من دون ربه نصراء ينصرونه من الله إذا عاقبه ربه على كفره به وتكذيبه داعيه).

ب- قوله تعالى في سورة الأنعام: (* وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) * [الأنعام: 128]. ثم قوله بعد ذلك: (* يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) * [الأنعام: 130]

فهذه الآيات تتحدث عن الجن والإنس وموقفهم من بعضهم بعضاً، واستدكارهم لاستمئاعهم ببعضهم في الدنيا سواء كان بطاعة الإنس للجن فيما يأمر به من

الشهوات، أو التجاء الإنس بالجن عند النزول في واد أو قفر موحش لا أنيس به، وتلذذ بهذه الطاعة من قبل الإنس، التي تشعر بسيادة الجن على الإنس. فكان من نتيجة هذا الاستمتاع البعد عن طاعة الله، الذي ترتب عليه الخلود في النار كما نصت عليه الآية الكريمة.

وقوله: (*قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ*) [الأنعام: 128] فيه خطاب للصنفين، وهو صريح في اشتراكهم في العذاب واشتراكهم في العذاب يدل على اشتراكهم في التكليف .

وقوله في الآية الأخرى: (*يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا*) (الأنعام 130) فيه إنذار لهم بالخوف من عذاب ربهم على لسان الرسل الذين بعثوا إليهم، إذ هم تنكبوا الطريق ولم يمتثلوا لهذا الإنذار .

ج - قوله تعالى في سورة سبأ إخباراً عن سيدنا سليمان عليه السلام: (*وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَرِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ*) [سبأ: 12]

ففي هذه الآية تهديد للجن بالعذاب إذا هم خالفوا أمره تعالى في طاعة نبيه سيدنا سليمان عليه السلام فيما يسخرهم به من القيام بشتى الأعمال التي يأمرهم بها، وهو يدل على تكليفهم، وإلا لما استحقوا العذاب على هذه المخالفة .

وقد دلت هذه الآيات على أن الجن يجزون بأعمالهم خيراً أو شراً، وأنهم لا يعذبون في النار، وهذا مترتب على تكليفهم في الدنيا بفعل الطاعات وترك المعاصي، وإلا لما كان هذا العذاب للعصاة منهم، والثواب للطائعين منهم كذلك .

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن الجن مكلفون بنص القرآن، وأنهم هم والإنس في ذلك سواء، وأنهم سيحاسبون على هذا التكليف في الآخرة، فإن أحسنوا فلهم الجنة، وإن أساءوا فالنار مثواهم جزاء عادلاً من الله سبحانه.

يتبع 82 دروس العقيدة الإسلامية
هنا دمشق.

الدرس الثاني والثمانون

من دروس العقيدة الإسلامية

الإيمان بالملائكة والجن

مدى تسلط الشيطان على الإنسان

إخوتي!

بعض الناس يتصورون أن للشيطان تلك القدرة التي يستطيع بها أن يجبر الإنسان على ترك الطاعات وفعل المعاصي، ومن ثم فلا ذنب على الإنسان إذا قصر في طاعة الله أو فعل معصية من المعاصي..

وهذا التصور إنما سببه الجهل بالقرآن الذي بين حقيقة الشيطان وأنه ليس له سلطان يقهر الإنسان على فعل المعصية أو يثبته عن القيام بالطاعة، لأنه في هذا التصور يكون مشاركاً لله تعالى في القدرة على قهر العباد وجبرهم على ما يشاء، وهذا هو عين الشرك في الربوبية، ولو كان للشيطان مثل هذه السلطة لكان في ذلك مناقضة لتكليف الله للبشر، وفي ذلك مناقضة صريحة لما في القرآن الكريم، لأن التكليف مبني على قدرة الإنسان في اختيار الخير أو الشر، وإذا انتفى الاختيار عند الإنسان - بسبب إجبار الشيطان له على فعل المعاصي وترك الواجبات - لكان في ذلك بطلان التكليف من قبل الله للإنسان، وهذا الكلام لا يقول به إلا كافر أو جاهل..

لأن بعث الله للرسول على مدار التاريخ إنما جاء لاختبار هذه الإرادة عند الإنسان، فإما أن يستجيب هذا الإنسان لداعي الله، وإما أن يستجيب لداعي الشيطان الذي يوسوس للإنسان ويزين له المعاصي، وعلى أساس هذه الاستجابة أو عدمها يكون جزاء الإنسان بالجنة أو النار .

ولقد نفى القرآن أن يكون للشيطان سلطان على الكافرين فضلا عن المؤمنين يقهرهم أو بالحجة لما يدعوههم إليه، وبين القرآن حدود سلطان الشيطان على الكافرين، وأنه مجرد دعوة للكفر والمعاصي، واستجابة منهم له في ذلك. يقول الله عز وجل في هذا الشأن حاكياً عن الشيطان :

(*) وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) * [إبراهيم: 22] .

فهذا هو الشيطان في الآخرة يعلن في صغار وانكسار تخليه عن أتباعه الذين أطاعوه فيما زين لهم من المعاصي، ويوضح لهم أنه لم يكن له سلطان يجبر هؤلاء على ما كان سبباً في دخولهم جهنم . .

(وما كان لي تسلط عليكم بإظهار حجة على ما وعدتكم به وزينته لكم إلا أن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي: أي إلا مجرد دعائي لكم إلى الغواية والضلال بلا حجة ولا برهان..)،

وقيل: المراد بالسلطان هنا: القهر، أي: ما كان لي عليكم من قهر يضطركم إلى إجابتي، .

وهذه الأقوال بمجملها تدل على انتفاء السلطان من قبل الشيطان على أتباعه في الدنيا، وأن وظيفته كانت منحصرة في الدعوة إلى الغواية والضلال، وهذه الدعوة البراقة معرّاة عن الحجة والبرهان من جهة، وبعيدة عن القهر والسلطان من جهة أخرى، وإذا انتفى الأمران انتفت معهما دواعي الاستجابة لهذه الدعوة من قبل الشيطان، وبناء على ذلك فلا لوم ولا عتاب .

(فَلَا تَلُمُونِي بِمَا وَقَعْتُمْ فِيهِ بِسَبَبٍ وَعَدِي لَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَإِخْلَافِي لِهَذَا الْمَوْعِدِ. وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ بِاسْتِجَابَتِكُمْ لِي بِمَجْرَدِ الدَّعْوَةِ الَّتِي لَا سُلْطَانَ عَلَيْهَا وَلَا حُجَّةَ، فَإِنْ مِن قَبْلِ

المواعيد الباطلة والدعاوى الزائفة عن طريق الحق فعلى نفسه جنى ولما ربه قطع، ولا سيما ودعوتي هذه الباطلة وموعدي الفاسد وقعا معارضين لوعده الله لكم وعد الحق، ودعوته لكم إلى دار السلام، مع قيام الحجة التي لا تخفى على عاقل ولا تلتبس إلا على مخدول .

(*) مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ*) .. ما أنا بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب، وما أنتم بمغيثي مما أنا فيه، وفيه إرشاد لهم إلى أن الشيطان في تلك الحالة مبتلى بما ابتلوا به من العذاب، محتاج إلى من يغيثه ويخلصه مما هو فيه، فكيف يطمعون في إغاثة من هو محتاج إلى من يغيثه؟

(إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ*) لما كشف لهم القناع بأنه كافر بإشراكهم له مع الله من قبل هذا الوقت الذي قال لهم الشيطان فيه هذه المقالة، وهو ما كان منهم في الدنيا من جعله شريكاً، ولقد قام لهم الشيطان في هذا اليوم مقاماً يقصم ظهورهم ويقطع قلوبهم، فأوضح لهم :

أولاً: أن مواعيده التي كان يعدهم بها في الدنيا باطلة، معارضة لوعده الحق من الله سبحانه، وأنه أخلفهم ما وعدهم من تلك المواعيد، ولم يف لهم بشيء منها .
ثانياً: أنه أوضح لهم بأنهم قبلوا قوله بما لا يوجب القبول ولا يتفق على عقل عاقل لعدم الحجة التي لا بد للعاقل منها في قبول قول غيره .

ثالثاً: أنه أوضح: بأنه لم يكن منه إلا مجرد الدعوة العاطلة عن البرهان، الخالية عن أي سر شيء مما يتمسك به العقلاء .

رابعاً: أنه نعى عليهم ما وقعوا فيه، ودفع لومهم له، وأمرهم بأن يلوموا أنفسهم، لأنهم هم الذين قبلوا الباطل البحت الذي لا يتلبس بطلانه على من له أدنى عقل .
خامساً: أنه أوضح لهم: بأنه لا نصره عنده ولا إغاثة، ولا يستطيع لهم نفعاً ولا يدفع عنهم ضرراً، بل هو مثلهم في الوقوع في البلية والعجز عن الخلوص عن هذه المحنة .

سادساً: بأنه صرح لهم بأنه قد كفر بما اعتقدوه فيه وأثبتوه له، فتضاعفت عليهم الحسرات، وتوالت عليهم المصائب).

وبهذا يتبين أن الله لم يجعل للشيطان سلطاناً على بني آدم، لتكون إرادة الناس حرة في اختيارها طريق الخير أو الشر، ومن ثم فليس له سلطان على الإنس في عقائدهم وتوجيه إرادتهم للأعمال السيئة، فإن ذلك مما لا سبيل له إليه وكفى بقوله تعالى (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) .

وإذا كان الشيطان قد أعلن بأنه لا سلطان له في إجبار الناس على المعاصي، ولا حجة له عليهم فيما يدعوهم إليه – وإنما يتحدد سلطانه في دعوتهم إلى الباطل وتزيينه لهم، حباً للفساد، وكيداً للإنسان، لعمق عداوته له منذ استكبر عن السجود لآدم – فمع من تثمر هذه الدعوة إذن بقبولها،
ومن هم الذين يرفضونها في مقابل ذلك؟

لقد أجابنا القرآن الكريم على هذا السؤال في كثير من الآيات الكريمة قال تعالى: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ)* [النحل: 99 – 100].
وقال: (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ)* [سبأ: 20-21].

وقال تعالى عن إبليس عليه اللعنة: (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ)* [الحجر: 39 – 42].

وقال: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا)* [الإسراء:

[65

إن هذه الآيات التي سقناها تبين لنا أن دعوة الشيطان للضلال والفساد إنما تثمر مع الذين يعرضون عن ذكر الله، ويتركون السلاح الذي أمر الله بالتسلح به ضد وساوس الشيطان ومراوغاته التي لا تهدأ لجر هذا الإنسان إلى الهاوية، أما المؤمنون فقد عرفوا السلاح الذي به يقاومون هذا التسلط، قال تعالى: (*إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ*) [الأعراف: 201]. وقال: (*وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ*) [الأعراف: 200].

والطائف هو الوسوسة أو مبدؤها، وهو إذا مس المؤمنين تذكروا فإذا هم مبصرون، فلا يقعون في فخ طاعته، فالنفس الزكية الفطرة، المستقيمة لله تعالى بهداية الكتاب والسنة لا يكاد الشيطان يصلها، وإذا طاف بها طائف من وسوسته في حال الغفلة كان هو المذكر لها، فإذا هي مبصرة قائمة بما يجب عليها، فمثلها في عدم تأثير الوسوسة فيها أو عدم إفسادها لها كمثّل البدن القوي في عدم استعداده لفتك جراثيم الأمراض به، كما أن النفس الفاسدة الفطرة بالشرك أو النفاق والمعاصي وسوء الأخلاق تكون مستعدة لطاعة الشيطان، كاستعداد البدن الضعيف والمزاج الفاسد لتأثير ميكروبات الأمراض، ومن الأرواح والأبدان ما ليس في منتهى القوة ولا غاية الضعف، فكل منها يتأثر بقدر استعداده، وتكون عاقبة السلامة إن كان أقرب إلى الصحة والقوة، والهلاك إن كان بضد ذلك .

فكلما قوي الإيمان كلما ازداد الشيطان بعداً، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((*إِيهًا يَا بَنَ الْخَطَابِ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجَاءَ قَطْ إِلَّا سَلَكَ فَجَاءَ غَيْرَ فَجْكَ .. (4))) وقال أيضاً: ((*إِنْ الشَّيْطَانُ لِيَفْرُقَ مِنْكَ يَا عُمَرُ)) *وقال: ((*إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ فَرَوْا مِنْ عُمَرُ.))

وليس ذلك خاصاً بسيدنا عمر، فإن من قوي إيمانه يقهر شيطانه ويذله كما قال عليه الصلاة والسلام: ((*إن المؤمن لينضي شياطينه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر))

وفي قوله تعالى: (*إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ *). [الحجر: 42].

(المрад: أنه لا تسلط له عليهم بإيقاعهم في ذنب يهلكون به ولا يتوبون منه، فلا ينافي هذا ما وقع من آدم وحواء ونحوهما، فإنه ذنب مغفور لوقوع التوبة عنه، وقد استثنى سبحانه من عباده هؤلاء المتبعون لإبليس من الغاوين، الذي استسلموا لغواية الشيطان وإضلاله، وهو موافق لما قاله إبليس اللعين من قوله تعالى: * (وَلَا غُورَ لَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) * [الحجر: 42].

ولعل قائلًا يقول: قد أخبر الله عن صفة سيدنا آدم وحواء عليهما السلام بقوله: (*فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ *) [البقرة: 36]. وعن جملة من أصحاب نبيه بقوله: (*إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا *) [آل عمران: 155].؟

فالجواب: هو أنه ليس له سلطان على قلوبهم ولا موضع إيمانهم، ولا يلقيه في ذنب يؤول إلى عدم القبول، بل تزيله التوبة وتمحوه الأوبة. (ثم إن قوله سبحانه: (لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ)) يحتمل أن يكون خاصاً فيمن حفظه الله، ويحتمل أن يكون في أكثر الأوقات والأحوال، وقد يكون في تسلطه تفريج كربة وإزالة غمة، كما فعل بلال، إذ أتاه يهدّيه كما يهدّي الصبي حتى نام، ونام صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فلم يستيقظوا حتى طلعت الشمس وفزعوا وقالوا: ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا؟ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: ((*ليس في النوم تفريط، *) (م). /ففرج عنهم)).

(*) إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ*) أي الضالين المشركين، أي سلطانه على هؤلاء دليله: (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ*) [النحل: 99 - 100].

ومما تقدم يظهر لنا أن الذنوب التي تحصل من المؤمنين لا تحدث بسبب أن للشيطان سلطاناً عليهم، لأنها ذنوب يتبعها التوبة والاستغفار، فيعودون أقوى مما كانوا عليه من الإيمان، وسلطان الشيطان على الكافرين إنما يكون بسبب استمرارهم على فعل المعاصي، حيث قد جعلوا للشيطان سبيلاً إلى قلوبهم، فلا يقلعون من معصية إلا عادوا لها أو أشد قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا*) [مريم: 83]. وقال: (أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ*) [المجادلة: 19]. وقال: (وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ*) [الزخرف: 36]. وقال: (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ*) [فصلت: 25]. وغير ذلك من الآيات .

فهذه الآيات قد دلت على أن الشياطين إنما تتسلط على الكافرين بسبب متابعتهم لها فيما تزين لهم من المعاصي، لأنهم لم يلجأوا إلى الله في دفعها عنهم، فخلى الله بينهم وبينها، فأزعجتهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية، وأغرقتهم إغراء بالشر، فلا يفترون قائلين لهم: امضوا في هذه المعاصي، حتى توقعهم في النار، فهؤلاء هم القرناء من الشياطين الذين تحدثت عنهم الآيات القرآنية كقوله تعالى: (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ*) [فصلت: 25].

قال الطبري: (أي بعثنا لهم نظراء من الشياطين فجعلناهم قرناء قرناهم بهم يزينون لهم قبائح أعمالهم، فزينوا لهم ذلك . (وهؤلاء القرناء يصاحبون أصحاب المعاصي في

الدنيا فيمنعونهم من فعل الطاعات، ويحضونهم على فعل المعاصي، ثم يصاحبونهم عندما يقومون من قبورهم في الآخرة، كما ذكر الإمام القرطبي .

فهؤلاء الكفرة هم الذين استحوذ عليهم الشيطان فغلبهم وقوي عليهم وأحاط بهم، فلا يستطيعون التفلت منه بعد أن سلموا أنفسهم له يتصرف بها كيفما يريد، فلا عذر لهم في متابعتهم له، لأنه ليس له عليهم أي سلطان يجبرهم على طاعته، إنما الخور في نفوسهم هو الذي جعلهم يقعون في شرك وسوسته، كما حصل مع الذي انسلخ من آيات الله في قوله تعالى: (*وَإِثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ *) [

الأعراف: 175 – 176]

وقد ذكر بعض المفسرين أنه بلعام بن باعوراء رجل من بني إسرائيل، وكان مستجاب الدعوة، فلا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، وذكر بعضهم أنه أمية بن أبي الصلت، كان قد قرأ كتب أهل الكتاب التي تبشر بمجيء الرسول عليه الصلاة والسلام، فكفر به عندما بعث، وغير ذلك من الأقوال في شأن هذا الرجل.

قال الإمام الطبري: (والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله – تعالى ذكره – أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتلو على قومه خبر رجل كان آتاه حججه وأدلته وهي الآيات.. وجائز أن يكون الذي آتاه الله ذلك بلعام، وجائز أن يكون أمية).

لكن هذا الرجل خرج من الآيات التي آتاه إياها فلم يعد له صلة بها، فأتبعه الشيطان، أي: صيره تابعاً وقريباً له ينتهي أمره في معصية الله، ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان وطاعة الرحمن، فأصبح من المتمكنين في الغواية وهم الكفار، ولو شاء الله لرفعه بهذه الآيات التي أعطىها منزلة عظيمة، ولكن الله لم يشأ ذلك لأنه

مال إلى الدنيا ورغب فيها وآثرها على الآخرة، واتبع ما يهواه وترك العمل بما يقتضيه العلم الذي علمه الله، فأصبح كالكلب يلهث في كل أحواله: في الصحة والمرض، والراحة والتعب، فهذا الرجل لا يرعوي عن المعصية في جميع أحواله سواء وعظه الواعظ، وذكره المذكر، وزجره الزاجر، أو لم يقع شيء من ذلك فهو مستديم على فعل المعصية بتركه لآيات الله واتباعه للشيطان .

فهذا المثل ضربه الله لكل من يتلو القرآن أن يعتبر بهذا الرجل الذي انسلخ من آيات الله، فصار أمره إلى ما صار من اتباع الشيطان له، فإن كل من يعرض عن آيات الله يؤول مصيره إلى مثل ما صار إليه ذلك الرجل، وفي ذلك دلالة على تخلي الله عن المكذبين بآياته وتركهم فريسة للشيطان يوجههم كيف شاء كما في قوله تعالى: (كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ*) [الأنعام: 71] .

فالذين يعرضون عن الله تستهويهم الشياطين، فيسارعون إليها في معصيتهم لله، فيصبحون حيارى تائهين في الأرض، وهي صورة بليغة رسمها القرآن لكل معرض عن هدى الله سبحانه وتعالى.

وهكذا يتبين لنا أنه لا سلطان للشيطان على الناس، وإنما استجاب له بعضهم بمجرد دعوته إياهم، جرياً وراء أهوائهم وأغراضهم وشهواتهم، فهم الذين أعانوا على أنفسهم ومكنوا عدوهم من سلطانه عليهم بموافقته ومتابعته، فلما أعطوا ما بأيديهم واستأسروا له، سُلِّطَ عليهم عقوبة لهم، وبهذا يظهر معنى قوله سبحانه: (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا*) [النساء: 141]، فالآية على عمومها وظاهرها، وإنما المؤمنون يصدر منهم المعصية والمخالفة التي تضاد الإيمان ما يصير به للكافرين عليهم سبيل بحسب تلك المخالفة، فهم الذين تسببوا إلى جعل السبيل عليهم، كما تسببوا إليه يوم أحد بمعصية الرسول ومخالفته، والله سبحانه لم يجعل

للشيطان على العبد سبيلاً حتى جعل له العبد سبيلاً إليه بطاعته والشرك به، فحينئذ له عليهم تسليط وقهر، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، فالتوحيد والتوكل والإخلاص يمنع سلطانه، والشرك وفروعه توجب سلطانه، والجميع بقضاء من الله تعالى.

وبناء على ما تقدم يظهر لنا أن عمل الشيطان إنما ينحصر بالوسوسة والدعوة إلى الضلال، فالأنبياء والمؤمنون قد أخذوا بالأسباب التي ترد وسوسته كما قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ*)** [الأعراف: 201]. فإذا هم منتبهون حذرون من وسوسته **(وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ*)** [الأعراف: 202].

وإما إخوان الشياطين وهم الفجار من ضلال الإنس، فإن الشياطين تمدهم في الغي وتكون مدداً لهم، وهي لا تقصر في مد الكفرة بهذا الغي والضلال، وفي التعبير بإخوانهم في الآية ما يشير إلى أن هؤلاء الكفرة والعصاة بمتابعتهم للشياطين فيما تزين لهم من المعاصي قد أصبحوا إخواناً لها (فنسأل الله السلامة والعافية..).

يتبع 83 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الثالث والثمانون

من دروس العقيدة الإسلامية

الإيمان بالملائكة والجن

الأنبياء وعصمتهم من الشياطين

إخوتي !

إذا لم يكن للشيطان سلطان على المؤمنين لأخذهم بالأسباب التي تدفع كيده ووسوسة كما تقدم في الدرس السابق فمن باب أولى أن لا يكون له تسلط على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأنهم أكمل الناس إيماناً، وأبعدهم عن طاعة الشيطان، وهم الذين عصمهم الله من ذلك، .

فعن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة*، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: * وإياي: إلا أن الله أعاني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير*)) فقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن مع كل إنسان قريناً من الملائكة وقريناً من الجن، فالقرين من الملائكة يأمر بالخير، والقرين من الجن يأمر بالشر ولكن قرين الرسول عليه الصلاة والسلام من الجن أسلم إسلاماً حقيقياً كما عليه أكثر العلماء، فلا يأمره إلا بخير، .

وبقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من فتنة الشيطان وتسلطه، لأن تسلط الشيطان عليهم يناقض ما تقتضيه النبوة من كونهم قدوة للعالمين وأئمة للمهتدين .

وأما ما ورد خطاباً لنبينا عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: (*وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ*) [الأنعام: 68]. فإن هذا النسيان الذي حصل بسبب إنسائه الشيطان له لا يعتبر من قبيل التسلط على

الناس واستحوذه عليه بالإغواء والإضلال الذي نفاه الله عن أنبيائه وعن عباده المخلصين..، وقد ينسي الإنسان خيراً باشتغال فكره بخير آخر .

وقد قيل: إن هذا الخطاب وإن كان ظاهراً للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد التعريض لأئمة، لتنزّهه عن أن ينسيه الشيطان. وقيل: لا وجه لهذا، فالنسيان جائز عليه كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة، قال عليه الصلاة والسلام: ((*إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني))*(ق)

وهذا النسيان كما تقدم ليس مما يكون به للشيطان سلطان .

وكذلك ما ورد من إنساء الشيطان للنبي سيدنا يوسف عليه السلام وهو في السجن في قوله تعالى: (*وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ*) [يوسف: 42]. فأنساه الشيطان ذكر ربه، إذ أمر الناجي من صاحبيه في السجن بذكره عند الملك ابتغاء الفرج من عنده على أحد القولين، فكان نتيجة ذلك أن لبث في السجن بضعة سنين، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قوله عن يوسف: (ولولا الكلمة لما لبث في السجن طول ما لبث، حيث يبتغي الفرج من عند غير الله عز وجل .)

فنسيان سيدنا يوسف عليه السلام ذكر ربه في السجن ليس من جنس تسلط الشيطان على أنبيائه، لأنهم معصومون من ذلك، وما يقع منهم من نسيان لا يستمرون عليه، بل يتذكرون ويستغفرون كما في قوله تعالى: (*وَلَقَدْ فَتَنَّا فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ*) [ص: 24].

وفي قوله تعالى: (*وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ*) [ص: 34].

وأما وقوع النسيان من الأنبياء عليهم السلام بغير وسوسة من الشيطان فلا وجه للخلاف في جوازه، قال تعالى لخاتم رسله: (*وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ*) [الكهف: 24]

وأما قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو هريرة: ((*ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها*))، ثم

يقول سيدنا أبو هريرة: (واقرؤوا إن شئتم:) *وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ* [آل عمران: 36] .) فإنه لا يفيد تسلط الشيطان على الإنسان وإغواؤه له، قال ابن حجر العسقلاني: (والذي يقتضيه لفظ الحديث لا إشكال في معناه، ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الأنبياء، بل ظاهر الخبر أن إبليس ممكن من مس كل مولود عند ولادته، ولكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلاً، واستثنى من المخلصين مريم وابنها، فإنه ذهب يمس على عادته فحيل بينه وبين ذلك، فهذا وجه الاختصاص، ولا يلزم منه تسلط على غيرهما من المخلصين.

ولو قدر الشيطان على المولود بأكثر من المس عند الولادة إلى الإفساد والغواية معه لفعل ذلك، ولكنه يعلم أن المولود لا يعرف الخير والشر أصلاً، فاكتمى بمسه عند الولادة.

وقال القرطبي: (ولا يلزم من هذا أن نخس الشيطان يلزم منه إضلال الممسوس وإغواءه، فإن ذلك ظن فاسد، فكم تعرض الشيطان للأنبياء والأولياء بأنواع الإفساد والإغواء، ومع ذلك عصمهم الله مما يرومه الشيطان كما قال تعالى:) *إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ* [الحجر: 42] .

هذا مع أن كل واحد من بني آدم قد وكل به قرينه من الشياطين، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمريم وابنها وإن عصما من نخسه فلم يعصما من ملازمته لهما ومقارنته والله أعلم).

يتبع 84 دروس العقيدة الإسلامية
هنا دمشق.

الدرس الرابع والثمانون

من دروس العقيدة الإسلامية

استراق الجن لأخبار السماء

إخوتي!

كان الجن قبل مبعث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترقون أخبار السماء، وهو ما يوحيه الله تعالى لملائكته، وأصل ذلك قوله تعالى إخباراً عنهم: (***وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا***). [الجن: 9]

قال القرطبي: (كان الجن يقعدون مقاعد لاستماع أخبار السماء، وهم المردة من الجن، كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء حتى يلقوها إلى الكهنة، فحرسها الله تعالى بالشهب المحرقة، فقالت الجن حينئذ: (***فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا***).

ويبين نبينا صلى الله عليه وسلم هذا الأمر في حديثه الذي رواه البخاري في صحيحه عن السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((***الملائكة تتحدث في العنان - والعنان الغمام - بالأمر يكون في الأرض، فتستمع الشياطين فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة***))).

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه البخاري قال: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان، حدثنا عمرو قال: سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: ((***إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا** للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرفها، وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فرمى أدرك الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن

يدركه، فيكذب معها مئة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا: يوم كذا، كذا وكذا! فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء*)).

و في رواية عند الإمام مسلم في صحيحه: ((*تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة, فيخلطون فيها أكثر من مئة كذبة*)).

وهكذا فإن الجن كان يستمعون لأخبار السماء، ثم يلقون ذلك إلى الكهان من الإنس، فيزيدون على الكلمة مئة كذبة من عندهم، فيصدق الناس ذلك، قال الإمام الماوردي: (فأما استراقهم للسمع فقد كانوا في الجاهلية قبل بعث الرسول صلى الله عليه وسلم يسترقونه، ولذلك كانت الكهانة في الإنس لإلقاء الجن إليهم ما استرقوه من السمع في مقاعد لهم، كانوا يقربون فيها من السماء كما قال تعالى: (*وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا*) [الجن: 9]).

وقال ابن جزى الكلبي في تفسير قوله تعالى: (*إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ*) [الصافات: 10]. (والمعنى: لا تسمع الشياطين أخبار السماء، إلا الشيطان الذي خطف الخطفة).

وقد اختلف العلماء في استراق الجن للسمع بعد مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم :

-1- فقال قوم: إن استراق الجن لأخبار السماء قد زال بمبعث الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك زالت الكهانة .

-2- وقال آخرون: إن استراقهم باق بعد مبعثه عليه الصلاة والسلام . واختلفوا كذلك في أن الجن هل كانوا يرمون بالشهب قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم أم لا؟

أ- فقال قوم: لم تكن ترمى الجن قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام. وقد نسب النسفي هذا القول للجمهور فقال: (والجمهور على أن ذلك لم يكن قبل مبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم).

قال القرطبي: (وقال الكلبي وقوم: لم تكن تحرس السماء في الفترة بين (سيدنا) عيسى و(سيدنا) محمد صلوات الله عليهما وسلامه خمسمئة عام، وإنما كان من أجل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بعث منعوا من السموات كلها وحرست بالملائكة والشهب، ومنعت من الدنو من السماء).

وهو مروي عن سيدنا ابن عباس، وقال نافع بن جبير: كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا ترمى، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رميت بالشهب. (ومما يؤيد هذا القول ما ورد عن ابن عباس قال: (كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً، فأما الكلمة فتكون حقاً، وأما ما زادوه فيكون باطلاً، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس - ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك - فقال لهم إبليس: ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض، فبعث جنوده، فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يصلي بين جبلين - أراه قال: بمكة - فلقوه فأخبروه فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض)).

وذكر القرطبي وجهاً آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (وقد كانت الشياطين لا يحجبون عن السماء، فكانوا يدخلونها ويلقون أخبارها على الكهنة، فيزيدون عليها تسعاً، فيحدثون بها أهل الأرض، الكلمة حق والتسع باطل، فإذا أرادوا شيئاً مما قالوه صدقوهم مما جاءوا به، فلما ولد عيسى بن مريم عليهما السلام منعوا من ثلاث سماوات، فلما ولد (سيدنا) محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها، فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رمي بشهاب).

وفي هذا دليل على أن الشياطين لم تكن ترمى بالشهب قبل بعثته عليه الصلاة والسلام .

وتمسك من قال بأن الشهب لم يكن يرمى بها أيضاً قبل بعثة الرسول عليه السلام بظاهر قوله تعالى: (*فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا*) [الجن: 9] إذ قد دل على أن الجن لم تكن ترمى قبل المبعث حيث رتب الرمي على الاستماع بعد المبعث .

ب- وقال ابن قتيبة: إن الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة، وكانوا يسترقون في بعض الأحوال، فلما بعث منعوا من ذلك أصلاً .

فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب في الأرض وطلب السبب -أي السبب الذي من أجله منعوا من استراق السمع - إنما كان لكثرة الرجم، ومنعهم عن الاستراق بالكلية.

وقيل: إنما زاد الرمي إنذاراً بمبعث الرسول عليه الصلاة والسلام .
والراجع أن الرمي كان قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنه لم يكن في الشدة مثلما كان بعد مبعثه تمسكاً بحديث ابن عباس الآتي في كلام القرطبي، وهو ما رجحه ابن كثير والقرطبي وغيرهم .

قال ابن كثير: (وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك) وذكر أن ما ورد من استغراب الإنس والجن للرمي بعد المبعث فإنما كان لكثرة الشهب في السماء والرمي بها، حيث ظنوا أن ذلك لخراب العالم .

وقال القرطبي: (والقول بالرمي أصح لقوله تعالى: (*وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا*) [الجن: 8] . وهذا إخبار عن الجن أنه زيد في حرس السماء حتى امتلأت منا ومنهم. ولما روي عن ابن عباس قال: ((أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمى بمثل هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم. ومات رجل عظيم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته. ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمراً سبح حملة العرش. ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا. ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال. قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً به. حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا. فما جاؤوا به على وجهه فهو حق. ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون)).

وهذا يدل على أن الرجم قبل المبعث، واشتدت الحراسة بعد المبعث، فمنعوا من ذلك.

واختلف العلماء: هل كانت الشهب تأخذ الجن قبل استراق السمع أم بعد استراقهم؟ .

وظاهر القرآن أن الرمي يكون بعد الاستراق لعطفه عليه بالفاء الدالة على التعقيب في قوله تعالى: (*إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ*) [الحجر: 18]. وقوله: (*إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ*) [الصفات: 10]..

يتبع 85 دروس العقيدة الإسلامية
هنا دمشق.

الباب الخامس

الإيمان باليوم الآخر

الدرس الخامس والثمانون

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

مقدمة

معنى الإيمان باليوم الآخر:

التصديق الجازم بأن الله تعالى يبعث الناس من القبور، ثم يحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم، حتى يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

والإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان، فلا يصح الإيمان إلا به قال تعالى: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (البقرة: 177)

والسؤال المهم: لماذا أكد القرآن على الإيمان باليوم الآخر؟

أكد القرآن الكريم على الإيمان باليوم الآخر، ونبّه إليه في كل مناسبة، وأكد وقوعه بشتى أساليب العربية، وربط الإيمان به بالإيمان بالله عز وجل في أكثر من موضع بلغت أكثر من ثلاثمئة آية:.

وذلك لأن الإيمان باليوم الآخر نتيجة لازمة للإيمان بالله وعدله سبحانه وتعالى، وتوضيح ذلك:

أن الله لا يقر الظلم ولا يدع الظالم بغير عقاب، ولا المظلوم بغير إنصاف، ولا يترك المحسن بغير ثواب جزاء، ويعطي كل ذي حق حقه، ونحن نرى في الحياة الدنيا من يعيش ظالماً ويموت ظالماً ولم يعاقب، ومن يعيش مظلوماً ويموت مظلوماً ولم يأخذ حقه، فما معنى هذا والله لا يقبل الظلم؟ معناه أنه لا بد من حياة أخرى غير هذه

الحياة التي نعيشها، لا بد من ميعاد آخر يكافأ فيه المحسن ويعاقب فيه المسيء
ويأخذ كل ذي حق حقه.

ماهي قضايا الإيمان باليوم الآخر؟

يتضمن إيمان المسلم باليوم الآخر عدداً من الأمور منها:

***الإيمان بالبعث والحشر*:** وهو إحياء الموتى من قبورهم، وإعادة الأرواح إلى
أجسادهم، فيقوم الناس لرب العالمين، ثم يحشرون ويجمعون في مكان واحد حفاة
عراة كما خلقوا أول مرة.

والإيمان بالبعث مما دلّ عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة، فنؤمن يقينا
بأن الله يبعث من في القبور، وتعاد الأرواح إلى الأجساد، ويقوم الناس لرب العالمين.

قال الله تعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ - ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ}
(المؤمنون: 15-16)

وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه، وذلك هو مقتضى الحكمة؛ حيث تقتضي
أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معادا يجزيهم فيه على كل ما كلفهم به على السنة
رسله، قال الله تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}
(المؤمنون: 115)

من أدلة القرآن على إثبات البعث:

أن الله تعالى خلق البشر ابتداءً، والقادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته، قال
الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} (الروم: 27).

وقال تعالى آمراً بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي
أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} (يس: 79)

أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء، فينزل عليها المطر، فتتهتز خضراء حيَّة فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها قادر على إحياء الموتى، قال تعالى: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ - وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ - رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ} (ق: 9-11)

كل عاقل يعلم أن من قَدَر على العظيم الكبير فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر، والله سبحانه وتعالى قد أبدع السماوات والأرض والأفلاك على عظم شأنها وسعتها، وعجيب خلقها، ومن ثمَّ فهو أقدر على أن يحيي عظاما قد صارت رميما، قال تعالى: {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} (يس: 81)

الإيمان بالحساب والميزان: يحاسب الله الخلائق على أعمالهم التي عملوها في الحياة الدنيا، فمن كان من أهل التوحيد ومطيعا لله ورسوله فإن حسابه يسير، ومن كان من أهل الشرك والعصيان فحسابه عسير.

وتوزن الأعمال في ميزان عظيم، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في الكفة الأخرى، فمن رجحت حسناته بسيئاته فهو من أهل الجنة، ومن رجحت سيئاته بحسناته فهو من أهل النار، ولا يظلم ربك أحداً.

قال تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} (الأنبياء: 47)

الجنة والنار: الجنة هي دار النعيم المقيم، أعدها الله للمؤمنين المتقين، المطيعين لله ورسوله، فيها جميع أنواع النعيم الدائم مما تشتهي النفوس وتقر به العيون من جميع أنواع المحبوبات.

قال تعالى مرغباً عباده للمسارعة في الطاعات ودخول جنة عرضها كعرض السماء والأرض: {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} (آل عمران: 133).

وأما النار فهي دار العذاب المقيم، أعدها الله للكافرين الذين كفروا بالله وعَصَوْا رُسُلَهُ، فيها من أنواع العذاب والآلام والنكال ما لا يخطر على البال.

قال سبحانه محذراً عباده من النار التي أعدها للكافرين: {فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} (البقرة: 24).

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول وعمل.

عذاب القبر ونعيمه: نؤمن بأن الموت حق، قال تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} (السجدة: 11).

وهو أمر مشاهد لا شك فيه، ونؤمن أن كل من مات أو قتل بأي سبب كان حتفه، أن ذلك بأجله لم ينقص منه شيئاً، قال الله تعالى: {فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} (الأعراف: 34)

وأن من مات فقد قامت قيامته وانتقل إلى الدار الآخرة:

وقد ثبتت أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر للكفار والعصاة ونعيمه للمؤمنين وأهل الصلاح فتؤمن به ولا نخوض في كلفيته، إذ ليس للعقل قدرة على معرفة كلفيته وحقيقته، لكونه من عالم الغيب مثل الجنة والنار لا من عالم الشهادة، وقدرة العقل على القياس والاستنتاج والحكم تكون في ما يعرف نظيره وقانونه في عالم الدنيا المشاهد.

كما أن أحوال القبر من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، وزالت حكمة التكليف، ولما تدافن الناس، كما قال صلى الله عليه وسلم: "لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع" (مسلم 2868، النسائي 2058). ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم سمعته وأدركته.

ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر له أشد الأثر في توجيه الإنسان وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله عز وجل وبعده عن الأنانية والرياء .

ولهذا يتم الربط بين الإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح في كثير من الأحيان، كقوله تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (التوبة: 18)، وقوله: {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} (الأنعام: 92)

*تنبيه الغافلين المنشغلين بأمور الحياة ومتاعها عن التنافس في الطاعات واغتنام الوقت للتقرب إلى الله بالطاعات إلى حقيقة الحياة وقصرها وأن الآخرة هي دار القرار والخلد.

ولما أثنى الله على الرسل في القرآن وذكر أعمالهم مدحهم بالسبب الذي كان يدفعهم لتلك الأعمال والفضائل فقال: {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ} (ص: 46) .

أي إن سبب تلك الأعمال الفاضلة أنهم تميزوا بتذكر الدار الآخرة فدفعهم هذا التذكر لتلك الأعمال والمواقف .

ولما تناقل بعض المسلمين عن الامتثال لأمر الله ورسوله قال تعالى تنبيهها لهم:
{أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ}
(التوبة: 38).

فحين يؤمن الإنسان باليوم الآخر، فإنه سيوقن بأن كل نعيم في الدنيا لا يقاس إلى نعيم الآخرة، ولا يساوي من جهة أخرى غمسة واحدة من أجله في العذاب، وكل عذاب في الدنيا - في سبيل الله - لا يقاس إلى عذاب الآخرة، ولا يوازي من جهة أخرى غمسة واحدة من أجله في النعيم.

الطمأنينة بأن الإنسان ملاق نصيبه، فإذا فاته شيء من متاع الحياة الدنيا فلا ييأس ويقتل نفسه حزناً، بل عليه أن يجتهد ويوقن بأن الله لا يضيع أجر من أحسن العمل، وإن كان قد أخذَ منه مثقال ذرة بظلم أو غش حصَّلها يوم القيامة في أحوج ما يكون إليها، فكيف يغتم من علم أن نصيبه سيأتيه لا محالة في أهم اللحظات وأخطرها؟ وكيف يحزن من يعلم أن من يقضي بينه وبين خصومه هو أحكم الأحكامين سبحانه وتعالى؟

يتبع 86 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس السادس والثمانون

من دروس العقيدة الإسلامية

الإيمان باليوم الآخر

علامات الساعة

علامات الساعة أو أشراط الساعة في الدين الإسلامي هي مجموعة من الظواهر والأحداث يدل وقوعها على قرب وقوع يوم القيامة، ومعنى الأَشْرَاطُ في اللغة العربية: جمع شَرَطَ، والشرط العلامة، وأشراط الساعة أي علاماتها وأسبابها، فهي العلامات التي يكون بعدها قيام الساعة.

والساعة: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسميت الساعة لأنها تفاجئ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة.

* أقسام أشراط الساعة *

القسم الأول *: العلامات الصغرى *

وهي التي ظهرت وانقضت وهي علامات صغرى لبعث زمن وقوعها عن قيام الساعة، مثل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، سيدنا محمد ووفاته، وانشقاق القمر وخروج نار عظيمة بالمدينة تضيء لها أعناق الأبل ببصرى، انتهاء عصر الصحابة.

القسم الثاني *: الأمارات المتوسطة *: وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تزيد وتكثر وهي كثيرة جداً وهي علامات صغرى أيضاً كما سيأتي منها: أن تلد الأمة ربتها، وتطاول الحفاة العرا رعاة الشاه في البنيان، وخروج ثلاثين دجالاً يدعون النبوة.

القسم الثالث : *العلامات الكبرى *

وهي التي تعقبها الساعة إذا ظهرت وهي عشر علامات.

قال سيدنا حذيفة رضي الله عنه: "اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذكرون؟ قالوا نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر:

1-الدخان.

2-الدجال.

3-الدابة.

4-طلوع الشمس من مغربها.

5-نزول عيسى بن مريم عليه السلام.

6-يأجوج ومأجوج.

7-خسف بالمشرق.

8-خسف بالمغرب.

9-خسف بجزيرة العرب.

10-نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

وسياتي تفصيل كل ذلك إن شاء الله تعالى.

يتبع 87 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس السابع والثمانون

من دروس العقيدة الإسلامية

الإيمان باليوم الآخر

علامات الساعة الصغرى والوسطى

إخوتي!

علامات الساعة الصغرى هي العلامات المتقدمة ليوم القيامة، والوسطى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

والفرق بينها وبين علامات الساعة الكبرى أن الكبرى يعقبها قريباً قيام الساعة، ويكون لها تأثير كبير، ويشعر بها جميع الناس،

أما الصغرى فقد تتقدم على الساعة بزمان، وتقع في مكان دون مكان، ويشعر بها قوم دون قوم.

من الأمارات الصغرى

***بعثة سيدنا رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم**

أخبر سيدنا رسول الله ﷺ أن بعثته دليل وعلامة على قرب الساعة، وأنها أول أشراف الساعة الصغرى. فعن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بإصبعيه هكذا الوسطى والتي تلي الإبهام: "بُعِثَتِ والساعة كهاتين"(ق)، وقال صلى الله عليه وسلم: "بعثت في نَسَم الساعة"(الحاكم في الكنى 808 ونسم الساعة أولها).

قال القرطبي (التذكرة 1 / 710): "أولها النبي صلى الله عليه وسلم لأنه نبي آخر الزمان، وقد بُعثَ ليس بينه وبين القيامة نبي."

* وفاة سيدنا محمد * رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثاني علامات الساعة الصغرى هي وفاة نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد قال عوف بن مالك: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وهو في قبة من آدم (خيمة من جلد)، فقال: "اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم) داء يصيب الغنم فيسيل من أنوفها شيء فتموت منه) ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مئة دينار فيظل ساخطاً - أي يكثر المال عند الناس ويغتنوا حتى لا يكاد الرجل يفرح إلاً بآلاف الدنانير - ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر (الروم وهم الأوروبيون والأمريكان اليوم) ، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً" [خ].

* انشقاق القمر *

قال الله تعالى: [اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آيةً يُعرضوا ويقولوا سحرٌ مُستمرٌ] [سورة القمر 1.2]

قال الحافظ ابن كثير (7 / 472): "قد كان هذا في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم كما ورد في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات" [ق] ١.هـ.

وقال سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه: إن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر". [ق].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى إذ انفلق القمر فلتقتين فكانت فلقاً وراء الجبل وفلقاً دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ((اشهدوا))" [أبونعيم في دلائل النبوة].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "اجتمع المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان وكانت ليلة البدر، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيه ما سألو: فأمسى القمر نصفين على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((اشهدوا))" [م].

وغيرها.

من الأمارات الوسطى

إنقراض الصحابة

حسب التراث الإسلامي فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم خير الأمة بعد النبي محمد وفي حديث أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "النجوم أمانة للسماء فإذا ذهبَت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي فإذا أنا ذهبَت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون" [خ].

ففي هذا الحديث:

قرن ذهاب الصحابة رضي الله عنهم بذهاب أمارتين للساعة ذهاب النجوم، ونزول الشهب، وموت الرسول صلى الله عليه وسلم.

أنه ثبت في الأحاديث أنه يذهب الصالحون الأول فالأول فتقوم الساعة على شرار الخلق.

فتح بيت المقدس

عندما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان بيت المقدس تحت وطأة النصارى الروم، والروم دولة قوية متمكنة، وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم بفتح بيت المقدس وعد ذلك من أشراط الساعة كما في حديث عوف بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اعدد ستاً بين يدي الساعة.. وذكر منها فتح بيت المقدس" [م].

وقد فتح بيت المقدس في عهد الخليفة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام (16هـ - 637م) وطهره من الكفر وبني فيه مسجداً، وقد فتح بيت المقدس مرتين مرة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومرة في زمن الدولة الأيوبية فتحه صلاح الدين الأيوبي -- (عام 583 هـ - 1187 م).

وستفتح القدس بإذن الله على يد فئة مؤمنة حتى أن الشجر والحجر ينطق قائلاً: "يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورأيي تعال فاقتله" [م].

وسياًتي ذكر بعض المعارك الواقعة حول بيت المقدس وقتال المسلمين لليهود إن شاء الله.

موتان كقُعاص الغنم

هذا من علامات الساعة والموتان لفظ مبالغة من الموت، أي يقع موت كثير جداً أشبه ما يكون بالوباء الذي يقضي على الناس جماعات جماعات، وقد قيل هذا

وقع في طاعون عمواس ، والطاعون هو بثور أو أورام تظهر في الجسم من التهاب شديد ومؤذ جداً وهو مرض فتاك شديد العدوى.

وعمواس هي قرية بفلسطين قرب بيت المقدس.

وعن عوف بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اعدد ستاً بين يدي الساعة.. وذكر منها موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم" [خ].

فكان حدث في الأمة زمن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد فتح القدس (عام 16 هـ) انتشار مرض الطاعون وذلك في سنة (18 هـ) في أرض الشام فمات خلق كثير بلغ خمسة وعشرين ألف رجل من المسلمين. ومات بسببه جماعات من سادات الصحابة منهم سيدنا معاذ بن جبل وسيدنا أبو عبيدة وسيدنا شرحبيل بن حسنة والفضل بن العباس وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

وَعُقَاصُ الغنم هو داء يصيب الدواب، فيسيل من أنوفها شيء، فتموت فجأة وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم الموتان بْعُقَاصِ الغنم لأن الطاعون يظهر قرحة في البدن تسيل ثم يموت منها المصاب.

كثرة ظهور الفتن بأنواعها

وهذا من أشراط الساعة التي بدأت تتضح في هذا الزمان وأصبح المرء محاطاً بأنواع الفتن. والفتن جمع فتنة، وهي الاختبار والابتلاء واستعملت في كل شيء مكروه، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بمجيء الفتن العظيمة التي يلتبس فيها على المسلم الحق، وكلما ظهرت فتنة قال المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف ويظهر غيرها. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا" [ق].

ومعنى الحديث:

-الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم قطع الليل المظلم.

-ووصف صلى الله عليه وسلم نوعاً من شدائد تلك الفتن، وهو أنه يمسي مؤمناً ثم يصبح كافراً أو عكسه، وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب.

وهذا بالتأكيد مشاهد في وقتنا هذا حيث نجد التلفاز يشاهد حتى في الصحاري والقفار.

إخبار النبي الكريم عن معركة صفين

من أشرط الساعة أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بحروب ومعارك تقع سواء بين المسلمين والكفار، أو بين المسلمين أنفسهم، ومن ذلك معركة صفين وهي معركة وقعت بين سيدنا علي بن أبي طالب وسيدنا معاوية بن أبي سفيان بعد مقتل سيدنا عثمان بن عفان -رضي الله عنهم جميعاً- سنة (36 هـ) وهي من أشرط الساعة. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة" (ق)

ظهور الخوارج

من علامات الساعة خروج بعض الفرق المخالفة لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، ومن هؤلاء فرقة الخوارج وهم قوم كانوا من جماعة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقاتلون معه، ثم خرجوا عن طاعته بعد مسألة التحكيم بينه

وبين سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وانحازوا إلى قرية قرب الكوفة اسمها حروراء.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يخرج آخر الزمان قوم أحداث الأسنان (صغار السن)، سفهاء الأحلام [صغار العقول]، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم [لا يفهمونه ولا يعملون به]، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية [ق] [يخرجون من الإسلام دون ان يشعروا كما أن الصياد يرمي صيده فيصيب السهم ويخرق جسده فيظن الصباد أنه لم يصبه وهو قد أصابه]". ، و عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم:.

"يخرج ناسٌ من قِبَلِ المشرقِ ، و يقرؤون القرآن لا يجاوزُ تراقيهم ، يمرقون من الدِّينِ كما يمرقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّةِ ، ثم لا يعودون فيه حتى يعودَ السهمُ إلى فوقه. قيل : ما سِماهم ؟ قال : سِماهم التَّحليقُ ، أو قال : التَّسبيدُ [استئصال الشعر] " [خ]

خروج أدعياء النبوة والدجالين

من أمارات الساعة وأشراتها خروج الدجالين الكذابين الذين يدعون النبوة ويثيرون الفتنة بأباطيلهم، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن عدد هؤلاء قريب من ثلاثين.

فقال صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله" [مسند الامام أحمد].

وقد وقعت هذه العلامة من علامة الساعة فخرج كثير من إدعاء النبوة قديمة وحديثاً، ولا يستبعد أن يظهر دجالون آخرون إلى أن يظهر المسيح الدجال، فقد

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً اخرهم الأعور الكذاب" [د. ت].

وعن ثوبان بن بجدد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى يعبدوا الأوثان وأنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي.""

وقد ظهر من هؤلاء عدد كبير في الماضي:

فأدعى النبوة في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم الأسود العنسي في اليمن حيث ارتد عن الإسلام وادعى النبوة وكانت ردة أول ردة في الإسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد تحرك بمن معه من المقاتلين واستولى على جميع أجزاء اليمن خلال ثلاثة أشهر أو أربعة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم رسالته إلى المسلمين في اليمن يحثهم على مقاتلته فاستجابوا وقتلوه في منزله بمعاونة زوجته التي تزوجها قسراً بعد أن قتل زوجها وقد كانت مؤمنة بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وبمقتله ظهر الإسلام وأهله في اليمن وكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد أتى إليه الخبر في ليلته من السماء فأخبر أصحابه، وقد دامت فترة ملك هذا الكذاب من حيث ظهوره إلى أن قتل ثلاثة أشهر وقيل أربعة أشهر. ومنهم طليحة بن خويلد الأسدي وقد قاتله المسلمون مراراً ثم أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه ولحق بجيش المسلمين وأبلى في الجهاد في سبيل الله بلاء حسناً واستشهد بنهاوند رضي الله عنه.

ومنهم مسيلمة الكذاب، وكان يزعم أن الوحي يأتيه في الظلام، وقد أرسل إليه سيدنا أبو بكر الصديق جيشاً بقيادة سيدنا خالد بن الوليد وسيدنا عكرمة بن أبي جهل وسيدنا شرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم فاستقبلهم مسيلمة بجيش كان قوامه

أربعين ألف مقاتل، ودارت بينهم معارك حاسمة كانت الدائرة فيها عن مسيلمة وجيشه، وقتل مسيلمة بيد وحشي بن حرب رضي الله عنه.

ومنهم **سجاح بنت الحارث التغلبية**، كانت من نصارى العرب، وقد ادعت النبوة بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم فالتف حولها أناسٌ كثير من قومها، وغيرهم وغزت بهم القبائل المجاورة، وسارت حتى وصلت اليمامة، والتقت بمسيلمة وصدقته، وتزوجها، ولما قتل مسيلمة رجعت إلى بلادها، واقامت في قومها بني تغلب، ثم أسلمت وحسن إسلامها، وانتقلت بعد ذلك إلى البصرة وماتت بها.

وأما في عصر التابعين وما بعده، فظهر المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي تظاهر بالتشيع أولاً، فالتف حوله جماعة كثيرة من الشيعة، وزعم أن جبريل عليه السلام ينزل عليه، وقد دارت بينه وبين مصعب بن الزبير عدة معارك قُتِل في آخرها المختار.

ومنهم **الحارق بن سعيد الكذاب** الذي أظهر التعبد في دمشق ثم زعم أنه نبي، ولما علم أن الخبر وصل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان اختفى، فاستطاع رجل من أهل البصرة أن يعرف مكانه، وتظاهر له بالتصديق فأمر الحارث ألا يحجب منه هذا الرجل متى ما أراد الدخول عليه، فأوصل هذا الرجل الخبر إلى عبد الملك بن مروان، فأرسل معه جنوداً وقبضوا عليه، وجيء به إلى عبد الملك فأمر عبد الملك رجالاً من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويعلموه أن هذا من الشيطان؛ فأبى أن يقبل منهم ويتوب فقتله عبد الملك.

وفي العصر الحديث قبل أكثر من قرن، **ظهر بالهند رجل يدعى ميرزا غلام أحمد القادياني** ادعى النبوة، وكان يزعم أنه يتلقى الوحي من السماء، كما زعم أن الله عز

وجل أخبره بأنه سيعيش ثمانين سنة، وصار له أتباع، فانبرى له العلماء وردوا عليه، وبينوا أنه دجال منهم العالم الكبير ثناء الله الأمر تسري وكان أشد العلماء عليه. حتى أنه في عام (1326 هـ - 1908م)، تحدى القادياني الشيخ ثناء الله في مناظرة علنية بأن الكذاب المفترى من الرجلين سيموت ودعا الله أن يقبض المبطل في حياة صاحبه ويسلط عليه داء الطاعون يكون فيه حتفه، وبعد سنة أصيب القادياني بدعوته، وقد ذكر أبو زوجته نهايته بقوله: لما اشتد مرضه أيقظني، فذهبت إليه ورأيت ما يعانيه من الألم، فخاطبني قائلاً: أصبت بالكوليرا، ثم لم ينطق بعد هذا بكلمة صريحة حتى مات.

قد يستشكل البعض بأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن مدعي النبوة ثلاثون بينما التاريخ والواقع يشهد أن العدد أكبر من ذلك؟

الجواب: أن هؤلاء الثلاثين هم الذين يكون لهم شهرة ودولة وأتباع، أما غيرهم ممن ليس له كذلك فلا يعد من الثلاثين.

شيوخ الأمن والرخاء

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه مع تقدم السنين واقتراب الساعة سيكثر الأمن ويعم الرخاء، فقال صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق [ضياع الطريق فقط]، وحتى يكثر الهرج، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: القتل" [أحمد].

ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم رضي الله عنه: "يا عدي هل رأيت الحيرة [في العراق]؟ قلت: لم أرها وقد أنبتت عنها، قال: فإن طالت بك حياة لترين الضغينة -أي المرأة- ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله."

وما زالت الأمارات الوسطى مستمرة...

يتبع 88 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الثامن والثمانون

من دروس العقيدة الإسلامية

الإيمان باليوم الآخر

تتمة الأمارات الوسطى

قتال الترك

تقدم أن من علامات الساعة حروبٌ ومعارك أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها تقع بين المسلمين وغيرهم، ومن ذلك وقوع معركة بين المسلمين والترك [وسموا بالترك لأن ذا القرنين تركهم خارج السور الذي بناه على يأجوج ومأجوج]، وقد حصل ذلك القتال في عصر الصحابة، في أول خلافة بني أمية وهزموا الترك وغنموا منهم. فعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف [انخفاض قصبه الأنف وانفراشه]، وكأنّ وجوههم المجان المطرقة [الترس اي مستديرة وبالمطرقة لغلظتها وكثرة لحمها]، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر . [شعر الحيوانات غير المدبوغة]. "[ق].

والمراد بهم والله أعلم التتار المغول الذين اجتاحتوا البلاد الإسلامية عام (656 هـ - 1258م)، وسفكوا الدماء لكنهم أخيراً دخلوا في الإسلام.

*ظهور رجال ظلمة * يضربون الناس بالسياط

من علامات الساعة التي أخبر بها سيدنا رسول الله أعوان الحكام الظلمة الذين يجلدون الناس بالسياط التي تشبه أذنان البقر، من السياط بأنواعها الجلدية والكهربائية والمطاطية و أغصان الشجر و غيرها. [أحمد]

فعن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه

أن رسول الله قال ((يكون آخر الزمان، رجال معهم سياط كأذنان البقر، يغدون في سخط الله، و يروحون في غضبه)) [م]

و عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رسول الله قال ((صنفان من أمتي لم أرهما... قوم معهم سياط كأذنان البقر يضربون بها الناس)) [ق]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه

أن رسول الله قال ((إن طالت بك مدة أوشكت أن ترى قوما، يغدون في سخط الله و يروحون في لعنته في أيديهم مثل أذنان البقر)) [ق]

كثرة الهرج (كثرة القتل)

من علامات الساعة التي ذكرها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة القتل، حتى إن الرجل يقتل الرجل لا يدري لم قتله، و لا المقتول لم قتل. [ق]

عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

أن رسول الله قال ((و الذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يأتي يوم لا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قتل)) فقليل : كيف يكون ذلك؟ قال ((الهرج، القاتل والمقتول في النار)). [ق]

وقد بدأ الهرج بمقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه

وصارت الحروب تكثر دون أسباب مقنعة و ذهب ضحيتها الآلاف من الناس.مع ظهور الأسلحة المدمرة اليوم التي تخدم هذه الحروب الطاحنة.

ضياع الأمانة ورفعها من القلوب

إذا ضاعت الأمانة انقلبت الموازين، و فسدت سرائر الناس، وتولى مقاليد الأمور غير الأكفاء، و تسود الفوضى، وهذا ما أخبر عن وقوعه سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم

وسبب ضياع الأمانة فساد سرائر الناس.

عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه

أن سيدنا رسول الله قال ((إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن و علموا من السنة)).

و قال ((ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل المجل، كجمر دحرجته على رجلك فنفط، فتراه منتبرا، و ليس فيه شيء-ثم أخذ الحصى فدحرجه على رجله-فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلا أميناً، حتى يقال للرجل: ما أجلده! ما أظرفه! ما أعقله! و ما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان)) [احمد]

قال سيدنا حذيفة: (و لقد أتى علي زمان و ما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه على دينه ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه، و أما اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلانا و فلانا) [طب]

و عن سيدنا أبي هريرة : بينما النبي في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله يحدث. فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال. و قال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال ((أين-أراه-السائل عن الساعة))؟ قال: ها أنا يا رسول الله. قال ((فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة)) قال: كيف إضاعتها؟ قال ((إذا وسد الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة)) (خ)

اتباع سنن الأمم الماضية

من علامات الساعة التي أخبر بها النبي الكريم أن فريقا من أمته سيقلدون الأمم الأخرى من اليهود و النصارى في عاداتهم و طبائعهم و غير ذلك.

فعن أبي هريرة قال: قال صلى الله عليه وسلم ((لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع)) ف قيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال ((ومن الناس إلا أولئك))

و عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ((لتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر و ذراعا بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم)) قلنا: يا رسول الله اليهود و النصارى؟ قال: ((فمن؟))

قال القاضي عياض رحمه الله ((الشبر والذراع ودخول الجحر تمثيل للإقتداء والتقليد لهم))

ليس تقليد اليهود والنصارى المذموم هو تقبّاد التجارب العلمية معهم، و الاستفادة من مخترعاتهم و غير ذلك، إنما التقليد المذموم هو تقليدهم في الملابس، والعادات، وكيفية تعاملاتهم الإجتماعية و غير ذلك.

ولادة الأمة ربتها

من علامات الساعة التي أخبر عنها سيدنا رسول الله أن تلد الأمة ولدا يكون له السيادة عليها، وذلك بأن يطاء الرجل الحر أمته-أي جاريته المملوكة بملك اليمين- فتحمل منه، ثم تنجب ولدا، يصبح الولد شابا حرا، وأبوه حي وأمه لا تزال أمة مملوكة، فيكون الولد بمثابة السيد لأمه.

ففي حديث سيدنا جبريل أنه سأل سيدنا النبي عن الساعة، فقال: ((وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها)) [ق]

وقيل المعنى: بأن الإماء يلدن الملوك، فتصير الأم من جملة الرعية والملك سيد رعيته. [فتح الباري]

ظهور الكاسيات العاريات

أخبر سيدنا النبي أنه مع اقتراب الساعة سينتشر التبرج والسفور، وستخرج نساء يظهرن بألبسة ضيقة تصف أجسادهن، ويظهرن بألبسة شفافة تظهر عوراتهن. فهن كاسيات من حيث الظاهر، إلا أنهن عاريات بسبب ضيق لباسهن وظهور مفاتنهن.

فعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه:

أن سيدنا رسول الله قال ((صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)) [ق]

"مائلات": أي منحرفات عن طاعة الله، غير مستقيمات على طاعته.

"مميلات": أي يجعلن غيرهن ينحرف فهن مفسدات.

"رؤوسهن كأسمنة البخت" أي تلبس فوق شعرها حتى يبدو كأنه سنام بعير مرتفعاً.

تطاول الحفاة رعاة الشاء بالبنيان

أخبر سيدنا النبي أنه مع اقتراب الساعة سيظهر أناس يتباهون بالعمارات و البيوت بعد أن كانوا حفاة عراة يرعون الغنم.،و ذلك بعد فتوحات المسلمين و تكثر الخيرات والأموال، ويشيع التنافس على الدنيا.

فعن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

في حديث سيدنا جبريل ومحيئه لسيدنا لرسول الله وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان، وعن الساعة، أخبره عن أماراتها وذكر ((أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان)) [ق]

وفي رواية ((ورأيت الحفاة الجياع العالة كانوا رؤوس الناس، فذلك من معالم الساعة وأشراتها)) قيل: يا رسول الله ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة؟ قال: ((العرب)).

وإن رفع البيوت والعمارات ليس حراماً إذا كان فيه منافع، دون الفخر والخيلاء والكبر.

التطاول في البنيان يكون بتكثير طبقات البيوت، و تقوية البناء و تزويقه، و توسيع البيوت إلى غير ذلك...

كل ذلك واقع في زماننا الذي كثرت فيه الأموال و بسطت الدنيا على الناس.
والمقصود أن رعاة يتركون البادية التي كانوا فيها ليتجهوا للتطاول في البنيان،
والتنافس على وجه الكبر والفخر في بناء البيوت و الأبراج. كل يريد أن يكون بناؤه
أعلى من بناء الآخر.

تسليم الخاصة

من علامات الساعة تسليم الخاصة، أي أن الرجل لا يلقي السلام إلا على من
يعرفه، مع أن السنة هو إلقاء السلام على من نعرف ومن لم نعرف.

قال ((لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على
شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)) [م] (ش)

وعن أبي الجعد قال: لقي عبد الله رجل فقال: السلام عليك يا بن مسعود. فقال
عبد الله: صدق الله ورسوله، سمعت رسول الله وهو يقول ((إن من أشراط الساعة،
أن يمر الرجل بالمسجد، لا يصلي فيه ركعتين، وألا يسلم الرجل إلا على من
يعرف)). (الادب المفرد-ابن خزيمة)

ويروى أن رجلا سأل النبي : أي الإسلام خير؟ قال ((تطعم الطعام وتقرأ السلام
على من عرفت ومن لم تعرف)) (خ)

فشو التجارة ومشاركة المرأة زوجها: في التجارة وسيطرة بعض التجار على السوق
أخبر النبي أنه مع اقتراب الساعة، ستنتشر التجارة و سيشغل أغلب الناس بها
لسهولة أمرها، لدرجة أن تصبح المرأة مشاركة مع زوجها في إدارتها.

وهاتان العلامتان وردتا في حديث واحد فقد قال ((إن بين يدي الساعة تسليم
الخاصة، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة)) (احمد)

وعن عمرو بن تغلب أن سيدنا رسول الله قال ((إن من أشراط الساعة: أن يفشو المال ويكثر، وتفشو التجارة ويظهر الجهل ويبيع الرجل البيع، فيقول: لا، حتى أستأمر تاجر بني فلان، ويلتمس في الحي العظيم الكاتب لا يوجد)).(ن)

وقول النبي ((يبيع الرجل البيع فيقول: لا، حتى أستأمر تاجر بني فلان، ويلتمس في الحي العظيم الكاتب لا يوجد)) يفهم منه أن تجارا كبارا من أصحاب رؤوس الأموال، أو الوكلاء المعتمدون للسلع أو غير ذلك لعلمهم مسيطرون على السوق، ومتحكمون في الأسعار، فلا يستطيع التجار الصغار البيع في تجارتهم إلا بإذنهم. أو أنه يشترط عند البيع إثبات الخيار لتاجر آخر.

أما قوله ((ويلتمس في الحي العظيم الكاتب لا يوجد)) إضافة إلى إخباره في أحاديث أخرى بانتشار الكتابة، فيفهم أنه مع انتشار الأجهزة الحديثة من الكمبيوتر والهاتف المحمول وغيرها ينشأ جيل لا يتقن الكتابة باليد.

أو لعل المقصود بالكتابة هنا، من يكتب عقد التجارة، ويتقن شروط البيع وأحكامه، فيكتب بين الناس احتسابا غير طامع في مكافأة.

شهادة الزور

من علامات الساعة التي أخبر بها النبي شهادة الزور، وهي أن يكذب الإنسان في شهادته على الآخرين، فيشهد أن فلانا له الحق على فلان زورا.

فقد قال ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)) ثلاثا قالوا: بلى يا رسول الله. قال ((الإشراك بالله وعقوق الوالدين)) وجلس و ان متكئا فقال((ألا وقول الزور)).(ق)

وقد ورد في حديث آخر أنه قال((إن بين يدي الساعة ..و ذكر منها شهادة الزور)).

وشهادة الزور ليست فقط عند القاضي، بل هي عامة في كل شهادة، كشهادة الناس بين بعضهم البعض.

وعن سيدنا أبي أمامة الباهلي أن سيدنا رسول الله قال ((من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة)) فقال له رجل: و إن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ قال: ((و إن كان قضيباً من أراك)) [ق]

كتمان شهادة الحق

في آخر الزمان يأكل الناس حقوق بعضهم البعض، و يسكت من يعرفون الحقيقة عن التصريح بها حتى وإن كانوا قادرين على ذلك، قال تعالى (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه). (البقرة 283) فهم يقدمون مصالحهم الشخصية على أداء الشهادة وهذا من علامات الساعة.

قال الرسول ((إن بين يدي الساعة وذكر منها: وكتمان شهادة الحق)) (احمد)

ظهور الجهل

أخبر سيدنا النبي أنه مع اقتراب الساعة سيظهر الجهل وينتشر.

فقد قال ((إن بين يدي الساعة لأياما يرفع فيها العلم و ينزل فيها الجهل)) (ق_احمد)

وفي رواية ((إن بين يدي الساعة لأياما يرفع فيها العلم، و يفشو فيها الجهل)) (احمد)

وقال كذلك ((يأتي على الناس زمان لا يدري فيه ما صلاة؟ ما صيام؟ ما صدقة؟)) (جه)

كثرة الشح والبخل وقطيعة الرحم وسوء الجوار

من علامات الساعة التي أخبر بها سيدنا رسول الله ﷺ شيوخ أمراض نفسية، ومنها الشح والبخل. كما أخبر عن قطيعة الرحم و سوء الجوار

فعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

قال ((من أشرط الساعة أن يظهر الشح)) (طس)

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال ((لا يزداد الأمر إلا شدة و لا يزداد الناس إلا شحاً)) (الحاكم).

وقال ((يتقارب الزمان، و ينقص العمل، و يلقي الشح و يكثر المهرج)) (ق)

وقال ((لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة)). (احمد)

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

أن سيدنا رسول الله ﷺ قال ((والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل، ويخون الأمين ويؤتمن الخائن، ويهلك الوعول وتظهر التحوت)) قالوا: يا رسول الله ﷺ وما الوعول وما التحوت؟ قال ((الوعول وجوه الناس وأشرافهم، والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم)) (طس).

ظهور الفحش

أخبر سيدنا رسول الله ﷺ أن من علامات الساعة ظهور الفحش، وهو عند المسلمين التساهل باللباس العاري والألفاظ القبيحة والسباب واللعان.

حيث قال عليه الصلاة والسلام ((والذي نفس محمد بيده ، لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش)) (احمد)

تخوين الأمين وائتمان الخائن

من علامات الساعة تخوين الأمين أي أن يشك فيه و لا يوثق في أمانته و صدقه، بينما يؤتمن الخائن الكاذب المنافق.

قال رسول الله ((و الذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى (و ذكر منها:)و يخون الأمين و يؤتمن الخائن)) (طس).

عدم المبالاة بمصدر المال

من حرام أم من حلال

أخبر سيدنا رسول الله أنه من علامات الساعة أن لا يبالي الناس بمصدر المال حراما كان أو حلالا.

حيث قال ((ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمن حلال أم من حرام)) (خ)

فانفرط العقد ، وتساهل الناس بالوظائف والتجارات المحرمة ، كالذي يتاجر ببيع المخدرات والخمور ... أو يؤجر محلاته لمن يمارس تجارة محرمة.

* أن يتخذ الفيء دولا *

الفيء هو ما يغنمه المجاهدون من مال وغيره من غير قتال، إما بهرب العدو، أو استسلامه، ونحو ذلك فتقسم كما أمر الله تعالى بقوله (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم). (الحشر)

وفي آخر الزمان يخالف الناس قسمة الله تعالى، ويتقاسم الفيء الأغنياء ويتداولونه بينهم.

كما في حديث سيدنا أبي هريرة أن سيدنا رسول الله قال ((إذا اتخذ الفيء دولا، والأمانة مغرماً)) (ت)

* تعلم العلم لغير الله *

أي أن من يتعلم العلم من الناس لا يكون هادفاً للحصول على ثواب الله بل لغرض دنيوي ويكون ذلك من أشراط الساعة، فتعلم العلم لغير الله عند المسلمين لا يعطي الله عليه أجراً بل يحاسب صاحبه على ذلك فعن سيدنا عبد الله بن عمر، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا لغيرِ اللَّهِ ، أَوْ أَرَادَ بِهِ غيرَ اللَّهِ ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ . "

عن سيدنا أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ((إذا اتخذ الفيء دولا، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً ، وتُعلم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وأدنى صديقه، وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمر، ولعن آخر هذه الأمة أولها؛ فارتقبوا عند

ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسحاً وقذفا وآيات تتابع كنظام قطع سلكه
فتتابع)) (ت)

.وفسر ذلك التوربشتي وقال: (" وتعلم ") : بصيغة المجهول من باب التفعّل ("لغير
الدين ") ، قال الطيبي - رحمه الله : هو بالألف واللام ، كذا في جامع الترمذي ،
وجامع الأصول ، وفي نسخة المصاييح بغير اللام ، والأولى أولى ، أي :
رواية ودراية ، أي : يتعلمون العلم لطلب الجاه والمال لا للدين ونشر الأحكام بين
المسلمين ؛ لإظهار دين الله.

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من
تعلم علماً مما يتغنى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم
يجد عرف الجنة يوم القيامة)) (د) يعني ربحها.

ويبقى حديث انحسار الفرات عن جبل من ذهب. كما عند الترمذي.

فما هي الأمارات الكبرى ؟

يتبع 89 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس التاسع والثمانون

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

علامات الساعة الكبرى

إخوتي!

قال الإمام القرطبي رحمه الله في التذكرة: "أول الآيات:

ظهور الدجال،

ثم *نزول (سيدنا) عيسى* عليه السلام،

ثم *خروج يأجوج ومأجوج*،

فإذا قتلهم الله بالنغف في أعناقهم على ما يأتي، و قبض الله تعالى نبيه سيدنا عيسى عليه السلام، وخلت الأرض مئاً، وتطاوت الأيام على الناس، وذهب معظم دين الإسلام، أخذ الناس في الرجوع إلى عاداتهم، وأحدثوا الأحداث من الكفر والفسوق، كما أحدثوه بعد كلّ قائم نصبه الله تعالى بينه وبينهم حجةً عليهم ثم قبضه، فيخرج الله تعالى لهم:

دابة من الأرض،

فتميّز المؤمن من الكافر، ليرتدع بذلك الكفار عن كفرهم، والفسّاق عن فسقهم، ويستبصروا وينزعوا عمّا هم فيه من الفسوق و العصيان، ثمّ تغيب الدابة عنهم و يمهلون، فإذا أصرّوا على طغيانهم:

***طلعت الشمس من مغربها*:**

ولم يقبل بعد ذلك لكافر ولا فاسق توبة، وأزيل الخطاب والتكليف عنهم، ثم كان قيام الساعة على أثر ذلك قريباً، لأنّ الله تعالى يقول: "وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون*" (الزاريات 56)، فإذا قطع عنهم التّعبّد لم يقرهم بعد ذلك في الأرض زماناً طويلاً."

ومن الأحاديث التي وردت في ذكر علامات الساعة الكبرى، ما يلي: ظهور الدجال ومّا ذكر في الحديث عن

***ظهور الدّجال*،**

ما يلي :

عن سيدنا حذيفة رضي الله عنها قال: ذكر الدّجال عند رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - فقال: "لأنا لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدّجال، ولن ينجو أحدٌ ممّا قبلها إلّا نجا منها، وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة إلّا لفتنة الدّجال"، رواه أحمد.

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه، عن النبي - صلّى الله عليه وسلّم - قال: "ما بعث الله من نبيّ إلّا أنذر قومه الأعور الكذاب، إنّه أعور، وإنّ ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر"، رواه البخاري .

وعن سيدنا ابن عمر رضي الله عنه: "أنّ عمراً انطلق مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في رهطٍ قبل ابن صيّادٍ، حتى وجدوه يلعبُ مع الصبيان، عند أطم بني مغالة، وقد قارب ابن صيّادٍ الخُلم، فلم يشعُر حتى ضرب النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - بيده، ثم قال لابن الصيّاد: تشهدُ أُنّي رسولُ الله. فنظر إليه ابن صيّادٍ فقال: أشهدُ أنك

رسول الأميين. فقال ابن صياد للنبي صلى الله عليه وسلم: أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه وقال: آمنت بالله وبرسوله. فقال له: ماذا ترى. قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: خلط عليك الأمر. ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم: إني قد خبأت لك خبيئاً. فقال ابن صياد: هو الدُّخ. فقال: احسأ، فلن تعدو قدرك. فقال عمر رضي الله عنه: دغني يا رسول الله أضرب عنقه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن يكنه فلن تُسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله. وقال سالم: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: انطلق بعد ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبي بن كعب، إلى النخل التي فيها ابن صياد، وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئاً، قبل أن يراه ابن صياد، فراه النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو مضطجع، يعني في قطيفة له فيها رمزة أو زمرة، فرأت أم ابن صياد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يتقي بجذوع النخل، فقالت لابن صياد: يا صاف، وهو اسم ابن صياد، هذا محمد، صلى الله عليه وسلم، فثار ابن صياد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو تركته بيني، رواه البخاري. وعن أنس بن مالك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالة"، رواه مسلم.

***نزل سيدنا عيسى* على نبينا وعليه الصلاة والسلام:**

ومما ذكر في الحديث عن نزول سيدنا عيسى عليه السلام، ما يلي :

عن سيدنا أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "ليس بيني وبينه نبي - يعني سيدنا عيسى - وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه؛ رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، بين ممرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في

زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، فيصلي عليه المسلمون"، رواه أبو داود .

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها"، رواه البخاري.

وعن سيدنا أبي هريرة قال: حدثنا رسول الله أبو القاسم الصادق المصدوق: "إن الأعور الدجال - مسيح الضلالة - يخرج من قبل المشرق، في زمان اختلاف من الناس وفرقة، فيبلغ ما شاء الله من الأرض في أربعين يوماً، الله أعلم ما مقدارها، الله أعلم ما مقدارها (مرتين) ، وينزل الله عيسى بن مريم فيؤمنهم، فإذا رفع رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده، قتل الله الدجال، وأظهر المؤمنين"، رواه ابن حبان .

خروج يأجوج ومأجوج

من الأحاديث التي ذكرت يأجوج ومأجوج وخروجهما، ما يلي:

(عن السيدة زينب بنت جحش قالت: استيقظ النبي - صلى الله عليه وسلم - من النوم محمراً وجهه يقول: " لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرٍ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثرت الخبث"، رواه البخاري.

وعن سيدنا أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غداً، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله

أن يبعثهم على النَّاس، حفروا، حتَّى إذا كادوا يرون شعاع الشَّمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله تعالى واستثنوا، فيعودون إليه، وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على النَّاس، فينشفون الماء، ويتحصَّن النَّاس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السَّماء، فترجع عليها الدَّم الذي اجفَّ، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السَّماء، فيبعث الله نغفاً في أقفائهم فيقتلهم بها، قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم: والذي نفسي بيده إنَّ دواب الأرض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم"، رواه ابن ماجه.

خروج الدابة

من الأحاديث التي ذكرت خروج الدابة، ما يلي :

(عن سيدنا ابن عمرو قال: سمعت رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - يقول: " إنَّ أوَّل الآيات خروجاً طلوع الشَّمس من مغربها، وخروج الدابة على النَّاس ضحى، وأيّهما ما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على إثرها قريباً"، رواه مسلم .

عن سيدنا أبي أمامة قال: قال النَّبي صَلَّى الله عليه وسلَّم: " تخرج الدابة فتسم النَّاس على خراطيمهم، ثمَّ يغمرون فيكم، حتَّى يشتري الرَّجل البعير فيقول: مَن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطمين"، رواه أحمد.

رفع القرآن من الأرض

فعن سيدنا ابن مسعود قال: " لِيُنْتَزَعَنَّ هذا القرآن من بين أظهركم قلت: يا أبا عبد الرَّحمن كيف ينتزع وقد أثبتناه في مصاحفنا؟! قال: يسرى عليه في ليلة فلا يبقى في قلب عبد ولا مصحف منه شيء، ويصبح النَّاس فقراء كالبهائم، ثمَّ قرأ عبد الله: "

وَلَمَّا شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا "، الإسراء: 86
"، رواه الطبراني.

وعن سيدنا حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: " يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتّى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله، فنحن نقولها، فقال له صلة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرّون ما صلاة، ولا صيام، ولا نسك، ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثمّ ردّها عليه ثلاثاً، كلّ ذلك يعرض عنه حذيفة، ثمّ أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صلة تنجيهم من النار، ثلاثاً "، رواه ابن ماجه .

الدخان

عن سيدنا حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النّبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - علينا ونحن نتذاكر فقال: " ما تذكرون؟ قالوا: نذكر السّاعة، قال: إنّها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدّخان، والدّجال، والدّابة، وطلوع الشّمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم - صَلَّى الله عليه وسلّم - ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم "، رواه مسلم.

وعن سيدنا أبي هريرة أنّ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - قال: " بادروا بالأعمال ستّاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدّخان، أو الدّجال، أو الدّابة أو خاصة أحدكم، أو أمر العامّة "، مسلم.

و*ثلاثة خسوف*: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب.

وآخر ذلك:

نار تخرج من اليمن

تطرد الناس إلى محشرهم. أي إلى الشام ارض المحشر والمنشر.

موعد قيام الساعة

إنّ موعد قيام الساعة هو من الأمور الغيبية التي اختصّ بها الله عزّ وجلّ بعلمه وحده، ولم يطلع عليها أيّ نبيّ أو مرسل، قال تعالى:

"يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"، الأعراف/ 18. 7.

قال ابن كثير: "أمر تعالى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - إذا سُئِلَ عن الساعة، أن يردّ علمها إلى الله تعالى، فإنّه هو الذي يجليها لوقتها، أي: يعلم جليلة أمرها، ومتى يكون على التّحديد، لا يعلم ذلك إلا هو تعالى، ولهذا قال: "ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ".

مصادر ومراجع أمارات الساعة:

- كتاب "النهاية في الفتن والملاحم؛ لابن كثير،
- وإتحاف الجماعة بعلامات الساعة؛ للتوحيدي،
- وكتاب "القيامة الصغرى؛ للأشقر،
- وكتاب "أشراط الساعة؛ ليويسف الوابل.
- مراقبي العبودية، والقضايا الإيمانية للفقير.

يتبع 90 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس التسعون

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

نعيم القبر

إخوتي!

عقيدتنا أن نعيم القبر هو النعيم الذي يجازي الله به عباده المؤمنين الصالحين في القبر من لحظة وفاتهم إلى قيام الساعة والتي تسمى بـ *حياة البرزخ* ما بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

فنعيم القبر ثابت في القرآن الكريم والسنة النبوية.

أدلة نعيم القبر في القرآن الكريم

قال عز وجل:

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ). (فصلت 30)

وقال تعالى:

(فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا
تُبْصِرُونَ . فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَمَّا إِنْ كَانَ
مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ)(الواقعة)

وقال سبحانه:

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (آل عمران 69)

نعيم القبر في السنة النبوية

عن سيدنا أبي هريرة قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :إذا قبر الميت (أو قال أحدكم) أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نعم فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان نعم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ...).(ت-أحمد-د)

وعن سيدنا البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره : (ينادي منادٍ من السماء : أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابا إلى الجنة ، قال : فيأتيه من رَوْحها وطيبها ، ويفسح له في قبره مدَّ بصره).(أحمد-د-ن)

صفات نعيم القبر

ثبت في السنة النبوية صفات نعيم القبر بأنه:

يفرش له من فراش الجنة. يلبس من لباس الجنة. ويفتح له باب إلى الجنة ، ليأتيه من نسيمها ويشم من طيبها وتقر عينه بما يرى فيها من النعيم . ويفسح له في قبره

ويبشر برضوان الله وجنته. ولذلك يشتاق إلى قيام الساعة. يسر المتنعم برؤيته لمقعده في النار الذي أبدله الله بمقعده في الجنة. ينام نومة العروس. ينور له في قبره.

يتبع 91 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الواحد والتسعون

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

عذاب القبر

إخوتي!

في الأمور الغيبية جميعها التي لا يدركها العقل يجب أن نعتمد على القرآن الكريم وما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم. ولذلك كان هذا البحث ضمن السمعيات التي وردتنا من الكتاب العزيز والسنة الشريفة.

وقد ثبت سؤال القبر ونعيمه وعذابه في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الصحيحة.

فالله سبحانه وتعالى يقول في سورة سيدنا إبراهيم: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ). (إبراهيم 27)

والمراد بالحياة الدنيا مدّة حياتهم في هذه الدنيا ، والمراد بالآخرة ما يشمل سؤالهم في القبر، وسؤالهم في مواقف القيامة...

والمعنى: يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الصَّادِقِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِأَنْ يَجْعَلَهُمْ مَتَمَسِّكِينَ بِالْحَقِّ ثَابِتِينَ عَلَيْهِ طَوَالَ حَيَاتِهِمْ، وَيُثَبِّتَهُمْ أَيْضًا بَعْدَ مَمَاتِهِمْ بِأَنْ يُوَفِّقَهُمْ إِلَى الْجَوَابِ السَّادِقِ عِنْدَ سُؤْلِهِمْ فِي الْقَبْرِ، وَعِنْدَ سُؤْلِهِمْ فِي مَوَاقِفِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وقد ساق العلماء جملة من الأحاديث النبوية التي وردت في سؤال القبر وفي نعيمه أو عذابه منها:

ما روي عن سيدنا البراء بن عازب قال صلى الله عليه وسلم: (المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة).

كذلك من الآيات القرآنية التي أشارت إلى عذاب القبر قوله تعالى في فرعون وشيعته: (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب. (غافر 46)

أي أن فرعون وأتباعه يعرضون على النار في الدنيا أول النهار وآخره وهم في قبورهم، وكذلك يكون حالهم في الآخرة، إذ يقول الله تعالى لملائكة العذاب: أدخلوا فرعون وأتباعه إلى جهنم وبئس المصير.

قال الإمام القرطبي في تفسيره: الجمهور على أن هذا العرض في البرزخ، واحتج بعض أهل العلم في ثبوت عذاب القبر بهذه الآية، فقد قال بعض العلماء: هذه الآية تدل على عذاب القبر في الدنيا.

سؤال الملكين

وعن سؤال الميت في قبره وما يلقاه من نعيم أو عذاب إلى جانب بعض الآيات القرآنية التي تحدثت عن نعيم القبر وعذابه وردت أحاديث نبوية شريفة منها ما جاء في الصحيحين وغيرهما عن سيدنا أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أي ليسمع حركة انصرافهم أتاها ملكان فيقصدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل (أي في محمد صلى الله عليه وسلم)؟

فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله . فيقال له انظر إلى مقعدك من النار . (أي: إلى مقعدك الذي كنت ستعذب فيه لو لم تكن مسلماً) قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً.

وفي الصحيحين أيضاً عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال :

(إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير) (أي ما يعذبان من أجل شيء كبير في نظركم)، ثم قال صلى الله عليه وسلم: بلى أي إنه لكبير عند الله أما أحدهما: فكان يسعى بين الناس بالنميمة . . وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله)، وفي رواية أخرى: (وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله).

وجاء في كتب السنة أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو الله تعالى بقوله: (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال).

وروي عن هانئ مولى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقليل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي عند وقوفك على القبر؟

فقال: إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه المسلم فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه كان ما بعده أشد منه.

إن ما جاء به القرآن وما أخبرتنا به الأحاديث النبوية الصحيحة عن أحوال القبر من حيث السؤال والنعيم والعذاب يجب علينا أن نؤمن به إيماناً تاماً كاملاً عميقاً حتى نكون ممن قال الله تعالى فيهم (أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم).

وما دمنا نؤمن إيماناً عميقاً بنعيم القبر وعذابه، لأن الله تعالى قد أخبرنا بذلك عن طريق رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم كما أشارت الأحاديث النبوية السابقة فهل من حقنا أن نعرف كيف يكون هذا النعيم أو العذاب؟

الحقيقة أنه لا ينبغي أن يشغل المسلم نفسه بمعرفة كيفية هذا النعيم أو العذاب، لأن هذه الكيفية استأثر الله تعالى بعلم تفاصيلها.

الأشقياء والسعداء

وقد بين لنا القرآن الكريم أن الأشقياء سيشعرون بسوء عاقبتهم وهم في سكرات الموت، وأن السعداء سيحسون بحسن عاقبتهم وهم في اللحظات الأخيرة من حياتهم . قال تعالى: (*ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون*) (الأنعام: 93 .)

وقال سبحانه: (*إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون*) (فصلت: 30 .)
وعقيدتنا أن:

نعيم القبر وعذابه يكونان على روح الإنسان وجسده معاً...

ما عليه سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أيضاً، ويحصل معها النعيم أو العذاب ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقام الأموات من قبورهم لرب العالمين، ومعاد الأبدان متفق عليه عند كل أتباع الأديان السماوية .

وقال بعض العلماء:

السؤال يقع على الروح فقط من غير عود إلى الجسد،

وخالفهم الجمهور فقالوا: *تعاد الروح إلى الجسد أو بعضه كما ثبت في الحديث.*

يتبع 92 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الثاني والتسعون

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

الروح

إخوتي !

الروح خلق من أعظم مخلوقات الله شرفها الله تعالى وكرمها غاية التشريف والتكريم فنسبها لذاته العلية في كتابه القرآن قال الله تعالى . ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29)﴾ (سورة الحجر)

ومن جلالة وعظمة هذا التشريف لهذا المخلوق أن الله اختص بالعلم الكامل بالروح فلا يمكن لأي مخلوق كائن من كان أن يعلم كل العلم عن هذا المخلوق إلا ما أخبر به الله تعالى.

قال المولى تبارك وتعالى في كتابة العزيز {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} صدق الله (العظيم الإسراء 85)

نزلت هذه الآية على الرسول عليه الصلاة والسلام عندما سئل عن الروح فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية الكريمة.

فحقيقة الروح أنها ربانية لا يعلمها إلا الله سبحانه، ولقد خاض كثير من العلماء والفلاسفة المسلمين في الوصول إلى معرفة الروح وماهيتها فعجزوا عن إدراكها واعتبروها قوة خارقة تجعل الجماد حياً وتجعله يحس ويشعر.

تعريف الروح

وعرفها العلماء بأنها جسم خفيف حي متحرك علوي نوراني، يسري في جسد الإنسان كما يسري الدهن في العود، وكما تسري النار في الفحم، فما دام هذا الجسد قابلاً لهذه الإفاضات ولهذه الإمدادات من هذا الروح، فإن الروح تبقى عامرة لهذا الجسد، فإذا خرب ذلك الجسد ولم يبق محلاً لهذه الروح، ولا قابلاً للإفاضات منها، ولا للحركات، أذن الله تعالى لخروج هذه الروح من هذا الجسد فبقي هامداً.

وعرفها مولانا الإمام الغزالي رحمه الله تعالى فقال هي " جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني، فينشر بواسطة العروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن، وجريانه في البدن، وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها، يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت، فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به، والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان، والروح مثالها السراج، وسريان الروح وحركته في الباطن، مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركة، والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى.

ثم قال أيضاً : هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان.

وعرفها الإمام فخر الدين الرازي فقال :

إذا دخلت الروح الجسد سمي نفساً , وبها تحسُّ النفسُ وتشعرُ وتبصرُ وتسمعُ وتشمُّ وتذوقُ.

وعرفها ابن سينا فقال : إن الروح تمنح الجسد المادي، بواسطة النفس كل ما يتخيل ويفكر ويذكر.

وهنا نجد اتفاقاً بينهم ابن القيم والغزالي وابن سينا والرازي على أن الروح هي أساس حياة الجسم البشري وهي التي تميز الإنسان بالإدراك والحركة وغيره، وليس معنى هذا أن الروح هي قائد الإنسان إلى عمل الخير والشر، فهناك فارق كبير بين الروح والنفس.

فالروح هي أمر الله يحول كل شيء جامد إلى حي فيه الحس والشعور والحركة وهي من الغيبات التي لم يطلع الله عليها أحداً من خلقة يقول تعالى (وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء: 85)

وقال ابن القيم ان الروح تنفصل عن الجسد بطرق عدة هي:

- 1- الانفصال عند النوم وهذا ما يحدث لكل إنسان عند نومه يقول تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى). (الزمر: 42)

- 2- الانفصال عند الموت : وهذا يحدث للإنسان مرة واحدة فهي انفصال كامل للروح عن الجسد يقول تعالى (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور). (آل عمران 158)

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (العنكبوت: 57.)

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (العنكبوت: 57)

فهنا يقول الله تعالى ان النفس هي ذائقة الموت وليس الروح

وقال ابن القيم :إن الروح تمر بأربعة مراحل عند قبضها وهي:

- 1- الاحتضار.

- 2- سكرة الموت.

- 3- الصعود الى السماء .

- 4- البرزخ.

بقاء الروح في القرآن

هناك عدة آيات في القرآن الكريم أشارت صراحة أو تلميحاً إلى بقاء الروح واستقلالها وعدم فنائها بفناء البدن، من ذلك ماورد في الآية 170 من سورة آل عمران بشأن الشهداء في سبيل الله:

{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.} (آل عمران 169)

فالآية صريحة في بقاء أرواح الشهداء، وهذا الحكم لا يختص بالشهداء في سبيل الله، وذلك لعدم وجود الفارق بين روح هؤلاء والآخرين من حيث المادية وعدمها، وإن اقتصر الذكر عليهم فذلك لأن الكلام كان بشأن وضع الشهداء من قبل الناس. كما ورد في الآية 46 من سورة غافر: { النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ.} (غافر 46).

هذه الآية أيضا وإن كانت في آل فرعون، إلا أن المسلم به أنها لا تختص بهذه الحفنة من الظلمة والآثمة، وعليه فالآيتان تفيدان أن لأرواح المحسنين والمسيئين بعد الموت الحياة البرزخية، ولذلك فهي من الأدلة على استقلال الروح.

يتبع 93 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الثالث والتسعون

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

انتفاع الأموات بسعي الأحياء

إخوتي!

الأصل في أعمال العباد أنّ ثوابها لفاعليها، أمّا ما أهدى فاعله ثوابه لغيره، أو أدّاه نيابةً عن الغير من الأحياء أو الأموات، فالحكم بصحة الإنابة أو عدمها، و بلوغ ثوابه لمن وهب إليه أو عدمه، يختلف باختلاف العمل، إذ رُخص في بعض أنواعه بالنصّ، واختلف في أنواع أُخر.

و فيما يلي بيان ذلك مقروناً بأدلّته:

أولاً : ما لا خلاف في انتفاع الميت به وإن كان من سعي غيره، وهو:

***الصدقة الجارية**، وهي التي حُسِّنَ أصلُها، وأجرى نفعها، كحفر الآبار، ووقف الضياع و الديار، وبناء المساجد، ونحو ذلك من وجوه الخير.

***والعلم النافع** (ويدخل فيه التصنيف والتأليف والتحقيق والتعليم وطباعة الكتب النافعة ونشرها، والدعوة إلى الله بأيّ وسيلة مشروعة، وما إلى ذلك).

***ودعاء الولد الصالح لوالديه أحدهما أو كلاهما.**

والدليل على ما تقدّم ما رواه مسلم (1631)، و أصحاب السنن عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه و سلّم قال : (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ)

انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ. (

و في سنن ابن ماجه أيضاً بإسنادٍ صحيح (3660) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ : أَنَّى هَذَا ؟ فَيَقَالُ : بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ. (

و ما رواه ابن ماجه في سننه بإسناد حسن عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (إِنْ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَه، أَوْ مَصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاه، أَوْ بَيْتًا بَنَاه لِابْنِ السَّبِيلِ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاه، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، تَلَحُّقَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ).

قلتُ : ومن العِلْمِ النافعِ الذي ينفع الميت بعد موته، نشر السنن و إماتة البدع، والسعي في ذلك بين الناس عن عِلْمٍ وبصيرة، لما رواه مسلم عن سيدنا جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها و أجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم).

*الصدقة عن الميت:

وينتفع الميت بصدقة الحي عنه، لما رواه البخاري (1388) عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا (أي ماتت فجأة) وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا ؟ قَالَ : (نَعَمْ).

و في الصحيح أيضاً (2756) عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تُوفِّيَتْ أُمُّهُ وَ هُوَ غَائِبٌ عَنْهَا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي تُوفِّيَتْ وَ أَنَا غَائِبٌ عَنْهَا أَيْنَفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا ؟ قَالَ : (نَعَمْ) قَالَ : فَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ حَائِطِي الْمَخْرَافَ (اسم لبستان كان له) صَدَقَةٌ عَلَيْهَا.

وروى مسلم وابن ماجه والنسائي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ أَبِي مَاتَ، وَتَرَكَ مَالًا وَلَمْ يُوصِ، فَهَلْ يُكَفَّرُ عَنْهُ أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهُ ؟ قَالَ : (نَعَمْ).

وقد حكى الإمام النووي رحمه الله الإجماع على وصول الدعاء للميت، وأن أداء الدَّين عنه يجزئه، وكذا سائر الصدقات، تقع عن الميت ويصله ثوابها من ولده أو غيره [شرح صحيح مسلم : 7 / 90 و 8 / 23].

قلتُ : والصدقة عن الميت غير مقيدة بالصدقة الجارية، بل الأمر على عموميه، ومما يدل على ذلك فعله صلى الله عليه و سلم، حيث أشرك غيره في أضحيته—

والأضحية ليست من الصدقات الجارية — و قال عند ذبحها : (بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ) [رواه مسلم : 1967]، مع أن في آله الأَطْهَارِ أحياء و أموات، و الأضحية عن الميت صدقة و ليست واجبة.

*الحج عن الميت:

ويُشرع الحج عن الميت، و يجزئه إذا كان النائب أدّى الفريضة عن نفسه أولاً، لما رواه مسلم في صحيحه (1149) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ : إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّي بِجَارِيَةٍ، وَ إِنِّهَا مَاتَتْ . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَجِبَ أَجْرُكَ وَرَدَّهَا عَلَيْكَ الْمِيرَاثُ) قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا صَوْمٌ

شَهْرٍ أَفْصُومُ عَنْهَا ؟ قَالَ : (صُومِي عَنْهَا) ، قَالَتْ : إِنَّهَا لَمْ تَحُجَّ قَطُّ ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا ؟ قَالَ : (حُجِّي عَنْهَا) .

قلتُ : ولا فرق في الحكم في الحج عن الميت بين حجة الفريضة، وما أوجبه الميت على نفسه بنذر، لحديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ ، فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا ؟ قَالَ : (نَعَمْ ، حُجِّي عَنْهَا أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَتَهُ ؟) قَالَتْ : نَعَمْ . فَقَالَ : (اقْضُوا اللَّهَ الَّذِي لَهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ) [رواه البخاري : 7315] .

وفي هذا الحديث أيضاً دليل على مشروعية أداء الدين عن المتوفى وفي ذمته شيء من حقوق العباد، وهو من قبيل الصدقة عنه، إذا لا يجب عن الأحياء إلا أن يتطوعوا.

* الصوم عن الميت :

ويُشرع الصوم عن الميت، لما رواه الشيخان، عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن أُمِّي ماتت، وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ؟ قال : (لو كان على أُمِّكَ دين أكنت قاضيه عنها ؟) قال: نعم . قال: (فدين الله أحق أن يُقضى) .

ويدل عليه أيضاً حديث سيدنا بريدة رضي الله عنه الذي رواه مسلم، وقد تقدّم آنفاً .

وفي الحديث المتفق على صحته عن السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) .

وهذا في الصيام الواجب، كصوم رمضان، وصوم النذر، والكفارة، أمّا ما سقط عن العبد في حياته، فلا يقضى عنه بعد وفاته، كمن وجب عليه الصوم وهو زمن فمات قبل أن يبرأ، أو أفطر في سفرٍ مباح، ومات في سفره ذلك، فلا قضاء عليه، ولا على وليّه لكونه معذوراً، وتجب الكفارة عوضاً عن القضاء في هذه الحالة.

أمّا الحج والصيام عن الميت تنقلاً، فلا أعلم دليلاً على مشروعيتها، وإن قال به جماعة من أهل العلم.

وخلاصة ما تقدّم أنّ من الأعمال الصالحة ما يُشرع أدائه عن الميت، وينتفع به بعد موته بالاتفاق؛ كالدعاء والصدقة مطلقاً، والحج والصوم الواجبين، ولا فرق في ذلك كلّ بين أن يؤدّيه عن الميت قريب أو غريب، لعموم الأدلة، وما حُصّ الولد الصالح بالذكر إلا لقربه من الميت، ولكون ما يقوم به تجاه والديه من البرّ الواجب عليه تجاههما، فكان تخصيصه تذكيراً له بحقّ والديه وتنبهاً إلى ما ينبغي أن يقوم به من البرّ بهما بعد موتهما، وللوالدين بواجبهما في تنشئته تنشئةً صالحاً، لأنّ الانتفاع بعد الممات يكون بدعاء الولد الصالح (و ليس أيّ ولد)، والله أعلم.

قلتُ : و من المناسب في هذا المقام أن نتناول بالبيان مسألة قراءة القرآن عن الميت، أو التصدّق عليه بثواب القراءة أو مثل ثوابها، كما هو الشائع في معظم أمصار المسلمين اليوم.

فهل يصل ثواب قراءة القرآن الكريم إلى الميت ؟

هذه مسألة خلافيّة قديمة، و لأهل العلم فيها قولان معروفان:

القول الأوّل : أنّه لا يصل، وهذا هو المشهور من مذهب مولانا الإمام الشافعي رحمه الله، ويؤيّد عدم ورود النصّ المجوّز للقراءة عن الميت، فتكون القراءة غير واردة،

لأنَّها عبادة ، والأصل في العبادات التوقيف، وعليه فلا يثاب فاعلها، ولا ينتفع بها من وَهَبَتْ إليه.

وقد ذَهَبَ إلى هذا القول طائفة من المحققين المعاصرين.

القول الثاني : أنَّ ثواب القراءة يصل إلى الميت، وهذا مذهب الجمهور (الأئمة الثلاثة، وجماعة من أصحاب الإمام الشافعي وغيرهم)، بل زُعمَ على وُصوله الإجماع السكوتي.

ففي المغني لابن قدامة : قال أحمد بن حنبل : الميت يصل إليه كل شيء من الخير، للنصوص الواردة فيه، ولأنَّ المسلمين يجتمعون في كل مصر، ويقرؤون، ويُهدون لموتاهم من غير نكير، فكان إجماعاً . اهـ.

والقول بوصول الثواب إلى الميت هو اختيار ابن تيمية رحمه الله، وقد انتصر له في غير موضع من كتبه، وتابَّعه على ذلك تلميذه ابن القيم غفر الله لهما، وحجَّته عدم ورود النهي، وأنَّه يقاس على ما أخبر الشارع بانتفاع الأموات بها، وبلوغهم ثوابها إذا أُهدي إليهم، كالدعاء والصدقة والصوم والحج.

قال ابن تيمية غفر الله له : (أما القراءة، والصدقة وغيرهما من أعمال البر؛ فلا نزاع بين علماء السُّنة والجماعة في وصول ثواب العبادات المالية؛ كالصدقة والعنق، كما يصل إليه أيضاً الدعاء والاستغفار، والصلاة عليه صلاة الجنازة، والدعاء عند قبره .

وتنازعوا في وصول الأعمال البدنية؛ كالصوم، والصلاة، والقراءة، والصواب : أن الجميع يصل إليه ... وهذا مذهب أحمد، وأبي حنيفة، وطائفة من أصحاب مالك، والشافعي .

وأما احتجاج بعضهم بقوله تعالى: (وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) [النجم : 39] ؛ فيقال له: قد ثبت بالسنة المتواترة وإجماع الأمة أنه يصلى عليه، ويدعى له، ويستغفر له، وهذا من سعي غيره، وكذلك قد ثبت ما سلف من أنه ينتفع بالصدقة عنه والعتق، وهو من سعي غيره، وما كان من جوابهم في موارد الإجماع؛ فهو جواب الباقي في مواقع النزاع، و للناس في ذلك أجوبة متعددة .

لكن الجواب المحقق في ذلك أن الله تعالى لم يقل : إن الإنسان لا ينتفع إلا بسعي نفسه؛ وإنما قال : (لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)؛ فهو لا يملك إلا سعيه ولا يستحق غير ذلك، وأما سعي غيره؛ فهو له، كما أن الإنسان لا يملك إلا مال نفسه ونفع نفسه، فمال غيره، ونفع غيره هو كذلك للغير، لكن إذا تبرع له الغير بذلك جاز .

وهكذا هذا إذا تبرع له الغير بسعيه نفعه الله بذلك، كما ينفعه بدعائه له والصدقة عنه،

ولذا قالوا لو وهب مثل ثواب عمله للميت وصله من باب الدعاء و هو ينتفع بكل ما يصل إليه من كل مسلم، سواء كان من أقاربه أو غيرهم، كما ينتفع بصلاة المصلين عليه و دعائهم له عند قبره . (

أما عن التفضيل بين العبادات التي تؤدى عن الميت، ويهدى إليه ثوابها، فالحال على ما هو عليه بالنسبة للحَيِّ ولا فَرْق . والأفضل ما كان أنفع في نفسه، فالعتق عنه، والصدقة، أفضل من الصيام عنه، وأفضل الصدقة ما صادفت حاجة من المتصدق عليه، وكانت دائمة مستمرة، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم:(أفضل الصدقة سقي الماء)(أحمد - د.ن - ج هـ) ، وهذا في موضع يقل فيه الماء، ويكثر فيه العطش، وإلا فسقي الماء على الأنهار والفُني لا يكون أفضل من إطعام الطعام

عند الحاجة، وكذلك الدعاء، والاستغفار له، إذا كان بصدق من الداعي وإخلاص وتضرع، فهو في موضعه أفضل من الصدقة عنه كالصلاة على الجنازة، والوقوف للدعاء على قبره.

يتبع 94 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس الرابع والتسعون

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

تغير النظام الكوني

إخوتي!

الحياة في الآخرة هي نشأة ثانية تقوم على نظام جديد يكتسب صفة الخلود، ويشتمل على محض السعادة أو الشقاء، ويتم ذلك بعد تغير النظام السائد في النشأة الدنيا القائمة على الزوال والفناء، قال تعالى : (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ .) (إبراهيم 48)

وقد وصف الله تعالى ذلك التغير الحاصل في السماوات والأرض في آيات كثيرة، يدلّ مضمونها على تسيير الجبال ونسفها حتى تكون قاعاً صفصفاً، أو كثيباً مهيلاً، أو كالعهن المنفوش، وتفجير البحار وتسجيرها، وتكون الأرض بارزةً كما دحاها أول مرة، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، ثم تتزلزل وترتجف وتندك، وتكور الشمس، ويخسف القمر، وتتهافت النجوم وتنكدر ويذهب نورها، وتحمّر السماء، فتكون وردةً كالدهان، وتنشقّ وتتصدّع، وتطوى كطيّ السجل للكتب.

يقول أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه في وصف ذلك اليوم:

«يوم عبوس قمطير، ويوم كان شرّه مستطيراً، إنّ فرع ذلك اليوم ليرهب الملائكة الذين لا ذنب لهم، وترعد منه السبع الشداد، والجبال الأوتاد، والأرض المهاد، وتنشقّ السماء فهي يومئذ واهية، وتتغير فكأثما وردة كالدهان، وتكون الجبال كثيباً مهيلاً بعدما كانت صمّاً صلاباً» . . .

فكيف تقوم الساعة يوم الجمعة، ويوم الجمعة يختلف باختلاف الأقطار والبلدان ؟

إخوتي!

تقوم الساعة يوم الجمعة، وهو يوم واحد في كل العالم .

روى النسائي في " السنن " (127 / 3)، وابن حبان في " صحيحه "

(2772)، والحاكم في " المستدرک " (1030) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تَيْبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ تُصْبِحُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُصْبِحَةً، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ؛ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلَّا ابْنَ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا مُؤْمِنٌ، وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ، يَسْأَلُ اللَّهُ فِيهَا شَيْئًا؛ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ.)

قال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ،

وقيام الساعة من أمر الله تعالى الذي لا يعلمه على الجلية والتعيين إلا هو سبحانه وتعالى، وقبيل قيامها يتغير نظام العالم، من الليل والنهار، والشمس والقمر، والنجوم والأفلاك، ولا يقاس ذلك اليوم بهذه الأيام التي نحيهاها، فإنه بقيام الساعة يتغير العالم العلوي والسفلي.

فأمر الساعة أمر عظيم، وشأن مهيب، يختلف فيه الحال عما هو عليه الآن يتوقف فيه الزمان، فليس الزمان كالزمان، ولا الليل كالليل، ولا النهار كالنهار، ولا الأفلاك كالأفلاك، إنه خراب الأرض وزوالها، وزوال أملاكها وأفلاكها، وبحارها وجبالها، فلا يعلم حقيقة الحال يومئذ إلا الله، وليس علينا إلا الإيمان والتسليم.

بل أدل من ذلك كله : أن التوقيت الذي يوقته الناس سوف يختل أمره، لأن مبناه على طلوع الشمس وغروبها، وذلك كله سوف يتغير قبل أن تقوم الساعة: روى البخاري (3199)، ومسلم (159)، واللفظ له، عَنْ أَبِي ذَرٍّ : " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا: (أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟)، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : (إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكَ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ ؟ ذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا) [الأنعام: 158].

فإذا اختل نظام الشمس، طلوعها وغروبها ؛ فكيف يُتحكم بنظام مبني على حركتها، وطلوعها، وغروبها ؛ وحال ذلك كله، في ذلك الحين : لا يعلمه إلا رب العالمين، علام الغيوب ؟!

إن على العبد أن يستدرك ما فاته من أمره، ويتدارك نفسه بالتوبة النصوح إلى الله جل جلاله، قبل أن يأتي يوم.. لا تنفع فيه التوبة، ويسارع إلى ربه بالعمل الصالح، قبل أن يأتي زمان، لا ينفع فيه العبد أن يصلح من أمره، ما أفسده في الزمان الأول.

يتبع 95 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الخامس والتسعون

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

البعث

(من القبر إلى المقر)

إخوتي!

قال الله تعالى (إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون) الأنعام 93.

يعذب في القبر الكافر والمنافق والمؤمن....

وأما نعيم القبر فهو للمؤمن فقط يعذب المؤمن في قبره على جهله بالله وإضاعة أمره وارتكاب معاصيه.

والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران .

المعاصي المعدّبات في القبر:

×عدم التنزه من البول فيكون على نجاسة بعد قضاء الحاجة .

×النميمة (يفسد بين اثنين بالكذب .)

×الغلول (ما أخذه من الغنيمة بغير وجه حق)

×الكذب (يشرشر شذقه حتى يبلغ قفاه .)

× هجر القرآن (يضر رأسه بالحجارة .)

× الزنا (يعذب في التنور ويتوقد من تحته النار .)

× الربا (يسبح بنهر الدم ويلقم بالحجارة .)

× الدّين (يحبس بدينه عن الجنة .)

*المنجيات من عذاب القبر :

× الصلاة والصيام والزكاة وفعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس .

× الاستعاذة بالله من عذاب القبر

*المعصومون من عذاب القبر . :

× الشهيد .

× المرابط (ويأمن فتنة القبر من مات مرابطاً في سبيل الله .)

× الذي يموت يوم الجمعة قال الرسول صلى الله عليه وسلم (ما من مسلم يموت يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر) رواه احمد والترمذي .

× الذي يموت بداء البطن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره) أخرجه النسائي و الترمذي حسنه

النفخ في الصور

النفخ معروف، والصور هو قرن عظيم التقمه (سيدنا إسرافيل) ينتظر متى يؤمر بنفخه.

*عدد النفخات:

نفخة الفزع : يفرع الناس ويصعقون إلا من شاء الله (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) الزمر 68.

نفخة البعث : يقوم الناس من قبورهم (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) يس 51

*كيف تنعمون:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن . وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ قال المسلمون : فكيف نقول يا رسول الله ؟ قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل . توكلنا على الله ربنا . "

(ت)

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أن طَرْفَ صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان . " (حا) وصححه ووافقه الذهبي

*متى ينفخ في الصور :

قال عليه الصلاة والسلام " ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة " (م)

عن سيدنا أوس بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي " . رواه أبو داود والنسائي وابن

ماجه

*كم بين النفختين .:

عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما بين النفختين أربعون " قالوا " يا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ " قال : "أبيت"، قالوا : " أربعون شهراً ؟ " قال : " أبيت " قالوا : " أربعون سنة " قال : "أبيت" . رواه مسلم
معناه: أبيتُ أن أجزم أن المراد أربعون يوماً أو سنة أو شهر.....

*المطر قبل النفخة الثانية: *

قال عليه الصلاة والسلام : " ثم يرسل الله مطراً كأنه الطلل أو الطل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون " رواه مسلم

البعث

هو إحياء الأموات يوم القيامة
قال تعالى " يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد " المجادلة 6.

قال عليه السلام " يبعث كل عبد على ما مات عليه " رواه مسلم

خواص الإنسان يوم البعث :

إن الإنسان يخلق خلقاً جديداً وفيه خصائص جديدة فمثلاً لا يموت مهما أصيب أو عذب وينظر إلى الملائكة والجن .

*أول من تنشق عنه الأرض : *

قال عليه الصلاة والسلام:

"أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر " رواه مسلم .
وقال عليه الصلاة والسلام:

"لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق أو كان ممن استثنى الله عز وجل " رواه البخاري .

*صفة البعث :

-يبعث الناس من قبورهم عراة حفاة غير مختونين (أي غير متطهرين) قال تعالى :
" يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا
إنا كنا فاعلين " . الانبياء104

-يُبْعَثُ المحرّم ملبياً أو يبعث الشهيد جرحه يَنْعَبُ دماً، اللون لون الدم والريح ريح
المسك .

-يستحب أن يلقن الميت الشاهدة حتى يبعث عليها فيكون من أهل الجنة .

*نمو الإنسان :

والإنسان يتكون في اليوم الآخر من عظم صغير اسمه (عجب الذنب) العجب
آخر كل شيء، عندما يصيبه الماء ينمو كما قاله عليه الصلاة والسلام : " ثم ينزل
من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، وليس في الإنسان شيء الا بلي إلا عظم
واحد عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة " رواه مسلم .

يتبع 96 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس السادس والتسعون

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

ترتيب أحداث القيامة

إخوتي!

الذي قرّره المحققون من أهل العلم أنّ ترتيب ما يحصل يوم القيامة كالتالي:

1 - إذا بُعث الناس وقاموا من قبورهم ذهبوا إلى أرض المحشر، ثم يقومون في أرض المحشر قياماً طويلاً، تشتد معه حالهم وظمؤهم، ويخافون في ذلك خوفاً شديداً؛ لأجل طول المقام، ويقينهم بالحساب، وما سيُجري الله - عز وجل - عليهم.

2- فإذا طال المقام رَفَعَ الله - عز وجل - لنبهه صلى الله عليه وسلم أولاً حوضه المورود، فيكون حوض النبي صلى الله عليه وسلم في عرصات القيامة، إذا اشتد قيامهم لرب العالمين، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

فمن مات على سنته، غير مَغَيَّرٍ ولا مُحْدِثٍ ولا مُبَدِّلٍ: وَرَدَ عليه الحوض، وسُقِيَ منه، فيكون أول الأمان له أن يكون مَسْقِيّاً من حوض نبينا صلى الله عليه وسلم، ثم بعدها يُرْفَعُ لكل نبي حوضه، فيُسْقَى منه صالح أُمته.

3- ثم يقوم الناس مُقاماً طويلاً، ثم تكون الشفاعة العظمى - شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم - بأن يُعَجَّلَ الله - عز وجل - حساب الخلائق، في الحديث الطويل المعروف: أنهم يسألونها آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم، إلى آخره، فيأتون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون له: يا محمد، ويصِفُونَ له الحال، وأن يقي الناس الشدة بسرعة

الحساب، فيقول صلى الله عليه وسلم بعد طلبهم اشفع لنا عند ربك، يقول (أنا لها ، أنا لها)، فيأتي عند العرش، فيخر فيحمد الله - عز وجل - بمحامد يفتحها الله - عز وجل - عليه، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، وسل تُعط واشفعُ تُشفعُ). فتكون شفاعته العظمى في تعجيل الحساب .

- 4- بعد ذلك يكون العرض - عرض الأعمال. -

- 5- ثم بعد العرض يكون الحساب.

- 6- وبعد الحساب الأول تتطايير الصحف، والحساب الأول من ضمن العرض؛ لأنه فيه جدال ومعاذير، ثم بعد ذلك تتطايير الصحف، ويؤتَى أهل اليمين كتابهم باليمين ، وأهل الشمال كتابهم بشمالهم، فيكون قراءة الكتاب.

- 7- ثم بعد قراءة الكتاب : يكون هناك حساب أيضاً لقطع المعذرة ، وقيام الحجة بقراءة ما في الكتب.

- 8- ثم بعدها يكون الميزان ، فتوزن الأشياء التي ذكرنا.

- 9 - ثم بعد الميزان ينقسم الناس إلى طوائف وأزواج؛ أزواج بمعنى كل شكل إلى شكله، وثَقَامُ الأُلوية -أُلوية الأنبياء- لواء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولواء سيدنا إبراهيم ، ولواء سيدنا موسى... إلى آخره، ويتنوع الناس تحت اللواء بحسب أصنافهم، كل شَكْلٍ إلى شكله.

والظالمون والكفرة أيضاً : يُحْشَرُونَ أزواجاً، يعني متشابهين كما قال: (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ* مِنْ دُونِ اللَّهِ) الصافات/22-23؛ يعني بأزواجهم: أشكالهم ونُظَرَاءَهُمْ، فيُحْشَرُ علماء المشركين مع علماء المشركين، ويُحْشَرُ الظلمة مع الظلمة، ويُحْشَرُ منكرو البعث مع منكري البعث، وهكذا.

- 10- ثُمَّ بَعْدَ هَذَا يَضْرِبُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الظُّلْمَةَ قَبْلَ جَهَنَّمَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ،
فَيَسِيرُ النَّاسُ بِمَا يُعْطَوْنَ مِنَ الْأَنْوَارِ ، فَتَسِيرُ هَذِهِ الْأُمَّةُ وَفِيهِمُ الْمُنَافِقُونَ ، ثُمَّ إِذَا سَارُوا
عَلَى أَنْوَارِهِمْ ضَرَبَ الشُّورَ الْمَعْرُوفَ (فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ
الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى)
الحديد/13-14. الْآيَاتُ؛ فَيُعْطِي اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْمُؤْمِنِينَ النُّورَ ، فَيُبْصِرُونَ
طَرِيقَ الصِّرَاطِ ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَلَا يُعْطَوْنَ النُّورَ ، بَلْ يَكُونُونَ مَعَ الْكَافِرِينَ يَتَهَافَتُونَ
فِي النَّارِ ، يَمْشُونَ وَأَمَامَهُمْ جَهَنَّمُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .

- 11- ثُمَّ يَأْتِي سَيِّدُنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلًا وَيَكُونُ عَلَى الصِّرَاطِ ، وَيَسْأَلُ
اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُ وَلِأُمَّتِهِ فَيَقُولُ : (اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ وَسَلِّمْ) ؛ فَيَمُرُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَمُرُّ أُمَّتُهُ عَلَى الصِّرَاطِ ، كُلُّ يَمْرٍ بِقَدْرِ عَمَلِهِ ، وَمَعَهُ نُورٌ أَيْضًا
بِقَدْرِ عَمَلِهِ ، فَيَمْضِي مَنْ غَفَرَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُ ، وَيَسْقُطُ فِي النَّارِ ، فِي طَبَقَةِ
الْمُوحَّدِينَ ، مَنْ شَاءَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ يُعَذِّبَهُ .

ثُمَّ إِذَا انْتَهَوْا مِنَ النَّارِ : اجْتَمَعُوا فِي عَرَصَاتِ الْجَنَّةِ ، يَعْنِي فِي السَّاحَاتِ الَّتِي أَعَدَّهَا
اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لِأَنَّ يُقْتَصَّرَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَيُنْفَى الْغُلُّ حَتَّى
يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ غُلٌّ .

- 12- فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَوَّلَ الْأَمْرِ ، بَعْدَ سَيِّدُنَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَقَرَاءُ
الْمُهَاجِرِينَ ، فَقَرَاءُ الْأَنْصَارِ ، ثُمَّ فَقَرَاءُ الْأُمَّةِ ، وَيُؤَخَّرُ الْأَغْنِيَاءُ لِأَجْلِ الْحِسَابِ الَّذِي
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخَلْقِ ، وَلِأَجْلِ مُحَاسَبَتِهِمْ عَلَى ذَلِكَ .

يتبع 97 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس السابع والتسعون

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

حوض سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم

إخوتي!

تتجلى رحمة الله تعالى يوم القيامة حين تدنو الشمس من الرؤوس، ويتمكن العطش من الناس، ويشتد الكرب بهم حتى يطلبوا بدء الحساب، تتجلى رحمة الله يومئذ بالمؤمنين، إذ لم يتركهم عطشى يعانون الظمأ، بل أكرمهم بحياض يشربون منها، وجعل لكل نبي من الأنبياء حوضا يشرب منه هو وأتباعه، كما قال - صلى الله عليه وسلم -: (إن لكل نبي حوضا، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردا، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردا) رواه الترمذي وصححه .

الحوض والكوثر:

الكوثر هو النهر الذي وعد الله به نبيه - صلى الله عليه وسلم - في الجنة، والحوض هو مجمع الماء في أرض المحشر، وماؤه مستمد من الكوثر، فالكوثر والحوض ماؤهما واحد، إلا أن أحدهما في الجنة، والآخر في أرض المحشر، لذلك يطلق على كل منهما اسم الكوثر، قال - صلى الله عليه وسلم - في وصف الحوض: (يَغْت فِيهِ مِزَابَانِ، يَمْدَانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ) (م). يغت: أي يدفع دفقا شديدا متتابعاً،

فتبين بهذا أن ماء الحوض مستمد من نهر الكوثر في الجنة.

صفة حوض النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم أوصافاً متعددة لحوضه، ترغيباً للأمة في بذل الأسباب الموجبة لوروده والشرب منه، فذكر من أوصافه :

أن ماءه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأن طوله وعرضه سواء، وأن سعته كما بين أيلة وصنعاء، وأن عدد كؤوسه كعدد نجوم السماء، وأن من شرب منه لا يظمأ أبداً، وهذه الأوصاف ذكرها النبي - صلى الله عليه وسلم - في أحاديث، منها:

حديث سيدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن قدر حوضي كما بين أيله وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق بعدد نجوم السماء) متفق عليه.

حديث سيدنا ثوبان - رضي الله عنه - أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن شراب حوضه، فقال: (أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، يغت فيه ميزابان، يمدانه من الجنة، أحدهما: من ذهب، والآخر من ورق) رواه مسلم.

حديث سيدنا ثوبان - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً ...) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم.

حديث سيدنا حذيفة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إن حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن، والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد النجوم، وهو أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل ...) رواه مسلم .

اختلاف الروايات في سعة الحوض والجمع بينها

اختلفت الروايات في تحديد سعة الحوض ومساحته، فبعض الروايات ذكرت أن حوضه - صلى الله عليه وسلم- أبعد (من أيلة إلى عدن) وعدن معروفة، أما "أيلة" فهي مدينة بالشام على ساحل البحر، قيل هي العقبة. وتطلق أيضا: على جبل ينبع بين مكة والمدينة . والحديث رواه ابن ماجه عن سيدنا حذيفة عن النبي - صلى الله عليه وسلم-.

وذكرت بعض الروايات أن سعة الحوض، (كما بين المدينة وصنعاء) وهذا في رواية البخاري عن سيدنا حارثة بن وهب - رضي الله عنه-.

وفي رواية أخرى للبخاري عن سيدنا ابن عمر، قدرت (ما بين ناحيتيه كما بين جرباء وأذرح) وجربى بالقصر من بلاد الشام، وأذرح بالحاء مدينة من أدنى الشام، ويقال: أنها فلسطين.

وفي رواية أخرى عند مسلم عن سيدنا جابر بن سمرة أن (بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة)

وفي رواية ابن ماجه عن سيدنا أبي سعيد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - (إن لي حوضا ما بين الكعبة وبيت المقدس)، وفي رواية مسلم عن سيدنا أبي ذر.

(عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة)، وفي رواية أخرى عند الترمذي (حوضي من عدن إلى عمان البلقاء).

وفي الجمع والتوفيق بين تلك الروايات يقول الإمام القرطبي:

"ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف، وليس كذلك، وإنما تحدّث النبي - صلى الله عليه وسلم - بحديث الحوض مرات

عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة، مخاطبا كل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، فيقول لأهل الشام: ما بين أذرح وجربا، ولأهل اليمن: من صنعاء إلى عدن، وهكذا، وتارة أخرى يقدر بالزمان، فيقول: مسيرة شهر، والمعنى المقصود: أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا، فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات، فخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها، والله أعلم"

ويبدو - والله أعلم - أن المعنى المقصود ليس تحديد سعة الحوض تحديدا دقيقا بقدر ما أراد - صلى الله عليه وسلم - أن يعطي انطبعا بسعة حوضه وكبر مساحته، وذلك أننا لو قارنا المسافات بين كل بلدين ذكرهما - صلى الله عليه وسلم - لوجدنا اختلافا متباينا بينهما، فالمسافة بين أيلة إلى صنعاء تختلف عن المسافة بين أيلة وعدن بمئات الكيلومترات، وكذلك بين المدينة وصنعاء، جاء في "شرح ابن ماجة": " وهذه الاختلافات تشعر بأن ذكرها جرى على التقريب دون التحديد، وبأن المقصود بأن بعد ما بين حافتيه وسبعة لا التقدير بمقدار معين. "

أول الشارين من حوضه - صلى الله عليه وسلم -

ذكر - صلى الله عليه وسلم - صنفين من الناس سيكونون أول الشارين من حوضه - صلى الله عليه وسلم - ،

الصنف الأول: فقراء المهاجرين، ويدل على ذلك ما رواه سيدنا ثوبان - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين، الشعث رؤوسا، الدنس ثيابا، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تفتح لهم السدد) رواه الترمذي.

والصنف الثاني:

أهل اليمن، فعن سيدنا ثوبان - رضي الله عنه - أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إني لبعقر حوضي، أذود الناس لأهل اليمن، أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم - يسيل عليهم - ...) رواه مسلم،

قال الإمام النووي في شرحه: " معناه: أطردهم عن غير أهل اليمن، .. وهذه كرامة لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب منه، مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقديمهم في الإسلام، .. فيدفع غيرهم حتى يشربوا، كما دفعوا في الدنيا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أعداءه والمكروهات. "

ولا يعني كون الأنصار والمهاجرين هم أول واردي حوضه - صلى الله عليه وسلم - أن غيرهم لا يرده، غير أنهم - في الجملة - قلة، فعن سيدنا أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (بينا أنا قائم، فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: إلى أين ؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم ؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، قال: هلم، قلت: إلى أين ؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم ؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم) رواه البخاري،

قال الحافظ في الفتح: " قوله: فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم، يعني: من هؤلاء الذين دنوا من الحوض، وكادوا يردونه، فصدوا عنه، والهمل بفتح الحاء وبفتحة الهمزة الإبل بلا راع، ... والمعنى: أنه لا يرده منهم إلا القليل؛ لأن الهمل في الإبل قليل بالنسبة لغيره " وواضح أن القلة هنا نسبية، أي: أن نسبة من يرد الحوض كبيرة لكن الذين يطردون أكبر من الذين يشربون.

المطروودون عن حوضه - صلى الله عليه وسلم: -

وردت أحاديث كثيرة في ذكر المطرودين عن حوضه - صلى الله عليه وسلم - وهي تحمل في طياتها تحذيرات من سلوك طريقهم، منها:

ما رواه البخاري عن سيدنا أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم -، يقول: (أنا فرطكم - أي أتقدمكم - على الحوض فمن ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظماً بعده أبداً . ليردني علي أقوامٌ أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي).

وما رواه البخاري أيضاً عن سيدنا أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ليردني علي ناس من أصحابي الحوض، حتى إذا عرفتهم، اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقال لي: لا تدري ما أحدثوا بعدك.)

ومنها ما رواه مسلم عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول - وهو بين ظهرائي أصحابه -: (إني على الحوض، أنتظر من يرد علي منكم، فوالله ليقطعن دوني رجال، فلأقولن: أي رب مني ومن أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، ما زالوا يرجعون علي أعقابهم)

قال الإمام القرطبي في "التذكرة": " قال علماؤنا - رحمة الله عليهم أجمعين -: فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدّهم طرداً من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، .. والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق،

وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع، ثم البعد قد يكون في حال، ويقربون بعد المغفرة، إن كان التبديل في الأعمال، ولم يكن في العقائد. "

موضع الحوض يوم القيامة

عن سيدنا أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (بينا أنا قائم، فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: إلى أين ؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم ؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، قال: هلم، قلت: إلى أين ؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم ؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم) رواه البخاري،

قال الإمام القرطبي تعليقا على الحديث: " فهذا الحديث - مع صحته - أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط؛ لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم ممدود يجاز عليه، فمن جازه سلم من النار " فموضع الحوض قبل الصراط، إذ إن من مرَّ على الصراط كان من أهل الجنة، فلو كان الحوض بعد الصراط لامتنع أن يطرد عنه أحد.

وموضع الحوض لا يكون على هذه الأرض، وإنما يكون وجوده في الأرض المبدلة، كما قال تعالى: { يوم تبدل الأرض غير الأرض } (إبراهيم:48).

الواردون حوضه صلى الله عليه وسلم:

يرد حوض سيدنا النبي - صلى الله عليه وسلم - في الجملة كل مؤمن لم يتلبس بمنايع من موانع ورود الحوض التي تضمنتها الأحاديث السابقة، غير أن النبي ذكر

بعض الأعمال الخاصة التي هي أسباب لنيل شرف وردود حوضه - صلى الله عليه وسلم - منها:

1- الصبر عند الأثرة: ويدل على ذلك حديث سيدنا عبد الله بن زيد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في وصيته للأَنْصار - رضي الله عنهم -: (إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) متفق عليه، ومعنى ستلقون بعدي أثرة، أي: أن الأمراء بعدي يفضلون عليكم غيركم ممن هو أقل كفاءة منكم.

2- عدم الدخول على أئمة الجور ممالأةً ونفاقاً لهم، فعن سيدنا كعب بن عجرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (أنه ستكون بعدي أمراء، من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، وليس يرد علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم، ولم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فهو مني وأنا منه، وسيرد على الحوض) رواه الترمذي والنسائي.

هذا هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم، ذكرته بأوصافه، وأوصاف أهله، وأوصاف المطرودين عنه، حتى يعلم المسلم السبيل إليه، في يوم عظم خطره، واشتد حره، والله الموفق.

يتبع 98 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الثامن والتسعون

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

الحشر يوم القيامة

إخوتي!

سمى الله تعالى يوم القيامة بيوم الجمع لأن الله يجمع فيه العباد إنسهم وجنهم قال تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ) هود / 103 .

وقال تعالى : (قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) الواقعة / 49-50 .

وقال تعالى : (إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) مريم / 93-95 .

وقال تعالى : (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) الكهف / 47 .

ومما يدخل في هذا الحشر حشر البهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه كما دل عليه الكتاب والسنة قال تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) الأنعام / 38 .

وقال تعالى : (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) التكوير / 5.

وقال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) الشورى / 29.

وحرف (إذا) إنما يكون لما يأتي لا محالة...

والأحاديث في ذلك مشهورة ، فإن الله عز وجل يوم القيامة يحشر البهائم ويقتصص لبعضها من بعض ثم يقول لها : كوني ترابا فتصير ترابا ، فيقول الكافر حينئذ : (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) النبأ / 40.

روى الإمام أحمد (20534) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي ذَرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ جَالِسًا ، وَشَاتَانِ تَقْتَرِنَانِ ، فَتَطَحَّتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى فَأَجْهَضَتْهَا ، قَالَ : فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : عَجِبْتُ لَهَا ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُقَادَنَّ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . أَي لَيُقْتَصَّنَ لَهَا . قال أحمد شاكر : إسناده حسن متصل.

وروى مسلم (2582) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَتَوُودَنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقُرْنَاءِ). والجلحاء هي التي لا قرن لها.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى :

هَذَا تَصْرِيحٌ بِحُشْرِ الْبَهَائِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِعَادَتَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يُعَادُ أَهْلُ التَّكْلِيفِ مِنَ الْآدَمِيِّينَ ، وَكَمَا يُعَادُ الْأَطْفَالُ وَالْمَجَانِينُ وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةُ ، وَعَلَى هَذَا تَظَاهَرَتْ دَلَائِلُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ)

وَإِذَا وَرَدَ لَفْظُ الشَّرْعِ ، وَلَمْ يَمْنَعْ مِنْ إِجْرَائِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ عَقْلٌ وَلَا شَرْعٌ وَجَبَ حَمْلُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْحُشْرِ وَالْإِعَادَةِ فِي الْقِيَامَةِ الْمُجَازَاةُ وَالْعِقَابُ وَالثَّوَابُ ، وَأَمَّا الْقِصَاصُ مِنَ الْقَرْنَاءِ لِلْجَلْحَاءِ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ قِصَاصِ التَّكْلِيفِ إِذْ لَا تَكْلِيفَ عَلَيْهَا ، بَلْ هُوَ قِصَاصُ مُقَابَلَةٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَهـ .

ويحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا - أي غير محتونين - عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّكُمْ مُحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرُلًا) ثُمَّ قَرَأَ : (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ) وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ وَإِنَّ أَنْاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ أَصْحَابِي أَصْحَابِي . فَيَقُولُ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117)) إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (رواه البخاري 3349 .

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرُلًا) قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ! فَقَالَ : (الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهَمَّهُمْ ذَاكَ) (رواه البخاري 6527 .

وجاء في الحديث أن الإنسان يبعث في الثياب التي مات فيها عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ دَعَا بِثِيَابٍ جَدِيدٍ فَلَبِسَهَا ثُمَّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ الْمَيِّتَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا) رواه أبو داود (3114).

ولعل هذا الحديث يشكل مع ما قبله من أن العباد يبعثون عراة ، فأجاب العلماء بأجوبة للتوفيق بين الأحاديث فمن أوجه الجمع:

- 1- أنهم يبعثون فيها ثم تبلى بعد القيام فإذا وافوا الموقف كانوا عراة.
- 2- أنهم يبعثون عراة ثم إذا كسي الأنبياء والصديقون ومن بعدهم كُسي كل من جنس ما مات فيه من الثياب.
- 3- وحمل بعض العلماء هذا الحديث على الشهداء فإنهم هم الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدفنوا في ثيابهم التي ماتوا فيها . فيبعثون في ثيابهم تمييزاً لهم عن غيرهم.

4- أن المراد بالثياب الأعمال الصالحة كما قال تعالى : (وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ) وقوله : (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) والمعنى يبعث المرء على ما مات عليه من عمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، يدل عليه حديث جابرٍ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَقُولُ يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ) رواه مسلم 2878 .
وحديث سيدنا ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ) رواه البخاري 7108 ،

ومما يدل عليه حديث سيدنا ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ وَقِفٌ بِعَرَفَةَ إِذْ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَوَقَصَتْهُ أَوْ قَالَ فَأَوْقَصَتْهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ وَلَا تُخَبِّطُوهُ وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبَّيًّا) رواه البخاري 1265 ،

وعن سيدنا أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (كُلُّ كَلِمٍ يُكَلِّمُهُ الْمُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا إِذْ طُعِنَتْ تَفَجَّرُ دَمًا لَلْوُنْ لَوْنُ الدَّمِ وَالْعَرَفُ عَرَفُ الْمَسْكِ) رواه البخاري 237 ،

ومن هنا استحب تلقين الميت لا إله إلا الله وذلك لتكون هذه الكلمة الطيبة آخر كلامه من الدنيا وعليها يبعث يوم القيامة. انظر فتح الباري (383/11).

ويحشر الناس في ذلك اليوم على أرض أخرى غير هذه الأرض ، ولها خصائص معينة بينها السنة فعن سيدنا سهل بن سعد قال سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيضاء عَفراء كَقَرْصَةِ نَقِيٍّ) قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ : لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ . رواه البخاري 6521.

والعفراء أي بيضاء تضرب إلى الحمرة قليلا. وقيل: بيضاء بياضا غير ناصع وقيل خالصة البيضاء.

وقرصة النقي هي القرصة من الدقيق النقي من الغش.

يتبع 100 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس المئة

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

صفة حشر الخلق

إخوتي!

حينما يقوم الناس من قبورهم لرب العالمين يساقون إلى المحشر لفصل القضاء، ولتجزى كل نفس بما تسعى؛ فيجزى كل عامل ما يستحق من الجزاء، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

ولكن كيف يكون مجيئهم للحشر؟

قد بينت السنة النبوية الهيئات التي يأتي بها الخلائق، وهي هيئات وحالات مختلفة؛ إما حسنة، وإما قبيحة، بحسب ما قدموا من خير، وشر، وإيمان، وكفر، وطاعة، ومعصية، فتزود لها بالعمل الصالح.

ومن تلك الهيئات الأمثلة الآتية :

1- ما أخبر به سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم عن حالة الناس عند حشرهم لفصل القضاء - مؤمنهم وكافرهم - من أنهم يكونون في هيئة واحدة، لا عهد لهم بها في الدنيا، ولا يتصورون حدوثها، ولهذا فقد كثر التساؤل والاستغراب لتلك الحالة حينما أخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم .

كما في الحديث الذي ترويه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تحشرون حفاة عراة غرلاً)).

ومعنى حفاة: أي تمشون على أرجلكم دون نعل أو خف .

والعاري: هو من لا ثوب له على جسده، والأغرل: هو الذي لم يختتن، أي إن البشر يرجعون كهيتهم يوم ولدوا، حتى إن الغرلة ترجع وإن كان قد اختتن صاحبها في الدنيا؛ تحقيقاً لقوله تعالى: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ) [الأنبياء: 104] .

وقد ورد هذا المعنى في حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال: ((إنكم محشورون حفاة عراة)) (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ) [الأنبياء: 104] .

* 2- يحشر الكافرون* وهم يسحبون في المحشر على وجوههم، وكم يستغرب كثير من الناس هذه الحال؛ لأنهم في الدنيا لم يعرفوا تلك الحال، ولم يتصوروا وقوعها، ومع أنها حالة غريبة لكنها غير منفية لا عقلا ولا نقلا.

فأما العقل فإنه لا ينفي وقوعها، وذلك إذا علمنا أن قدرة الله على كل شيء أمر هين، فإن الذي أمشى هؤلاء على الرجلين له القدرة على أن يمشيهم على وجوههم، بل لو أراد الله ذلك لحصل في الدنيا فضلا عن الآخرة.

ومصداق ما قدمنا ما جاء عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه كما في الصحيحين - ((أن رجلا قال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة)) قال قتادة: بلى وعزة ربنا .

(قال ابن حجر في بيان معنى المشي المذكور في الحديث قوله: ((أليس الذي أمشاه...)) ظاهر في أن المراد بالمشي حقيقته؛ فلذلك استغربوا حتى سألوا عن كيفيته).

ثم رد على الذين يزعمون أن هذا هو مثل ضربه النبي صلى الله عليه وسلم بأن (الجواب الصادر عن النبي صلى الله عليه وسلم ظاهر في تقرير المشي على حقيقته) أي فلا حاجة إلى صرف الكلام عن ظاهره.

ومعلوم أن أمر الآخرة وأحوالها غير أمر الدنيا وأحوالها، فكل شيء في الآخرة جديد ولا عهد للناس به، فهي حياة أخرى لها مميزات وكيفيات لا توجد في الدنيا، وليس على الله بعزيز في أن يمشي الكافر على وجهه، إذ لو أراد الله ذلك في الدنيا لكان حاصلًا فيها، ولكان أمرًا مألوفًا كما هو الحال في المشي على الرجلين. والله تعالى فوق هذا كله حَكَمَ قد ندرکہا، وقد لا ندرکہا، فإن الكافر في الدنيا كان ذا عتو واستكبار، يمشي على رجله متبخترًا معتزًا بنفسه، لا يحني رأسه لشيء غير هواه، فلا يعرف التواضع لله في شيء، بل كان يستنكف من السجود لربه والخضوع له.

وهذا ما ذهب إليه ابن حجر في بيان حكمة هذا المشي حين قال: (والحكمة في حشر الكافر على وجهه: أنه عوقب على عدم السجود لله في الدنيا، بأن يسحب على وجهه في القيامة؛ إظهارًا لهوانه، بحيث صار وجهه مكان يده ورجله في التوقي عن المؤذيات) .

وكثرة النصوص في هذا الموضوع تمنع كونه من باب التمثيل، فهو إذا على حقيقته فلا ينبغي تأويله، بالإضافة إلى أنه من الأمور الممكنة عقلا، وليست من قبيل المستحيلات على الله تعالى.....

* -3- حشر المتكبرين *

ومن الأوصاف الأخرى التي وردت في السنة لحشر فئات من الناس، صنف من الناس يحشرون في أحقر صفة وأذلها، وهؤلاء هم المتكبرون .

فلأنهم في الدنيا يمشون في كبرهم وتبخرتهم على الناس، عالية رؤوسهم عن التواضع لله أو لخلقه، هؤلاء المستكبرون ورد في صفة حشرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان)) الحديث.

وفي رواية عن سيدنا جابر رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يبعث الله يوم القيامة ناساً في صور الذر يطؤونهم الناس بأقدامهم، فيقال: ما هؤلاء في صور الذر؟ فيقال: هؤلاء المتكبرون في الدنيا))

وهذه الحالة المخزية تناسب ما كانوا فيه في الدنيا من تعاضم وغرور بأنفسهم، لأنهم كانوا في الدنيا يتصورون أنفسهم أعظم وأجل المخلوقات؛ فجعلهم الله في دار الجزاء أحقر المخلوقات وأصغرها .

* -4- حشر السائلين :*

ومن الصور الأخرى التي تشاهد في يوم القيامة صور أولئك السائلين الذين يسألون الناس وعندهم ما يغنيهم، يأتون يوم القيامة و في وجوههم خموش أو كدوح، أو يأتون وليس في وجوههم مزعة لحم، يعرفهم الناس كلهم .

وهذا ما ورد عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما يزال الرجل يسأل الناس؛ حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم)).

وعن سيدنا عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من سأل وله ما يغنيه؛ جاءت خموشاً أو كدوحاً في وجهه يوم القيامة)) والجزاء من جنس العمل.

والمزعة هي: (بضم الميم - وحكى كسرهما - وسكون الزاي بعدها مهملة: أي قطعة"، " وقال ابن التين: ضبطه بعضهم بفتح الميم والزاي) .

قال الإمام ابن حجر: (والذي أحفظه عن المحدثين الضم) .

ومعنى الحديث: (قال الخطابي: يحتمل أن يكون المراد أنه يأتي ساقطاً لا قَدَر له ولا جاه، أو يعذب في وجهه حتى يسقط لحمه، لمشاكلة العقوبة في مواضع الجناية من الأعضاء، لكونه أذلَّ وجهه بالسؤال، أو أنه يبعث ووجهه عظم كله؛ فيكون ذلك شعاره الذي يعرف به) .

والمعنى الأول الذي ذكره الخطابي تأويل للحديث بغير معناه، ولهذا قال الإمام ابن حجر: (والأول صرف للحديث عن ظاهره).

وإن كان قد ورد ما يؤيده، وهو ما أخرجه الطبراني والبخاري من حديث مسعود بن عمرو مرفوعاً: ((لا يزال العبد يسأل وهو غني؛ حتى يخلق وجهه، فلا يكون له عند الله وجه)).

(وقال ابن أبي جمرة: معناه: أنه ليس في وجهه من الحسن شيء، لأن حسن الوجه هو بما فيه من اللحم، ومال المهلب إلى حمله على ظاهره).

ثم ذكر أن السر في ذلك هو (أن الشمس تدنو يوم القيامة، فإذا جاء لا لحم بوجهه؛ كانت أذية الشمس له أكثر من غيره) قال - يعني المهلب: (والمراد به: من سأل تكثرأ وهو غني لا تحل له الصدقة، وأما من سأل وهو مضطر فذلك مباح له فلا يعاقب عليه).

* -5- حشر أصحاب الغلول: *

ومن المشاهد كذلك: مشهد أقوام يأتون حاملين أثقالاً على ظهورهم، كالبعير والشاة وغيرهما، وهؤلاء هم أهل الغلول، فإنهم يحشرون في هيئة تشهد عليهم بالخيانة والغلول أمام الخلق أجمعين، فمن غلّ شيئاً في حياته الدنيا ولم يظهره؛ فسيظهره الله عليه يوم يبعث، يكون علامة له، وزيادة في النكاية وتشهيراً بجريمته يحمل ما غلّ على ظهره .

ومصدق هذا ما جاء في كتاب الله عز وجل حيث قال: (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) [آل عمران: 161] .

قال قتادة في معنى الآية: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا غنم مغنماً؛ بعث منادياً: ألا لا يغلن رجل مخيلاً فما دونه، ألا لا يغلن رجل بغيراً، فيأتي به على ظهره يوم القيامة له رغاء، ألا لا يغلن رجل فرساً، فيأتي به على ظهره يوم القيامة له حممة).

وما جاء في السنة النبوية كما في حديث أبي مسعود الأنصاري قال: ((بعثني النبي صلى الله عليه وسلم ساعياً، ثم قال: انطلق أبا مسعود لا ألفينك يوم القيامة تجيء وعلى ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء، قد أغللته قال: إذاً لا أنطلق، قال: إذا لا أكرهك))

والخلاصة: أن من مات على عمل بعث عليه .

قال البرديسي في شرح حديث سيدنا جابر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يبعث كل عبد على ما مات عليه))

قال: (أي على الحالة التي مات عليها من خير أو شر، فالزامر يأتي يوم القيامة بمزمارة، والسكران بقدحه، والمؤذن يؤذن، ونحو ذلك).

* -6 حشر أهل الوضوء*، أهل الغرة والتحجيل :

وإذا كان من قدمنا ذكرهم كانوا أمثلة سيئة لمن يعمل أعمالهم، فإنه في الجانب الآخر نجد من يتسم بالصفات الحميدة، ولهذا فإنه يبعث حميداً عليه سيما أهل الصلاح والتقوى، سيما أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، من الغرة والتحجيل بسبب آثار الوضوء .

وهي كرامة من الله تعالى لأوليائه وأحبائه، كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث سيدنا أبي هريرة: ((إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل)).

وكما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه سيدنا عبد الله بن بسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أمتي يوم القيامة غر من السجود، محجلون من الوضوء)).

* -7 حشر الشهداء*:

ومن المشاهد الأخرى: مشهد لأقوام يحشرون ودمائهم تسيل عليهم، وهم الشهداء، فإنهم يحشرون ودمائهم تسيل كهيئتها يوم جرحت في الدنيا، تفجر دماً، كما ورد عن سيدنا أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله ثم تكون يوم القيامة كهيئتها إذا طعنت تفجر دماً. اللون لون دم والعرف عرف المسك)) إلى آخر الحديث .

وهذا إكرام لهم وبيان لمزاياهم، وتشهيراً بمواقفهم وعلو مقامهم عند الله تعالى، لأن الجزء من جنس العمل .

قال الإمام النووي: (وأما الكَلْم - بفتح الكاف وإسكان اللام - فهو الجرح، ويكَلِّم - بإسكان الكاف - أي يجرح) قال: (وفيه دليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره، والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى).

ويلخص البرديسي أحوال البشر في مجيئهم إلى الموقف فيقول: (واعلم أن الناس يحشرون يومئذ على ثلاثة أصناف: ركبناً، ومشاة، وعلى وجوههم. قال تعالى: (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثَةً) [مريم: 85 - 86] .

ثم قال: الوفد في اللغة: القوم المكرمون، يفدون من بلادهم في جماعتهم إلى ملكهم، فينزلون ويكرمهم، والورد: العطاش، يساقون كما تساق الإبل وغيرها من الأنعام، فتسوقهم الملائكة بأسياط النار إلى النار، وقوم يمشون على وجوههم .

وقال بعضهم: إذا قام الناس من قبورهم لفصل القضاء؛ حضروا على أحوال مختلفة: فمنهم من يكسى، ومنهم من يحشر عرياناً، ومنهم راكباً، ومنهم ماش، ومسحوب على وجهه، ومنهم من يذهب إلى الموقف راغباً، ومنهم من يذهب خائفاً، ومنهم من تسوقه النار سوقاً).

وفي الصحيحين يقول عليه الصلاة والسلام: (يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة طرائق: راغبين وراهبين، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار).

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم : (أخبرني جبريل عليه السلام أن لا إله الا الله أنس للمسلم عند موته وفي قبره وحين يخرج من قبره، يا محمد لو تراهم حين يقومون من قبورهم ينفضون رؤوسهم هذا يقول لا إله الا الله والحمد لله فتبيض وجوههم وهذا ينادي يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله فتسود وجوههم.) .

فأهل الإيمان يسيرون في عزة وكرامة ونور في يوم الخزي والمهانة والانكسار (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا) التحريم 8.

يتبع 101 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس الواحد بعد المئة

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

«الصراط المستقيم»

إخوتي!

الصراط جسر ممدود على نار جهنم، مظلم أحد من السيف وأدق من الشعر يَعْبُرُ عليه جميع الناس وهو زلق تزل فيه الأقدام، على حافتيه حَسَك وخطاطيف وكلايب تخطف من أمرت به فيقع في النار.

وقد عرّف العلماء الكلايب بأنها الحديدة المعقوفة الرأس ليعلق بها اللحم ونحوه، أما الحسك، وهي جمع، واحدها: حَسَكَة: وهي شوكة صلبة معروفة.

عن سيدنا أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال في ذكر مشاهد يوم القيامة : (ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم، قيل: يا رسول الله وما الجسر ؟ قال: دحض مَزَلَّة، فيه خطاطيف وكلايب وحَسَك - شوكة صلبة -، تكون بنجد، فيها شويكة، يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فجاج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم) رواه مسلم.

وقال سيدنا أبو سعيد : بلغني أن الجِسْرَ أدق من الشعرة وأحد من السيف..

والمخدوش من تمزق جلده بفعل الكلايب، والمكدوس من يرمى في النار فيقع فوق سابقه مأخوذ من تكدست الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضا.

ويتفاوت الناس في المرور على الصراط تفاوتاً عظيماً وذلك لأن المرور عليه إنما يكون بقدر الأعمال الصالحة التي قدمها المرء المسلم لربه في الحياة الدنيا،

فمن الناس من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطير، ومنهم من يمر زحفاً، ومنهم من يجر رجله مرة مرة يسقط فتلفحه النار، ومنهم من تخطفه الكلاب فيقع في النار.

كما جاء في حديث سيدنا النبي عن سيدنا أبي هريرة:

”فيمر أولكم كالبرق، قال قلت: بأبي أنت وأمي! أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم تتروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح. ثم كمر الطير وشد الرجال. تجري بهم أعمالهم. ونبيلكم قائم على الصراط يقول: رب! سلم سلم. حتى تعجز أعمال العباد. حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً. قال وفي حافتي الصراط كلاب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به. فمخدوش ناج ومكدوس في النار. والذي نفس أبي هريرة بيده! إن قعر جهنم لسبعون خريفاً.”
صحيح مسلم

والصراط مظلم ” والنار سوداء مظلمة ” وكل من يمر عليه يُعطي نورا علي قدر عمله ينير له الطريق حتى لا يسقط في جهنم..

كما في حديث سيدنا ابن مسعود الطويل الذي فيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**فيعطون نورهم على قدر أعمالهم** وقال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة يمينه، ومنهم من يعطى نوره دون ذلك يمينه، حتى يكون آخر من يعطى نوره على إجمام قدمه، يضيء مرة، ويطفأ مرة إذا أضاء قدمه، وإذا أطفئ قام))

قال تعالى : ((يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ
بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
” الحديد

وقال تعالى: يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)).
[التحریم.]

يتبع 102 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الثاني بعد المئة

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

الحساب

إخوتي!

يقول مولانا عزوجل:

(يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب)
[غافر:16].

يوم القيامة يوم جليل خطبه، عظيم خطره، بل هو اليوم الذي ليس قبله مثله ولا بعده مثله، والكل ظاهر ومكشوف فلا زيف ولا خداع ولا كذب ولا رتوش، وجاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: ((أنه تعالى يطوي السماوات والأرض بيده، ثم يقول: أنا المالك، أنا الجبار، أنا المتكبر، أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ لمن الملك اليوم، لمن الملك اليوم، لمن الملك اليوم، ثم يجيب نفسه لله الواحد القهار)) (خ)، وذلك هو يوم الحساب ويوم الجزاء.

فما الحساب؟ وما هي صفته؟

وعلى ماذا يحاسب الله تعالى العباد؟ وما موقف المسلم؟

الحساب اصطلاحاً: هو محكمة العدل الإلهية التي يقضي فيها رب العزة سبحانه بين خلقه وعباده.

وينبغي أن تعلم أن يوم القيامة:

يوم يجمع الله فيه الأولين، والآخرين للحساب : [قل إن الأولين والآخرين
لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم] (الواقعة:50) . [ربنا إنك جامع الناس ليوم لا
ريب فيه] (آل عمران:9) .

يوم تتكشف فيه الحقائق والأستار، فالكل مكشوف النفس والعمل والمصير :
(يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) [الحاقة:18].

يوم يشيب من هوله الوليد، وتذهل الأم الحنون عن طفلها، وتسقط فيه الحامل
حملها: (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل
كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما
هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) [الحج:2].

وللحديث: ((ذلك يوم يقول الله لآدم: أخرج بعث النار، قال: يا رب وما بعث
النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة))
فأنشأ المسلمون ييكون. (أحمد و ت.)

وأما صفة الحساب: فلا بد لكل محكمة من حاكم يحكم ويقضي، وشهود
يشهدون، ومتهم وأرض يقام عليها الحكم .

1- أما الحاكم: فهو الله جل جلاله، جبار الأرض والسماء، تباركت أسماؤه
وعظمت صفاته الذي يعلم السر وأخفى، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي
الصدور، الخالق لكل شيء سبحانه وتعالى ويبدأ الأمر:

أ- بنفخ إسرافيل في الصور بأمر الله سبحانه فتصعق الخلائق كلها وتموت : (ونفخ
في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض) [سورة الزمر:68].

ب- إحداث تغير عام في الكون فتنشق السماء وتتناثر النجوم وتتصادم الكواكب وتفتت الأرض : (إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت) [التكوين: 1-3]. كورت أي ظلمت، انكدرت: أي تناثرت، وسيرت: أي حركت وصارت كالهباء .

ج- ينفخ إسرافيل في الصور بأمر الله سبحانه فتقوم الخلائق للحشر : (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) [الزمر: 68] .

د- نزول عرش الرحمن جل جلاله : (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) [الحاقة: 16-17]، أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، وللحديث: ((أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام)) (د)

هـ- ثم يشرق على الأرض نور الحق جل جلاله : (وأشرق الأرض بنور ربها) [الزمر: 69]. أي أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء (ابن كثير 3 / 230)

و- ثم مجي الحق سبحانه مجيئاً يليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه الكبير المتعال : (كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا) [الفجر: 21-22].

وأما صفة حكمه جل جلاله سبحانه:

1- العدل المطلق : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) [الزلزلة: 7-8]

أ- فلا ظلم: (ولا يظلم ربك أحدا) [الكهف:49]

ب- ولا أنساب: (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) [المؤمنون:101]. أي لا تنفع الإنسان يومئذ قرابة ولا يرثي والد لولده، يقول ابن مسعود : ((إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد: ألا من كان له مظلمة فليجيئ ليأخذ حقه، قال: فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيرا)) (مختصر ابن كثير 2/ 577).

ج- ولا رشوة لتغير صورة الحكم، فالحاكم هو الغني المتعال والكل مفتقر إليه سبحانه: (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد) [فاطر:15].

ح- ولا تهديد ولا ضغوط: فالحاكم هو القوي سبحانه: (إن القوة لله جميعا) [البقرة:165]، (إن كل من في السماوات والأرض إلا عاقي الرحمن عبدا) [مريم:93]. فالكل ضعيف وعبد.

2- الشهود: وأما الشهود فهم كثير فلا مكان للإنكار والكذب والمراوغة

أ- وأعظمهم شهادة هو الله سبحانه الله جل جلاله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) [المجادلة:7].

ب- الرسل عليهم الصلاة والسلام ويشهد للرسل سيدنا وحبيبنا رسول الله للحديث: ((يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من أحد. فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، ثم أشهد لكم)) (خ. ت).

ج- الملائكة: (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) [ق:17]. يقول الحسن البصري رحمه الله: (يا بن آدم بسطت لك صحيفتك، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا وقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك) (مختصر ابن كثير 2/ 367).

د- الجوارح: (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) [فصلت:21]. وعن أنس قال: ((كنا عند النبي فضحك فقال: هل تدرون مم أضحك؟ قلنا: الله ورسوله أعلم قال: من مخاطبة العبد ربه فيقول: يا رب ألم تجرنى (تحفظني) من الظلم؟ يقول: بلى، فيقول: إني لا أجيز اليوم على نفسي شاهدا إلا مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا، والكرام الكاتبين شهودا، قال: فيختم على فيه ويقول لأركانه انطقي فتتطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً فعنكنّ كنت أناضل)) (م).

هـ- الأرض: (يومئذ تحدث أخبارها) [الزلزلة:4]. قرأ رسول الله هذه الآية: يومئذ تحدث أخبارها قال: ((أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها)) (أحمد. ت. ن.).

ز- التسجيل الكامل كما ذكر بعض العلماء: لقوله تعالى: (يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) [الزلزلة:7-8]. وتعرض الأعمال عرضا حيا ناطقا، فسيرى المرء عمله وهو يباشره ويا للفضيحة!!

اللهم إنا نسألك ستر الدارين، اللهم إنا نعوذ بك من خزي الدنيا والآخرة، يا رب العالمين .

-3- والمتهم: هو الإنسان الذي خلقه الله بيده، وأسجد له الملائكة، وكرّمه على كثير ممن خلق، سخر الكون له، وأرسل له الرسل، وأنزل له الكتب، وجعل له واعظا من عند نفسه بالفطرة التي فطر الله الناس عليها على معرفته سبحانه وحذره من الشيطان وطاعته ثم يستقبل الإنسان ذلك كله بالسخرية : (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) [يس:30]. ويجعل من الشيطان ربا يعبد من دون الله : (ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا (أي خلفا) كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) [يس :60-62]. ويمر بآيات الله الدالة عليه سبحانه معرضا : (وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) [يوسف:105]. يمين الله عليه بالنعم فيزداد طغيانا : (كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى) [الأعلى:6-7]. الإنسان الذي إذا أحاطت به الخطوب تذكر ربه وإذا كان في نعمة غفل وكفر (وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون) [النحل:53-54]

-4- وأما أرض المحكمة : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار) [إبراهيم:48]. وللحديث : ((يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد)) (ق) وللحديث : ((أرض بيضاء لم يسفك عليها دم، ولم يعمل عليها خطيئة)) (البنار).

فهي أرض أخرى غير أرضنا لم تطأها قدم من قبل، ولم تعمل عليها خطيئة، ولم يسفك عليها دم، أرض طاهرة من ذنوب بني آدم وظلمهم، طهر يتناسب وطهر القضاء. وأما على ماذا يحاسب الله تعالى العباد: فاعلم أن الحساب سوف يكون:

■ مشافهة: فكل عبد يعرض على ربه، ويتولى سبحانه حسابه بنفسه للحديث: ((ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، ثم ينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة)) (خ.ع).

■ والحساب إما أن يكون يسيرا: وذلك بأن يعرض على العبد عمله بحيث لا يطلع عليها أحد ثم يعفو عنه ويأمر به إلى الجنة للحديث: ((يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه (أي يستره ولا يفضحه) فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم، ثم يعطى صحيفة حسناته)) (ق.ع).

■ وأما أن يكون الحساب عسيرا وذلك لمن كثرت معاصيه فذلك الذي يناقش الحساب ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة للحديث: ((ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله أليس قد قال الله: فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا؟ فقال رسول الله: إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب)) (خ.ع). والمراد بالمناقشة الاستقصاء في المحاسبة والمطالبة بالجليل والحقير وترك المسامحة.

والحساب يتناول كل شيء:

1-العمر والمال والجسم والعلم للحديث: ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه)) (ت حسن صحيح)

2-ويسأل عن النعم وشكرها: (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) [التكاثر:8]. قال مجاهد: عن كل لذة من لذات الدنيا (مختصر ابن كثير 3 / 673).

وللحديث: ((إن أول ما يسأل عنه العبد من النعيم أن يقال: له ألم نصح لك بدنك، ونروك من الماء البارد)) (ت.ح.ب).

3-عن الحواس واستعمالها: (إنَّ السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً) [الإسراء:36]

قال سيدنا ابن عباس: يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم (م ابن كثير 3 / 673).

4-ويسأل عن الفرائض من صلاة وزكاة: للحديث: ((إن أول ما افترض الله على الناس من دينهم الصلاة وآخر ما يبقى الصلاة، وأول ما يحاسب به الصلاة ويقول الله: انظروا في صلاة عبدي، قال: فإن كانت تامة كتبت تامة، وإن كانت ناقصة يقول: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن وجد له تطوع تمت الفريضة من التطوع، ثم قال: انظروا: هل زكاته تامة؟ فإن كانت تامة كتبت تامة، وإن كانت ناقصة قال: انظروا هل له صدقة فإن كانت له صدقة تمت له زكاته)) (ابو يعلى)

5- ويسأل عن الدماء والقتل: للحديث: ((أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء)) (ق) وللحديث: ((كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت مشركا أو يقتل مؤمنا متعمدا)) (د. ح. ب.).

6- السؤال عن الرعية والأمانة (وقفوهم إنهم مسؤولون) [الصفات: 24].
للحديث: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والأمير راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده)) (ق)

7- ويحاسب على الكلمة: للحديث: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب)) (ق). وللحديث: ((وهل يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم)) (ق)

و ما من كاتب إلا ستبقى كتابته وإن فنيت يداه.

فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

8- وأما الحقوق والمظالم فللحديث: ((يقول الله تعالى: أنا الديان، أنا الملك لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة)) (أحمد . حسن)

على كل مسلم أن يقوم بما يلي:

1/ حاسب نفسك قبل أن تحاسب: يقول سيدنا عمر : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن (م. ابن كثير 3 / 543).

2/ تحلل من الحقوق: للحديث: ((من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحللن منها اليوم قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه دينار ولا درهم)) (خ. ت)

يقول أحد السلف: رحم الله من إذا مات مات معه ذنوبه .

3/ لا تفسد عملك الصالح بالمظالم: للحديث: ((المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فئت حسناته، قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)) (م)

4/ أمح السيئة بالحسنة: (إن الحسنات يذهبن السيئات) [هود:114]، وللحديث: ((اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)) (ت. حسن). وللحديث: ((إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها)) (أحمد).

5/ استشعار رقابة الله عليك: (ألم يعلم بأن الله يرى) [العلق:14]. ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) (ق).

6/ استحضار أهوال الآخرة والتفكير فيها: يقول الإمام الغزالي رحمه الله: ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان فتسأل عن القليل والكثير والنقيير والقطمير فبينما أنت في كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصي المجرمين إلى موقف العرض على الجبار.

ثم تقبل الملائكة فينادون واحدا يا فلان بن فلان هلم إلى الموقف، وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار، فتوهّم نفسك يا مسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاها فكيف ترى حيائك

وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك، فليت شعري بأي
قدم تقف بين يديه وبأي لسان تجيب وبأي قلب تعقل وما تقول؟ (إحياء 3 /
517).

اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا فاغفر لنا وأبائنا
ولأحبابنا.

يتبع 103 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الثالث بعد المئة

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

الوزن والميزان

إخوتي !

وصفت لنا الأحاديث النبوية الميزان وصفا دقيقا، فلندع سيد الخلق وحبيب الحق صلى الله عليه وسلم يتولى تبيان هذه المسألة .

فقد روى الحاكم بسند صحيح من حديث سلمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((يُوضَعُ المِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوْسَعَتْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ، مَنْ يَزِنُ هَذَا؟) فيقول الله: مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي فيقولون: سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك.))!

ميزان دقيق يُنصَّب، وميزان عدل يُوضَع، وميزان عظيم لا يعلم حقيقته إلا الله، تشهده الخلائق:

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: 47].

وفي شعب الإيمان للبيهقي عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: "الميزان له لسان وكفتان، يُوزَنُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ"،

إنه دقيق يزن مِثْقَالَ الذرة حبة الخردل.

ذكر أهل التفسير أن سيدنا داود - عليه السلام - سأل ربه أن يُريه الميزان، فلما رآه عُشي عليه، فلما أفاق قال: يا إلهي، مَنْ الذي يَقْدِرُ أن يَمْلَأَ كِفَّتَهُ حسنات؟! فقال: ((يا داود، إني إذا رضيتُ عن عبدي ملأتها بتمرة.))

ميزان خافه سيدنا أنس رضي الله عنه؛ روى الترمذي بسند صحيح عنه، أنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: ((أنا فاعل))،

قلت: يا رسول الله، فأين أطلبك؟

قال: ((اطلبي أول ما تَطْلُبني على الصراط))،

قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟

قال: ((فاطلبي عند الميزان))،

قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟

قال: ((فاطلبي عند الحوض؛ فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن.))

فعند الميزان موقف تحتاج فيه الخلائق إلى شفيع، ومحل تحتاج فيه الخلائق إلى رحمة؛ لهول المشهد ودقة الميزان، والخوف من ردِّ الكثير من الأعمال وعدم قبُولها: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 8]،

وهنا سؤال مهم، ما الذي يُوزَن؟ أهو العمل؟ أم الصحف التي كُتِبَتْ فيها الأعمال؟ أم العامل نفسه؟

والذي يُرَجِّحه علماؤنا - كابن كثير، والقرطبي... وغيرهم - أن الميزان سيزن كل شيء: الأعمال، والصحف التي كُتِبَتْ فيها، والعامل الذي قدَّمها.

فأما الأعمال، فوزنَها جاء في أحاديث كثيرة؛ كقوله صلى الله عليه وسلم، فيما رواه الإمام أحمد وأبو داود بسندٍ صحيحٍ من حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه: ((ما من شيء في الميزان أثقل من حُسن الخُلُق))، وحُسن الخُلُق عمل، وكذا قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتَّفَق عليه من رواية سيدنا أبي هريرة: ((كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده))،

وقوله عليه الصلاة والسلام أيضًا: ((والحمد لله تملأ الميزان))،

والذِّكر من الأعمال، وكذا تُوزَن الصلاة والصيام والصدقات... وغيرها من الطاعات.

وأما صُحُف الأعمال فتُوزَن؛ كما أخرج ابن ماجه وغيره بسند صحيح، من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يُصاح برجل من أُمِّي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيُنشَر له تسعة وتسعون سِجِلًّا، كلُّ سِجِلٍّ مَدَّ البَصَر، ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل تُنكِر مِن هذا شيئًا؟ فيقول: لا يا رب،

فيقول: أظلمك كَتَبْتِي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب،

ثم يقول: ألك عُذْر، ألك حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا،

فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظُلم عليك اليوم، فتُخَرَج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: يا رب، ما هذه

البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقول: إنك لا تُظلم، فتوضع السجلات في كفة
والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة.))

وأما العامل: فيؤزن أيضاً؛ كما أخرج البخاري ومسلم في الصحيح من حديث
سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إنه
ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة))، قال:
((واقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: 105])).

وقد أخرج الطبراني والبراني من حديث بريدة قال: كنا عند رسول الله، فأقبل رجل
من قريش فأدناه رسول الله وقربه، فلما قام، قال: ((يا بريدة، أتعرف هذا؟))،
قلت: نعم، هذا أوسط قريش حسباً وأكثرهم مالاً... ثلاثاً، فقلت: يا رسول الله،
أنبأتك بعلمي فيه، فأنت أعلم، فقال: ((هذا ممن لا يُقيم الله له يوم القيامة
وزناً)).

قارن هذا مع ما حصل لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كما أخرج البيهقي
في الدلائل بسند صحيح، من حديث خالد بن معدان رضي الله عنه، عن
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنهم قالوا له: أخبرنا عن نفسك، فقال
صلى الله عليه وسلم:

((أتاني رجلان عليهما ثيابُ بياض، معهما طست من ذهب، مملوءة ثلجاً،
فأضجعاني، فشققا بطني، ثم استخرجا قلبي، فشققاه، فأخرجا منه علقة سوداء،
فألقيها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج، حتى إذا أنقيا ثم ردّاه كما كان، ثم قال
أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته، فوزني بعشرة، فوزنتهم، ثم قال: زنه بمائة من
أمته، فوزني بمئة، فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزني بألف، فوزنتهم،

فقال: دعه عنك، فلو وزنته بأمته لوزنهم))، فهذا رسولك عليه الصلاة والسلام يُوزَن بأمة، بل بالعالمين صلى الله وسلم وعلى آله وأصحابه الطيبين.

وانظر فيما صحَّ عند الإمام أحمد وغيره من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: ((كنتُ أجتني لرسول الله صلى الله عليه وسلم سِوَاكًا من الأراك، فكانت الريح تكفؤه، وكان في ساقه دِقَّة، فضحك القوم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما يُضحِككم؟))،

قالوا: من دقة ساقَيْه،

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده، لهما أثقلُ في الميزان من أُحْدٍ)).

والسؤال هنا.. ما وزنك عند الله؟!!

اللهم يَسِّرْ حسابنا، وَيَمِّنْ كتابنا، وَثَقِّلْ موازين أعمالنا الصالحات، واجعلنا عند الجزاء من الفائزين.

يتبع 104 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الرابع بعد المئة

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

أهل الكبائر من المسلمين لا يخلّدون في النار

إخوتي!

المسلمون العصاة من أهل الكبائر الذين يموتون قبل التوبة صنفان:

1- صنف يعفيهم الله من العذاب ويدخلهم الجنة بفضلهم ورحمته مع أنهم كانوا يستحقون العقوبة في النار على ما اقترفوا.

2- وصنف يعذبهم في النار ثم يخرجهم منها ويدخلهم الجنة.

وقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ” يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزَنُّ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ ” رواه البخاري.

إذن مصير كل من آمن بالله ورسوله الدخول إلى الجنة إما بدون عذاب وإما بعد عذاب. والمسلم العاصي الذي شاء الله أن يعذبه في النار على معاصيه لا يخلّد في النار خلوداً أبدياً.

إنما الكافر هو الذي يخلّد خلوداً أبدياً في النار جزاء له على كفره الذي هو أكبر المعاصي وأشدّها وأخطرهما.

أما قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ﴾ [سورة النساء ٩٣]، فمعناه أن الذي يقتل المؤمن لإيمانه أي يقتله لأنه مؤمن فهو كافر وجزاؤه جهنم خالداً فيها، كما قال الإمام الغزالي وغيره من المفسرين.

أما من يقتل نفسا بغير حق أو يقتل نفسه فلا يكون كافرا مخلدا في النار بل هو مسلم مذنب من أهل الكبائر.

يقول الإمام النسفي (ت 710 هـ) في تفسيره مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ حال من ضمير القاتل أي قاصداً قتله لإيمانه وهو كفر أو قتله مستحلاً لقتله وهو كفر أيضاً ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ أي إن جازاه. قال عليه السلام ”هي جزاؤه إن جازاه” والخلود قد يراد به طول المقام. وقول المعتزلة بالخروج من الإيمان يخالف قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: 178].

فالمسلم يكون المرء بين الخوف والرجاء: الخوف من عذاب الله ورجاء رحمة الله تعالى. وتذكر أنك إن استرسلت في المعاصي ثم متَّ قبل التوبة لا تدري إن كنت ستكون ممن يغفر الله لهم ويعفو عنهم. فسارع إلى التوبة قبل الفوات هداي الله وإياك.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي (٣٢١ هـ) رضي الله عنه في عقيدته المعروفة بين علماء أهل السنة قديما وحديثا منذ ألف ومئة سنة، (كتاب العقيدة الطحاوية) معروفٌ بين علماء الإسلام، يقول :

”ولا تُكْفَرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ“

يقول لمجرد أن مسلماً أذنب ذنباً كبيراً أو صغيراً لا نكفره بل نقول مؤمن مسلم، ما لم يستحلّه أي ما لم يعتقد أن ذلك الذنب حلال، أمّا إذا اعتقد أن ذلك الذنب حلال فنكفره لأنّه كذب الله ورسوله باستحلاله، أمّا بفعله لا يكون تكذيباً لله ورسوله إنما يكون عصيان، نقول عصي الله ورسوله لا نقول كذب الله ورسوله.

من عقيدة أهل السنة أن لا يكفروا أهل الكبائر من المسلمين ما لم يستحلوها، وما لم يدل الدليل الشرعي على أن هذا العمل كفر ،

ومعنى ذلك أن مرتكب الكبيرة كشارب الخمر أو نحوه لا يحكم عليه بالكفر لمعصيته بل هو مسلم عاصٍ فاسق إلا أن يعتقد أو يقول باستحلال هذه المعصية لأنه يكون عائد الشرع وخالف النصوص ومخالفة النصوص كفرٌ.

لا ينخلع الإيمان عن الإنسان إلا إذا وقع في نوع من أنواع الكفر الثلاثة:

1- الكفر القولي

2- الكفر الاعتقادي

3- الكفر الفعلي.

وقال سيدنا الإمام تاج الدين السبكي في طبقاته ما نصه : ولا خلاف عند الأشعري وأصحابه بل وسائر المسلمين أن من تلفظ بالكفر أو فعل أفعال الكفر أنه كافر بالله العظيم مخلد في النار وإن عَرَفَ بقلبه، فلا يزول اسم الإيمان والإسلام بشرب الخمر أو الزنا أو الظلم أو السرقة أو شهادة الزور إلا إذا استحلها فإنه يصير كافرًا .

أي لا يكفر المسلم بارتكاب المعاصي والذنوب والكبائر مهما كثرت طالما يعتقد حرمتها، إنما يعتبر مسلمًا عاصيًا ونسَمِيه فاسقًا. فمن ترك الصلاة والصيام والزكاة مع اعتقاده فرضيتها هذا مؤمن ناقص الإيمان، قال مولانا الإمام النووي في شرح مسلم (باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي) ما نصه: في باب قوله صلى الله عليه وسلم (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن). قال النووي : القول الصحيح الذي قاله المحققون أنَّ معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان.

وهذا من الألفاظ التي تدل على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره كما يقال : لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة.

وإنما تأولناه على ما ذكرناه لحديث سيدنا أبي ذر رضي الله عنه وغيره عنه صلى الله عليه وسلم: “من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق” رواه مسلم.

وفي حديث سيدنا عبادة بن الصامت الصحيح المشهور أنهم بايعوه على أن لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا إلى آخره ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم: (فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن فعل شيئاً من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته، ومن فعل ولم يُعاقب فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه).

فهذان الحديثان:

1- مع نظائرها في الصحيح

2- مع قول الله عز وجل

3- مع إجماع أهل الحق

أن شارب الخمر والسارق والزاني لا يكفرون.

قال مولانا وسيدنا وإمامنا وقدوتنا النووي في شرح صحيح مسلم : وَأَمَّا قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا)..(أي شفاعته)

فَفِيهِ : دَلَالَةٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ غَيْرَ مُشْرِكٍ بِاللَّهِ تَعَالَى لَمْ يُخْلَدْ فِي النَّارِ وَإِنْ كَانَ مُصِرًّا عَلَى الْكِبَائِرِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ دَلَالَتُهُ وَبَيَانُهُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ.

سبحانك اعترفنا بذنوبنا فاغفر لنا ولآبائنا وأبنائنا وأزواجنا وأحبابنا بغفرة عامة
يا عزيز يا غفور.

يتبع 105 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الخامس بعد المئة

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

النار حق أوجدت كالجنة

إخوتي!

خلق الله الخلق لعباده، ونصب لهم الأدلة على عظمته ليخافوه، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه ليكون ذلك قامعاً للنفوس عن غيها وفسادها، وباعثاً لها إلى فلاحها ورشادها. فاحذروا ما حذركم، وارهبوا ما رهّبكم، من النار التي ذكر في كتابه وصفها، وجاء على لسان نبيه محمد نعتها.

دارٌ اشتدَّ غيظُها وزفيرُها، وتفاقت فظاعتها وحمي سعيُّها، سوداءٌ مظلمة، شعناءٌ موحشة، دماءٌ محرقة، (لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ لَوْاحَةً لِلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ) [المدرثر: 28-30].

لا يطفأ لهبُها، ولا يخمَد جمرُها، دارٌ حُصَّ أهلُها بالبُعد، وحرِّموا لذَّة المني والإِسعاد، (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ) [ص: 56]

قطع ذكرها بطبقاتها ودركاتها وأبوابها وسرادقها قلوب خائفين، فتوَكَّفت العبرات، وترادفت الزفرات، يقول سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم : ((والذي نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً))،

قالوا: وما رأيتم يا رسول الله؟

قال: ((رأيت الجنة والنار)) رواه مسلم [426]،

ويقول النعمان بن البشير رضي الله عنه: سمعت رسول الله يخطب ويقول: ((أندرتكم النار، أندرتكم النار))، حتى وقعت خميسة كانت على عاتقه عند رجله. رواه أحمد وغيره [أحمد 4 / 272. وهب 3 / 207].

وقال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: ((لا تنسوا العظيمنتين، لا تنسوا العظيمنتين: الجنة والنار))، ثم قال وهو يبكي ودموعه تبلُّ جانبي لحيته بأبي هو وأمي : ((والذي نفس محمد بيده، لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة لمشيتم إلى الصعيد ولحيتهم على رؤوسكم التراب)) رواه أبو يعلى [أبو يعلى ترغيب 4 / 248].

وقال، ((الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك)) [خ 6488]، و((ناركم هذه التي توقدون جزءً واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم، فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلها مثل حرّها)) [خ 3265 م. 2843].

وإنَّ ما تجدون من حرِّ الصيف وهجير القيظ نفسٌ من أنفاسها يذكركم بها، ففي البخاري عن النبي : ((اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفسٍ في الشتاء ونفسٍ في الصيف، فأشدُّ ما تجدون من الحرِّ وأشدُّ ما تجدون من الزمهرير، وإن شدة الحرِّ من فيح جهنم)) [خ 537 م. 617].

يؤتى بجهنم يوم القيامة تقاد، لها سبعون ألفَ زمام، مع كل زمام سبعون ألفَ ملك يجرونها، يؤتى بها تطفح عن شدة الغيظ والغضب، ويوقن المجرمون حين رؤيتها بالعطب، ويجثو الأمم حينئذ على الركب، ويتذكر الإنسان سعيه، (وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَلَيِّنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ)

[الفجر:23-26]. قعرها وعمقها سبعون خريفاً، يقول النبي حين سمع وجبةً [سقطة]: ((هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها)) رواه مسلم [م 2844].

وينصب الصراط على متن جهنم بفضاظتها وفضاعتها وقصف أمواجها وجلبة ثورانها، دَخُض مَزَلَّة، فيه خطاطيب وكلايب وحسك، فيمر المؤمنون على قدر أعمالهم، كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مسلّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم.

منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته. يُساق أهلها إليها، نصبون وجلون، يدْعُونَ إليها دَعًّا، ويُدفعون إليها دفعاً، يُسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون. النار تغلي بهم كغلي القدور، (إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ) [المالك:7]. يستغيثون من الجوع، فيغاثون بأخبث طعام أعدَّ لأهل المعاصي والآثام، (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ) [الدخان:43-46]، يقول سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم: ((لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الأرض لأمرت على أهل الدنيا معيشتهم، فكيف بمن هو طعامه، وليس له طعام غيره)) رواه أحمد [أحمد/1 / 300. ت 2582. ج 4325].

ويُغاثون بطعام من ضريع، لا يسمن ولا يغني من جوع، شوكٍ يأخذ بهم لا يدخل في أجوافهم ولا يخرج من حلوقهم، ويغاثون من غسلين أهل النار، وهو صديدهم ودمهم الذي يسيل من لحومهم، فإذا انقطعت أعناقهم عطشا وظمأ سُقوا من عين آنية، قد آن حرُّها، واشتدَّ لفحها، وأغيثوا بحميم يقطّع منهم أمعاءً طالما ولعت بأكل الحرام، ويضعضع منهم أعضاء طالما أسرعت إلى اكتساب الآثام، ويشوي

منهم وجوها طالما توجَّهت إلى معصية الملك العلام، (بئس الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) [الكهف:29]، يقول سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الحميم ليصبُّ على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه، حتى يمرق من قدميه، ثم يعاد كما كان)) رواه أحمد والترمذي [أحمد 2/374. ت 2582].

و((إن أهونَ أهل النار عذابًا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً)) [خ 6561. م 213].

يعانون في جهنم ما بين مقطَّعات النيران وسراويل القطران ما يقطِّع الأكباد ولا تطيقه الجبال الصَّمُّ الصلاب الشداد، يتجلجلون في مضائقها، ويتحطَّمون في دركاتِها، ويضطربون بين غواشيها، مقرَّنين في الأصفاد، أثقلتهم السلاسل والأغلال والقيود، قد شدَّت أقدامهم إلى النواصي، واسودَّت وجوههم من ذلِّ المعاصي، لهم فيها بالويل ضجيج، وبالخلاص عجيج، أمانيتهم الهلاك، وما لهم من أسر جهنم فكاك، (وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ) [الحج:21]، (كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) [الحج:22]

وتؤصد عليهم الأبواب، ويعظم هناك الخطب والمصاب، (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ) [الحجر:44]، ويلقى عليهم البكاء والحزن، فيصيحون بكياً من شدَّة العذاب، وهم في فجاجها وشعوبها وأوديتها يهيمون: (يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ) [الزخرف:77]. فحزَنهم دائم فما يفرحون، ومقامهم محتوم فما يبرحون، يقول سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم : ((إن أهل

النار لِيَكُونَ حَتَّى لَوْ أُجْرِيَتِ السَّفِينُ فِي دُمُوعِهِمْ لَجَرَتْ، وَإِنْهُمْ لَيَكُونُ الدَّمُ))
يعني مكان الدمع، أخرجه الحاكم بإسناد صحيح [الحاكم 8791].

يكون على ضياع الحياة بلا زاد، وكلما جاءهم البكاء زاد، فيا حسرتهم لغضب الخالق، ويا فضيحتهم بين الخلائق، وينادون ويصطرخون: (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) [فاطر: 37]، (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ) [السجدة: 12]، (رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) [المؤمنون: 106، 107]، ينادون إلهًا طالما خالفوا أمره، وانتهكوا حدوده، وعادوا أوليائه، ينادون إلهًا حقَّ عليهم في الآجلة حكمه، ونزل بهم سخطه وعذابه، (قَالَ أَحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ) [المؤمنون: 108].

لا يُرْحَمُ بآكِيهِمْ، ولا يجاب داعيهم، قد فاتهم مرادهم، وأحاطت بهم ذنوبهم، ولا يزالون في رجاء الفرج والمخرج حتى ينادي مناد: (يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت)، (لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا) [فاطر: 36]، (إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ) [طه: 74].

ويتلاومون ويتلاعنون ويتقابلون ويتكاذبون، (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا) [الأعراف: 38]، (يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا) [العنكبوت: 25]، ويشتد حنقهم على من أوقعهم في الضلال والردى، ومدَّ لهم في الغي مدا، يقولون: (رَبَّنَا أَرْنَا اللَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) [فصلت: 29]، ويقول من غشي عن ذكر الرحمن لقربه الذي صدَّه عن القرآن وزين له العصيان: (يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ

فَبِئْسَ الْقَرِينُ) [الرُخْف:38]، (ولن ينفعهم ذلك لأنهم في العذاب مشتركون، وَلِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ) [الأعراف:38].

إخوتي!، تلك بعض أوصاف النار وأحوال أهلها، فاستعينوا بالله من النار، استعينوا بالله من النار، ومن قول أو فعلٍ يقرب إلى النار، فإنكم اليوم في عصرٍ فتنٍ تترى وشُرور تتوالى، فتن شبهاتٍ وشهواتٍ، يرقق بعضها بعضاً، قد ثار نفعها وآلم وقعها، في حياة صاحبة تأخذ كل من استشرف إليها إلى الورا في عقيدته وأخلاقه، وترجعه القهقري في فكره وسلوكه، يقول سيدنا رسول الهدى : ((إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى))، وفي لفظ: ((ومضلات الفتن)) رواه أحمد [الهيتمي المجمع 88 / 1]

وقال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: ((حُجبت الجنة بالمكاره، وحجبت النار بالشهوات)) رواه البخاري [14 خ 6487].

فاقطعوا مفاوِزَ المكاره، وأقلقوا القلوبَ عند مراقَد غفلاتها، واعدلوا بالنفوس عن موارد شهواتها، واحتموا بكتاب الله وسنة رسوله، واعلموا أنكم في أيام مُهلٍ، من ورائها أجل، ويحُثُّه عجل، فمن لم ينفعه حاضره، فعاجله عنه أعوز وغائبه عنه أعجز، وإنه لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رقٍّ أملك من الشهوة، ولا مصيبة كموت القلب، ولا نذير أبلغ من الشيب، ولا مصير أسوء من النار، (وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ. كَلَّا وَالْقَمَرِ. وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ. وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ إِنَّهَا لَأُحْدَى الْكُبَرِ نَذِيرًا لِلْبَشْرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) [المدثر:31-37].

ألا هل بلغت؟! اللهم فاشهد.

يتبع 106 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس السادس بعد المئة

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

الشفاعة

إخوتي !

فالشفاعة هي التوسط للغير في جلب المنفعة أو دفع مضرة.

والشفاعة التي تكون في الآخرة نوعان:

النوع الأول: الشفاعة الخاصة، وهي التي تكون سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة لا يشاركه فيها غيره من الخلق وهي أقسام:

أولها: الشفاعة العظمى . وهي من المقام المحمود الذي وعده الله إياه ، في قوله تعالى: " وَمَنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا(79) " سورة الإسراء . وحقيقة هذه الشفاعة هي أن يشفع لجميع الخلق حين يؤخر الله الحساب فيطول بهم الانتظار في أرض المحشر يوم القيامة فيبلغ بهم من الغم والكرب ما لا يطيقون ، فيقولون: من يشفع لنا إلى ربنا حتى يفصل بين العباد، يتمنون التحول من هذا المكان ، فيأتي الناس إلى الأنبياء فيقول كل واحد منهم : لست لها، حتى إذا أتوا إلى نبينا صلى الله عليه وسلم فيقول: "أنا لها، أنا لها". فيشفع لهم في فصل القضاء ، فهذه الشفاعة العظمى، وهي من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم .

والأحاديث الدالة على هذه الشفاعة كثيرة في الصحيحين وغيرهما، ومنها ما رواه البخاري في صحيحه (1748) عن ابن عمر رضي الله عنهما: "إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثًا، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود."

ثانيها : الشفاعة لأهل الجنة لدخول الجنة:

عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك) " رواه مسلم (333) .

وفي رواية له (332) " أنا أول شفيع في الجنة."

ثالثها : شفاعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب:

فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: "لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه" رواه البخاري (1408) ومسلم (360) .

رابعها : شفاعته صلى الله عليه وسلم في دخول أناس من أمته الجنة بغير حساب:

وهذا النوع ذكره بعض العلماء واستدل له بحديث سيدنا أبي هريرة الطويل في الشفاعة وفيه : "ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ فَأَرْفَعْ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ."

فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ " رواه البخاري (4343) ومسلم (287) .

النوع الثاني: الشفاعة العامة، وهي تكون لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشاركة فيها من شاء الله تعالى من الملائكة والنبیین والصالحين وهي أقسام:

أولها: الشفاعة لأناس قد دخلوا النار في أن يخرجوا منها . والأدلة على هذا القسم كثيرة جدا منها:

ما جاء في صحيح مسلم (269) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا: " فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون. فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا... فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط . "

ثانيها: الشفاعة لأناس قد استحقوا النار في أن لا يدخلوها، وهذه قد يستدل لها بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفّعهم الله فيه) أخرجه مسلم (1577) فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفّعهم الله في ذلك.

ثالثها: الشفاعة لأناس من أهل الإيمان قد استحقوا الجنة أن يزدادوا رفعة ودرجات في الجنة ،ومثال ذلك ما رواه مسلم رحمه الله (1528) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا لأبي سلمة فقال: " اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه." "

شروط هذه الشفاعة:

دلت الأدلة على أن الشفاعة في الآخرة لا تقع إلا بشروط هي:

(1)- رضا الله عن المشفوع له، لقول تعالى: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى)
الأنبياء/ 28 .

وهذا يستلزم أن يكون المشفوع له من أهل التوحيد لأن الله لا يرضى عن المشركين.
وفي صحيح البخاري (97) عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "
لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنَّ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ
مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ "

(2)-إذن الله تعالى للشافع أن يشفع لقوله تعالى : (من ذا الذي يشفع عنده
إلا بإذنه) البقرة/255.

(3)-رضا الله تعالى عن الشافع، لقوله تعالى: (إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء
ويرضى) النجم/26.

كما بيّن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اللعانين لا يكونون شفعاء يوم
القيامة كما روى مسلم في صحيحه (4703) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال
: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ
وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

اللهم ارزقنا شفاعه حبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورضه عنا يا كريم.

يتبع 107 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق

الدرس السابع بعد المئة من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

بين يدي الجنة

ثلاثون سببا لدخول الجنة

إخوتي !

أولا - لا يعني أن هذه الأعمال تضمن لأي إنسان يعملها دخول الجنة ، مهما كان اعتقاده فالجنة لا يدخلها إلا مؤمن ، فلو قام أحد الكفار أو المشركين ببعض هذه الأعمال أو جميعها فلن تنفعه ولن تدخله الجنة لأن الله سبحانه وتعالى يقول :
{ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لأن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين } [الزمر : 65]

وقال تعالى عن الكفار { وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءا منثورا } [الفرقان : 23] .

لذلك فالإسلام أول الشروط اللازمة لقبول أي عمل

أما الشرط الثاني : الذي يجب أن يصاحب أي عمل ليكون مقبولا عند الله تبارك وتعالى فهو الإخلاص في العمل لله سبحانه وتعالى ، أي أن الذي قام بالعمل يجب أن يقصد به وجه الله تبارك وتعالى دون أن يشرك في قصده أي مخلوق آخر والدليل قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا ، وابتغي به وجهه) (رواه النسائي)

أما الشرط الثالث لقبول العمل : فهو متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم

1-2 السبب الأول والثاني : (الإيمان والعمل الصالح):

ورد في القرآن الكريم الإيمان كأهم الأسباب الموصلة إلى الجنة بإذن الله تبارك وتعالى، ولكنه دائما يأتي مقرونا بالعمل الصالح لذلك لا تكاد تجد موضعا فيه ذكر للإيمان وأنه سبب لدخول الجنة إلا وهو مقرون بالعمل الصالح ، وباب الأعمال الصالحة والحمد لله واسع وكبير وطرق كسب الثواب عظيمة ومتعددة لا يحصيها إلا الله سبحانه وتعالى ، قال تبارك وتعالى : {والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون } [سورة البقرة :82].

والآيات والأحاديث الصحيحة في هذا المعنى كثيرة جدا يصعب إحصائها.

3- السبب الثالث : (التقوى)

ومن أهم تعريفاتها : هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل.

ومن تعريفات التقوى أيضا هو : أن تعمل بطاعة الله على نور من الله (أي كما جاء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم) ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

ومن تعريفات التقوى: أن يجد الله تعالى حيث أمرك ويفقدك حيث نهاك.

قال تبارك وتعالى { إن المتقين في جنات وعيون } [سورة الحجر : 45] بل الجنة أعدت للمتقين ، قال تبارك وتعالى : { وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين } [سورة آل عمران : 133].

وقال صلى الله عليه وسلم (أكثر ما يدخل الناس الجنة التقوى وحسن الخلق ، وأكثر ما يدخل الناس النار الفم والفرج) أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

4- السبب الرابع : (طاعة الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم:)
قال تبارك وتعالى : { ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ، ومن يتولى يعذبه عذابا أليما } [سورة الفتح : 17].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي) قالوا يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) [فتح الباري بشرح صحيح البخاري
[249/13]

5- السبب الخامس : (الجهاد في سبيل الله) :

ويكون بالقتال في سبيل الله بالنفس والمال قال تبارك وتعالى : { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن .. } [سورة التوبة : 111].
وقال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها النهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم } [سورة الصف : 10
[12_

6- السبب السادس : (التوبة:)

فالتوبة تجب ما قبلها وكما قال صلى الله عليه وسلم (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) (رواه ابن ماجة وغيره)

وقال تبارك وتعالى : { إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَظْلُونَ شَيْئًا } [سورة مريم :60]

7- السبب السابع : (الاستقامة على دين الله:)

قال تبارك وتعالى : { إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون } [سورة الأحقاف : 13].

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال : قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك . قال (قل آمنت بالله ثم استقم) [رواه مسلم . شرح صحيح مسلم لنووي : 367/2]

8- السبب الثامن : (طلب العلم لوجه الله تبارك وتعالى:) في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (...ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) [شرح صحيح مسلم لنووي 24/17]

9-السبب التاسع (بناء المساجد)

في صحيح البخاري عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة) [فتح الباري 1/544]

10-السبب العاشر (حسن الخلق)

قال صلى الله عليه وسلم (أنا زعيم بيت في ربض الجنة ، لمن ترك المراء وإن كان محقا ، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب ، وإن كان مازحا ، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) [رواه أبو داود والضياء]

وقال صلى الله عليه وسلم (أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق ، وأكثر ما يدخل الناس النار الفم والفرج). تقدم تخريجه.

وحسن الخلق يدخل فيه أشياء كثيرة لخصتها السيدة عائشة _ رضي الله عنها عندما سُئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : (كان خلقه القرآن) [رواه مسلم وأحمد وغيرهما] والرسول هو قدوتنا وقد امتدحه تبارك وتعالى بقوله { وإنك لعلی خلق عظیم } [القلم : 3].

فلننظر في كتاب الله تبارك وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيرته وسيرة أصحابه رضي الله عنهم لتتعلم ما هو الخلق الحسن وكيف نكتسبه . ومن أفضل الكتب التي تحدثت عن شمائل النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه كتاب مختصر الشمائل المحمدية (للإمام الترمذي رحمه الله تعالى.

11-السبب الحادي عشر : (ترك المراء :)

قال صلى الله عليه وسلم (أنا زعيم بيت في ربض الجنة ، لمن ترك المراء وإن كان محقا...)... تقدم تخريجه

__ 12-السبب الثاني عشر : (ترك الكذب ولو مازحا)

قال صلى الله عليه وسلم (أنا زعيم ربض في الجنة ، لمن ترك المراء وإن كان محقا ، وبيت وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا ،)... تقدم تخريجه.

__ 13-السبب الثالث عشر (المداومة على التطهر عند كل حدث وصلاة ركعتين بعد الأذان:)

روى الإمام الترمذي في سننه والحاكم وابن خزيمة في (صحيحه) عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما قال: أصبح رسول الله يوما فدعا بلالا، فقال: (يا بلال بم سبقتني إلى الجنة ؟ إنني دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك [أي صوت مشيك] أمامي ؟.)

فقال بلال : يا رسول الله ! ما أذنت قط إلا صليت ركعتين ، ولا أصابني حدث قط إلا توضأت عنده. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بهذا) [الترغيب والترهيب 194]

__ 14-السبب الرابع عشر : (الذهاب إلى المسجد والعودة منه لأداء الصلوات):

روى الإمام مسلم في صحيحه والإمام البخاري في صحيحه وغيرهما عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح) [شرح صحيح مسلم للنووي 176/5].

ويقول الإمام النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث : (قوله صلى الله عليه وسلم : أعد الله له في الجنة نزلاً ، النزول ما يهيأ للضيف عند قدومه)

15- السبب الخامس عشر : (الإكثار من السجود لله تبارك وتعالى)
روى الإمام مسلم في صحيحه عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال : كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته ، فقال لي : (سل) ، فقلت : أسأل مرافقتك في الجنة ، فقال (أو غير ذلك) ، قلت : هو ذاك ، قال : (فأعني على نفسك بكثرة السجود) [شرح صحيح مسلم النووي 4 / 451]

16- السبب السادس عشر : (الحج المبرور) :

قال صلى الله عليه وسلم (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) [رواه البخاري وغيره فتح الباري 3/382].

وقال صلى الله عليه وسلم : (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة). (رواه الإمام أحمد الطبراني)

17- السبب السابع عشر : (قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة)
عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لم يحل بينه وبين دخول الجنة إلا الموت) (أخرجه النسائي وابن السني وغيرهما)

كما أن هناك أذكارا أخرى وعد من قالها موقنا بها الجنة على سبيل المثال في صحيح البخاري عن شداد بن أوس — رضي الله عنه — عن النبي صلى الله عليه وسلم : (سيد الاستغفار: أن يقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما

صنعت ، أبو لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي ، اغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) .

قال: ومن قالها في النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة [فتح الباري 97/11]

__18-السبب الثامن عشر : (صلاة اثنتي عشرة ركعة كل يوم وليلة تطوعا لله تعالى)

عن السيدة أم حبيبة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صلى في يوم وليلة اثنتين عشرة ركعة بني له بيت في الجنة : أربعاً قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل صلاة الغداة [الفجر]) (رواه الترمذي)

__19-السبب التاسع عشر : (إفشاء السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام والصلاة بالليل):

قال صلى الله عليه وسلم (يا أيها الناس : أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام) رواه ابن ماجه وغيره .

__20-السبب العشرون : (الصدق في الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وحفظ الفرج وغيض البصر وكف اليد):

عن سيدنا عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم : (اضمنوا لي ستاً من أنفسكم اضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا

ائتمنتم، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم) . (رواه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم)

21-السبب الحادي والعشرون : (وهو خاص بالنساء) (أداء الصلوات الخمس كما أمر الله تبارك وتعالى وصيام رمضان وإحصان الفرج وإطاعة الزوج):
روى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: أدخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت). وقريب منه في رواية (م).

22-السبب الثاني والعشرون (القيام بتربية وإعالة ثلاث بنات أو أخوات):
أخرج أبو يعلى في "مسنده" عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كن له ثلاث بنات ،أو ثلاث أخوات،فاتقى الله وأقام عليهن كان معي في الجنة هكذا، وأوماً بالسبابة والوسطى) صحيح مسلم وسنن الترمذي (4 / 281) واللفظ له، قال صلى الله عليه وسلم (من عال جارية دخلت أنا وهو الجنة كهاتين وأشار بإصبعيه)

- 23-السبب الثالث والعشرون :

(الاحتساب و الصبر على موت الأولاد والأصفياء) :

قال صلى الله عليه وسلم : (من احتسب ثلاثة من صلبه، دخل الجنة قالت امرأة : واثنان؟ قال: واثنان) [رواه النسائي وابن حبان].

وقال صلى الله عليه وسلم : (ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد ، لم يبلغوا حنثا، إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهم) [رواه الأمام احمد والنسائي وابن حبان]

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (يقول الله تعالى : ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ، ثم احتسبه إلا الجنة) .

- 24- السبب الرابع والعشرون : (كفالة اليتيم) :

روى الإمام البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وقال بأصبعيه السبابة والوسطى) [فتح الباري 436/10]

- 25- السبب الخامس والعشرون : (عيادة المريض أو زيارة أخ في الله)
عن سيدنا أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من عاد مريضا، أو زار أخا له في الله، ناداه مناد: أن طبت وطاب ممشاك، وتبوأ من الجنة منزلا) (رواه الترمذي وابن ماجه) .

وقال صلى الله عليه وسلم (من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع) (رواه مسلم ، النووي 361/16)

- 26- السبب السادس والعشرون : (المحافظة على خصلتين) :

عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم، إلا دخل الجنة، هما يسير ومن يعمل بهما قليل، يسبح في دبر كل صلاة عشرا، ويحمد عشرا، ويكبر عشرا، فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، يكبر أربعا وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثا وثلاثين، ويسبح ثلاثا وثلاثين، فتلك مئة باللسان، وألف في الميزان) فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدها، بيده، قالوا: يا رسول الله كيف (هما يسير، ومن يعمل بهما قليل) ؟ قال يأتي أحدكم (يعني) الشيطان في

منامه فينومه قبل أن يقوله ويأتيه في صلاته فيذكره حاجة قبل أن يقوها) [رواه أبو داود والترمذي] وقال (حديث حسن صحيح) والنسائي وابن حبان في صحيحه .

- 27- السبب السابع والعشرون : (السماحة في البيع والشراء) :

روى الإمام البخاري في (التاريخ الكبير) والنسائي وغيرهما عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : (أدخل الله عز وجل الجنة رجلا كان سهلا مشتريا وبائعا ، وقاضيا ومقتضيا) .

- 28- السبب الثامن والعشرون : (التجاوز عن المعسر)

روى الإمام مسلم _ رحمه الله _ في صحيحه عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم : (أن رجلا مات فدخل الجنة ف قيل له ما كنت تعمل " قال فأما ذكر وإما ذكر " فقال إني كنت أبايع الناس فكنت أنظر المعسر وأتجاوز في السكة أو في النقد فغفر له) [شرح صحيح مسلم للنووي 10 / 483]

وفي صحيح مسلم أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه ، إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا ، فلقي الله فتجاوز عنه) [شرح صحيح مسلم للنووي 10 / 485]

- 29- السبب التاسع والعشرون : (مجموعة أعمال صالحة إذا اجتمعت في المسلم في يوم دخل الجنة بفضل الله) :

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أصبح منكم صائما ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن تبع

منكم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟ قال أبو بكر: أنا، قال فمن عاد منكم اليوم مريضا؟ فقال أبو بكر: أنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة " [شرح صحيح مسلم للنووي 15 / 164]

– 30-السبب الثلاثون: (الصبر على فقد نعمة البصر) :

عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ (يقول الله تعالى : من أذهب حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة) [رواه الترمذي] .

اللهم ألهمنا رشدنا واهدنا للعمل في رضاك في عافية.

يتبع 108 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

الدرس الثامن بعد المئة

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

وصف الجنة في القرآن

إخوتي!

الجنة دار المؤمنين ومنازل المتقين، جعلها الله محلاً لكرامته، ومنزلاً لأهل سعادته، ممن مات على الإيمان والعمل الصالح، وقد توسع القرآن في ذكر أوصافها، وبيان فضلها، وشرح أصناف النعيم فيها، ترغيباً في نيلها، وشحذاً للهمم في طلبها، حتى كأن المؤمنين - لوضوح وصفها - يرونها رأي العين، فذكر الحق سبحانه درجاتها وأبوابها، وطعام أهلها، وأكلهم وشرابهم، وأنواع مياههم وأنهارهم، وبين لباسهم وحليهم، في وصف يتقاطر روعة وجمالاً.

وقد عرض سبحانه على عباده دخول الجنة بمقابل يبذلونه وبثمن يدفعونه، فقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوَارَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم } (التوبة: 111)،

وقال تعالى: { وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } (آل عمران: 133)

وقال تعالى: { سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم } (الحديد: 21).

واتفقت الرسل من أولهم إلى خاتمهم - صلوات الله وسلامه عليهم - أن طريق الجنة طريق واحد هو طريق الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: { وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله } (الأنعام: 153)،

فهو صراط واحد وطرق النار سبل متعددة . وقال تعالى: { وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر } (النحل: 9)، أي: ومن الطرق ما هو خارج معوج عن سبيل الحق والهدى وهي سبيل الغي والكفر .

وقال سبحانه: { هذا صراط علي مستقيم } (الحجر: 41)

وعن سيدنا عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: خط لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطأً ثم قال: (هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ { وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله } رواه أحمد وغيره.

فمن أراد الجنة فليسلك على هذا السبيل، وهو يسير على من يسره الله تعالى عليه. وبين القرآن الكريم أن الجنة قد خلقت وزُينت وأُعدت للمؤمنين، قال تعالى: { وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين } (آل عمران: 133)،

وقال تعالى: { سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله } (الحديد: 21)، والإعداد يقتضي التهيئة والوجود،

ومما يدل في السنة على وجودها تصريحه - صلى الله عليه وسلم - برؤيتها، ففي الصحيحين من حديث سيدنا عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال - صلى الله عليه وسلم - (إني رأيت الجنة) متفق عليه.

وبيّن القرآن موضعها ومكانها الذي هي فيه الآن، قال تعالى: { ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى } (النجم: 14-15)

روى الطبري في تفسيره عن هلال بن يساف، قال: سأل ابن عباس كعباً، عن سدرة المنتهى وأنا حاضر، فقال كعب: إنها سدرة - شجرة النبق - على رؤوس حملة العرش، وإليها ينتهي علم الخلائق، ثم ليس لأحد وراءها علم، ولذلك سميت سدرة المنتهى، لانتهاى العلم إليها.

وقال تعالى: { وفي السماء رزقكم وما توعدون } (الذاريات: 22) روى الطبري عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد يقول: "الجنة في السماء."

وبيّن القرآن أن للجنة أبواباً يدخل المؤمنون منها، قال الله تعالى: { وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين } (الزمر: 73)،

وفي الصحيحين من حديث أبي حازم عن سيدنا سهل بن سعد أن رسول الله قال: (إن في الجنة ثمانية أبواب) متفق عليه.

وبين القرآن أن الجنة درجات بعضها فوق بعض، قال تعالى: { لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً * درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيماً } (النساء: 95-96)

وقد ثبت في الصحيحين عن سيدنا أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن في الجنة مئة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض."

وبين القرآن أسماء الجنة الدالة على معانيها وصفاتها..

فمن تلك الأسماء:

الجنة: قال تعالى: { وتلك الجنة } (الزخرف: 72)، وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرّة الأعين، وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية، ومنه الجنين لاستتاره في البطن والجان لاستتاره عن العيون.

دار السلام: قال تعالى: { لهم دار السلام عند ربهم } (الأنعام: 127)، وقال تعالى أيضاً: { والله يدعو إلى دار السلام } (يونس: 25)، وهي الأحق بهذا الاسم، والأسعد بهذا الوصف، فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه، وهي دار الله، واسمه سبحانه وتعالى السلام الذي سلمها وسلم أهلها، وتحيتهم فيها سلام وتحية الملائكة لهم السلام، { يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم } (الرعد: 23-24)، والربُّ تعالى يسلم عليهم: { سلام قولاً من رب رحيم } (يس: 58)

دار الخلد: وسميت بذلك لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً كما قال تعالى: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً} (النساء: 57.)

جنة المأوى: قال تعالى: {عندها جنة المأوى} (النجم: 15)، والمأوى من أوى يأوي إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به، والجنة دار مستقر ومأوى المؤمنين.

جنات عدن: قال تعالى: {جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب} (مريم: 61)، وقال تعالى: {جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير} (الحج: 23)، ومعنى عدن أي إقامة، يقال عدن بالمكان إذا أقام به . فالجنة هي دار الإقامة الدائمة.

الفردوس: قال تعالى: {أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون} (المؤمنون: 10-11)، وقال تعالى: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً} (الكهف: 107)، والفردوس اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، وأصل الفردوس البستان والفراديس البساتين.

جنات النعيم: قال تعالى: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم} (لقمان: 8)، وهو أيضاً اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التي يُتَنَعَم بها من مأكول ومشروب وملبوس ورائحة طيبة ومنظر بهيج ومساكن واسعة، وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن.

المقام الأمين: قال تعالى: {إن المتقين في مقام أمين} (الدخان: 51)، والمقام موضع الإقامة، والأمين الآمن من كل سوء وآفة ومكروه.

مقعد صدق: قال تعالى: { إن المتقين في جنات ونهر * في مقعد صدق عند ملك مقتدر } (القمر: 54-55)، فسمى الله جنته مقعد صدق لأنها مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم.

وقد بيّن القرآن أن الجنان أنواع مختلفة في درجاتها، قال تعالى: { ولمن خاف مقام ربه جنتان } (الرحمن: 46)، فذكرهما ثم قال: { ومن دونهما جنتان } (الرحمن: 62)، فهذه أربع جنان،

ولكل جنة أهلها فالأعلى من الجنان للأعلى منزلة إيماناً وعملاً.

وذكر القرآن أن لأهل الجنة مساكن وبيوتاً وغرفاً مبنية بعضها فوق بعض، قال تعالى: { لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية } (الزمر: 20)

وقال تعالى: { وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون } (سبأ: 37)،

وقال تعالى: { يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن } (الصف: 12)

وقال تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: { ربّ ابن لي عندك بيتا في الجنة } (التحریم: 11)

وروى الترمذي عن سيدنا علي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إن في الجنة غرفاً يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال: يا رسول الله لمن هي ؟

قال: لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام .(

وبين القرآن أن في الجنة جميع الملذات الحسية والمعنوية وما لا يوجد مما يشتهي أهلها يخلقه الله لهم، قال تعالى : { وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين. }

وعن سيدنا أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يتحدث - وعنده رجلٌ من أهل البادية - (أن رجلاً استأذن ربه في الزرع، فقال له ألتست فيما شئت، قال: بلى، ولكن أحب أن أزرع، فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده، فكان أمثال الجبال - أي أن نباته واستواؤه واستحصاده يحصل سريعاً -، فيقول الله: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء) فقال الأعرابي: والله لا تجده إلا قرشياً أو أنصاريّاً فإنهم أصحاب زرع، أما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رواه البخاري.

وبين القرآن أن في الجنة أنهاراً وعيوناً يشرب منها أهل الجنة، وأن هذه الأنهار والعيون متنوعة في أصنافها ومجراها، قال تعالى: { جنات تجري من تحتها الأنهار } (البقرة: 25)، أي أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود في أنهار الدنيا .

وقال تعالى: { فيهما عينان نضاختان } (الرحمن: 66)، أي: فوارتان بالماء . وقال تعالى: { مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى } (محمد: 15)، فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أن يتغير من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتحول طعمه إلى الحموضة، وآفة الخمر كراهة مذاقها وتغييرها للعقول، وآفة العسل عدم تصفيته، وهذا من آيات الله تعالى أن يجري أنهاراً من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها.

وذكر القرآن طعام أهل الجنة: وأن طعامهم الفاكهة واللحم وما يشتهون من سائر الطعام الطيب، وأن شربهم الماء واللبن والعسل والخمر التي لا داء فيها، قال تعالى: { وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون * يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم } (الطور: 22-23)،

وقال تعالى: { يسقون من رحيق مختوم * ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون } (المطففين: 25-26)،

وقال تعالى: { مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى } (محمد: 15)

وذكر القرآن آنية أهل الجنة: التي يأكلون ويشربون فيها، وأنها صحاف وأكواب وكؤوس، قال تعالى: { يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب } (الزخرف: 71)، وقال تعالى: { يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين } (الواقعة: 17-18)

وذكر القرآن لباس أهل الجنة وحليهم: وأن لباسهم الحرير، وحليهم الذهب، قال تعالى: { إن المتقين في مقام أمين * في جنات وعيون * يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين } (الدخان: 51-53)،

وقال تعالى: { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً * أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك } (الكهف: 30-31)

قال جماعة من المفسرين: السندس الرقيق من الحرير، والإستبرق الغليظ منه.

وذكر القرآن أن لأهل الجنة خياماً: قال تعالى: {حور مقصورات في الخيام} (الرحمن:72)، وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً) رواه مسلم. وهذه الخيام غير الغرف والقصور، بل هي خيام منصوبة في البساتين، وعلى شواطئ الأنهار.

وذكر القرآن أن لأهل الجنة خدماً: من الغلمان، قال تعالى: {يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين} (الواقعة: 17-18)، وقال تعالى: {وطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً} (الإنسان:19)، قال ابن عباس: غلمان لا يموتون، وكذلك قال مجاهد والكلبي ومقاتل.

وذكر القرآن نساء أهل الجنة: وأصنافهن وجمالهن الظاهر والباطن، قال تعالى: {ولهن فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون} (البقرة:25)، مطهرة من كل أذى وعيب ظاهراً وباطناً، فطهرت من قدر نساء الدنيا، وطهر باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاءة، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ.

وقال تعالى: { كذلك وزوجناهم بحور عين } (الدخان:54)، قال الإمام مجاهد :
" الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون" وقال سيدنا الحسن :
"الحوراء شديدة بياض العين شديدة سواد العين."

وقال تعالى: { فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان * فبأي
آلاء ربكما تكذبان * كأئن الياقوت والمرجان } (الرحمن: 56-58) فوصفهن
بَقَصْر طرفهن عن أن ينظرن لغير أزواجهن، ووصفهن بأنهن أبكار لم يوطأن،
وشبههن بالياقوت في صفائهن، وبالمرجان في جمالهن وحسنهن.

وذكر القرآن سماع أهل الجنة: وغناء الحور لهم، وما فيه من الطرب واللذة، قال
تعالى: { فأما اللذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون }
{(الروم:15)، روى الطبري عن يحيى بن أبي كثير : (فهم في روضة يحبرون)، قال:
الحبرة اللذة والسماع . وعن سيدنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال:
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إن في الجنة مجتمعاً للحور العين
يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن
الناعمات فلا نبأس، و نحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له)
رواه الترمذي.

وذكر القرآن أن أهل الجنة يلتقي بعضهم بعضاً، يتذاكرون أخبار الدنيا، ويشكرون
الله على نعمه وفضله، قال تعالى: { فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قال
قائل منهم إني كان لي قرين * يقول أنك لمن المصدقين * إذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أننا لمدينون * قال هل أنتم مطلعون * فاطلع فرآه في سواء الجحيم *

قال تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين
{(الصفات:50-57)}

وقال تعالى: { وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قالوا إنا كنا قبل في أهلنا
مشفقين * فمن الله علينا ووقنا عذاب السموم * إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو
البر الرحيم } (الطور:25-28)

وذكر القرآن أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة في المحشر، وفي الجنة، قال تعالى عن
الكفار: { كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون } (المطففين: 15)، فدل على أن
المؤمنين يرونه يوم القيامة،

وقال تعالى: { وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة } (القيامة: 22-23)، وقال
تعالى: { لهم ما يشاؤون فيها ولدنا مزيد } . وقد فسر المزيّد جماعة من الصحابة
والتابعين بالنظر إلى وجه الله تعالى منهم سيدنا أبو بكر الصديق، وسيدنا علي بن
أبي طالب، وسيدنا أنس بن مالك - رضي الله عنهم - وغيرهم.

وذكر القرآن من نعيم أهل الجنة: إلحاق ذريتهم بهم ممن مات صغيراً ولم يأت من
العمل ما يبلغه درجة والديه، قال تعالى: { والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان
ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين }
(الطور:21)،

وعن سيدنا ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - : (إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته و إن كانوا دونه في العمل لتقرّر

بهم عينه)، ثم قرأ: { والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين } أي: ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين.

تلك بعض أوصاف الجنة التي وردت في كتاب الله تعالى، وهي أوصاف تشدّ الهمم، وتعظم العزائم، في طلبها، والسعي إليها، وتحصيلها، والمنافسة في دخولها، فيكفي الجنة أنها دار لا هم فيها ولا غم، ولا خوف، ولا تعب ولا نصب، وهي بعد ذلك دار السرور الدائم والنعيم الممتد، والعيش الخالد، والمجد التالد، جمعت كل سرور، وحوّت كل نعيم، واستبدت بكل خير، جعلنا الله من أهلها وسكانها. ويكفي أن فيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابه وأئمة المسلمين، وأعظم ما فيها رؤية رب العالمين جل جلاله.

يتبع 109 دروس العقيدة الإسلامية

هنا دمشق.

انتهى باب الإيمان باليوم الآخر
ويليه الركن الإيمانى السادس
القضاء والقدر

الباب السادس

الإيمان بالقضاء والقدر

الدرس التاسع بعد المئة

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر

مقدمة الإيمان بالقضاء والقدر

الحمد لله الصبور الشكور، العلي الغفور، السميع البصير، العليم القدير، شملت قدرته كل مخلوق، وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور، قدر مقادير الخلائق وآجالهم، وكتب آثارهم وأعمالهم، وقسم بينهم معاشهم وأحوالهم، وخلق الموت والحياة ليبلوه أيهم أحسن عملاً .

اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النبي الكريم، والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فالإيمان بهذا الركن الإيماني يعطينا قوة إيجابية دافعة إلى العمل وبناء المستقبل، وليس لتثييط الهمم، والقعود عن العمل، والخلود إلى الكسل، والوقوف عند أحداث الماضي .

إن الإيمان بالقضاء والقدر يخلصنا من أعباء الماضي وسلبياته، يخلصنا من الوقوع فريسة الأحزان والمآسي، فإذا ما اصطدم العبد بشيء أو بموقف مزعج أو بإخفاق في مشروع أو عمل أو وظيفة، أو صدد أو رفض أو إهانة أو إذلال أو سخرية تخطاها، وبحث عن فرص أخرى كثيرة سواها، وهو يتلو كلام مولانا عز وجل : ﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فأياي فاعبدون ﴾ (العنكبوت 56) .

فلاستكانة والرضا بالمدلة سبيل الضعفاء وغير المؤمنين، أما المؤمن فيتغلب على الصعاب بمهمة عالية، وعزيمة ماضية، لا تعرف التردد والانزواء، إن المؤمن بالقضاء والقدر تراه حريصاً على معرفة أقدار الخير ليدفع بها أقدار الشر (داووا مرضاكم بالصدقة) وهو يدفع قَدَر الجوع بقَدَر الطعام، و قَدَر المرض بقَدَر الدواء، وقَدَر الفقر بقَدَر السعي في طلب الرزق، وتراه صادقاً في توكله على ربه، يأخذ بالأسباب التي قَدَّرَ اللهُ أقدارها، ويطلب منه العون على ما أعجزه منها، تراه يردد في يقين قول سيده ومولاه ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (التوبة 51) .

وكان رسول الله يعلم هذه العقيدة أصحابه الكرام، ويربهم عليها منذ نعومة أظافرهم، فها هو يردف خلفه ابن عمه سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ويوجهه هذا التوجيه النبوي الشريف فيقول له :

« المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا، ولكن قَدَّرَ اللهُ وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

فهذا الحديث الشريف قاعدة هامة في قضية القضاء والقدر، يقول ناظم العقيدة :

وواجب إيماننا بالقدر وبالقضاء كما أتى في الخبر

﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾ .

إخوة الإيمان:

إذا أردنا شرح ومعرفة هذا الركن الإيماني فعلينا أولاً أن نوضح معنى القضاء والقدر . فالقضاء بمثابة التخطيط للشيء : أي أن الله تعالى يعلم أنه مثلاً سيخلق عبداً له مثلاً اسمه عبد العزيز، فتأتي صفة الإرادة فيخصص مولانا صفة هذا العبد، يخططه على هيئة معينة ولون معين وطول معين وأنه سيولد في دمشق أو سواها، وفي لحظة

معينة من الزمن، وما لون عينيه، ما لون شعره، ما حياته، ما عمله، أشقي أم سعيد، (هذا التخطيط والتصميم بالمعنى المعاصر) يعود إلى علم الله وإرادته، هكذا قضاءه، فإذا أراد الله إبرازه إلى الوجود، هيأ له أسباب ذلك، فيزوج الشيخ محمد سهيل من السيدة حورية السبيعي ويباشران أسباب الحمل، ثم وفي اللحظة المرادة لله تعالى ينقذ الله بقدرته تعالى ما قضاءه الله، وتحقق الأشياء على مقاديرها المحددة بالقضاء في ذواتها وصفاتها وخصائصها الزمنية والمكانية .

هذا مثال لواحد من أمثلة لا تحصى، لأن علم الله تعالى لا يحده حد، وخلق الله لا يقف عند حد، فالقضاء بمثابة التخطيط والقدر بمثابة التنفيذ، ولهذا اسمعوا معي إلى قول الإمام العلم سيدنا الإمام النووي رحمته الله (شرح صحيح مسلم 1/154) يقول:

« واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه : أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدر الله سبحانه وتعالى ».

إخوتي

هذا القضاء وذاك القدر أثبته مولانا رحمته الله في اللوح المحفوظ، كما صرح به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من مدرستي الإمامين مسلم والترمذي فقال: « كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة » .

وكنت مرة أكرر هذه القضية على بعض الطلبة فقام طالب فقال: يا أستاذ ما كتبه الله في اللوح هو الذي جعل تارك الصلاة تاركاً للصلاة وجعل المصلي مصلياً . فقلت للطالب : لا يا بني ما وقر في ذهنك وهم، لأن المصلي يقوم إلى الصلاة باختياره دون إجبار، وتارك الصلاة يتركها دون إكراه أو إجبار، وهذا ما يعرفه كل إنسان، لأن الله أراد أن يخلق الإنسان و له حرية واختيار .

وإذا بالطالب يسأل سؤالاً آخر فقال :

وكيف لا يكون ما قد كتب في اللوح مجبراً للإنسان على العمل مع أنه قد كتب منذ الأزل .

فقلت له : هون عليك فإن الأمر سهل يوضحه هذا المثال : ألا ترى أن الأستاذ الذكي الخبير بأحوال طلابه، الذي يضع أسئلة الامتحان لو أنه كتب في ورقة أسماء من هو متأكد أنهم سيرسبون في الامتحان، وكتب أسماء من هو متأكد من نجاحهم، ثم جاء الامتحان وظهرت النتيجة فرسب كل الطلاب الذي كتب في الورقة أنهم سيرسبون، ثم جاء الذين رسبوا محتجين بقولهم : إن ما كتبه الأستاذ علينا في الورقة بأننا سنرسل هو السبب في رسوبنا ؟ فهل سيقبل عذرهم ؟، أم أنه سيقال لهم : إن ما كتبه الأستاذ في الورقة أمر متعلق بعلمه وخبرته السابقة بأحوالكم ؟ ورسوبكم متعلق بإهمالكم، فلا تعتذروا اليوم لإهمالكم بعلم الأستاذ وخبرته .

ثم قلت له : يا بني هذا مثال ضربته لك لمدرّس، أما الله تعالى (والله المثل الأعلى) فهو سبحانه خالق الخلق وهو العليم بأحوالهم قال لنا : ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ (الملك 14) .

إخوتي

لقد خلقنا الله سبحانه لقضاء فترة الامتحان على هذه الدنيا، وهو جل شأنه يعلم نتيجة الامتحان، فكتب الشقاء على الأشرقياء، وكتب السعادة للسعداء حسب علمه المحيط بما كان وما سيكون، وربما أخطأ الأستاذ في تقديره لنتائج طلابه، لكن قدّر الله لا يخطئ في تقديره لأعمال خلقه، والكتابة في اللوح أمر متعلق بعلم الله السابق، فترك الصلاة مثلاً أمر متعلق بتمرد وإهمال ومعصية تارك الصلاة، فلا يعتذر جاهل تارك للصلاة أن الله قدر عليه ذلك، أو قدّر عليه شرب الخمر، أو قدّر عليه ما يفعله من معاصي ...

ألا فتعلموا أن علم الله سابق لا سائق، ألا فتعلموا أن علم الله سابق لا سائق .

ولقد أخبر مولانا رحمته رسولهُ الكريم بما هو كائن إلى يوم القيامة، ورأينا فيما سبق في علامات الساعة أن كثيرا من الأشياء ذكرها رسولُ الله وكتبها المسلمون في كتب الحديث تقع الآن، فهل يزعم شخص أن كتابة المسلمين لما يحدث الآن هو الذي أحدثها، إن العلم سابق لا سائق .

إخوتي.

علينا أن نؤمن أن الله علماً قديماً بالأشياء قبل كونها، وأنه كتب الأشياء قبل إيجادها، ثم أراد مولانا إيجاد الأشياء، فليس في الوجود شيء إلا بمشيئة الله وحده، (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن)، فهو الخالق للأشياء، وهو الخالق للأعمال، وهو الموجد لها، وصدق رسولُ الله : « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » .

* * *

يتبع 110 دروس العقيدة الإسلامية

مشيخة الطريقة الشاذلية

هنا دمشق.

الدرس العاشر بعد المئة
من دروس العقيدة الإسلامية
عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر
قانون السببية :

إخوتي

(أول ما خلق الله تعالى القلم) (ت - د) ثم قال له : اكتب . قال : وما أكتب .
قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة .

إخوتي

سببٌ ومُسَبَّب : لفظتان من أهم الألفاظ في قضية القضاء والقدر .
أطرح اليوم معكم هذه القضية الهامة، لأتعرّف مع حضراتكم على قانون السببية،
قانون وضعه مولانا رَحِمَهُ اللهُ وَيَعْنِي ربط النتائج أو المسببات بالأسباب والمقدمات .
أطرحها لأردّ على الجهلاء الذين يزعمون أنه « إذا كانت السعادة والشقاوة، والرزق
والحرمان، والنصر والهزيمة، والصحة والمرض، والعز والذل، والنجاح والفشل، والحياة
والمرض، إذا كان كل أولئك سبق به الكتاب، وجفّ عنه القلم، وطويت عليه
الصحف، ولا تبديل لكلمات الله فلا فائدة في إتياع النفس بالأعمال، ومحاولة
الوصول إلى المقاصد من طرقها التي جرت بها السنن الكونية، إذ لا بد من وقوع
المقدّر في زمنه المحدد له، سواء أوقعت أسبابها أم لم تقع » .
هكذا يزعمون، إن من يزعم أن المسبب يقع دون السبب، وأن النتيجة تقع دون
مقدماتها يكون قد فكك معنى القدر فأمن ببعض وكفر ببعض .
لأن الله تعالى كما علم الأشياء علم أسبابها ونتائجها وسائر أحوالها وظروفها،
وربط بعضها ببعض في علمه تعالى، ومجموع ذلك كلّ القدر .

إخوة الإيمان :

إذا أراد الله تعالى أمراً يَسِّرَ له أسبابه الموصولة إليه في علمه، حتى يتم على الوجه الذي علمه وأراد، وهذه القضية صرّح بها خير البرية وسيد البشرية سيدنا ومولانا محمد ﷺ فقال: « إن أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة، وإنّ أهل النار ييسرون لعمل أهل النار » وهذا المعنى تماماً ذكره رب العزة والجلال في القرآن، فعلى موجات سورة الليل (4 - 9) .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرْهُ لِلْيسْرِ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرْهُ لِلْعُسْرَى ﴾ فلو وقعت المسببات أي النتائج بدون أسبابها (أي مقدّماتها) التي ربطنا بها مولانا في عمله لكان بعض القدر واقعاً وبعضه غير واقع، وهذا جهل كبير . ولو كانت عقيدة القدر كما يزعمها هؤلاء الجهلاء لكانت مدعاة قعود وكسل، وباعثة جُبْنٍ وَخَوَرٍ، بل لكانت معول هدم للشرائع والقوانين، وإذا لصدق عليها قول بعض الملحدّين : إنّها هي إحدى عوامل ضعف المسلمين وخمولهم .

وسيقول السفهاء من الناس : إذا كان الله قد كتب عليّ الرسوب فلماذا أدرس، وإذا كان الله تعالى كتب عليّ الفقر فلماذا أعمل، وإذا كتب عليّ الهزيمة فلماذا أعد نفسي للحرب ؟؟ .

ألا إن أمثال هؤلاء جهلاء بالعقيدة، جهلاء بالقدر، فما هو الصواب يا معشر الأحباب؟

ها هو كتاب الله تعالى يقرر لنا :

أن النصر مع الصبر، وأن الرزق مع السعي، وأن الأمن في إقامة الحدود، وأن السعادة مرتبطة بالعمل، اسمعوا القواعد الإيمانية في الربط بين المقدمة والنتيجة، بين السبب والمسبب ﴿ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ ﴾ (الأنفال 66) اصبروا تغلبوا ﴿ فَاَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾

. البقرة 179 أقيموا الحدود تأمنوا وتحيا . ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ . (آل عمران 142) .

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وضع الأسباب لمقاصدها، ونوط المقاصد بأسبابها، ولأزيد هذه القضية توضيحا وتبيانا، تعالوا بنا نتعلم العقيدة الحقة من سيد الموحدين وإمام المتقين، لنرى التطبيق الصحيح لهذه القضية (بعد أن تصلوا عليه): هذه سنته ﷺ قولية وعملية كلها ناطقة بإتيان البيوت من أبوابها وأخذها من أسبابها، فقد لبس الدروع في الحرب، وحفر الخنادق واستعمل العيون والحراس واستظهر بالخلفاء، واستعان بالأصحاب، رغم أن الله تعالى وعده بالنصر فقال ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا﴾ (غافر 51) وقال لنا: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾ (التوبة 40) (صلوا عليه) .

وتداوى وأمر بالتداوي وسعى وأمر بالسعي، وكان يدّخر من القوت لأهله ما يكفيهم عاما، وهو سيد المتوكلين، وأمر بالاقتصاد وقال للصحابي : إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس (الستة)، وقال أيضا: « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ».

هذا تطبيق لسيدنا رسول الله ﷺ لمعنى القدر وليس على الإنسان إلا بذل الوسع في سلوك الطريق الذي يظنه موصلا إلى الخير، فإن سلك القدر طريقا آخر غير الذي سلكته فهناك فقط يكون لك أن تتسلى بالقدر وتقول : قدر الله ﷻ وما شاء فعل.

أيها الإخوة :

بهذه الكيفية علينا أن نفهم قضية القدر، وبهذا الفهم فهم الصحابة رضي الله عنهم معنى القدر، وأن الحوادث مستندة إلى الأسباب الإلهية، وأن العبد عليه أن يعلم أن ما قدر يكون، وأن الحذر لا يمنع القدر، وقد كان جدي سيدنا علي ﷺ يخرج بالليل إلى المسجد ليصلي تطوعاً، فيجيء أصحابه يحرسونه، ومرة سأهم حين فرغ من صلاته وقال: ما يجبسكم هنا؟ قالوا نحرسك . قال : أمن أهل السماء تحرسون

أم من أهل الأرض؟ قالوا : بل من أهل الأرض . وهنا علمهم العقيدة التي تعلمها من سيدنا محمد ﷺ فقال : « إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء، وليس من أحد إلا وقد وُكِّل به ملكاه يدفعان عنه، ويكلاّنه حتى يجيء قدره، فإذا جاء قدره خليّا بينه وبين قدره، وإن عليّ من الله جنة حصينة فإذا جاء أجليّ كشفت عني، وإنه لا يجد طعم الإيمان عبد حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه » .

معشر السادة الكرام :

علينا أن نفهم هذا ونعيه، علينا أن نعتقد جازمين أنه لا تطرف في العالم عين، ولا تهب نسمة هواء، ولا يجري فيه حادث صغيراً كان أو كبيراً إلا بعلم الله وإرادته وقدرته، وأن يمتزج هذا بدمنا ونستسلم لله ونخضع له، ونعترف له بالكمال المطلق وعجل، وأن الأمور مربوطة بأسبابها .

تعالوا معي نحضر هذا الدرس . أستاذ هذا الدرس عملاق الإسلام سيدنا عمر رضي الله عنه :

خرج سيدنا عمر مع سيدنا أبي عبيده بن الجراح رضي الله عنه مع الجند إلى الشام (خ - الموطأ) فأخبر سيدنا عمر أن الطاعون في الشام، فاستشار الصحابة فاختلفوا : هل يدخلون أم لا، فعزم على عدم دخول الشام فقال له سيدنا أبو عبيدة : أفراراً من قدر الله يا عمر؟! فقال سيدنا عمر : نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله .

هذا الكلام يعني أن الصحابة فهموا معنى القدر بشكل متكامل، وأن المسببات مربوط بأسبابها، وأن الله تعالى قدر الموت والحياة، وقدر لكل منهما طريقه، فحياتنا إن سلكننا سبيلها من قدره، وموتنا إن سلكننا سبيله من قدره، وما دام المرء في سعة من أمره وجب أن يسلك سبيل الحياة، ولا يلقي بيده إلى التهلكة، فلو كان سيدنا عمر فهم القدر كما يفهمه ويحرفه الجهلاء لدخل قرية الطاعون وقال: (لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) .

أخي المسلم :

هذا الكلام نقوله في الحرب، في ساحة المعركة في الجهاد في سبيل الله، هناك يجب عليك عدم الفرار من وجه الموت، هناك تكون عقيدة القدر من بواعث الصبر والثبات ثقة بالله، فإن الأجل لا يزيد بالإحجام، ولا ينقص بالإقدام، فإلى العمل يا إخوتي، وإياكم والكسل، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة .

* * *

يتبع 111 دروس العقيدة الإسلامية

مشيخة الطريقة الشاذلية

هنا دمشق.

الدرس الحادي عشر بعد المئة
من دروس العقيدة الإسلامية
عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر
الهداية والقدر

إخوتي

الهداية لطف من الله ﷻ وعجزك يتمناه كل عبد، ولكن الله تعالى لا يعطيها إلا لعبده وفقه للخير وسلوك سبيل الحق، ولو شاء الله تعالى لهدى الناس جميعاً ولجعلهم أمة واحدة على دين واحد، أو لأرغمهم وأجبرهم على الإيمان بالله رباً واحداً ولكنه لم يشأ ذلك، تاركاً للنفس الإنسانية الحرية في مقاومة نوازع الشر وألوان الكفر وخروجها عن الأهواء حتى إذا فعلوا ذلك استحقوا المكافأة الحسنة في الدنيا والآخرة عن جدارة وتميز .

والهداية هو ذلك النور الإلهي الذي يفيضه على العبد ووعيه وعقله وجوارحه، فيجعله في عداد المؤمنين الصالحين، ولهذا ورد في الحديث عنه اللهم صل وسلم وبارك عليه قوله : « إن الله خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضلَّ » .

قال تعالى:

﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ﴾ (الكهف 17)
﴿ ويضل الله الظالمين ﴾ (إبراهيم 27) ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات ﴾ (النحل 93) ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ﴾ (فصلت 17)

(هديناهم) خلقناهم على فطرة التوحيد والإيمان بالواحد، (هديناهم) بإرسال الرسل إليهم، (هديناهم) بتبيين ما حرم عليهم، ولكنهم استحبوا المخالفة والضلال، هذه الآية أكبر دليل على أن الله سبحانه يضل من جنحت به نفسه إلى مهاوي الضلال وتَنَكَّب عن طريق الهداية، هذا ما جاء به القرآن الكريم وقررتة الآيات وقضى به رب العزة والجلال، اسمعوا هذه الآيات وعوها جيدا .

﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ﴾ (الفرقان 43) (لا أحد يهديه من بعد الله) .

هذه الآية الكريمة ردّ على من يزعم أن الله هو الذي أرغم المجرمين على عدم الهداية وترك سائر الطاعات وهدى غيرهم، إن الذين يزعمون أن الله هو الذي أضلهم متذرعين بآية من القرآن فهموها خطأ هي قوله تعالى مخاطبا سيدنا محمد ﷺ خاطبه بقوله جل جلاله ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (القصص 56) . إن الذين يرددون هذه المزاعم لم يعلموا حقيقة الأمر، فالهداية قسمان : هداية عامة وهداية خاصة، أو قل إن شئت : هداية إرشاد وهداية إعانة، أو قل : هداية دلالة وهداية توفيق، فماذا يعني ذلك ؟ .

إخوتي في الله : قبل أن أبين هذه القضية اسمحوا لي أن أمثل لكم بمثال بسيط لتكون قضيتنا اليوم واضحة جلية : رجل أضل بيت صديق له فراح يسأل الناس ليدلوه على البيت فالناس في دلالة هذا الرجل قسمان : قسم يدلّه على البيت عن بعد (بتروح على المهاجرين باشكاتب رابعة بيت الشيخ عبد العزيز الخطيب) يدلّه عن بعد، الناس قسمان : قسم يهدونك من بعيد ثم يتركوك تذهب بمفردك، فهو قد هداه إلى الطريق وأرشده إليه، هذه دلالة إرشاد . وقسم آخر طلب منه العون ليدله على صديقه، فإذا به يحمله على سيارته، ويأخذ بيده إلى أن يوصله إلى بيت صديقه، فهذه دلالة توفيق، دلالة إعانة، دلالة خاصة .

هذا المثال الذي ضربته لكم يوضح هذه القضية، فالرسل مثلاً : وظيفتهم القيام بهداية الإرشاد فهم يرشدون الناس إلى الطريق الأقوى الذي يدلهم إلى الخير، فلذلك خاطب الله سيدنا محمد (اللهم صل وسلم وبارك عليه) قال له : ﴿ **وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم** ﴾ (الشورى 52) : هداية إرشاد : الأنبياء يهدون هداية إرشاد، أما هداية المعونة أو التوفيق فهذه لا يملكها إلا رب العزة والجلال، لا يعطيها إلا لمن يعلم أنه يستحقها، وهذا هو بالضبط المعنى المراد من قوله لنبيه الكريم ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت** ﴾ فالمقصود هداية التوفيق، الأنبياء لا يهدون هداية المعونة والتوفيق، إنما الذي يملك هداية التوفيق هو **الله**، لذلك اسمع قوله تعالى : ﴿ **وما توفيقي إلا بالله** ﴾ (هود88).

هداية التوفيق من **الله** تعالى، فهو العادل الذي يهدي من قبل هداية الإرشاد، يهديه : بهداية التوفيق والإعانة، ولذلك طبق ذلك على كل آيات القرآن التي فيها معنى الهداية ﴿ **والذين اهتدوا** (هداية إرشاد) **زادهم هدى** ﴾ (محمد17) أعطاهم هداية التوفيق .

لذلك رب العزة يقول ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾ (البقرة152) التوجه والقصد إلى **الله** تعالى من عندك، أما أن تعرض عن الحق وتقول : **الله** ما هداني (يا كذاب الأبعد) . والدليل :

﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم** ﴾ .

(اللهم آت نفوسنا تقواها وزكّها أنت خير من زكاها) لذا لا يضل **الله** سبحانه إلا من يستحق الإضلال، ممن رفض الهداية والإرشاد وزاغ عن الطريق، واسمع إلى مولانا عز وجل يقرر هذه الحقيقة تماماً:

﴿ **فلما زاغوا أزاغ **الله** قلوبهم** ﴾ : حين مالوا عن الحق باختيارهم حرّمهم التوفيق والإعانة، لذلك رب العزة قال ﴿ **والله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾ (الصف 5) لما رفضوا الهداية العامة حرّمهم الهداية الخاصة .

وقد أراد المشركون يوماً أن يحتجوا بأن الله هو الذي جعلهم مشركين، هو الذي لم يهدمهم، هو الذين لو شاء هداهم، لما ادعوا ذلك : أبطل الله حجتهم بالقرآن ودحضها وقال: ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمننا من شيء، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا، إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴾. (الأنعام 148)

فالله أذاق بأسه الكافرين الأول، فلو لم يكونوا مختارين للجرائم والمآثم والكفر والشرك لما عذبهم الله لأنه عادل، لا يظلم مثقال ذرة، وزعمهم أنه لو شاء الله لما أشركوا ليس صحيحاً، لا يوجد عندهم من دليل يستندون إليه، وإنما كفرهم هذا تمرد على الدين، وكذب على الحق وإذا كان الله قد عذب الأمم السابقة بكفرها، وإذا كان المشركون ليس لهم من حجة يحتجون بها، فقد تقرر أن دعوى المشركين دعوى ظنية لا تقوم عليها حجة، ولا ينهض بها دليل، وهنا قامت حجة الله البالغة على هؤلاء ﴿ فله الحجة البالغة ﴾ (الأنعام 149) ولو شاء الله لأجبرهم على الهداية، وإذا فلن يكونوا حينئذ من البشر، لأن البشر لهم إرادة، ولهم اختيار فطرهم على هذا رب العزة والجلال .

هذا هو الدليل الذي ردّ الله به على من يزعم أن الله يجبر عباده على الضلال، فالله عز وجل يهدي هداية دلالة أو ضلال وهو القائل ﴿وهديناه النجدين﴾ (البلد10) وبيننا له طريق السعادة والشقاوة والخير والشر، هداية أعطيناه فيها الحواس الخمس والعقل والدين والأنبياء والشرعية، هذا هو القرآن ينطق بالحق على الكاذبين الذين يدعون أن الله هو الذي أضلهم ,

اسمع مولانا يقول : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ (الإنسان 3) أنت ما اخترت الصراط المستقيم، أسمعتم أيها العقلاء : هديناه وأرشدناه إلى طريق الحق والباطل، والخير والشر، والصدق والكذب : فهو باختياره إما أن يسلك طريق

الخير فيكون شاكراً أو يسلك الطريق المعوج فيكون كفوراً، وصدق الله العظيم :
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (الشمس 9-10)

لذلك يا أخي المسلم أنت مأمور في كل يوم أن تقف بين يدي ربك وتكرر سبع عشر مرة، أمرك أن تدعوه وتقول : ﴿ إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة 6) يعني يا رب مثلما هديتنا هداية إرشاد ودلالة : إِهْدِنَا هداية إعانة وتوفيق، وقال أيضاً : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ (التغابن 11) من يهتد هداية إرشاد يهده الله هداية إعانة .

لكن السؤال الذي يسأل بعد ذلك كله : ما معنى قوله تعالى :
﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (الإنسان 30).

يتبع 112 دروس العقيدة الإسلامية

مشيخة الطريقة الشاذلية

هنا دمشق.

الدرس الثاني عشر بعد المئة
من دروس العقيدة الإسلامية
عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر
تقييد مشيئة الإنسان

إخوتي!

كنت قد علقت معكم سؤالاً حول آية من كتاب الله تعالى، فبعد ما تقرر علينا أن مولانا عز وجل منح العبد الحرية والاختيار، سألنا سؤالاً : ما معنى قوله تعالى ﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ (التكويد 9) هذا سؤال حير الألباب، فهو يعني أن الإنسان لا يشاء شيئاً إلا إذا كان في حدود المشيئة الإلهية ويعني أن مشيئة البشر ليست مشيئة مستقلة عن مشيئة الله تعالى .

فالله تعالى قد شاء للإنسان أن يختار أحد الطريقين : طريق الهداية أو طريق الضلالة ، فإذا اختار الطريق الأول ففي نطاق المشيئة الإلهية، وإذا اختار الطريق الثاني ففي نطاق المشيئة الإلهية . هذا هو معنى الآية،

إخوة الإيمان:

علينا أن نعتقد ونجزم باعتقادنا أن القدر يلزم الإنسان في جميع أحواله، فهو معه في كل حركة وسكنة، حتى في النفس الذي يتنفسه، فهي أنفاس معدودة في أوقات محدودة.

حتى إن القدر معنا في شعورنا بمحبة شيء أو كراهيتنا له، فنحن يا أخي لا نحب أحداً إلا بقدر، ولا نبغض أحداً إلا بقدر، صرح بذلك رب العزة والبشر، فعلى موجات سورة الحجرات ٩ :

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾، وعلى موجات سورة الأنعام (125) ﴿فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾، وقال أيضا: ﴿كَذَلِكَ زِينَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾. (الأنعام 108)

فالمليل الذي تجده في نفسك لشيء ما هو من قدر الله تعالى، حتى الشيء الذي تفكر فيه في قلبك دون أن تبديه أو تظهره هو أيضا من قدر الله تعالى، اسمعه يقول لك (الأنفال 24) ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ لا يستطيع أن يفكر بإيمان أو كفر أو خير أو شر إلا إذا مكَّنه منه ربُّ العزة والجلال بقضائه وقدره، ولهذا قال عن أقوام إنَّه تعالى ختم على قلوبهم وسمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة، فأنت لا تريد شيئا حتى يريدَه اللهُ تعالى،، يسبقك إليه القدر، ولهذا علَّمك أن تقول : ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

إخوتي في الله تعالى : وهنا يرد سؤال : لو أراد عبد شيئا وأراد الله شيئا آخر من الذي تنفذ مشيئته؟

إنه الله، هو الذي قال لنا ليلزم كل عبد حده، الزموا حدودكم أيها العبيد ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ ﴿ وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ (القصص 68)، قولوا آمنا بالله وصدقنا واعتقدنا .

ولذلك عليك أن تتعلم الأدب مع الله تعالى عندما تتكلم، ولا تقل أنا فعلت، أنا ذهبت، أنا عملت كذا، أنا تصدقت بكذا، بل عليك أن تقول : الحمد لله الذي هداني فتصدق، هداني فعلمت فلان، هداني فقبلت يد أبي وأمي صباحاً، ذلك لأنك لا تملك المشيئة المستقلة عن مشيئة الله تعالى، هذا قول الذين كفروا، قول القدرية الذي ينكرون أن الله قدّر أفعال الخلائق، وأن لهم المشيئة المستقلة، ولهذا رد الله عليهم كذبهم وافتراءهم وقال : ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ كذلك رد بهذه الآية على المعتزلة الذين يقولون: إن الله لم يقدر الشر، وأن الشرور منا، أبناء

آدم، فأرادوا تنزيه الله فوقه في الضلال، حين أعرضوا عن مثل قوله تعالى ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء 35).

لكن إذا فعل العبد شيئاً من المعاصي والشرور فأدبا مع الله لا ينسبها إليه، فالشر لا يضاف إلى الله تعالى مفرداً، وإنما يدخل في عموم القضايا الإيمانية، فنقول كما قال مولانا رحمه الله ﴿الله خالق كل شيء﴾ (الزمر 62) كل شيء: الخير والشر.

أيها السادة:

تعالوا نتوجه أولاً إلى أبي الأنبياء والمرسلين جدي سيدنا إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم .

سيدنا إبراهيم يعلمنا الأدب في تقرير شر القدر، ويقرر علينا وعلى قومه هداية الإرشاد والتوفيق ومجموعة من القضايا الاعتقادية، فاسمعوها جيداً (الشعراء ٧٨):

﴿الذي خلقتني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين﴾ انظروا: الله خلقتني، الله هدايتي، الله أطعمني، الله سقاني، ثم قال : أنا مرضت، هذا تعليم الأدب العالي مع الله تعالى .

لكن القضية تتضح أكثر إذا زرت معكم سيدنا موسى ومعه سيدنا الخضر) عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام) فهما يركبان في سفينة مساكين يعملون في البحر، فيأخذ سيدنا الخضر طرف لوح فيها فينزعها من السفينة، ويعترض عليه سيدنا موسى، فبماذا يجيبه نبي الله سيدنا الخضر، يحكي لنا القرآن جوابه مفصلاً (الكهف) ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة (صالحة) غصباً﴾ الشاهد في الآية : فأردت أن أعيبها، أنا أردت، نسب ذلك إلى نفسه تأدبا مع من خلق السموات بغير عمد ترونها، ثم صرح بحقيقة الأمر بعد ذلك، وأن كل ما فعله كان بأمر الله فقال ﴿وما فعلته عن أمري﴾ (الكهف)

لكن إذا جدَّ الجد، وأحتاج الأمر للتصريح والاعتراف بأن الله هو الذي خلق الشر، كان التصريح به من كمال الأدب مع الله تعالى.

أيها الإخوة:

أدعوكم الآن لانتقل بحضراتكم إلى موقف آخر لسيدنا موسى، وقد جاء قومه بعد المناجاة والمكالمة، قال مولانا ارجع إلى قومك ﴿ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ (طه 85) حين رجع إليهم ورآهم يعبدون العجل، وكسر الألواح وغضب عليهم وأمسك بلحية أخيه سيدنا هارون، وأقام حدود الله في الأرض، رجع في نهاية الأمر معتذرا له تعالى، ومظهرها حقيقة شر القدر قائلاً له ﴿ إِن هِيَ إِلَّا فَتْنُكَ ﴾ أنت الذي فتنتهم يا رب، هذا اعتراف عقائدي علينا أن نفهمه اليوم:

إذا كنا لا نحتاج إلى التصريح بنسبة الشر إلى الله تعالى فعلينا أن ننسبه إلينا على وجه الكسب (أنه حدث على أيدينا) أي نحذف الفاعل الحقيقي في الكلام، كما فعل الجن عندما بعث سيدنا محمد ﷺ قالوا ﴿ وَإِنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌ أُرِيدُ مِنَّا فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ (الجن 10)

حين ذكروا الشر حذفوا الفاعل، وحين ذكروا الرشد والهداية ذكروه منسوباً إلى الله تعالى.

معشر الإخوة الكرام :

قضية شر القدر لا تعني أبداً أن الله تعالى يرضاه أو يأمر به (والعياذ بالله تعالى) هو الذي قال لنا : ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ (الزمر 7) ولا يرضى لعباده الفساد من القول ﴿ إِذْ يَبِيتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ (النساء 108) ولا يرضى للفاسقين فسقهم ﴿ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .(التوبة 96)

أيها الإخوة : ويرد سؤال بعد عرض هذه القضية، اذا اعتقدنا جازمين أن جميع أفعال العباد الاضرائية والاختيارية خيرها وشرها مخلوقة من **الله تعالى**، وأن إرادتنا مقيدة بإرادته تعالى فما هو واجبنا تجاه تلك العقيدة ؟

إذا كانت إرادتي مقيدة بإرادة **الله تعالى** فما هو واجبي تجاه هذه العقيدة ؟
واجبي كمسلم : إذا قضى **الله لي** بالطاعة أن أستقبل قدره ذاك بالإخلاص والشكر حتى يكرمني **الله** بالتوفيق والهداية، ولهذا ما دمت في المسجد أحمد الله تعالى وأشكره .

واجب المسلم : إذا قضى عليه مولانا بالمعصية فعليه أن يستقبل قضاءه بالتوبة والاستغفار والندم من صميم الفؤاد لينقله إلى ديوان التوابين والمتطهرين.
واجب المسلم : إذا قضى **الله عليك** بالنعم أن يستقبلها بالشكر والسخاء حتى يكرمه بالزيادة .

واجب المسلم : إذا قضى عليه **الله** بالشدة أن يستقبل قضاءه بالصبر لعله يعطيه الكرامة في الدنيا والآخرة .

فهل يتغير القدر ويتبدل أم هو ثابت لازم لا محيص له؟؟ .

يتبع 113 دروس العقيدة الإسلامية

مشيخة الطريقة الشاذلية

هنا دمشق.

الدرس الثالث عشر بعد المئة
من دروس العقيدة الإسلامية
عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر
صفتا القضاء

إخوتي!

هناك أمور لا تخضع لإرادة الإنسان واختياره، ولا يسأل عنها ولا يحاسب عليها، لأن القضاء والقدر يحتمها لحكمة معينة لا يعلمها إلا الله تعالى، كحياتنا وموتنا وصحتنا وضعفنا وغنانا وفقرنا، فالله تعالى يوم القيامة مثلاً لا يحاسب على كونك ذكراً أو أنثى، لكن يحاسبك على عملك الاختياري الذي أعطاك الإذن فيه .

فحياتنا - أيها الإخوة - من القدر المحتّم، وشبابنا من القدر المحتّم، وشيخوختنا من القدر المحتّم، كلّ ذلك آتينا لا محالة، » لهذا قال العلماء : القضاء قسمان : قضاء محتّم واقع لا محيص عنه، وقضاء معلق : أي يتغير ويتبدل. وبعبارة أدق : القضاء مبرم ومعلق » .

إخوة الإيمان :

تقدّم معنا أن الله تعالى قدّر في الأزل في علمه تعالى كل شيء، وبينت الآيات القرآنية هذه الحقيقة واضحة جلية، فعلى موجات سورة الرعد (8) :

﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ وعلى موجات سورة الفرقان (2) ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾ وعلى موجات سورة الحجر (21) ﴿ وما من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾

ولهذا يقول سيدنا رسول الله ﷺ « لا يهلك الله إلا هالكاً » أي من كتب الله عليه في علمه أنه هالك، وقال تعالى : ﴿ يؤفك عنه من أفك ﴾ (الذاريات 9)

أي يصرف عن سماع القرآن وعن الإيمان به في الدنيا من صرف عند في التقدير الأزلي .

فهذا هو القضاء الذي في علم الله لا يتغير ولا يتبدل، فهل هناك تقدير يتغير ويتبدل ؟ هذا هو السؤال الذي كنت علقته معكم ويحتاج للإجابة عنه أن تصلوا على النبي، عسى الله أن يشرح صدورنا .

أيها الإخوة :

من كرم الله علينا أن جعل قضاءه قسمين، فالقضاء الذي في علم الله لا يتغير ولا يتبدل.

أما التقدير الذي كتبه مولانا عز وجل في اللوح المحفوظ فإنه يتغير ويتبدل، وإلى هذه القضية الإشارة والتصريح في قوله تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ (الرعد 39) .

فيمكن لهذا القضاء أن يتغير ويتبدل، لذا كان سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول في دعائه (اللهم إن كتبتني شقياً فامحني واكتبني سعيداً) . ولهذا ورد أيضاً في دعاء النصف من شعبان، التي قيل فيها إن الله يكتب ما يحدث للعباد من السنة إلى السنة قول الداعين :

(اللهم إن كنت كتبتني في أم الكتاب شقياً أو محروماً أو مطروداً أو مقتراً عليّ في الرزق فامحُ اللهم بفضلك شقاوتي وحرمانِي وطردِي واقتار رزقي، واثبتني عندك في أم الكتاب سعيداً مرزوقاً موفقاً للخيرات، فإنك قلت في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾).

فهذا التقدير - يا إخواني - يتغير ويتبدل بفعل الطاعات والعبادات .

ولهذا ورد في الحديث الشريف عنه ﷺ « إن الصدقة وصله الرحم تدفع ميتة السوء وتقلبه سعادة » (طب الترغيب) .

وفي الحديث أيضاً « إن الدعاء والبلاء بين السماء والأرض يقتتلان ويدفع الدعاء البلاء قبل أن ينزل » .

وكلنا يحفظ قول حبيبنا سيدنا محمد ﷺ : « من أردا أن ينسأ له في أجله ويزاد له في رزقه فليصل رحمه » .

فما هو المراد في التقدير الذي يكون في الرحم، هل هو تقدير ثالث ؟ الحقيقة أن هذا التقدير يكون مطابقاً للعلم الإلهي لا يتغير ولا يتبدل، وإليكم نص هذا الحديث (بعد أن تصلوا على صاحبه ﷺ) فمن مدرسة الصحيحين يقول الصادق المصدوق :

« إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك، فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد، فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » (د - ت).

وفي رواية : فيعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس .

أيها السادة :

أيها العبيد : هذا الحديث خوِّف أهل الإيمان : وجعلهم يحافظون على الطاعات ويتعدون عن المعاصي طوال حياتهم، وجعلهم ييقون على مراقبة الله، وألا يغتروا بعباداتهم ولا بشهاداتهم ولا بألقابهم، فهذه قشور لا قيمة لها، وقد تؤدي إلى الرياء المحبط للعمل، فهذا إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل وقد قضى حياته في العلم والطاعة والدفاع عن عقيدة أهل السنة، ها هو على فراش الموت

يتمثل له الشيطان قائلاً : فزت عليّ يا إمام . فقال الإمام : لا، ليس بعد (حتى تخرج روحي مؤمناً بالله تعالى) .

فالصالحون يخافون أن يختم لهم بغير الإيمان لذا يداومون على الطاعة، وترك المعصية خوف سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى، فالأعمال بخواتيمها ولهذا ورد في الصحيح (خ) « إنما الأعمال بالخواتيم » .

أما هذا الذي يعمل رياءً ويصوم رياءً ليقال : إنه صام رجب وشعبان ورمضان، وهذا الذي يعلم رياءً ليقال : عالم فهذا لا يختم له بخير، وإليك الدليل : (بعد أن تصلوا على سيدنا النبي ﷺ) :

وقعت غزوة زمن سيدنا رسول الله ﷺ فأعجب الصحابة فيها بقتال رجل وفروسيته وهجومه وصدّه على أعداء المسلمين، ونقل هذا الإعجاب إلى سيدنا رسول الله ﷺ فقال للصحابة هو في النار . فعجب الصحابة، واستمرت المعركة وهو يقاتل قتالاً ضارياً لا مثيل له، والصحابة يعجبون به، والنبي ﷺ يقول : هو في النار حتى قال صحابي : أنا صاحبه « أي لأتبعه في المعركة لأنظر لم قال رسول الله ﷺ هذه المقالة، فجعل الصحابي يلاحقه في أرض المعركة كظله حتى جرح الرجل جرحاً بليغاً فما كاد يصبر عليه لشدة ألمه، فإذا به يمسك سيفه ويتمايل عليه ويقتل نفسه » وصدق رسول الله ﷺ .

ولهذا على العبد ان يبقى متصلاً بالله مراقباً له أن تصيبه معصية فقد يأتيه الموت وهو يعصي الله تعالى، فالموت يأتي بغتة ولا يدري أحدنا متى يأتي أجله . سألت مرة قاضياً من قضاة التحقيق الجنائي: ما أعجب قضية صادفتك في حياتك ؟ فقال : رجل يزني بامرأة فمات عليها .

نهاية سيئة، والعجيب أن بعض الناس يحتجون بالقدر عند ارتكاب الذنب أو الحرام أو عند التقصير في أمر واجب، ليعتذر المرء عن نفسه ويتخلص من تبعه الذنب، ويقول : قدر الله عليّ . فهذا ضلال وجهل لأن الله تعالى أخفى عنا تقديره

وعلمه، ولا يعرف أحد ما سيجري له بعد لحظة ﴿ ولو كنت أعلم الغيب
لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾ . (الأعراف 188)

ولهذا لما سرق أحد اللصوص زمن سيدنا عمر رضي الله عنه وحضر بين يديه سأل : لم
سرت ؟ فقال اللص : قدّر الله ذلك . فقال سيدنا عمر : اضربه ثلاثين سوطاً
ثم اقطعوا يده . فقيل له : ولم ؟ فقال : يقطع لسرقته ويضرب لكذبه على الله
تعالى

إن القدر لا يتخذ سبيلاً ولا ذريعة إلى المعاصي، ولهذا حذر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أن يفهم القدر فهماً خاطئاً، ودعا إلى مجاهدة من يرى هذا الفهم الخطأ فقال :
يكون في آخر الزمان قوم يعملون بالمعاصي ثم يقولون : الله قدر علينا هذا ، «
الرادّ عليهم يومئذ كالشاهر سيفه في سبيل الله » .

معشر الإخوة الكرام :

أما قضية الاحتجاج بالقدر بعد وقوعه فهو جائز « لأن سيدنا موسى التقى سيدنا
آدم (ق) فقال سيدنا موسى : يا آدم أنت الذي أخرجت الناس من الجنة
بذنبك وأشقيتهم . فقال سيدنا آدم : أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه،
أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني . وهنا قال سيدنا رسول الله :
فحجّ آدم وموسى « أي أقام عليه الحجة » .

فسيدنا آدم احتج بالقدر قبل وقوعه لا قبله، وأقام الدليل على ذلك لأن مولانا قال
في كتابه :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في (الجنة) خليفة، جاعل في الأرض)
أين ؟، في الأرض، إذاً ما دام في الأرض فمعناه أن الله قرر وقضى ذلك قبل خلق
سيدنا آدم، ولهذا جعل له سبباً وهو أكله من الشجرة . ولكن سيدنا آدم لم يحتج
بالقدر إلا بعد وقوعه لا قبله .

أيها الأحبة والصحب :

هذا هو القدر الذي يجب أن تعرفه عن القدر، وأما ما وراء هذه المعرفة فلا يحل لنا البحث فيه، ولا التنازع في شأنه، ولهذا لما خرج رسول الله ﷺ على بعض الصحابة وهم يتنازعون في القدر غضب حتى احمرّ وجهه وقال: (أبجذا أرسلت إليكم، إنما أهلك من قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه).

فهذا هو الواجب الأول علينا، فما هو الواجب الثاني؟

الواجب الثاني: علينا أن نعتقد في ختام هذا الملف أنه لا تطرف في العالم عين، ولا تهب نسمة هواء، ولا يحدث فيه حادث صغيراً كان أو كبيراً إلا بعلم الله تعالى وإرادته وقدره، وأن يمتزج هذا بدمنا ونستسلم لله ونخضع له ونعترف بأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

قام شيخ إلى سيدنا علي بعد معركة صفين فقال له: أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام بعد صفين أكان بقضاء الله وقدره.

فقال سيدنا علي: والذي خلق الجنة وبرأ النسمة ما وطننا موطناً ولا هبطنا وادياً إلا بقضاء الله وقدره. فقال الشيخ: فعند الله أحاسب عنائي ما أرى أن لي من الأجر شيئاً. فقال سيدنا علي: مه أيها الشيخ فقد عظم الله أجركم في مسيرتكم وأنتم سائرون، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من أحوالكم مكرهين ولا مضطرين. فقال الشيخ: وكيف والقضاء والقدر ساقنا؟. فقال سيدنا علي: ويحك لعلك ظننت قضاء لازماً وقدرًا محتملاً، ولو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب، والوعد والوعيد. والأمر والنهي، ولم تأت لائمة من الله لمذنب ولا محمداً لمحسن، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء ولا المسيء أولى بالذم من المحسن، تلك مقالة عبّاد الأوثان وجنود الشيطان وشهود الزور أهل العمى عن الصواب، وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها، ثم قال: إن الله أمر تخييراً ونهى تحذيراً وكلف تيسيراً ولم يعص مغلوباً ولم يُطع كارهاً، ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثاً، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار. فقال الشيخ: من القضاء والقدر الذي ما سرنا إلا به. فقال جدي أمير

المؤمنين سيدنا علي : هو الأمر من الله تعالى والحكم، ثم تلا قوله تعالى :
﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾. (الإسراء 23)

إخوتي في الله : لما كان المؤمن عاجزاً عن معرفة ما يراد به من خير أو شر فيما
يستقبل من الأمور سنّ لنا رسول الله الاستخارة فهي تصرف المؤمن وتردّه إلى
العبودية المحصنة وتوقفه على عظيم افتقاره إلى مدبر أموره سبحانه وتعالى، وفي
الحديث « من سعادة ابن آدم استخارته الله تعالى، ومن سعادة ابن آدم رضاه
بما قضاه الله تعالى، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله عز وجل ومن
شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى عليه » .

ان الناس اليوم تردد ألفاظ الكفر بل وتغنيه أمثال عبد الحليم حافظ العبد الضال
الذي سجل الكفر في أغانيه حينما قال : (قدر أحق الخطأ سحقت قامتي خطاه
(وسيحاسبه الله على عبارته لكفره بالقدر .

وكقول أبي القاسم الشابي :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

فجعل قدر الله تابِعاً لإرادة العبد، وقد علمتم فساد هذا القول وكفره .

فمن كفر باعتقاد مكفر لم تنفعه عبادة ولا طاعة . ومن هنا تأتي أهمية هذا الملف،

الذي تلقيناه بالسند المتصل عن سيدنا رسول الله ﷺ عن طريق أشياخنا وآبائنا

فاللهم ارحم مولاي الوالد الشيخ محمد سهيل الخطيب وارحم الشيخ رفيق السباعي،

وارحم الشيخ عبد الرحمن التلمساني، وارحم الشيخ أحمد المحاميد، وارحم لنا يا مولانا

الشيخ عبد الرحمن الشاغور وارحم الشيخ صادق حبنكة وارحم الشيخ أديب

الكلاس، هذا هو سندنا في العقيدة عن علماء بررة .

وارحم علماء المسلمين الذين حملوا راية هذا الدين الحنيف .

يتبع الدرس الأخير من دروس العقيدة الإسلامية

مشيخة الطريقة الشاذلية

هنا دمشق.

الحلقة الأخيرة

من دروس العقيدة الإسلامية

عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر

كيف نفهم القدر؟!..!

إخوتي !

لعل أحد أكثر الأسئلة التي تدور في أذهان المسلم خاصة.. هو ما يعرف فلسفيا باسم سؤال الشر.. وهو بكل بساطة

لماذا خلق الله الشر والفقر والمعاناة والحروب والأمراض؟

لماذا يموت الأطفال في سورية؟ لماذا يموت الأطفال جوعا في افريقيا؟

أليس الله هو الرحمن الرحيم؟

فكيف يمتلئ الكون بكل هذه المآسي؟

طبعاً سيكون من الرائع لو تمكنا من فهم تلك المتناقضات التي ترهق أرواحنا.. ومع أن هذا يبدو مستحيلاً الآن ..

إلا أن هذا فعلياً قد حدث.. قبل ثلاثة وثلاثين قرناً من الآن،

كان نبي الله سيدنا موسى لديه كما لدينا الكثير من الأسئلة القدرية ..

ليس أقلها رؤية الله (رب أريني أنظر إليك ..)...

لكن الأهم على ما يبدو وموضوعنا اليوم هو عندما سأل سيدنا موسى ربه عز وجل عن القدر ..

وكيف يعمل ..

وهي بالذات عين أسئلتنا اليوم.. فطلب منه الله عز وجل أن يلاقي سيدنا الخضر عليه السلام ..

والحقيقة التي يجب أن تذكر هنا.. أن الأدبيات الإسلامية تسطح مفهوم سيدنا الخضر وتختزله في صفة ولي من أولياء الله

في حين أن الحقيقة أن سيدنا الخضر عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام نبي يمثل القدر نفسه.. يمثل قدر الله تعالى الذي يغير أقدار الناس..

والجميل اليوم أن هذا القدر يتكلم.. لذلك نحن الآن سنقرأ حواراً بين نبي ورسول (بشر) مثلنا تماماً.. لديه أسئلتنا نفسها.. وبين قدر الله المتكلم المتمثل بسيدنا الخضر.. ولنقرأ هذا الحوار من زاوية جديدة..

أول جزء في الحوار كان وصف هذا القدر المتكلم .. (*آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً *) .. أي أنه قدر رحيم وعليم.. وهذا أصل مهم جداً.. ثم يقول سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام (بشر) .. (*هل أتبعك على أن تُعلِّمَني مما علِّمتَ رُشدًا..*) *

يرد القدر:

* ("إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ..") *

جواب جوهرى جدا

فهم أقدار الله فوق إمكانيات عقلك البشري..... ولن تصبر على التناقضات التي تراها.....

فيرد سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بكل فضول البشر

" (*ستجدني إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا*) .."

ويرد القدر:

* ("فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا..") *

ويعضي السيدان

ويركبا في قارب لمساكين يعملون في البحر.. وتقوم يد القدر سيدنا الخضر بخرق

القارب ..

وواضح تماما أن أصحاب المركب عانوا كثيرا من فعلة سيدنا الخضر.. لأن سيدنا موسى تساءل بقوة عن هذا الشر كما نتساءل نحن.. " (*أَخْرَقَتْهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا.. لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا*) "

..عتاب للقدر تماما كما نفعل .. أخلقتني بلا ذرية كي تشمت بي الناس؟ أفصلتني من عملي كي أصبح فقيرا؟ الأسئلة نفسها ..

يسكت سيدنا الخضر ويمضي ..

طبعاً الشاهد الأساسي هنا أن أصحاب المركب عانوا أشد المعاناة.. وكادوا أن يغرقوا.. وتعطلت مصلحتهم وباب رزقهم.. لكن ما لبثوا أن عرفوا بعد ذهاب سيدنا الخضر ومجيء الملك الظالم أن خرق القارب كان شراً مفيداً لهم

لأن الملك لم يأخذ القارب غصباً..

نكمل قصة القدر ..

سيدنا موسى لا زال في حيرته.. لكنه يسير مع السيد (القدر) الذي يؤكد لسيدنا موسى.. " (*ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً*) ؟ !

ألم أقل لك يا إنسان إنك أقل من أن تفهم الأقدار ..

ويمضي السيدان ..

ويقوم سيدنا الخضر الذي وصفناه بالرحمة والعلم بقتل الغلام.. ويمضي في طريقه.. فيغضب سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .. ويعاتب بلهجة أشد:

*) ("أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكِرًا") *

تحول من إمرأً إلى نكراً

والكلام صادر عن نبي أوحى إليه.. لكنه بشر مثلنا.. ويعيش حيرتنا نفسها..

ويؤكد له سيدنا الخضر مرة أخرى " (*ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً*) .."

طبعاً هنا أصل مهم.. أننا كمسلمين قرأنا القرآن ننظر إلى الصورة من فوق.. فنحن نعرف أن سيدنا الخضر فعل ذلك لأن هذا الغلام كان سيكون شيئاً مع أمه وأبيه

بل ومع ربه عزوجل.. ") * وكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا .. ") *

والسؤال؟

هل عرفت أم الفتى بذلك؟

هل أخبرها سيدنا الخضر؟

الجواب : لا.. بالتأكيد قلبها انفطر وأمضت الليالي الطويلة حزنا على هذا الفتى الذي ربه سنينا في حجرها ليأتي رجل غريب يقتله ويمضي.. وبالتأكيد.. هي لم تستطع أبدا أن تعرف أن الطفل الثاني كان تعويضا عن الأول.. وأن الأول كان سيكون سيئا.. فهنا نحن أمام شر مستطير حدث للأمم.. ولم تستطع تفسيره أبدا.. لكنه .. القدر

ثم يصل سيدنا موسى وسيدنا الخضر إلى القرية.. فيبني الجدار ليحمي كنز اليتامى.. هل اليتامى (أبناء الرجل الصالح) عرفوا أن الجدار كان سيهدم؟ لا .. هل عرفوا أن الله أرسل لهم من بينيه؟ لا ..

هل شاهدوا لطف الله الخفي.. الجواب : قطعاً لا..

هل فهم سيدنا موسى السر من بناء الجدار؟ لا ..

ثم مضى سيدنا الخضر ..

ثم تكلم القدر ..

وشرح لسيدنا موسى ولنا جميعا كيف يعمل القدر والذي يمكن تلخيصه ببساطة كالآتي..

الشر شيء نسبي ..

ومفهوم الشر عندنا كبشر مفهوم قاصر، لأننا لا نرى الصورة كاملة، فما بدا شرا لأصحاب المركب اتضح أنه خير لهم ..

وهذا أول نوع من القدر ..

شر تراه فتحسبه شرا.. فيكشف الله تعالى لك أنه كان خيرا.. وهذا نراه كثيرا.. .
النوع الثاني : مثل قتل الغلام..... شر تراه فتحسبه شرا.. لكنه في الحقيقة خير..
ولا يكشف الله لك ذلك فتعيش عمرك وأنت تعتقد أنه شر.. مثل قتل الغلام.. لم
تعرف أمه أبدا لم قتل ؟!

النوع الثالث وهو الأهم: .. هو الشر الذي يصرفه الله عنك دون أن تدري..
لطف الله الخفي.. الخير الذي يسوقه إليك.. مثل بناء الجدار لأيتام الرجل الصالح..
فالإخلاصة إذن ..

أننا يجب أن نقتنع بكلمة سيدنا الخضر الأولى "(إنك لن تستطيع معي صبرا)"
لن تستطيع يا بن آدم أن تفهم أقدار الله ..
الصورة أكبر من عقلك..

قد تعيش وتموت وأنت تعتقد أنك تعرضت لظلم في جزئية معينة.. لكن الحقيقة
هي غير ذلك تماما ..
الله قد حماك منها..

مثال بسيط.. أنت ذو بنية ضعيفة.. وتقول : إن الله حرمني من الجسد القوي..
أليس من الممكن أن شخصيتك متسلطة.. ولو كنت منحت القوة لكنت افترت
على الناس؟ .

حرمك الله المال..
أليس من الممكن أن تكون من الذين يفتنون بالمال وكان نهايتك ستكون وخيمة؟
حرمك الله الجمال..

أليس من الممكن أنك ذات شخصية استعراضية.. ولو كان منحك الله هذا الجمال
لكان أكبر فتنة لك؟

لماذا دائما ننظر للجانب الإيجابي للأشياء؟ ونقول حرمننا الله؟؟!

أخي!

استعن بلطف الله الخفي لتصبر على أقداره التي لا تفهمهما.. وقل في نفسك.. أنا لا أفهم أقدار الله.. لكنني متسق مع ذاتي ومتصالح مع حقيقة أنني لا أفهمها.. لكنني موقن كما الراسخون في العلم أنه كل من عند ربنا.. وأن الله (*ماقضى لمؤمن قضاء إلا كان خيرا له *).. إذا وصلت لهذه المرحلة.. ستصل لأعلى مراحل الإيمان.. الطمأنينة.. وهذه هي الحالة التي لا يهتز فيها الإنسان لأي من أقدار الله تعالى.. خيرا بدت أم شرا.. ويحمد الله في كل حال .. وهذا تماما ماأراده سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : (*أن تؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى..)*

آخر كتاب عقيدة الأكابر
مشيخة الطريقة الشاذلية
هنا دمشق.

فهرست عقيدة الأكابر

55	أهم علماء الأشاعرة في المغرب	-	1. مقدمة
57	أهم الكتب في المذهب الأشعري	2	مقدمة
63	. من المؤسسات الأشعرية	7	الأشاعرة في الفكر الإسلامي
64	إسنادي في علم العقيدة	9	1. النشأة
69	الباب الأول .الالهيات	12	2. الأفكار والعقائد
71	الدرس الأول أهل الإيمان	17	3. مصدر التلقي
73	الدرس الثاني أهمية العقيدة	17	4. علم الكلام
75	الدرس الثالث التعريف بالعقيدة	19	5. أقوال العلماء في فضل الأشاعرة
77	الدرس الرابع مقدمة العلم	29	6. حياة إمام الأشاعرة
80	.الدرس الخامس المكلف	31	7. أطوار حياته
84	الدرس السادس تعريف الايمان	33	8. ثناء العلماء عليه
86	الدرس السابع وجوب النطق بالشهادتين	40	9. كتاب الإبانة
89	.الدرس الثامن زيادة الايمان ونقصه	41	10. مؤلفاته
92	الدرس التاسع معرفة الله تعالى	43	11. وفاته
94	الدرس العاشر الذات الإلهية	43	12. أبرز أعلام الأشاعرة
96	الدرس الحادي عشر صفات الله تعالى	45	من أهل التفسير
99	الدرس الثاني عشر الصفات السلبية القدم	47	.من أهل الحديث
102	الدرس الثالث عشر صفة البقاء	49	من أهل الفقه وأصوله
104	الدرس الرابع عشر مخالفته تعالى للحوادث	50	.من الشافعية

150	الدرس الثامن والعشرون نسبة الفعل بين الرب والفعل	106	الدرس الخامس عشر الأدلة
153	الدرس التاسع العشرون صفة القدرة في القرآن	109	الدرس السادس عشر قيامه تعالى بنفسه
157	الدرس الثلاثون القدرة في السنة المطهرة	112	الدرس السابع عشر الوحدانية
159	الدرس الواحد والثلاثون الدليل العقلي على صفة القدرة	115	الدرس الثامن عشر صفات المعاني
161	الدرس الثاني والثلاثون صفة الحياة	115	مقدمة
163	الدرس الثالث والثلاثون صفة السمع	117	الدرس التاسع عشر مقدمة
165	الدرس الرابع والثلاثون صفة البصر	119	الدرس العشرون الأدلة على العقائد
167	الدرس الخامس والثلاثون الأدلة	122	الدرس الواحد والعشرون صفات المعاني
171	الدرس السادس والثلاثون ثمرة الإيمان بالسمع والبصر	125	الدرس الثاني والعشرون صفة العلم
175	الدرس السابع والثلاثون صفة الكلام	128	الدرس الثالث والعشرون صفة العلم في القرآن والسنة
179	الدرس الثامن والثلاثون صفة الكلام -2-	132	الدرس الرابع والعشرون صفة الإرادة
183	الدرس التاسع والثلاثون أدلة الكلام -3-	138	الدرس الخامس والعشرون الأدلة السمعية والعقلية
187	الدرس الأربعون الجائزات في حقه تعالى	141	الدرس السادس والعشرون الإرادة
189	الدرس الواحد والأربعون خلق العباد وأعمالهم	141	.. الإرادة والأمر
193	الدرس الثاني والأربعون التوفيق والخذلان	142	الإرادة والرضا
198	الدرس الثالث والأربعون الوعد والوعيد	147	الدرس السابع والعشرون صفة القدرة

283	* . الباب الثاني* الإيمان بالنبوات	200	الدرس الرابع والأربعون انفراده تعالى بالتأثير
285	الدرس الثاني والستون وجوب الإيمان بالرسل	203	الخامس والأربعون السعادة والشقاوة
291	الدرس الثالث والستون مهمة الرسل	206	الدرس السادس والأربعون الكسر والجبر
295	الدرس الرابع والستون خصائص الرسالة المحمدية	211	الدرس السابع والأربعون الإثابة على الأعمال
298	الدرس الخامس والستون صفات وعصمة الأنبياء	214	الدرس الثامن والأربعون الصلاح والأصلح
301	الدرس السادس والستون صفات وعصمة الأنبياء(2)	218	الدرس التاسع والأربعون خلق الخير والشر
305	الدرس السابع والستون عدد الأنبياء والرسل	226	الدرس الخمسون القضاء والقدر
311	الدرس الثامن والستون معجزات الأنبياء	231	الدرس الواحد والخمسون رؤية الله تعالى
314	الدرس التاسع والستون هل يخطئ الأنبياء	233	الدرس الثاني والخمسون إرسال الرسل
323	الدرس السبعون ثمرات الإيمان بالأنبياء	234	الدرس الثالث والخمسون التفويض والتأويل
327	خاتمة دروس النبوات حكم ساب الرسول الأعظم	237	الدرس الرابع والخمسون التأويل التفصيلي
333	*الباب الثالث* الإيمان بالكتب السماوية*	250	الدرس الخامس والخمسون جمع ماتفرق
335	الدرس الواحد والسبعون لمحة عامة	252	الدرس السادس والخمسون جمع ماتفرق (2)
335	التوراة	255	الدرس السابع والخمسون أقسام آيات الصفات
337	الزبور	259	الدرس الثامن والخمسون مظاهر يجب التنبيه عليها
338	الإنجيل	263	الدرس التاسع والخمسون سؤال هل يجوز أين الله
339	القرآن الكريم	265	الدرس الستون حديث الجارية

343	الدرس الثاني والسبعون صور الوحي	275	الدرس الواحد والستون حديث نزول الله عزوجل
421	الأمارت الصغرى	347	الدرس الثالث والسبعون ترجمة القرآن
423	الأمارات الوسطى	351	*. الباب الرابع* الإيمان بالسمعيات
427	الدجالون	353	الدرس الرابع والسبعون مقدمة في السمعيات
428	الأسود العنسي	356	الدرس الخامس والسبعون الإيمان بالملائكة
428	طليحة بن خوليد	359	الدرس السادس والسبعون التعريف بالملائكة
428	مسليمة الكذاب	366	الدرس السابع والسبعون أعمال الملائكة
429	سجاح التغلبية	367	الدرس الثامن والسبعون أثر الإيمان بالملائكة
429	المختار الثقفي	379	الدرس التاسع والسبعون الإيمان بالجن
429	الحارق بن سعيد	382	الدرس الثمانون الأدلة السمعية على وجود الجن
430	ميرزا غلام أحمد القاضيانى	385	الدرس الواحد والثمانون الأدلة على تكليف الجن
432	الدرس الثامن والثمانون الأمارات الوسطى (2)	392	الدرس الثاني والثمانون تسلط الشيطان على الإنسان
445	الدرس التاسع والثمانون علامات الساعة الكبرى	402	الدرس الثالث والثمانون عصمة الأنبياء من الشياطين
446	طلوع الشمس من مغربها	405	الدرس الرابع والثمانون استراق الجن أخبار السماء
446	ظهور الدجال	411	*الباب الخامس : *الإيمان باليوم الآخر

447	نزل سيدنا عيسى	413	الدرس الخامس والثمانون معنى الإيمان باليوم الآخر
448	يأجوج ومأجوج	419	الدرس السادس والثمانون علامات الساعة
449	خروج الدابة	421	الدرس السابع والثمانون علامات الساعة الصغرى والوسطى
524	الدرس الرابع بعد المئة أهل الكبائر من المسلمين لا يخلّدون في النار	449	رفع القرآن
529	الدرس الخامس بعد المئة النار حق أوجدت كالجنة	450	الدخان
535	الدرس السادس بعد المئة الشفاعة	451	ثلاثة خسوف
540	الدرس السابع بعد المئة بين يدي الجنة 31 سبباً لدخول الجنة	451	موعد قيام الساعة
552	الدرس الثامن بعد المئة وصف الجنة في القرآن	452	الدرس التسعون نعيم القبر
565	الباب السادس الإيمان بالقضاء والقدر	455	الدرس الواحد والتسعون عذاب القبر
567	الدرس التاسع بعد المئة مقدمة الإيمان بالقضاء والقدر	460	الدرس الثاني والتسعون الروح
572	الدرس العاشر بعد المئة قانون السببية	464	الدرس الثالث والتسعون انتفاع الأموات بسعي الأحياء
577	الدرس 111 الهداية والقدر	472	الدرس الرابع والتسعون تغير النظام الكوني
582	الدرس 112 تقييد مشيئة الإنسان	475	الدرس الخامس والتسعون البعث
587	الدرس 113 صفات القضاء	480	الدرس السادس والتسعون ترتيب أحداث القيامة
594	الحلقة الأخيرة كيف نفهم القدر ؟	483	الدرس السابع والتسعون حوض سيدنا النبي

601	فهرست عقيدة الأكابر	491	الدرس الثامن والتسعون الحشر يوم القيامة
607	صدر للمؤلف	496	الدرس المئة حشر الخلق
		505	الدرس الواحد بعد المئة الصراط المستقيم
		508	الدرس الثاني بعد المئة
		519	الدرس الثالث بعد المئة

صدر للمؤلف

صدرت مجموعة من كتب والده الشيخ محمد سهيل الخطيب الحسني رحمه الله تعالى وقام بتحقيقها:

1. كتاب الإسراء والمعراج.
2. كتاب مناسك الحج والعمرة (طبع عدة مرات).
3. كتاب الدعوات.
4. الوصية الواجبة.
5. رسائل الشيخ محمد سهيل الخطيب الحسني رحمه الله تعالى.
6. ديوان خطب فضيلة الشيخ محمد سهيل الخطيب الحسني رحمه الله تعالى.
7. الدروس البدرية (للشيخ محمد بدر لدين الحسني) ج1.

صدرت مجموعة من كتبه منها:

8. الأجوبة الجلية عن المسائل الاعتقادية.
9. الأجوبة العلمية عن المسائل الفقهية.
10. أحكام التجارة والتجار في الإسلام على المذاهب الأربعة (رسالة دكتوراه).
11. أحكام الصيام على المذاهب الأربعة (طبع عدة مرات).
12. الأدلة المؤتلفة في مبييت مزدلفة.
13. الأدلة المجمعّة على صلاة الظهر بعد الجمعة.
14. أربعون حديثاً في خصائص سيدنا النبي ﷺ (طبع عدة مرات).
15. تحرير المسالك إلى عمدة السالك في الفقه الشافعي.
16. تنبيه الأبرار إلى كفاية الأخبار (مجلدان) في المذهب الشافعي.
17. ثبتت بالمسائل غير المفتى بها في كتاب عمدة السالك في المذهب الشافعي.

18. الجوهرة في شرح الجوهرة (مذكرة في عقيدة أهل السنة والجماعة) (طبع عدة مرات).
19. دليل الحاج الطبي.
20. دليل الحاج مختصر لأهم الأحكام والأدعية في الحج والعمرة.
21. ديوان الشيخ عبد القادر الحمصي.
22. رسائل ابن الخطيب الحسني في مجلدين.
23. رسم المفتي (شرح لأهم المصطلحات والقواعد الفقهية، وترجمة لأعلام الشافعية).
24. زاد المسلم من أذكار الكتاب والسنة (طبع عدة مرات).
25. سور من القرآن وأدعية مختارة من الكتاب والسنة (طبع عدة مرات).
26. شرح ابن قاسم الغزي (فهرسة ومقدمات) (طبع عدة مرات).
27. ضم ثلاثة أثمار على متن غاية الاختصار في الفقه على المذاهب الأربعة (رسالة الماجستير).
28. عمدة المفتي: متن ابن الخطيب الحسني في معتمد فقه المذهب الشافعي مع الأدلة (مختصر المجموع للإمام النووي).
29. غرر الشام في تاريخ آل الخطيب الحسنية ومعاصريهم في مجلدين.
30. كيف تكون خطيباً ناجحاً.
31. مختصر حاشية الباجوري على ابن قاسم في المذهب الشافعي.
32. مختصر حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد.
33. مراقبي العبودية في توحيد رب البرية (طبع عدة مرات).
34. مشجرات الفقه الشافعي.
35. مشجرات عقيدة أهل السنة والجماعة (مرفق مع مشجرات الفقه الشافعي).
36. مع الله في الأنكار والأوراد (طبع عدة مرات).
37. مناسك الحج والعمرة على المذهب الشافعي.

38. ميزان الأخيار في التجارة والتجار "على المذهب الحنفي" (رسائل دبلوم).
39. الديوان الأول في الخطب: نفحات منبرية في تاريخ المئة الأولى الهجرية، يتضمن السيرة النبوية بأكملها ثم تاريخ الخلفاء حتى سيدنا: عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ومواقف من السيرة.
40. الديوان الثاني في الخطب نفحات منبرية في سيرة أئمة المذاهب الفقهية (طبع مرات).
41. الديوان الثالث في الخطب نفحات منبرية في القضايا التربوية.
42. الديوان الرابع في الخطب نفحات منبرية في القضايا الإيمانية (أربعة أجزاء). فيها استعراض لأركان الإيمان الستة مستمد من الكتب المعتمدة عند الأشاعرة والماتريدية.
43. الديوان الخامس في الخطب: نفحات منبرية في القضايا العراقية.
44. الديوان السادس في الخطب: ردود على أباطيل.
45. الديوان السابع في الخطب: الانتصار للنبي المختار.
46. الديوان الثامن في الخطب: نفحات منبرية في الشخصيات الإسلامية.
47. الديون التاسع: قصص الأنبياء.
48. الديوان العاشر نفحات منبرية في أعلام الشخصيات الإسلامية (ثلاث مجلدات).
49. الديوان الحادي عشر نفحات منبرية في الحرب اللبنانية.
50. النفحة العلية في أناشيد الحضرة الشاذلية.
51. دليل المؤمنين لأحاديث سيد المرسلين في العقيدة والفقه والأخلاق (10000 حديث).
52. معجم المصطلحات الفقهية على المذهب الشافعي.
53. النور السافر في مناقب أهل البيت الأكابر.
54. حكم التوسل في الإسلام.

55. كشف الران عن الوقت الضروري.
56. أحكام الشهيد في الفقه المقارن.
57. صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم.
58. حكم إمامة المرأة في الصلاة.
59. التجديد في الفقه.
60. اعرف نبيك (مترجم إلى الانكليزية).
61. رد الغافل إلى صلاة الغفلة.
62. الديوان الثاني عشر ديوان نفحات منبرية في حرب غزة الآبية (الحرب السابعة).
63. الديوان الثالث عشر (نفحات منبرية في الأوامر والنواهي الشرعية).
64. محاضرة عن القدس الشريف.
65. مجالس الصوفية.
66. الصلاة بين الشريعة والحقيقة.
67. برنامج الدين والحياة، وبرنامج فيه هدى للناس (الإحسان، الإيثار، العمل الصالح، القرآن في رمضان، هدي السلف في الرجوع إلى الله).
68. مسابقة رمضان على قناة صوفية.
69. محاضرة ماذا تحب أن تكون.
70. معجم الطلاق.
71. مختصر علوم القرآن.
72. مختصر تاريخ التشريع.
73. التسويق الشبكي.
74. الديوان الرابع عشر: نفحات منبرية في الثورة السورية.
75. أبحاث التصوف.
76. موسوعة فقه المذهب الشافعي 12 مجلداً.
77. موسوعة العقيدة 4 مجلدات.

78. موسوعة أعلام الشخصيات الإسلامية 5 مجلدات.
79. موسوعة الخطب المنبرية 7 مجلدات.
80. الموسوعة الصوفية 3 مجلدات.
81. الديوان الخامس عشر: ديوان الخطب المعاصرة.
82. عقيدة الأكابر.

وأما ما هو تحت الإعداد والطبع:

83. الأجزاء الفقهية في المذهب الشافعي.
84. أحكام التجويد القرآن الكريم.
85. أمهات المؤمنين.
86. آيات المجالس.
87. البُدر فيمن حضر غزوة بدر.
88. براعة الاستهلال في الخطابة.
89. تحقيق كتاب فتح العلام في الفقه الشافعي (فقه مقارن).
90. حاشية على الروض المربع للبهوتي (فقه الحنابلة) في الفقه المقارن.
91. حاشية على الهدية العلانية (فقه العبادات للحنفية) في الفقه المقارن.
92. حاشية على شرح عبد السلام على جوهر التوحيد في العقيدة.
93. حاشية على شرح الصاوي على جوهر التوحيد.
94. حاشية على فقه الشقفة في المذهب المالكي في الفقه المقارن.
95. حاشية مفيد العوام للجرداني في أدلة المذهب.
96. ديوان الخطب الجمعية.
97. رسالة في مصطلح الحديث النبوي الشريف.
98. السيف الصارم الصمصام في الرد على المدّعي هشام.
99. الفتاوى (على المذاهب الأربعة).
100. فقه العبادات على مذهب الإمام مالك رحمته الله.

101. فهرسة كتاب إعانة الطالبين في الفقه الشافعي.
102. فهرسة كتاب الأسماء واللغات للإمام النووي.
103. فهرسة كتاب روضة المحتاجين في الفقه الشافعي.
104. فهرسة كتاب فتح العلام في الفقه الشافعي.
105. فهرسة كتاب مغني المحتاج للخطيب الشربيني.
106. مبادئ الإملاء.
107. مجالس رمضان.
108. مختارات من الشعراء الإسلاميين.
109. مختصر الإسرائيليات في التفسير والحديث الشريف.
110. مختصر تاريخ المذاهب الإسلامية في العقائد.
111. مختصر حاشية الأمير على شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد.
112. مختصر حاشية الباجوري على السنوسية الصغرى.
113. مختصر خصائص اللغة العربية وطرق تدريسها.
114. الموسوعة الفقهية: مسائل الفقه المعتمدة الراجحة في المذهب موزعة على أبواب الفقه المختلفة من تسعة كتب في المذهب الشافعي.
115. مختصر شرح إحياء علوم الدين.
116. ديوان الخطب المعاصرة.

البرامج المصورة على الفضائيات:

1. أعلام التصوف.
2. القضايا التربوية.
3. مجالس الصوفية.
4. مجالس رمضان.
5. أحكام الصيام من أحياء علوم الدين.
6. المهرجانات النبوية في المولد الشريف 15 مهرجان.

7. مسابقة رمضان.

الصوتيات:

1. تاريخ المئة الأولى الهجرية.
2. تاريخ الخلفاء.
3. تاريخ الأئمة الأربعة (الملف الفقهي).
4. الأوامر والنواهي الشرعية.
5. الشخصيات الإسلامية.
6. الخطب المنبرية.
7. قصص الأنبياء.
8. القضايا الإيمانية.
9. القضايا التربوية.
10. ردود على أباطيل.
11. أناشيد الحضرة الشاذلية.

Khateebabdulaziz@gmail.com

Aboalssaod.alkhatib@outlook.sa